إسهامات الفلسطينيات الأدبية فى القصة القصيرة

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

كلية اللغات

إعداد

سنبل جمال

الإشراف

الدكتورحافظ محمد بادشاه

الأستاد المساعد بقسم اللغة العربية

الجامعةالوطنية للغات الحديثة إسلام آباد

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد باكستان

العام الدراسي، 2014 – 2021 م

إسهامات الفلسطينيات الأدبية فى القصة القصيرة

أطروحة قدمت لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

كلية اللغات

قسم اللغة العربية

الجامعة الوطنية للغات الحديثة إسلام آباد – باكستان

العام الدراسي، 2014 – 2021 م

© سنبل جمال

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الوطنية للغات الحديثة قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات

استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة

قام الموقعون أدناه بدراسة الأطروحة ومداولتها وقد أخرجوا بنتائج طيبة حولها ونلتمس من هيئة الدراسات العليا الموافقة على هذه الأطروحة كأطروحة جيدة.

عنوان الأطروحة:

إسهامات الفلسطينيات الأدبية فى القصة القصيرة

إعداد: سنبل جمال رقم التسجيل:535-PhD/**Ara/F14**

شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها

الدكتور حافظ محمد بادشاه	
المشرف	التوقيع
الأستاذة الدكتورة صوفية لودهى	
كلية اللغات	التوقيع
اللواء (المتقاعد) محمد جعفر	
رئيس الجامعة	التوقيع

التاريخ: / /

يمين الباحث

أعلن أن أطروحتي : " **إسهامات الفلسطينيات الأدبية فى القصة القصيرة** " التي أعددتها تحت إشراف الأستاذ الدكتور حافظ محمد بادشاه، والتي قدمتها إلى الجامعة الوطنية للغات الحديثة بإسلام آباد لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، لم أتقدم بها إلى أية جهة أخرى لنيل أية شهادة من قبل .

سنبل جمال

الباحثة

الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد

يناير ٢٠٢١م

فهرس المحتويات

استمارة الموافقة على الأطروحة والمناقشة	أ
يمين الباحث	ب
فهرس المحتويات	ج
Abstract	ن
الإهداء	س
كلمة الشكر	ش
المقدمة	١
الباب الأول: معارف القصة القصيرة	
الفصل الأول: تعريف القصة ونشأتها	٦
القصة:	٦
القصة لغةً:	٦
القصة اصطلاحاً:	٨
أنواع القصة:	١٠
تعريف القصة القصيرة	١٣
نشأة القصة القصيرة العربية	٢٠
آليات القصة القصيرة	٢٦

خصائص القصة القصيرة	٢٧
أبعاد القصة القصيرة	٢٩
عناصرالقصة القصيرة	٣٠
أهمية القصة القصيرة	٣٢
كاتبات رائدات	٣٥
التيمورية واليازيجية	٣٦
الرواية الأنثوية	٣٧
تنمية المرأة العربية	٣٧
أهم رواد القصة العربية القصيرة	٣٩
الفصل الثاني: القصة القصيرة فى العصر الحديث	٤٣
القصــة القصيرة فى مصر	٥٢
القصــة القصيرة فى السودان	٥٣
فترة الأربعينات	٥٤
القصــة القصيرة فى الجزائر	٥٤
القصــة القصيرة فى السوريا	٥٥
القصــة القصيرة فى فلسطين	٥٧
الفن القصصي الفلسطيني	٦١

الباب الثاني: القصة القصيرة وتطورها فى الأدب الفلسطيني	
الفصل الأول: الأدب القصصى الفلسطيني بعد الإحتلال ١٩٤٨م	٦٥
الاختلافات الثقافية	٦٦
الأدب الفلسطيني قبل سنة ١٩٤٨م	٦٦
الأدب الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨م	٦٨
الفن القصصي بعد عام ١٩٤٨م	٧٠
سميرة عزام	٧٠
سميرة عزام وجبرا	٧٢
القصة في الضغة الغربية	٧٢
سحر خليفة	٧٣
الأدب الفلسطيني المعاصر	٧٦
الأدب الفلسطيني تحت الإحتلال	٧٦
الأدب القصصي الفلسطينى بعد الإحتلال ١٩٤٨م	٧٩
تجارب قصصية مشتركة و جديدة	٨٢
تجربة فنية متطورة	٨٤
القصة القصيرة و التعبير عن حالة الانتفاضة	٨٥
أدب نسائى أم نساء أديبات	٨٨
الفصل الثاني: أنواع القصة عند الكاتبات الفلسطينيات	٩٠
أنواع القصة القصيرة	٩٠
قصص الأسرة :	٩٠

قصص العاطفية (الغرامية) :	٩٠
قصص المغتربين :	٩٠
قصص ذات الطابع الوجودي :	٩١
قصص العمال و المؤظفين والمدرسين والكتاب :	٩١
قصص وطنية :	٩١
قصص سياسية :	٩١
قصص قرآنية :	٩١
أنواع القصة عند الكاتبات الفلسطينيات	٩٣
ذكريات الوطن والحنين إليه:	٩٤
المرأة ومشاكلها:	٩٤
العادات والتقاليد الموجودة في المجتمع الفلسطيني:	٩٦
قضية فلسطين :	٩٧
قضية التفاوت الطبقي وسوء الوضع الاقتصادي:	٩٨
الفصل الثالث: أشهر مجموعات القصة القصيرة في الأدب الفلسطيني	٩٩
المجموعة القصصية « أشياء صغيرة » ـــ سميرة عزام	٩٩
المجموعة القصصية « الظل الكبير» ـــ سميرة عزام	١٠٢
المجموعة القصصية « وقصص أخري » ـــ سميرة عزام	١٠٤
المجموعة القصصية « الساعة والإنسان » ـــ سميرة عزام	١٠٨
المجموعة القصصية « العيد من النافذة الغربية » ـــ سميرة عزام	١١٠
المجموعة القصصية « عابروالسبيل » ـــ نجوى قعوار فرح	١١٢

المجموعة القصصية « القفص » — ندي جريس	١١٥
المجموعة القصصية « تقاسيم الفلسطيني» — سناء الشعلان	١١٥
المجموعة القصصية « أرض الحكايا » — سناء الشعلان	١١٨
المجموعة القصصية « ياسمين » — إسراء عبوشي	١١٨
الباب الثالث: معارف فلسطين	
الفصل الأول: فلسطين و موقعها الجغرافيائي	١٢٣
فلسطين	١٢٣
سكان فلسطين	١٢٦
اقسام فلسطين الطبيعية	١٢٧
مناخ فلسطين	١٢٨
الزراعة	١٢٢٨
الصناعة	١٢٨
التجارة	١٢٨
موقع الفلسطين الجغرافيائى	١٢٨
الوقع الاستراتيجي	١٢٩
المكانة الدينية	١٢٩
وعد بلفور	١٣١
الحكومة التركية	١٣٢
الاحتلال البريطاني لفلسطين وصك النتداب	١٣٢

الحملة البريطانية على فلسطين	١٣٢
الفصل الثاني: فلسطين عبر العصور	١٣٤
فلسطين عبر العصور	١٣٤
فلسطين في العهد الإسلامي	١٣٧
فلسطين تحت الاحتلال البريطاني ١٩٤٨م-١٩١٨م	١٤٥
ظهور الحركة الوطنية الفلسطينية	١٤٧
الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨م-١٩٢٩م):	١٤٨
الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٢٩م-١٩٣٩م:	١٤٩
الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦م-١٩٣٩م:	١٥٠
التطورات السياسية ١٩٣٩م-١٩٤٧م:	١٥١
حرب ١٩٤٨م وانكاساتها:	١٥٢
قضية فلسطين ١٩٤٩م-١٩٦٧م	١٥٥
البلاد العربية وفلسطين	١٥٥
نشأة حركة الفتح	١٥٧
قضية فلسطين ١٩٦٧-١٩٨٧	١٥٨
الفصل الثالث: أحوال فلسطين الأدبية والإجتماعية	١٦٠
أحوال فلسطين الإجتماعية:	١٦٠
العنف والثقافة	١٦٦
أسباب إجتماعية :	١٦٦

التحولات الاجتماعية في فلسطين	١٦٧
العنف المجتمعي	١٦٨
المظهر الاجتماعي	١٦٨
التركيبة الاجتماعية وغيرالمعيارية في المجتمع الفلسطيني	١٦٨
تغييرصيغة القيمة والوضع غيرالمعياري	١٦٩
الاغتراب وأزمة المجتمع المدني في المجتمع الفلسطيني	١٦٩
أحوال فلسطين الأدبية	١٧١
الباب الرابع: الكاتبات الفلسطينيات فى القصة وأعمالها	
الفصل الأول: سميرة عزام و ثريا نافع و أعمالهما	١٨٢
أولهما: سميرة عزام وأعمالها	١٨٢
ولادتها	١٨٢
أسلوبها وشخصيتها	١٨٤
المرأة في قصص سميرة عزام	١٨٨
آراء الأدباء في سميرة عزام	١٩٢
آثارها	١٩٦
ثانيهما: ثريا نافع وأعمالها	١٩٨
حياتها	١٩٨
الحياة العملية	١٩٩
أسلوبها وشحصيتها	٢٠٠
نظرة شاملة في روايات ثريا نافع	٢٠٠
مؤلفاتها	٢٠٤

الفصل الثاني: ليانة بدر و نجوى قعوار و أعمالهما	٢٠٥
أولهما: ليانة بدر وأعمالها	٢٠٥
حياتها	٢٠٥
أعمالها الأدبية	٢٠٨
إلى السينما والأفلام	٢١٠
أفلام ليانة بدر	٢١١
نظرة شاملة في روايات ليانة بدر	٢١٣
المرأة الجديدة في روايات ليانة بدر	٢١٧
القصص للأطفال	٢٢٠
الإحتفاء بالمكان	٢٢٢
صوت أدبي فلسطيني	٢٢٤
السرد و اللغة	٢٢٦
ثانيهما: نجوى قعوار و أعمالها	٢٢٨
ولادتها	٢٢٨
حياتها العلمية	٢٢٨
مؤلفاتها	٢٢٩
نظرة شاملة في مؤلفات نجوى قعوار فرح	٢٣٠
الفصل الثالث: حزامة حباب و أسماء الغول و أعمالهما	٢٣٤
أولهما: حزامة حبايب وأعمالها	٢٣٤
حياتها	٢٣٤
أعمالها الأدبية	٢٣٤
أولاً: القصص القصيرة	٢٣٥
المجموعة القصصية "شكل للغياب"	٢٣٦

المجموعة القصصية "ليل أحلى"	٢٣٧
ثانياً: الروايات	٢٣٧
مُقتطَف من رواية "قَبْلَ أنْ تَنَامَ المِلكَة:"	٢٣٩
مُقتطَف من رواية "مُخْمَل:"	٢٤٠
أشكال كتابية أخرى	٢٤١
تأثر سياسي	٢٤١
المؤلفات	٢٤١
ثانيهما: أساء الغول وأعمالها	٢٤٣
حياتها	٢٤٣
الحياة المهنية	٢٤٥
الكاتبة الأدبية	٢٤٨
الكاتبة الصحفية	٢٤٩
آراء الصحفيين في أسماء الغول	٢٥١
مؤلفاتها	٢٥٣
الجوائز التي حصلت عليها	٢٥٣
الباب الخامس: دراسة فنية	
الفصل الأول: الإتجاهات الرائدة فى القصة القصيرة	٢٥٤
الإتجاهات الرائدة	٢٥٤
العناصر الفنية في القصة القصيرة:	٢٥٦
الخصائص الفنية لأسلوب الكاتبات:	٢٥٦
علاقة القصة بالخبر	٢٥٨
مظاهر التطور	٢٥٩

مظاهر الزمان والمكان:	٢٦٣
جوانب الصور والطبيعة:	٢٦٤
التكرار:	٢٦٥
الحبكة الفنية	٢٦٥
ظاهرة الاستفهام	٢٦٦
البساطة والسهولة في المعاني:	٢٦٦
الفصل الثاني: الخصائص اللفظية	٢٦٧
طرائق تقديم الحدث :	٢٦٩
الحبكـة :	٢٧١
سطوة البناء التقليدي :	٢٧٢
بنـاء الحبكـة :	٢٧٢
الحدث والعناصرالأخرى :	٢٧٧
الفصل الثالث: الخصائص المعنوية	٢٧٩
السرد	٢٨١
الحوار :	٢٨٤
الحوار الأيدلوجي :	٢٨٥
الفصحى والعامية :	٢٨٦
الإيقاع القصصي:	٢٨٦
خاتمة البحث	٢٩٣
الفهارس الفنية	٢٩٦

فهرس الآيات القرآنية	٢٩٦
فهرس الأحادث النبوية	٢٩٩
الصادر و المراجع	٣٠٠

Abstract

إسهامات الفلسطينيات الأدبية فى القصة القصيرة

"The Literary Contribution of Palestinian female short story writers."

Short story is the most important asset of any literature. In Arabic, this property of literature is known as (القصة القصيرة**)**. My topic deals with Palestinian female authors, I have taken six famous Palestinian female writers of the contemporary age (1950-2015). I have discussed their biography, their role in literature, the factors which characterized and stimulated their writing skill, their mode of writing, the analysis of the points they highlighted in their writing and what kind of impact did they leave on minds.

The history of Palestine and its geographical, social and political position in different ages have also been discussed and what were the circumstances through which the Palestine was going on.

Keeping in view the significance of this topic, I have divided this thesis into Abstract, Preface, list of contents, five chapters, and Bibliography.

First Chapter: This chapter has two sub chapters. First about introduction of the short stories in Arabic Language, its genesis, kinds, characteristics, elements etc. Second, contains discussion about its significance in the modern age and also about famous short story writers.

Second Chapter: This chapter has three sub-Chapters. It contains Palestinian literature and its development before and after the Israeli occupation in 1948. In this chapter, role of Palestinian female writers has been discussed along with their famous short story volumes.

Third Chapter: This chapter also has three sub-Chapters. It discusses about Palestine, its historical background, geographical importance and its socio-literal aspects.

Fourth Chapter: This chapter has three sub-Chapters. It deals with six famous Palestinian female short story writer which includes Sameera Azzam, Najwa Qawaar, Suraya Nafe, Liana Badr, Huzama Habaab and Asma ul Ghoul.

Fifth Chapter: This chapter also has three sub-Chapters. It includes the technical studies and specially the leading trends in short stories in Palestinian literature. It contains verbal and moral characteristics of the above discussed Palestinian female short story writers.

Sunbul Jamal
Ph.D. Scholar
Department of Arabic
NUML, Islamabad

الإهداء

أهدي هذا البحث الجامعي هدية خالصة:

إلى رحمة للعالمين النبي المصطفى سيد الكونين والثقلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم

إلى أبي الذي علمني الصبر والجهد.

إلى أمي التي علمتني الإخلاص والإيثار في الحياة.

إلى أسرتي التي ساعدتني فى تكميل هذا البحث.

إلى المعلمين الكرام الذين علموني حتى كلمة واحدة.

كلمة الشكر

الحمد لله الذي له الحمد أولاً وقبل كل شيء ، وله الثناء وله الشكر كله، وبيده الخير كله، واليه يرجع الأمر كله. والذي وفقني لإكمال هذا البحث العلمي، والذي أعطاني الهمة والصحة والعافية.

فإني أتقدم بالشكر والامتنان بعد الله لأستاذي المحترم "الدكتور حافظ محمد بادشاه" حفظه الله تعالى أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها الذي تفضل بقبول الإشراف على إنجاز هذا البحث، دون تعب أو ملل، فأشكره على ما قدمه لي من عون ومساعدة طوال فترة بحثي، حيث لم يبخل علي يوما بعلمه ومعرفته، فقد كان لي معلما، ومرشدا، ومشرفا،كما تجسدت فيه المعاني والقيم الإنسانية النبيلة بكل مغزى هذه الكلمات.

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من ساعدني في إكمال هذا العمل وخاصة إلى أسرتي الكريمة حفظها الله تعالى، زوجي، وأولادي، وأخواتي وإخواني وزملائي الذين شاركوني تربية العيش وراحتها، وأعانوني على استكمال بحثي بدعواتهم الصادقة، فلهم مني الشكر مرفق بالدعاء أن يجعلهم عملاً صالحاً تقرُّ بهم عيني، وثروة بعد مماتي.

وأتقدم بجزيل الشكر إلى الجامعة الوطنية للغات الحديثة رائدة النهضة الإسلامية واللغة العربية في باكستان، وإلى كلية اللغة العربية وآدابها بأساتذتها الأعزاء والأجلاء الذين نهلت من علمهم، وإلى كآفة أمناء المكتبات، وإلى كل من ساعدني بالدعاء والنصيحة، ومن أضاف فكرةجديدة، أو قام بإصلاح النحو أو غير ذلك.

الباحثة: سنبل جمال

المقدمة

الحمد لله الذى هدانا للإسلام ووفقنا للإيمان وعلّم بالقلم وعلّم الإنسان ما لم يعلم وأكرمنا ببعثة خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلّم الذى أرسله المولى سبحانه مبشراً ونذيرا وداعياً ألي الله بإذنه وسراجاً منيراً وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

أشكرالله سبحانه وتعالى الذى أعطاني الفرصة للتعلّم والفهم والبحث فى الموضوع الذى اخترتُه لهذه الرسالة. أرجو أن يكون هذا الموضوع نافعاً بالنسبة لمن يرغب فى فهم هذا الموضوع الأدبي ومعانيه واستخدام الكلمات فيه فى أماكن مختلفة. لا يخفى على أحدٍ ممن له صلة باللغة العربية من قريبٍ أو بعيدٍ أهمية هذه اللغة المباركة التي اختارها الله لوحيه المنزّل على رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة رسوله الأمين جبريل عليه السلام وهى ليست كغيرها من اللغات.

ومن المعلوم أن الأدب فن من الفنون الإنسانية الرفيعة يحقق هدفه بواسطة العبارة كما يعرف بأنه الكلام الإنساني البليغ الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء والسامعين أو في عقولهم بالإقناع سواء أكان منظوماً أو منثوراً.

الأدب الفلسطيني هو واحد من العديد من الأداب العربية و يشير إلى روايات اللغة العربية والقصص القصيرة والقصائد التي ينتجها الادباء الفلسطينيون والتي تشكل جزءا من هذا النوع أوسع من الأدب العربي، وغالبا ما يتميز الأدب الفلسطيني المعاصر من خلال شعورها المتزايد من السخرية واستكشاف موضوعات وقضايا الهوية الوجودية و مراجع إلى عناصر المقاومة للاحتلال، المنفى، الخسارة، و الحب والشوق للوطن شائعة أيضا.

شغفت المرأة العربية منذ العصور القديمة بكتابة الأدب شعره ونثره، وفى العصر المعاصر تبوأت المرأة العربية مكانتها فى الأدب فهي تكتب الشعر والقصة القصيرة والرواية والمسرحية. وتلقى بثقلها نحو كتابة القصة الصغيرة باعتبار أنها أكثر الفنون الأدبية التى

تستطيع المرأة التعبير من خلالها عن آلامها وآمالها، وانتشرت القصص الأدبية النسوية انتشارا واسعا وترجم الكثير منها إلى لغات أجنبية. ظهرت الرواة فى فلسطين واحدة من اكثر الروايات العربية نضجا فى كتابة القصة القصيرة.

ولقد ساهمت الكاتبات الفلسطينيات اللائى هاجرن إلى مصر فى إصدار المجلات؛ أما بالنسبة للقصة الصغيرة فقد بدأت المرأة العربية تنشرها فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. ومع نهاية القرن التاسع عشر ساهمت الأديبات والناقدات فى نشر انجازات المرأة العربية. وبرزت عدد من الأديبات الفلسطينيات فى العصر الحديث منها فدوى طوقان، ليلى الأطرش، سميرا عزام، سحر خليفة، ليانة بدر، بشرى أبو شرار، آسيه شبلى، ثريا نافع و حزامة حباب وغيرهن.

وعندما نتحدّث عن الأدب الفلسطيني المعاصر، فإننا، فى الواقع الحال، نُحابه بأدبين: أحدهما إنتجهها كتّاب يعيشون على أرض فلسطين التاريخية، والثانى إنتجه كتّاب يعيشون في الشتات. فى سنة ١٩٤٨م، انشطرت الثقافة الفلسطينية ذات الجذور الراسخة، وظلّت الصلات المباشرة بين الكتّاب العرب الذين يكتبون فى (إسرائيل) و الكتّاب الذين يكتبون فى المنفى شبه معدومة لما يقرب من عشرين سنة . واختلفت الحياة تحت الإحتلال الأجنبى فى (إسرائيل) اختلافاً كبيراً فى بعض النواحى عنها فى الأردن (الذى ضمّ الضفة الغربية و كانت تعيش فيه أغلبية فلسطينية) أو فى الشتات فى بقية البلاد العربية حيث كانت تعيش أعداد كبيرة من الفلسطينين المنفيين بصفة لاجئين.

كانت هناك بعض الإختلافات الثقافية، فالكتّاب العرب فى (إسرائيل) الذين ترعرعوا فى ظلّ الثفافة الغربية عن ثقافتهم و تعلّم أغلبهم اللغة العبرية لغة ثانية لهم، نشأت لديهم وجهة نظر ربما أثّرت على كتاباتهم. كذلك ينبغى أن نلاحظ أن عدداً كبيراً من الأعمال الإبداعية العربية ، والقصة منها بشكل خاص، قد ترجمت هذه القصص إلى اللغة العبرية، وذلك بالرغم من الإجراءات القمعية الّتى كثيراً ما فرضتها إسرائيل على الكتّاب الفلسطينيين، مثل ثمة انقطاع فعلي فى التفاعل الأدبى بين الثقافتين : الثقافة العربية المتجذّرة فى اللغة والتقاليد الموروثة ، منذ أقدم الأزمنة ، والثقافة الأخرى، الّتى تسعى بلغتنا المجدّدة وبتجربتها الحديثة.

كان الفن القصصى الفلسطيني قبل ١٩٤٨م بشكليه الحديثين (القصة القصيرة والرواية) ما يزال فى مراحله التجريبية فى النصف الأول من القرن العشرين والأدب عملية تراكمية ، كما أنه نتاج مؤلفين ناشئين يستجيبون للمؤثرات الخارجية أو لرغبتهم الكامنة فى التطوّر. أما الفن القصصى العربى ، فقد كان يفتخر على التجربة التراكمية.

تحديد الموضوع:

قمت فى هذا البحث بدراسة إسهامات الفلسطينيات فى القصة القصيرة في زمننا المعاصر من ١٩٥٠م إلى ٢٠١٥م و حدثت بمعظم أعمال الكاتبات الفلسطينيات ولا نهتم بما يحدث من أى تغيير بياني أو أسلوبي فى زمننا المعاصر.

أسباب إختيار الموضوع

هناك أسباب أخرى كثيرة دعتني إلى إختيار هذا الموضوع ، ومنها :

أولاً: إننى كنت أريد أن يكون بحثي فى إطار نصوص الأدب العربي المعاصر كي تكون لي علاقة واعية بالأدب العربي المعاصر.

ثانيًا: إنني كنت أريد أن أقدّم الفلسطينيين كأمّة لدى العلم والأدب إذ كانوا تحت الإحتلال بعد ١٩٤٨م وخاصة النسوة الفلسطينية.

ثالثًا: لم يسبقني أحد فيما أعلم في هذا الموضوع الأدبي المتواضع بهذا المنوال نظريا وتطبيقيا.

فنظرا إلى هذه الأمور كلها أردت أن أختار "إسهامات الفلسطينيات فى القصة القصيرة" موضوع بحثي وقمت بتقديم هذا البحث المتواضع.

أهداف البحث:

١. توضيح معنى القصة القصيرة وتاريخ نشأتها في فلسطين.
٢. توضيح الربط بين الأدب العربى والأدب الفلسطيني.
٣. تعريف بأهم الكاتبات الفلسطينيات.
٤. تعريف الدراسة الفنية و الإتجاهات القصصية فى الأدب الفلسطيني.
٥. تعريف فلسطين و تاريخها.

أسئلة البحث

إن الفرضية الأساسية لبحثى عبارة عما يلى من الأسئلة :

١. ما هي الأغراض المهمة الموجودة بالنسبة إلى الأدب العربى المعاصر؟
٢. كيف تأثرت البيئة الفلسطينية الأدب العربى المعاصر ؟
٣. ما هي الإسهامات التي ساهمت الأديبات الفلسطينيات في الأدب العربي المعاصر عامةً وفي فن القصة القصيرة خاصةً؟
٤. من هي الرائدات الفلسطينيات في فن القصة القصيرة في الأدب العربى المعاصر ؟
٥. ما هي الإتجاهات القصصية عند الكاتبات الفلسطينيات في الأدب القصصي؟
٦. ما هي الخصائص الفنية للأدب القصصي الفلسطيني ؟

تبويب البحث

الباب الأول : معارف القصة القصيرة

الفصل الأول: تعريف القصة ونشأتها

الفصل الثاني: القصة القصيرة فى العصرالحديث

الباب الثانى: القصة القصيرة وتطورها فى الأدب الفلسطيني

الفصل الأول: الأدب القصصى الفلسطيني بعد الإحتلال ١٩٤٨م

الفصل الثاني: أنواع القصة عند الكاتبات الفلسطينيات

الفصل الثالث: أشهر مجموعات القصة القصيرة فى الأدب الفلسطيني

الباب الثالث : معارف فلسطين

الفصل الأول: فلسطين و موقعها الجغرافيائي

الفصل الثاني: فلسطين عبر العصور

الفصل الثالث: أحوال فلسطين الأدبية والإجتماعية

الباب الرابع : الكاتبات الفلسطينيات فى القصة وأعمالها

الفصل الأول: سميرة عزام و ثريا نافع وأعمالهما

الفصل الثاني: ليانة بدر و نجوى قعوار وأعمالهما

الفصل الثالث: حزامة حباب و أسماء الغول وأعمالهما

الباب الخامس : دراسة فنية

الفصل الأول: الإتجاهات الرائدة فى القصة القصيرة

الفصل الثانى: الخصائص اللفظية

الفصل الثالث: الخصائص المعنوية

خاتمة البحث

الفهارس الفنية

وفي الختام أتقدم بجزيل شكري لأستاذي الفاضل الدكتور محمد بادشاه المحترم الذي واكب البحث منذ اختياره عنواناً للدراسة إلى إكماله وكذلك أتقدم بالشكر الجزيل لكل من علّمني حرفاً على طريق العلم وساعدني في إنجاز هذا العمل وأخيرا نقول اللهم إنا سعينا فارحمنا واغفر لنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا لك الحمد في الأولى والآخرة، وصلواتك الطيبات على عبدك ورسولك محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه والسلام.

الباحثة

سنبل جمال

الباب الأول

معارف القصة القصيرة

الفصل الأول: تعريف القصة ونشأتها

الفصل الثاني: القصة القصيرة فى العصرالحديث

الفصل الأول

تعريف القصة ونشأتها

القصة:

القصة عمل أدبي يصور حادثة من حوادث الحياة أو عدة حوادث مترابطة، بتمعيق القاص في تقصيها والنظر لها من جوانب متعددة ليكسبها قيمة إنسانية خاصة مع الإرتباط بزمانها وتسلسل الفكرة فيها وعرض ما يتخللها من صراع مادي أو نفسي وما يكتنفها من مصاعب وعقبات، على أن يكون لك بطريقة مشوقة تنتهي إلى غاية معينة، ويعرف بعض النقاد الغربيين القصة بأنها حكاية مصطنعة مكتوبة نثراً استهدفت إثارة الاهتمام سواء أكان ذلك بتطوير حوادثها أو بتصويرها للعادات بالأخلاق أو بغرابة أحداثها.[١]

القصة "إذا كانت رواية مثيرة للاهتمام وهدفًا من أحداث وأفعال يقوم بها بعض الأشخاص في بيئة معينة"[٢]، وفي هذا الصدد ، يعتقد رشدي أن "القصة تتشكل عندما تصور حدثًا متكاملًا له بداية ووسط ونهاية يكون فيها للأجزاء الثلاثة علاقات عضوية ، مثل العلاقة التي يتم تأسيسها ". بين أعضاء الجسم الحية."[٣]

تعد القصة من الأجناس الأدبية الأكثر رواجا في أدبنا المعاصر، والأكثر تداولا بين المؤلفين والقراء وبالأخص القصة القصيرة التي عرفت ألوانا فنية متطورة وخاصة في الزمن الراهن، وهو ما جعلها تفرض وجودها كجنس أدبي له خصوصياته.

القصة لغةً:

يقصد بالقص في اللغة العربية كما ورد في مختلف المعاجم كالتالي:

"القص أخذ الشعر بالمقص، وأصل القص القطع، يقال قصصت ما بينهما أي قطعت، القص فعل القاص إذا قص القصص والقصة معروفة، ويقال في رأسه قصة يعني الجملة من الكلام، ونحو قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَصِ﴾[٤]، أي نبين لك أحسن البيان، والقاص: الذي يأتي بالقصة من قصها، ويقال قصصت الشيء اذا تتبعت أثره

---

(١)دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، محمد عبدالمنعم الخفاجي، د. ، دارالجيل ، بيروت، ١٩٩٢م، ص/٤٣٣.

(٢) الأدب النموذجي تحليلا ونقداً، الخوري طانيوس منعم، ص/ ٤١٤، ج/ ١، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، د ط د ت.

(٣) فن القصة القصيرة، رشاد رشدي، ط/٢ مكتبةالأنجلوالمصرية للطبع والنشر، مصر، ١٩٥٩م، ص/ ٦.

(٤)سورة يوسف، الآية /٣.

شياً فشيء، منه قوله تعالى: ﴿وقالت لآخته قصيه﴾[١] ، أي اتبعي أثره وقال الأزهري القص اتباع الأثر، ويقال خرج فلان قصصا في أثر فلان وقصا، وذلك اذا اقتص أثره، وقيل: يقص القصص لأتباعه خبرا بعد خبر وسوقه الكلام سوقا".[٢]

"قص اثره قصا وقصيصا، تتبعه بالخبر، أعلمه "فارتد على آثارهما قصصا"[٣]، أي رجعا من الطريق الذي يسلكه يقص الأثر، والقص والقصص: الصدر أو رأسه أو وسطه، أو عظمه وقصت الشاة أو الفرس: استبان حملها أو ذهب وداقها وحملت، والقصة بالكسر الأمر".[٤]

ويتضح لنا أن القص له معنيان:

المعنى الأول:قطع المسار، أي اتباع مساره، ومراقبة حركة أصحابه، والتقاط بعض أخباره.

المعنى الثاني: هو الخبر والسرد ، فتتبع القصة بطريقة ما أثر الإنسان وتمس خبرته وتحكي ذلك أو قصة ،كما يقال للتحقيق في أي طلب منه أن يروي له قصة.[٥]

لا نحتاج إلى الإشارة إلى أن كلمة "قصة" في اللغة الإنجليزية story، "قصة" History، من الواضح أنها مرتبطة اشتقاقيًا بكلمة اللغة اليونانية.[٦]

ورد فعل "قص" في القرآن الكريم بنحو عشرين آيةً ، وكلها تعني "قال" ، و "روى" في قوله تعالى: ﴿وَقَالَت لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ﴾[٧]

وقوله سبحانه وتعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ﴾[٨]

---

(١)سورةالقصص، الآية / ١١.

(٢) لسان العرب، إبن منظور، مادة قصص، ج/ ١٢، ط/ ٣، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ص/ ١٢٠-١٢١.

(٣)سورةالكهف، الآية / ٦٤.

(٤) القاموس المحيط، الفيروز آبادي،ت محمد نعيم العرقسوسي، ص/٦٢٧، ط/٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م/١٤١٩هـ.

(٥) فن كتابة القصة، فؤاد قنديل، ص/ ٢٦، الهيئة العامة لقصور الثقافة،دط،يوليو ٢٠٠٢.

(٦) المرجع السابق، ص/٢٧.

(٧) سورةالقصص، الآية / ١١

(٨) سورةالقصص، الآية / ٢٥.

وقوله تعالى ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴾[١]

وقوله تعالى ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَا ﴾[٢]

وقوله تعالى ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[٣]

وقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ ﴾[٤]

وقوله تعالى ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ ﴾[٥]

وقوله تعالى ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[٦]

إن القرآن الكريم أغنانا عن البحث ودعانا لإقداء به بتحديد اللفظ الذى ليس ثمة غيره دلالة على الأخبار والرواية وهو "قص" ولم يعتمد لفظة مثل روى أو حكى أو وصف أو سرد.

القصة اصطلاحاً:

لا شك في أن القصة نشأت أول ما نشأت كنشاط إنساني يلبي حاجات نفسية واجتماعية ودينية وأخلاقية وتعليمية، ثم جمالية واقتصادية لدى المبدعين وجمهور المتلقين على السواء[٧]، "فالقصة هي فن من فنون التعبير الأدبي تعالج قضية معينة من قضايا العالم الاجتماعي، أو السياسي، أو الديني، أو الفلسفي، بأسلوب جمالي أنيق عن طريق السرد والوصف والحوار".[٨]

---

(١) سورةالأنعام، الآية / ٥٧.

(٢) سورة الأعراف، الآية ١٠١.

(٣) سورة هود، الآية ١٢٠.

(٤) سورة هود، الآية ١٠٠.

(٥) سورة يوسف، الآية ٥.

(٦) سورة يوسف، الآية ١١١.

(٧) القصة تطورا وتمردا، يوسف الشاروني، المكتبة العامة، دمشق، ٢٠١٨م، ص/٣١.

(٨) الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، محفوظ كحوال، دار نوميديا للنشر والتوزيع، دط د ت، ١٩٧٧ء، ص/ ٥.

فالقصة هي من الأجناس الأدبية التي لها رسالتها كسائر أجناس الأدب الأخرى، وقد ذاعت وانتشرت في العصر الحديث وكثر نتاج الكتاب فيها وتفاعلوا مع أحداث العصر السياسية والاجتماعية والثقافية، باعتبار القصة عموما تتصل بوجدان المجتمعات.

أما بالنسبة إلى الشعر والمسرح والفنون الأخرى ، فإن التأمل في هذا المولود ومتابعة نموه ثم محاولة تحديد المجال الذي ينمو فيه، ثم استخراج المعايير التي يأخذها الراوي في الاعتبار أثناء تأليفه ، ووضعها بعد كل شيء هذا ، أصول هذا النوع الأدبي الجديد. في وقت مبكر، قال ف.كلوفسكي،"لم أجد بعد تعريفًا للقصة القصيرة"[١]، اعترف يوسف إدريس قائلاً: "الفن معقد لدرجة أنني بعد هذا العصر من الممارسة لا أستطيع أن أعرفه شخصيًا ..."[٢] .

وإدغار آلان بو ، أول راوي أمريكي ، يعتبر القصة تُقرأ في جلسة واحدة ، وشكري عياد يروي الأحداث التي وقعت في تسلسلها، و مقتبس من "أعمدة القصة" الذى قائلاً: "أساس القصة هو الحكاية، والحكاية عبارة عن قص أحداث مرتبة في تتابع زمني مع وجود الحبكة والحبكة هي سلسلة من الحوادث التي يقع فيها التأكيد على الأسباب والنتائج"[٣] . ويقول على أنها تحكي قصة، لكن لا يمكننا اعتبار كل خبر أو مجموعة أخبار قصة، لذا فليس للخبر مطلقًا أن يكون قصة ولابد أن يكون لها خصائص معينة، أولها أن يكون لها تأثيرًا كليًا ، بمعنى أن الخبر الذي يروي القصة يجب أن يكون مرتبطًا بتفاصيل وأجزاء من بعضها البعض بحيث يكون التأثير الكلي أو المعنى.[٤]

وفي السياق ذاته ، "القصّة القصيرة هي حكاية معروضة في بضع صفحات، ولهذا سميت" قصّاص ". التكرار أو الإضافة وخواصه الخفة والسرعة والبعد عن الأعماق والأعماق [٥]بشكل عام يمكننا أن نحاول إلقاء الضوء على جوانبها، أو يخاطب لحظة وموقفًا يتتبع أعماقه ، ويترك الوسائل التقنية الأخرى التي تتبناها القصة القصيرة في بنائها بشكل عام،

---

(١) البيضاء، يوسف إدريس، دار الشرق، ط١، الفاهرة، ١٩٨٧م، ص/ ٥.

(٢) آخر الدنيا، يوسف إدريس، دار مصر للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص/ ٩٥.

(٣) العسكرى الأسود، يوسف إدريس، دار الشروق، ط١، القاهرة، ص/ ١١٥.

(٤) فن القصة القصيرة، رشاد رشدي، ص/ ١١٤.

(٥) القصة تطورا وتمردا، يوسف الشاروني، ص/٣١.

حيث تكون الوحدة الفنية شرطًا لا مفر منه، وتصل القصص إلى درجة من القدرة على اقتراح واختراق عقل القارئ عندما يحوم بالقرب من الرؤية الشعرية.

أنـواع القصة:

للقصة أشكال عديدة ومتنوعة ، وقد أعطى النقاد لكل منها اسماً خاصاً:

١- **الرواية**: وهي أكبر أنواع السرد من حيث الحجم.

٢- **الحكاية**: الحقائق الحقيقية أو المتخيلة التي لا يلتزم فيها الراوي بقواعد الفن المحددة.

٣- **القصة** القصيرة: إنها تبين حادثةً واحدةً في وقت واحد (وهو حديث جدًا للظهور).

٤- **الأقصوصة**: إنها أقل من القصة القصيرة .

٥- **القصة**: هى نوع بين القصة والرواية من جهة لتركيز خيال الكاتب عليها، وتركيز جهوده عليها، وتصويرها بإيجاز.

لكن أهم شكل أدبي هو الرواية بأنواعها وفى أشكال مختلفة مثل القصة والقصة القصيرة، وإنها تحتل مكانة مرموقة التي كان الشعر يحتلها في الزمن القديم. أما جميع أشكال الفكر المعروفة فهي تقدم كل هذا بطريقة ممتعة لا تتطلب مجهود تلك العلوم، وتطورها دليل على أن لها جذور وأصول ومصادر. وتم تقديم هذه اللغة وتعريف شعبها. وعرف الفكر العربي الجديد في مراحله المختلفة ألوان سردية مختلفة متنوعة ومتطورة.

تختلف القصة عن الرواية في الحجم، والوسائل التقنية الأخرى للراوي والروائي، فيستطيع أن يرويها في ضمير الغائب أو المتكلم وإدخالها بشكل الملاحظات، باستخدام الوصف أو الحوار ، وانغمس معه في الرومانسية أو التمسك بالعالم الحقيقي ، وأن الرواية يمكن ضغطها في قصة ، ويمكن للقصة أن تمتد وتصبح رواية. هذا تبسيط للأشياء أكثر مما تشغلها، لأن الاختلاف بين الاثنين كبير جدًا، وأول ما نلاحظه منه أن الرواية اتخذت في كل بيئة لونًا ، وفي كل عصر شكلاً، في حين أن القصة ، وهي أكثر شبابًا، وفي نفس الوقت أقدم الأنواع الأدبية في التاريخ ، ظلت تحمي ماضيها ، ولم تنكر

أصولها، إلى يومنا هذا تُقال في كل مكان ، بين الشعوب البدائية ، وبين الدول الأكثر تقدمًا، حتى لو كانت في الحالة الأولى تفتقر إلى النية للقيام بعمل فني ، وهو ما يميزها عن الثانية.

سنحاول أن نذكر أبرز سمات كل جنس على حدة ، لنصل أخيرًا إلى الاختلاف. فإن القصة القصيرة، بحسب عبد الرحيم مودين، هي: "إحدى المصطلحات الشائعة في السرد المغربي الحديث، وهي مرادفة من حيث الاستخدام لمصطلح القصة و يظل مصطلح القصة القصيرة من أهم المصطلحات في الكتابة الروائية المغربية، سواء على مستوى المجموعات الروائية أو على مستوى القراءة ، وأخيرا على مستوى الأسماء التي تمثل تجارب مختلفة. بالإضافة إلى هذا وذاك ، فإن تجربة القصة القصيرة في المغرب، مرآة لأنماط التجريب واستنباط العناصر السردية التي تنتمي إلى الأنواع الأدبية الأخرى، مثل المسرح والشعر والفن السينمائي والشعري، والأسلوب، والخطاب اليومي، وأشكال السرد التراثي مثل المقامة وغيرها."[١]

أما بالنسبة لِلأقصوصة، فهى القصص القصيرة على مستوى التسمية. ومع ذلك تتميز القصص بطابع التركيز الجهري على الحادثة الفردية ، والشخصية الوحيدة التي توجه عملية السرد ، وتتحكم في مساحة النص بمدلولاته المختلفة.

أما الرواية "فنص سردي مطول، متعدد الشخصيات والفضاءات والأحداث والمرجعيات... يقوم على المتخيل الذي يخضع لمستويات التحويل الأسلوبية والبنائية بهدف كتابة تاريخ استعماري لحقبة ما بكل عناصرها الإنسانية المتفاعلة مع حياتها الجديدة التي وفرها فضاء النص المتخيل"[٢].

الرواية إذن هي أحدث نوع من القصص ، وتسمى القصة الطويلة لأنها أطول نوع من القصص. وتختلف القصة في ميادين مختلفة: الرؤية ، والوقت ، والشخصيات ، والأحداث ، والبنية ، واللغة ، والموقع ، وأخيراً الأسلوب.[٣]

---

(١)فن القصة القصيرة، رشاد رشدي، ص/ ١٣٤.

(٢)القصة تطورا وتمردا، يوسف الشاروني، ص/٣١.

(٣)المصدر السابق، ص/١٥٦.

الطول: تتكون الرواية من العديد من الشخصيات والأحداث ، وتمتد على مساحات واسعة من الزمن ، وهذا بالطبع يتطلب العديد من الصفحات التي تتجاوز مائة معظم الوقت ، ومن ناحية أخرى فمن المطلوب أن تكون القصة أقصر لأنها تتعامل مع حدث واحد أو يغوص في خليج الروح البشرية الذي يقع تحت الضغط. قصير الطول يمكن في التقليد الأدبي للقصة القصيرة، ولو كان لسبعين صفحة فهي رواية قصيرة وليست قصة قصيرة. وهذه القصة القصيرة التي وصلت إلى درجة عالية جدًا من التكثيف تُعرف باسم "القصة القصيرة جدًا".

الرؤية: تدل الرؤية الانطلاق الرئيسية في إدراك النصوص الأدبية وهو لا يزال حيوانًا منويًا بوثقة الكاتب أحيانًا كما لو أنه يرى البشرية ككل ، فإن كاتب القصة القصيرة ينظر إلى العالم ، ويمكن لرواية كبيرة جدًا وقصة قصيرة جدًا أن تعبر عن رؤية واحدة.

الوقت: الوقت هو بؤرة الاختلاف الكبير بين الرواية والقصة القصيرة ، حيث تتعامل الرواية مع قطاع واحد من المجتمع وقد تستوعب الحياة في أكثر من جزء ومرحلة من الحياة على مدى فترات طويلة.

الشخصيات: إذا كانت الرواية تلتقط الحياة الجماعية من الناس في وقت واحد، فهي حارصة على استخلاص التفاصيل عن سماتهم الجسدية والنفسية والعقلية وإمكاناتهم الاقتصادية والثقافية. لكن القصة القصيرة ليست مطلوبة من كل هذا ، لأنها تهتم بتصوير شخصية أو شخصين في موقف بسيط. إنه يكتفي برسم صورهم مع إيماءة للميزات – عادة ما يكون الاهتمام بالحالات النفسية وبياناتهم الخارجية.

الحدث: هناك أحداث كثيرة في الرواية تتبع بشكل مصطنع ، بعضها يؤدي إلى صعود البعض ودفع عجلاتها لتشكيل العالم العظيم من الرواية. أما بالنسبة للقصة ، فهي لا تحمل سوى حدث واحد ، وقد يكفي تصوير لحظة عاطفية ناتجة عن حدث وقع بالفعل أو متوقع حدوثه. لا يتفاجأ القارئ إذا أنهى القصة ولم يجد أي حدث على الإطلاق.

البناء: البناء هو فن العمارة أن تكون القصة مشابهة للرواية ، أحيانًا نقاط الالتقاء مستحيلة. تبدأ ببناء الكلمة الأولى ومعها يتقدم الكاتب مباشرة نحو هدفه الذي لا يفعله. تنطبق على الرواية المشبعة.

اللغة: الروائي له فرصة جيدة وواسعة لإظهار العبارات في تصوير شروق الشمس وغروبها، وهو يصور حالة الأبطال ومشاعرهم ، حيث يقدم صورة مفصلة لا يوجد فيه ملء ولا تأكيد، وقد يأذن بإجراء مقارنات، فالكلمات حساسة وبلا أسنان ، بدون إضافة إلى ولا مجال لمراجعة.

المكان: تتطلب الرواية كثرة الأماكن كالسفر والمطاردات والحوادث والتغييرات في أماكن الإقامة. في الواقع ، يأذن الفن الروائي للكاتب بأن يصف المكان بصفحات عديدة. لا يمكن للقصة القصيرة وطبيعة وقتها وشخصياتها إلا أن تأخذ مكانًا واحدًا، ولا يجوز لها التعامل إلا مع جزء منها ، كأن تكون حقلًا.

الأسلوب: الأسلوب هو الذي يستخدمه الراوي عند اقتراح الفكرة في الرواية، والروائي يستعمل الأساليب الفنية المختلفة مع تغير الموضوعات والشخصيات والزوايا والظروف ، لذلك نجد السرد المتدفق في بعض الأحيان ، يتبعه حوار داخلي بينه وبينه، وقد يستخدم الكاتب الأحلام والذكريات وغيرها. أما بالنسبة للقصة القصيرة فالموضوع فيها مختلف، والوضع مختلف، ولا سبيل للكاتب سوى إختيار طريقة أو طريقتين.

تعريف القصة القصيرة

تعتبر القصة القصيرة أكثر الفنون الأدبية مرونة وتجريبا للتعبير عن تجارب الواقع وفي هذا يقول نجيب محفوظ "أن الشكل الذي تخرج به القصة القصيرة في الوقت الحاضر يخضع لقوانين الفن التي تتميز بالمقام الأول بالمرونة، فهي تتسع دائما لكل جديد".[١]

يرى الكاتب الأمريكي أدجار آلان بو أن القصة القصيرة بحق تختلف بصفة أساسية عن القصة بوحدة الانطباع، ويمكن أن نلاحظ بهذه المناسبة أن القصة القصيرة غالباً ما تحقق

(١) التجريب في فن القصة القصيرة، محمد شعبان، دارالعلم الإيمان للنشر ولتوزيع، دسوق، ١٩٩٧م، ط/ ١، ص/٢٩-٣٠.

الوحدات الثلاث التي عرفتها المسرحية الفرنسية الكلاسيكية، فهي تمثل حدثا واحدا يقع في وقت واحد، وتتناول شخصية مفردة أو حادثة مفردة أو مجموعة من العواطف التي أثارها موقف مفرد.(١)

حيث يتراوح طول القصة القصيرة ما بين ١٥٠٠ و١٠٠٠٠ كلمة وإذا نقصت من هذا الطول وزادت عن ٥٠٠ كلمة سميت أقصوصة، وإذا نقصت عن ٥٠٠ كلمة سميت سكاتش.(٢)

القصة القصيرة بالمعنى، ليست فقط مجموعة أخبار ، بل هي حدث يبدأ بالضرورة للموقف المعين ويتطور بالضرورة إذ تعد تجربة جديدة في الكنيك، فمن الواضح أنه لا يمكن ان يوجد انطباعان متشابهان كل التشابه نوعا وعمقا وشمولا، وما دام تصميم القصة القصيرة قائم على الأداء الدقيق للانطباع فلا بد أن يختلف تصميم كل قصة قصيرة عن غيرها من القصص.

تتطلب القصة الفنية القصيرة تطابقًا تامًا في الشكل والمحتوى ، وبينما يشبه شكل الرواية إناء يمكنك فيه صب مواد مختلفة ، وفي هذا يفرق رشاد رشدي بين القصة القصيرة الفنية والرواية، هذه الأخيرة "تعتمد في تحقيق المعنى على التجمع أما القصة القصيرة فتعتمد على التركيز، والرواية تصور النهر من المنبع إلى المصب أما القصة القصيرة فتصور دوامة واحدة سطح النهر، والرواية تعرض للشخص من نشأته إلى زواجه أو مماته وهي تروي وتفسر حوادث حياته من حب ومرض وصراع وفشل ونجاح، أما القصة القصيرة فتكتفي بقطاع من هذه الحياة، بلحمه منها، بموقف معين، أو لحظة معينة، تعنى شيئا معينا، ولذلك فهي تسلط عليها الضوء بحيث تنتهي بها نهاية تنير لنا معنى هذه اللحظة".(٣)

القصة القصيرة بتناولها لجانب صغير من جوانب الحياة الاجتماعية، تعبر عن اهتمام الكاتب بهذا الجانب الذي يعبر تعبيرا ما عن موقفه النفسي الخاص الذي يدفعه إلى انتقائه كمثير من آلاف المثيرات الأخرى، فهي تقوم على الطريقة التحليلية المعروفة في النثر مع

---

(١) الأدب وفنونه دراسة ونقد، عز الدين اسماعيل، ص/ ١١١، ط/٩، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٣م-١٤٣٤هـ.

(٢) الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، محفوظ كحوال، ص/ ٥.

(٣) فن القصة القصيرة، رشاد رشدي، ص/ ١١٤.

الإيجاد الفني الذي بواسطته يرتفع العمل القصصي إلى مستوى الفن، ويتعبد عن التعبير الساذج، لا يستطيع كاتب القصة القصيرة أن يعبر تعبيراً مباشراً عن نظرته الشخصية الفردية ، عن حقيقة أنه يضع عالمه الصغير على رغبته ، لذلك يبدو أن القصة تجمع بين النقيضين في نفس الوقت ، لأنها ذاتية للغاية وموضوعية أكثر من اللازم. [١]

فان القصة القصيرة نوع أدبي يجسد موضوع أدبي من الحياة والعالم بطريقة فنية إيجابية تصويرية، فهي صورة فنية دالة.

وورد في تعريف آخر "أن القصة القصيرة هي عبارة عن سرد نثري موجز، يعتمد على خيال قصاص فرد برغم ما قد يعتمد عليه الخيال من ارض الواقع، فالحدث الذي يقوم به الإنسان أو الحيوان الذي يتم إلباسه صفات إنسانية أو الجمادات، يتألف من سلسلة من الوقائع المتشابكة في حبكة، نجد التوارت والاسترخاء ايقاعهما التدرجي من أجل الإبقاء على يقظة القارئ ثم تكون النهاية مرضية من الناحية الجمالية، فالقصة القصيرة هي سرد واقعة أساسية حديثة أساسية حديثة العهد، محكمة السبك، هذه الواقعة قد حدثت في حياة اثنين أو ثلاثة من الشخصيات المحددة الملامح وعندما يصل الحدث إلى أعلى قمة له يثري معرفتنا بالطبعة الإنسانية". [٢]

كما أورد يوسف نجم تعريفا ل "القصة القصيرة" بأنها "مجموعة أحداث رواها المؤلف وهم يتعاملون مع أساليب حياتهم وسلوكهم في الحياة على غرار ما يختلف في حياة الناس على الأرض". [٣] ومن هذا القول نجد أن القصة القصيرة تقوم على عنصرين أساسيين هما الأحداث والشخصيات، فهي تتناول قطاعا من الحياة أو شريحة منها أو حدث بسيط من الحياة اليومية.

أطلق العرب عدة معان على هذا المصطلح ، وكانوا يطلقون عليها في الماضي أسماء عديدة ، كالحديث ، والخبر ، والأسطورة. أقدم القصص العربية المكتوبة حول ما نقله القرآن

---

(١) يوسف إدريس كاتب القصة القصيرة، السيد محسن بن ضياف، تحت إشراف الرشيد الغزي، ص/ ٧، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، د ط، ١٩٧٩م.

(٢) القصة القصيرة النظرية والتقنية، أنريكي أندرسون امبرت، ترجمة على إبراهيم على منوفي، مراجعة صلاح فضل، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، ١٩٩٢، ص/ ٥٢.

(٣) فن القصة، محمد يوسف نجم، دار البيروت للطباعة والنشر، بيروت، د ط، ١٩٥٥، ص/٧.

من أمم الغاب سراً عن النبيﷺ ، وتحذيرًا للكفار ، حتى للعرب الجاهليين قصصهم. وعندما اهتم المسلمون بالقصص القرآنية وتفسيرها واستكمالها ، تم إنشاء قصص دينية مختلطة بالقصص المسيحية واليهودية.

تعود جذور الأدب العربي الحديث إلى نهاية القرن الثامن عشر بهجوم نابليون القائد الفرنسي على مصر وظهور المطابع وإنشاء المدارس وإرسال البعثات إلى الدول الأوربية بالإضافة إلى بدء الصحف ونشرها فى اللغة العربية وذلك فتح آفاقا جديدة لتفكير العرب وساهم اللبنانيون فى نشر الجرائدوبترجمة الآداب الأوربية بعد هجرتهم إلي أمريكا بسبب ظروف بلادهم السياسية والإقتصادية.

تعرف الطلاب المصريون على أنواع جديدة من الفنون أمثال الرواية والقصة القصيرة والأقصوصة والمسرحية والمقال فحاولوا ترجمة تلك الآداب وكتابة هذه الفنون الجديدة لهم فى اللغة العربية بعد تأثرهم بالآداب الأوربية ونجد مجموعة كبيرة من الأدباء المصريين المسافرين من كتّاب القصة والمسرحية والمقال لإكمال دراستهم فى باريس.

إن الأحداث السياسية العالمية والمحلية تؤثر فى آداب الأمم وهذا ما حدث للأدب العربي فى القرن العشرين إذ تأثر بالأحداث الكبرى على المستوى العالمي كالحرب العالمية الأولى والثانية والصراع الإسرائيلى العربى بحروبها الأربعة واحتلال القدس وحرب الخليج الأولي والثانية وفرض الحصار على العراق وتحرير الجزائر وثورتها من القضايا العربية وتأثر الأدب محليا بالثورات ضد الملكية وإذالتها وتأميم القناة والوحدة مع سوريا ونكسة حزيران من الأحداث التي تركت أثرا بارزا فى نفوس العرب فشعروا بأن الشعر وحده لا يكفي للتعبير عن مشاعرهم وأنهم بحاجة إلى اساليب جديدة فبتثقفهم بالأداب الأوربية وجدوا حلا فى كتابة القصة والرواية لتصوير المجتمع والشعب العربي بما كان يعاني من الفقر و الظلم و فساد الإدارة بسبب الملكية والحروب والقيادة الجديدة فظهرت القصة القصيرة العربية.

القصة القصيرة أو الأقصوصة هي نوع من النوع الأدبي العالمي ، بسماته وخصائصه الأدبية التي تميزه عن غيره ، هي عمل أدبي يقوم على تصوير جانب من حياة الفرد بشكل مكثف ومواكبة للروح من حيث السرعة والدقة والاختصار والتركيز ، لذا فإن كلمة القصة ليست مصطلحًا جديدًا دخل مؤخرًا إلى اللغة العربية ، ولكنه ورد في التراث العربي الأدبي

والعلمي القديم ، حتى لو كان مفهومه اللغوي والاصطلاحي خضع للعديد من التغييرات نتيجة للتواصل مع الثقافات الأجنبية.

توجد العديد من التعريفات للقصة القصيرة فى المفهوم اللغوي ؛ فهى التتبع وقص الأثر أى تتبع مساره و رصد حركة أصحابه ، كما جاء تعريفها في لسان العرب مادة (قصص) يقول صاحبه : " القص فعل القاص إذا قص القصص ، والقصص (بالفتح) الخبر المقصوص ، والقاص هو الذى يأتي بالقصة على وجهها ، وكأنه يتتبع معانيها و ألفاظها"[١]. وجاء القص بمعنى تتبع الأثر كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ ﴾[٢]؛ أى أمرت أخته باللحاق فى إثر جنود فرعون الذين يحملون موسى رضيعاً.

ورد في المعجم الوسيط عن تعريف القصة: "حكاية نثرية طويلة تستمدّ من الخيال أو الواقع أو منهما معاونتي على قواعد معيّنة من الفن الكتابي"[٣]

جاء فى تعريف آخر فى المعجم الأدبي " أن القصة أحدوثة شائعة مروية أو مكتوبة ، يقصد بها الإمتاع أو الإفادة "[٤]

ذكر محمود تيمور القصة قائلا: "القصة عرض لفكرة مرّت بخاطر الكاتب أو تسجيل لصورة تأثرت به مخيلته أو بسط لعاطفة احتجلت فى صدره فأراد أن يعبر عنها بالكلام ، ليصل بها إلى أذهان القراء محاولا أن يكون أثرها فى نفوسهم"[٥]

وفي رأى الدكتور عبدالقادر عن القصة: إنها "فن أدبي يتناول حادثة أو مجموعة من الأحداث التى تتعلّق بشخصيات إنسانية مختلفة فى بيئة زمانية و مكانية ما تنتهي إلى غاية مرسومة وتصاغ بأسلوب أدبي مؤثر"[٦]

---

(١)لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣ ، ١٩٩٩م، ص ٩٣-٩٤

(٢) سورة القصص، الآية ١١.

(٣)المعجم الوسيط،مجموعة من المؤلفين، الطبعة الثانية، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوضيح، القاهرة، ص/٧٤٠.

(٤)المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٩م، ص٢١٢.

(٥)دراسات فى القصة والمسرح، محمود تيمو، مكتبة الآداب ، القاهرة، ١٩٩٣م ص/٣٩

(٦)دراسات فى اللغة العربية، أبو شريفة، عبدالقادر، الطبعة الأولى، ص ٢٠٨.

ويقول عبدالمنعم الخفاجي: "القصة عمل أدبي يصوّر حادثة من حوادث الحياة أو عدة حوادث مترابطة"[١]

ويقول د. احسان عباس فى مقالته مقتبسا: "الوصول إلى تعريف شامل للقصة القصيرة يعد محاولة غير ذات جدوى فقد اثبتت الأيام أن هذا اللون الأدبي فى تطوّر مستمر وأن أشكاله تتعدد وتتكاثر كلما اختلفت التجربة أو تغيرت زاوية التذكير عند كاتب دون آخر"[٢]

يقول د. طاهر: "إن محاولة لتعريفها أو تحديد خصائصها تضطرنا إلى الاقتراب من ألوان أدبية أخري إن لم تكن قصصا خالصا فهى أشبه به"[٣]

من خلال التعريفات التي بين ايدينا يتجمع لنا أن المفهوم اللغوي للقصة القصيرة هو افتقاء الأثر وتتبعه ويراد الخبر ونقله للغير، وهي الرواية والإخبار. والقصة القصيرة هي فن نثري أدبي واقد إلينا من العرب، كما جاء فى قول ابراهيم بن صالح، "القصة أو الأقصوصة ترجمة للمصطلح الإنجليزي short story و للمصطلح الفرنسي nouvelle فهي شكل فني حديث طارى في الأدب العربي القديم"[٤] .إذا طلبنا من مؤلف القصة القصيرة تحديد هذا النوع ، فغالبًا ما يُزعم أنه نوع نثر أقصر من الرواية التي تهدف إلى تقديم حدث معين في فترة زمنية قصيرة ومكان محدود.

كما جاء في تعريف لفظه poe : " أنها سرد نثري موجز، يُدخل فيه القاص مجموعة من الأحداث المتخيلة التي وقعت لأشخاص ومتخيلين"[٥]

كما جاء في تعريف آخر له يقول: "القصة القصيرة تحوز اهتمامنا من خلال مجموعة قصيرة من الوحدات، لها بداية ووسط و نهاية"[٦]، فهذه الوحدات هى مجموعة من التصورات ، وهذه التصورات هي التي تخلق فينا الإحساس، وهذا الإحساس يحدث بفضل

---

(١)دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه، محمد عبدالمنعم الخفاجي، د. ، دارالجيل ، بيروت، ١٩٩٢م ، ص/٨١٣

(٢)القصة العربية أجيال و آفاق، محمد الرمحي، د. ، الكويت، ١٩٨٩م، ص/٩

(٣)القصة القصيرة، دراسة و مختارات، الطاهر أحمد مكي. د.، الطبعة الخامسة، دارالمعارف القاهرة، ١٩٧٧م، ص/٧٢

(٤)القصة القصيرة عند محمود تيمور، إبراهيم بن صالح، دار محمد على للنشر، صفاقس، تونس، ط٣، ٢٠٠٥م، ص٣.

(٥)القصة القصة النظرية والتقنية، ص ٥٢.

(٦)المرجع السابق ، ص٥١.

التأثير، وكل هذا يتحقق بوحدة الانطباع الذي تتميز به القصة القصيرة، كما جاء في قول له ايضاً: " تتسم القصة القصيرة بوحدة الانطباع الذى تحدث لدى القارى، و يمكن أن نقرأها فى جلسة واحدة فكل كلمة تسهم فى إحداث التأثير الذي وضعه المؤلف سابقاً" [١]وتعتبر الشخصية عنصراً فعالا فى تحريك الاحداث. يقول عزت الصباغ[٢] : " إن القصة القصيرة قد تنتهي بنهاية محددة ، وكل كلمة فيها يجب أن تتجه نحو الهدف المرسوم و الخطة الموضوعة ، ولا تحتمل تعدد وجود الأشخاص ، مع حرصها على تكثيف المضمون والإيجاز في التعبير ، مع الميل إلى الإقتصاد في الجواب."[٣]

ويقول صبري حافظ[٤] في تعريفه للقصة القصيرة : " إن هناك أمراً أصعب من الحديث النظري عن فن الأقصوصة ، لأنه فن أدبي بسيط ولكنه مراوغ ، هو فن بسيط ولكنه مليء بطاقة شعرية مرهفة ، وقدره فائقة على تقطير التجربة الإنسانية والقبض على جوهر النفس البشرية ، والتعبير عن صبواتها ومطامحها و أحزانها ببساطة ويسر".[٥]

وذهب شكري عياد[٦] محاولته تحديد مفهوم القصة القصيرة ؛ أنه ليس لها شكل واحد محدد، وليس لها تكنيك خاص لا وعاء تصب فيه، بل إن الكاتب حر في أن يوصل انطباعاته بالطريقة التي يراها ملائمة، لأن الشكل فيها يُعد جزءاً من المضمون و أداة من أدواته، وكل عمل في القصة القصيرة له تصميمه الخاص، وقال في تعريفه: " إن كل قصة قصيرة فنية هي تجربة جديدة في التكنيك، و إن من الواضح أنه لا يمكن أن يوجد انطباعان متشابهان كل التشابه، نوعاً وعمقاً و شمولاً، وما دام تصميم القصة القصيرة قائماً علي الأداء

---

(١)القصة القصة النظرية والتقنية، إنريكي اندرسون أمبرت، ص٥١.

(٢) هو أحمد عزت الصباغ، صيدلي و روائي مصري، ولد بمحافظة الإسكندرية في عام ١٩٩٢م وتخرّج من كلية الصيدلية. نبغ في الكتابة من سن صغيرة.

(٣)القصة في النثر الأندلسي و أثرها في أوروبا، محمد عماد الدين شبيب، المؤسسة الحديثة للكتاب، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٥م، ص١٠٤.

(٤)محمد هو صبري حافظ ، ولد في عام ١٩٣٩م، أستاذ اللغة العربية المعاصرة والأدب المقارن في جامعة لندن و رئيس تحرير مجلة الكلمة الإلكترونية.

(٥)فن القصة القصيرة، ص١.

(٦)هو عبدالفتاح شكري محمد عياد، ولد في عام ١٩٢١م ناقد و قاص وأستاذ جامعي مصري، توفي في عام ١٩٩٩م.

العميق للانطباع، فلا بد أن يختلف تصميم كل قصة قصيرة عن تصميم غيرها من القصص، إن القصة القصيرة تتطلب تطابقاً تاماً بين الشكل والمضمون."[١]

فيما سلك رشاد رشدي مسلكاً في تحديد مدلولها، جعل فيها الشكل الموباساني التقليدي للقصة القصيرة هو النموذج المعياري ؛ حيث يقول : "القصة عند موباسان تصور حديثاً معيناً لا يهتم الكاتب بما قبله أو بعده ، وهذا هو الشكل الذي اتخذته القصة القصيرة منذ موباسان إلى يومنا هذا ، ولقد أضفى هذا الشكل على القصة القصيرة و أكده ، و أحرزه جميع من أتوا بعده."[٢]

فمن خلال التعريفات التي بين أيدينا حول تحديد مفهوم دقيق 'للقصة القصيرة' ، ندرك أن هذا النوع الفني قد أثار جدلاً كبيراً بين النقاد و المبدعين فى الدراسات النظرية على أمل تحديد تعريف دقيق له ، و سبب هذا الجدال يعود إلى تشعب منابع الثقافة الأجنبية ، التي أخذ منها الأدباء و نقاد العرب مصطلحاتهم ، فكانت هذه التعريفات تشترك فى اعتبار القصة القصيرة نوع أدبي فى صورة سرد نثري ، يتميز بوحدة الانطباع ، و أحادثة الحدث و الزمن و الشخصية و عنصر التركيز ، بغية إحداث التأثير لدى القارى من البداية إلى النهاية ، " ولابد لنجاحها الفني من تماسك عناصرها : الأحداث والشخصيات والنسيج والأسلوب والتركيز والبيئة ، بحيث يكون كل عنصر كلبنة البناء القوي ؛ يؤدي وظيفته فى اكتمال العمل الفني ، وإن ضعف أى عنصر يؤدي إلى اهتزاز بقية العناصر وبالتالى العمل الأدبي ككل".[٣]

نشأة القصة القصيرة العربية

القصة القصيرة شكل قصصي ارتبط ظهورها بالعالم الغربي ، عن طريق الخلاقات والأساطير والقصص والحكايات ، فهو جنس أدبي نثري ، جنس وافد إلينا من العالم الغربي، وتناقله العالم العربي إثر الصدمة الحضارية التي أفاق عليها المصريون على مدافع نابليون، وعن

(١)القصة القصيرة في مصر، شكري محمد عياد، دار المعرفة، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٧٩م، ص٤٧.

(٢) فن القصة القصيرة، ص١.

(٣)دراسات في الرواية و القصة القصيرة، يوسف الشاروني، المكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، دط، ١٩٦٧م، ص٢٩٤.

طريق التجارة والبعثات العلمية والترجمة والقرءة في اللغات الأصلية ، وربما كانت هذه الوسيلة هي الأكثر تأثيراً في الأدب العربي ، ومن هنا بدأت الكتابات في هذا الفن القصصي، وكغيره من الأجناس الأدبية مرّ بمراحل عديدة ومتطورة سواء في الأدب الغربي أو العربي.

أخذ النقاد الغربيون أصول القصة القصيرة، ظهرت في القرن الرابع عشر الهجري تحت عنوان ديكامرون بقلم'بوكاشيوجيوفياني' " وقام بها صاحب القصص الديماكرونية أو المئة قصة ، عندما كتبها في القرن الرابع عشر ، فقد كان يروب خبراً ثم يشرع في تفصيله إلى أن ينتبه القارى ، واستمرت القصة القصيرة تسير في هذا الطريق أجيالاً عديدة ، فيسلط الكاتب أضواءه على واقعة مثيرة في حياة فرد من الأفراد ، ما يزال بها حتى تنتهي فى أغلب الأحيان إلي خاتمة مرسومة كالفراق أو الموت أو الزواج".[١]

ظلت القصة القصيرة على الطريق الذي رسمه بوكاتشيو لفترة طويلة ، بنفس الملامح ، حتى جاء الكاتب الفرنسي جاي دي موباسان Guy de Maupassant(وهو الكاتب الفرنسي ومن آباء القصة القصيرة) ، وأعطي الفن القصصي مفهوماً أدبياً بلور رشاد رشدي تعريف في قوله ، "لم يكن من الضروري في رأي موباسان ، أن يتخيل الكاتب مواقف أو شخصيات غريبة ليخلق قصة ما بل على العكس يكفيه أن يصور أفراد عاديين في مواقف عادية كي يفسر الحياة تفسيرا سليماً ، ويبرز ما فيها من معاني خفية"[٢] ليخلص علي حكم فني مفاده "أن هذا اللحظات العابرة القصيرة المنفصلة لا يمكن أن تعبر عنها إلا القصة القصيرة"[٣] ، ولم يكن منفرداً في نظرته تلك " فقد كان ينتمي إلى مدرسة العصر من الطبيعيين أمثال زولاً وفلوبيراً و غيرهما ، ممن حاولوا تصوير الحياة تصويراً واقعياً "[٤] ، وبقيت القصة القصيرة منذ عهد موباسان على هذا الشكل إلى يومنا هذا.

احتل إيرفينغ واشنطن وهورثون وبريت هارت مكانًا رائعًا ، ومن خلال قصصهم، وبصيغ موجزة ، عبروا عن الأزمات التي مرت بها أمتهم ، بينما كانت القصة القصيرة تخنق

---

(١)رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، ص٨.

(٢)المرجع السابق ، ص٩.

(٣)المرجع السابق ، ص١٠.

(٤)المرجع السابق ، ص٨

إنجلترا تحت وطأة الأسلوب المزخرف والمزين أولاً ، وتحت ثقل الوعظ الأخلاقي ثانيًا ، وتحت الثالث، في السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر ، عندما ظهر كاتب قصة قصيرة أخيرًا في إنجلترا ، شاب قصصه نفس الشوائب التي خنق مسار القصة في إنجلترا طوال مئة عام عن واقع الحياة ، بالدروس والحكم ، وليس الدروس الأخلاقية هذه المرة ، ولكن الدروس الاستعمارية ، مع الفكاهة ونبرة التمييز العنصري ، والقصة الإنجليزية القصيرة لم تأت لتكمل مكوناتها ، إلا بعد الاتجاه الرومانسي في القرن الحالي في اللغة والموضوع تراجع، ومعه تراجعت كل محاولة من أجل الوعظ والإرشاد والدعاية وتنزيل القصة القصيرة ، ما لا يمكنك تحمله ، انضمت القصة الإنجليزية إلى تيار القصة العالمي مع ظهور "كاثرين مانسفيلد" و "كوبارد" ككتاب يطالبون بالموضوعية الكاملة ، ويصورون كما هي دون محاولة تزييف هذه الحياة ، دون محاولة إثقال الشك الفني الرهيب بالوعظ والإرشاد ، ومن هنا أصبحت القصة الشكل الأدبي الأكثر انتشارًا.[١]

في ألمانيا، ''كان هوفمان أول من بدأ بنشر أقاصيصه المثيرة فيما بين سنتي ١٨١٤-١٨٢١م ، وفي الولايات المتحدة الأمريكية يعد نشر كتاب 'الفصول التسجيلية' لإيرفنج سنة ١٨١٩-١٨٢٠م نقطة البداية للطريق الطويل للقصة القصيرة في أمريكا و سرعان ما بدأت قصص 'إدجار آلان بو' و 'ناثانيين هوثورون' الأولي فى الظهور سنة ١٨٣٢م وما بعدها ، أما في روسيا فقد تحول كاتباها الكبيران 'الكسندر بوشكين' و 'نيكولاي جوجول ' فى الوقت ذاته تقريباً من كتابة الروايات والمسرحيات إلي كتابة القصة القصيرة. كذلك في فرنسا ، كان زعماء الأقاصيص هو بالزاك و جوتيير، وإنهم قد اعتنوا تمام العناية فى هذا المجال"[٢] ، فكل هذه المحاولات فى كتابة القصة القصيرة كانت محاولات لها أثر كبير في تأسيس و تأصيل القواعد والأسس لهذا اللون الأدبي عند الغرب وانتقلت إلى ممالك أخرى.

يقر محمد طه الهاجري بذلك، "إن القصة في الأدب العربي الحديث لهؤلاء النقاد بدعة ، وليست ميراثًا لها وليس لها أساس في الأدب العربي القديم ، بل هي تقليد خالص

---

(١) http://www.dr-ayesha.com/inf/articles, ٢٤-١٢-٢٠١٦, ٢١:١٥

(٢) القصة القصيرة: دراسة نصية لتطور الشكل الفني، صلاح رزق، دار غريب، القاهرة، مصر، ط٣، ٢٠٠١م، ص٩.

لذلك الفن بين الأوروبيين ، حيث أصدرنا الكثير من معارفهم وأساليبهم ومن فنونهم."[١] ، فهي بذلك إحدى مظاهر التأثر العربي بالمنتزج الفكري الغربي الوافد ، فيما لا يدعم هذا الرأي من ذهب مذهبه ليعتبر" فن الأقصوصة فن جديد و أن فن الأقصوصة قد حصل للعرب عن طريق المثاقفة مع الغرب ، إثر الصدمة الحضارية التى أفاق فيها المصريون على مدافع نابليون تؤذن بغزو البلاد ، وتمهيداً لحركة استعمارية أكثر تنظيماً وأبعد غوراً "[٢] .

يدعي بعض الباحثين أن القصة القصيرة كانت موجودة عبر التاريخ بأشكال عديدة. مثل العهد القديم عن داود و جوزيف وراعوث ، وقصص المثال الأخلاقي الحديث كانت أشكالًا من العصور الوسطى للقصة القصيرة. لكن يعتقد العديد من الباحثين أن القضية أكبر من الأشكال المختلفة للقصة القصيرة، كانت مصر السباقة إلي هذا الجنس عن طريق ترجمة القصص القصيرة إلي اللغة العربية ، فكانت هذه أولى المحاولات سواء كانت مقلدة أو محاولة لإحياء التراث العربي القديم ; " وأيا كانت هذه المحاولات الأولى ، سواء منها من عمد إحياء التراث العربي ، أو ما اتجه إلى تقليد الشكل الغربي ، فقد كان لهذه المحاولات أثرها الواضح فى خلق وعي قصصي بين القراء و الأدباء ، وزيادة جمهور المتعاطين الشباب من الأدباء على فن أدبي جديد له أصوله فى الثقافة العربية القديمة ، وله قواعده المستقرة فى الأدب الغربي، وقد مهد هذا للقصة القصيرة أن تأخذ مكانها في الأدب العربي الحديث"[٣] .

بدأ المبدعون العرب في تكوين رؤية واضحة لقواعد هذا الفن ، بحيث قاموا بتأليف قصص متقدمة عن نماذجهم السابقة ، مع زيادة الوعي بعناصر وتقنيات الفن الأدبي. السيرة والتاريخ ، يعودان بأصول ثابتة إلى الأدب العربي دون تعارض ، ولكن كشكل أدبي بسمات محددة وملامح واضحة ، له منهجه وأصوله ، ويعود إلى التراث الروائي الغربي الحديث[٤] .

---

(١) نشوء فن القصة في الأدب العربي الحديث، محمد طه الحاجري ، مجلة الثقافة، مصر، ٢٨ يناير ١٩٧٦م، ص٨.

(٢)القصة القصيرة عند محمود تيمور، إبراهيم بن صالح، ص١٥.

(٣)اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر في مصر، السعيد الورقي، دارالمعرفة الجامعية، السويس، مصر، دط، ٢٠٠١م، ص٦

(٤)جذور القصة القصيرة فى الأدب العربي القديم، نصارحسنى، مجلة الكتاب ، القاهرة،عدد١٨٨، ١٩٧٦م، ص٢٤.

وذهب أصحاب هذا الاتجاه الذين يميلون إلى إحياء التراث إلى الإيمان بأن القصة القصيرة تضرب بجذورها إلى عصور النهضة الذي عرفها العالم العربي : "إن هذا الفن يضرب بجذوره في التراث العربي من قبل الإسلام وبعده ، وعلى مدى عصور الإزدهار التي عرفتها الثقافة العربية الإسلامية ، ويعدون فى هذا الصدد قصص الكهان والقصص القرآنية وحكايات كليلة ودمنة لإبن المقفع ، ونوادر البخلاء للجاحظ ومقامات الهمداني ومختلف الأقاصيص التي جمعها وأملاها أبو علي القالي ، كما يحتجون بالأدب الحديث فيذكرون ليالي سطيح لحافظ إبراهيم و حديث موسى بن عصام لإبراهيم المويلحي"[١] .

فكل هذه المحاولات فى كتابة القصة القصيرة في الأدب العربي ، والتناقضات حول ميلادها ونشأتها فى الوطن العربي ، إلا أنها تنقى جنساً أدبياً وارداً إلينا من الغرب ، له ميزاته وخصائص و قواعد تميزة عن باقي الفنون الوافدة إلينا أو الأصلية عندنا.

وصلت القصة القصيرة إلى الدرجة العالية من الإكمال على أيدي العديد من الرواد في الوطن العربي ، ومن بينهم "محمد تيمور" الذي ترك مجموعة قصصية واحدة هي ' ما تراه العيون ' و الرائد الثاني من رواد القصة القصيرة في مصر " عيسى عبيد " توفي سنة ١٩٢٣م، و "شحاتة عبيد" توفي سنة ١٩٦١م ، و الرائد الثالث في مصر هو "محمود تيمور" ومن أبرز قصصه ' الزهرة العاشقة ' و ' الحب بين دمعة اليأس وقبلة الأمل '، ونشرت بالسفور بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩١٦م"[٢] .

كما هناك كتاب خارج مصر أبدعوا فى كتابة القصة القصيرة نذكر من بينهم: " ' سهيل إدريس من لبنان ' و ' زكرياء تامر من سوريا ' و 'علي بدور من سوريا ' و ' يوسف شرشور من فلسطين' و 'نواف أبو الهيجا من فلسطين ' و 'جليس القيسي من العراق ' و 'فائز محمود من الأردن ' "[٣] .

---

(١)القصة القصيرة عند محمود تيمور، ص١٤-١٥.

(٢)اتجاهات القصة القصيرة في الأدب العربي المعاصر ، ص٧٢-٨٨.

(٣)المرجع السابق والصفحة نفسها.

وظهر كتاب في شمال إفريقيا ، في السبعينيات رغم التأخر فى الظاهر بالنسبة للمشارقة : " كما يظهر أن كتاب القصة من شمال إفريقيا ظهروا عموماً بعد ١٩٦٧م وقد بدأت أسماء كناب من المغرب والجزائر و تونس بالظهور منذ أوائل السبعينيات بصورة ملحوظة مثل 'خناثة بنونة من المغرب ' و 'عروسية الناترلي من تونس' ويبدو عموماً أن القصص السورية والعراقية والمصربة ومن بعدها القصص اللبنانية والفلسطينية هي التي ظلت تستحوذ على أكبر نصيب"[١] .

وكانت الجزائر آخر من لحق بالركب و شهد عام ١٩٧٩م ما يناهز عشر قصص جزائرية ،" و تقدم لنا فى هذا المجال ثلاثة من القصاص ، 'أبو العيد دودو ' يكتب علي قلة قصصاً تسجيلياً يلتقط مادته من القطاعات الشعبية و 'الطاهر وطار' يرجي له مستقبل باهر إذا وصل الرحلة بنفس القوة ، فقد طوى المسافة التى سبقت فيها الجزائر ليكون على مستوى القصة فى بقية أنحاء الوطن العربي ، تقنية ومادة ، وهو تقدميّ فى نزعته وينزع إلى الرمز حين يعز عليه الوضوح ، و' أحمد منور' هو شاب فى أول الطريق يبشر بغد طيب ، إذا واصل الرحلة ولم يتوقف و أخذ نفسه بتعميق التجربة معاناة وأحكم قبضته على تقنية القصة قراءة و تعلماً."[٢]

وقد ازدهرت القصة القصيرة على أيدى الكتاب الذين سبق ذكرهم ، واعتبروا من أهم أعلام القصة القصيرة فى الآداب العربية وغيرهم من كتاب القصة القصيرة كذلك أبدعوا فيها ، وساهموا فى تطويرها وتشهيرها على مستوى العالم العربي وكذلك العالم الغربي.

كما تألقت كاتبات عربيات في مجال القصة ، ومارست هذا الفن في أصالة وقدرة، وأبدت مشاعر أنثوية وهمومها وشوقها بصدق وأمانة ، وكانت أكثر قدرة من غيرهن على مراقبة موقفها من حركة الحياة حولها فضلت بعض هؤلاء الكاتبات الأمان وحصرت فنهن في تصوير واقع المرأة في المنزل أو العمل أو العاطفة وفي حركتهن البطيئة على طريق التقدم كما نجد في سميرة عزام في "عظيم". تفكير" أو "بنت الشاطئ في صور حياتها أو وداد السكاكيني

---

(١)المرجع السابق ص٣٤٩..

(٢)القصة القصيرة، دراسة و مختارات، ص١٠١.

في "مرايا الناس" أو نوال السعداوي في "تعلمت الحب" أو سلمى الحفار في "يوميات هلا". ومال البعض الآخر إلى تصوير التحرر العاطفي للمرأة العربية ، بعد قمع طويل أذل روحها ، فكان تأدبها بمثابة صرخة احتجاج عنيفة على كل ما عانته. عرقهن على مر العصور.

وثمة أسماء تمثل هذا الاتجاه ، مثل صوفى عبد الله، وجاذبية صدقية من مصر، وهند سلامة من لبنان، وتجيء غادة السمان السورية قمة وحدها فى هذا الاتجاه، فهي ذات أسلوب رشيق، وصور آسرة، وجملها مشحونة بالتوتر دائماً، تعالج قضاياها على مساحة واسعة، وقد تعطي مجموعة من قصصها رؤيا متكاملة، كما فى "ليل الغرباء" ولأنها تمارس الصحافة إلى جانب القصة أكسبها ذلك آفاقاً واسعة، وهي كثيرة الرحلة قراءة وواقعاً، فأسهم ذلك في تلوين مصادرها وتعددها، وأبطالها غرباء دائماً، عربية في أوروبا، أوروبية فى اليمن، سورية في الجامعة الأمريكية، فتاة تترك قريتها لتعمل فى المدينة، وتذهب بالغربة إلى ماهو أبعد من هذا.

آليات القصة القصيرة

القصة القصيرة كأي جنس أدبي آخر له مميزات و خصائص ، تميزه عن غيره من الأجناس الأدبية العالمية ، فمن خلال التعريفات سواءً أكانت عربية أم غربية ، التي كلها تتقاطع في نفس المفاهيم ، حول تحديد مميزات القصة القصيرة التي تطرقت إليها فى العنصر الأول (مفهوم القصة القصيرة) ، ولتجنب تكرار تلك التعريفات التي استنبطت من خلالها آليات القصة القصيرة ، ومن أهم تلك المبادئ الأساسية لبناء القصة القصيرة المشار إليها أذكر منها :

- هو نوع أدبي وهو سرد نثر أقصر من الرواية.
- تمتاز بحجمها المختصر بحيث يمكن قراءتها بجلسة واحدة ، ولهذا فغالباً القصص القصيرة توضع في مجموعة قصصية.

- تتسم بوحدة الانطباع الذي تحدثه لدى القارئ كما جاء في تعريفه 'لإدجار ألان بو' Edger Alainpooe ، وقال: " إن وحدة الانطباع هي التي تميز هذا الجنس الأدبي عن غيره".[١]
- غالبًا ما يكون شخصًا واحدًا أو عدة شخصيات وثيقة الصلة أو فكرة واحدة أو عاطفة واحدة ، تكون إثارتها في مكان واحد و زمان واحد ، كما تعتبر نقطة الاتصالات المهمة في القصة القصيرة.
- تمتاز في توظيفها للأبطال من خلال توظيف عدة أبطال ، أو الاعتماد على بطل واحد يعيش في أزمة بسيطة ، وسرعان ما يجد مخرجًا.
- يهدف إلى تقديم موجه واحد، لها بداية و وسط و نهاية أو غالباً ما تكون النهاية محددة مع إصابة الهدف المراد إيصاله لدى القارئ من خلال عملية التأثير.

خصائص القصة القصيرة

وبعد الحديث عن القصة القصيرة وتعريفها نذكر أبرز خصائصها ومميزاتها

الواقعية

لم تبق القصة القصيرة الحديثة على يد كتابنا المعاصرين حكايات خيالية تستمد مادتها من الوهم والأسطورة، بل نزلت إلى الحياة العادية بقطاعاتها المختلفة، تصور واقعها بما تجده في هذا الواقع من غزارة وتنوع، ومحاولة إبراز المشاكل الحياتية على الصعيد الإنساني والسياسي والاجتماعي،[٢] فهي قادرة على أن تستوعب كل مواضيع الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية إذن فهي واقعية إلى حد بعيد.

وحدة الانطباع

تتسم القصة القصيرة بوحدة الانطباع الذي تحدثه لدى القارئ ويمكن أن نقرأها في جلسة واحدة، فكل كلمة تسهم في إحداث التأثير الذي وضعه المؤلف سابقاً، هذا الأثر يجب أن يتم الإعداد به من أول جملة ثم يتدرج حتى النهاية، وعندما يصل إلى نقطة ما، هنا

---

(١)القصة القصيرة عند محمود تيمور، ص١٠.

(٢) الأدب النموذجي تحليلا ونقدا ودراسة نصوص، ص/ ٤٤٧.

تنتهي القصة القصيرة،[١] "فهي تقوم إذن على إحداث انطباع وانفعال ما، إذ لم تبق القصة القصيرة تصويرا لأشخاص فوق مستوى البشر بل اتجهت إلى الإنسان العادي ترسمه في جوه الطبيعي وتحركه في إطار تصرفاته الحقيقية وتنطقه بلغة واقعية".[٢]

مبدأ التكثيف

يقتصر فيها الكاتب على جانب محدد ويبسط من جوانب الحياة أو شخصيات، حيث يتناول حدثاً واحداً ويركز عليه وعلى فكرته من خلاله دون الخوض في التفاصيل، مع مراعاة وحدة الانطباع وقوة التأثير، وفي هذا يرى الدكتور الطاهر أحمد مكي "أما القصة، فعلينا أن نتجة إلى الحدث، وأن نعبر عنه في لغة مركزة، وعبارة محكمة لا تحتمل الاستطراد أو التزيد، ويحقق القصاص هدفه الفني عن طريق المزاوجة بين التكثيف والبساط، والوضوح والزمر، ومن خلالها يعبر عن الكثير من المشاعر والأفكار...، والقصة الحدث فيها مكثف وهو كل شيء، ويجي الوصف موجزاً ومروراً الشخصية به سريعاً".[٣]

الصراحة والوضوح

لم تلجأ القصة القصيرة إلى التلميح الخاطف، أو البناء اللغوي المعقد، بل تحررت من هذه القيود جميعها، وانطلقت تعرض المشاكل والأحداث بصراحة وجرأة، وتنقل قطاع الحياة بالهجوم المباشر على الحقيقة دون تكنية أو تعمية، كما إن القصة الحديثه لم تهتم بالأشكال اللغوية والبناء اللفظي بل تحولت اللغة فيها إلى البساطة والسهولة سواء في السرد، أم في الحوار، حيث عمل القصاصين المعاصرين على المرونة التي رفعت من مستوى اللغة العامية وبسطت من ميراث اللغة الفصحى، حتى عدت العربية على أيديهم لغة ديمقراطية يفهمها الناس بمختلف مستوياتهم،[٤] فهي إذن تستطيع اصطياد اللحظة العابرة وتصورها بعمق بكل صراحة ووضوح، "إذ يرى رشاد رشدي أن اللحظات العابرة القصيرة المنفصلة لا يمكن أن

---

(١) القصة القصيرة النظرية والتقنية، أنريكي أندرسون أمبرت، ص/ ١٥.

(٢) الأدب النموذجي تحليلا ونقدا ودراسة نصوص، الخوري طانيوس منعم ، ص/ ٤٤٨.

(٣) القصة القصيرة دراسات ومختارات، ص/ ١٠٧.

(٤) الأدب النموجي تحليلا ونقدا ودراسة نصوص، ص/ ٤٤٨.

تعبر عنها إلا القصة القصيرة"،[١] كما أن حجمها الصغير ولغتها السهلة ساعدت في انتشارها، بالإضافة إلى أن لها قابلية للنمو والتطور السريع واستثمار كل الفنون الأدبية الأخرى.

الدراما

يقصد بالدراما في القصة القصيرة خلق الإحساس بالحيوية والديناميكية والحرارة، حتى لو لم يكن هناك صراع خارجي، ولم تكن هناك غير شخصية واحدة يجب أن تثير القصة القصيرة في القارئ منذ أول كلمة شهوته للاستطلاع ومعرفة ما يجري، وأن يترقب ويتلهف لمطالعة السطور التالية، على أمل اكتشاف جديد هذا العالم القصصي، إن أساليب التشويق الذي يستخدمها الكاتب هي التي تحقق المتعة الفنية للقارئ، وتشعر القاص بالرضا النسبي عن عمله.[٢]

"والتشويق لا يقصد به التسلية أو الإثارة المفتعلة، لكنه الأسلوب الفني الذي يصهر كل عناصر القصة في نسق جمالي مبهر، كالبداية الساخنة، والشخصية الحية، والمونولوج والصراع الداخلي، والمفاجأة المقبولة المنطقية...، ووضع موقف عادي في ضوء جديد يدعو للدهشة والعجب، التعبير عن أعماق الشخصية وهي في مأزق...، المفارقات الإنسانية الطريفة والحس الفكه"،[٣] وبالتالي يجب أن يتوفر في القصة القصيرة عنصر التشويق والدرامية في النص، حتى تحظى باهتمام الكتاب والقراء، فالقارئ العربي العالم يبدأ في قراءة السطور الأولى، فإذا وجد ما يجذبه ويستدرجه يمضي إلى السطور التالية وما بعدها حتى يكشف أنه بلغ النهاية، وإذا لم يعثر على بغيته فانه يلقي بكل شيء ويزداد ملل على ملل، فهذه الخصيصية بالذات تعد مبدأ هام من مبادئ الإبداع الأدبي لأنها ترتبط بتقديم الأدب عامة وتلاؤم غاية جمهرة القراء العرب، وهذا يعني أن كتاب القصة مطالبون بالتجديد والتشويق وتفجير الحيوية في النصوص حتى لا تكون مجرد سطور قائمة ومملة.

---

(١) فن القصة القصيرة ، ص/ ٩.

(٢) فن كتابة القصة، فؤاد قنديل، ص/ ٥٩.

(٣) المرجع السابق ، ص/ ٤٤٨.

أبعاد القصة القصيرة

تحمل القصة القصيرة في ثناياها أبعادا منها البعد النفسي والبعد الاجتماعي والبعد الإنساني، إذ يتأسس البعد النفسي على مجمل مقومات الحالة النفسية للشخصية الرئيسية، فيظهر هذا من خلال الصفات النفسية من حزن وفرح وخوف، وهذه الصفات تكون لها أهمية في تطور الأحداث.

أما البعد الاجتماعي فيظهر في تأثير الأحداث الاجتماعية للبطل، أما المعنى الإنساني: فلم تبق القصة موضوعة التسلية ومقتلة وقت، لا غاية لها إلا الترفية واللهو، بل تناولت الإنسان في كفاحه مع الحياة، وصراعه من أجل التطور والتقدم، وأبرزت أمانيه بالتحرر، وآماله في العيش الكريم وفجرت تطلعاته، وأوضحت غامض إحساسه وشعوره، محددة بفنية الشاهد ولسعة النقد والاحتجاج.[1]

هذه أهم الخصائص التي انبنت عليها القصة القصيرة والتي ميزتها عن باقي الفنون الأدبية الأخرى...

عناصرالقصة القصيرة

القصة لها عناصر تتكون منها ، ويمكن أن تكون معها فقط ، وهي:

١. الموضوع
٢. الفكرة (فكرة القصة)
٣. الحدث
٤. الحبكة
٥. البيئات الزمانية والمكانية
٦. الشخصيات
٧. الأسلوب واللغة
٨. الصراع
٩. العقدة والحل

---

(١) الأدب النموذجي تحليلا ونقدا ودراسة، الخوري طانيوس منعم، ص/ ٤٤٨.

القصة القرآنية تنطوي على عناصر ثلاثة : الأحداث و الأشخاص والحوار، قد توجد مجتمعة، وقد تكتفي القصة منها بعناصر واحدة دون بقية العناصر الأخري، تبعاً للغاية التى تهدف إليها.

الحدث أبرز عناصر القصة القرآنية، وطبيعته مختلفة، تقع قضاء وقدراً، وتكون خوارق ومعجزات، أو عادية مألوفة، أبطالها من الرسل أو عامة الناس، والحادثة الواحدة تتكرر، تجيء فى مواضع عدة، ولكنها تأخذ فى كل مكان شكلا مختلفاً، إيجازاً أو بسطاً، كاملة أو مجتزأة، ويعتمد القرآن في عرضها علي الألفاظ الضخمة، ذات الإيقاع القوي والتأثير المباشر، مبني و موسيقي. وقد تقوم على جمل قصيرة مسجوعة، أو تعتمد على تتابع الأحداث السريع، ليبلغ تأثيرها فى النفس مداه، وأحياناً تجيء ليّنة التعبير، سهلة الألفاظ، حين تعرض لأمر عادي، مطابقة لمقتضي الحال.

وتجئ الشخصية فى القصة القرآنية مبهمة، أو عامة، أو غامضة، وتكون من الأناسي رجالا ونساء، ومن الطيور والحشرات، أو أرواحاً خفية من الملائكة والشياطين والجان. وترد شخصيات الرجال بعامة عارية من أية صبغة مميزة حسّية من لون وطول و قصر، أو معنوية من خلق ومزاج وطبع، وشخصيات الرسل تسيّرها المبادئ الدينية والمثل العليا عادة، وقد تومئ إلى سلوك معين يضرب به المثل : فموسي عصبي مندفع، وإبراهيم حليم متسامح، ويوسف حصيف واع. وهم فى كل الأحوال بشر يغضبون و يفرحون، يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق، يتناولون الأعداء بالذم، ويتوجهون إلى الله بالدعاء، ونعرف أن آدم عصي ربه ونسي ولم نجد له عزما، وأن يوسف احتال حتي جعل السقاية فى رحل أخيه، وأن سليمان تداهي لتكشف لها ملكة سبأ عن ساقيها.

وتجئ القصص القرآني خالياً من الحوار غالباً، والقليل الذى نلقاه يأتي فى مقام التخويف، وليس من الضرورى أن يجري بين اثنين، فقد يجئ بين واحد وكثرة، أو جماعة وجماعة، ويرد فى مجال تقرير الدعوة، وبث الأفكار، وهدم العقائد التي يناهضها، وفى مثل هذه القصص يهمل الشخصيات إهمالا يكاد يكون تاماً، ويكتفى منها ببعض الصفات المبهمة أو العامة، والقليل الذى ترد فيه الأسماء تجئ فيما يشبهه الرموز، ليتمكن القارئ أو المستمع من متابعة الأفكار ورؤية تطورها.

باختصار ، يحول القرآن القصة بطريقة ملموسة لجعلها تحمل معنى جديدًا ، يختلف عن معناها السابق ، حيث يكون كل شيء مضحكًا. إن طريقة القرآن في تحويل القصص جزئياً أو كلياً لإعطائها معاني جديدة تتلاءم بينها وبين روح التقدم في الزمان أمر خطير ، لكن علماء الإسلام من المسلمين وغير المسلمين على حد سواء يكادون يتجاهلون ذلك دائماً. . نادرًا ما يكون الغرض من القرآن من هذه القصص عرضًا تاريخيًا. بدلاً من ذلك ، يهدف دائمًا إلى جعله معنى عامًا أو محتوى فلسفيًا. يحقق هذه النية بحذف أسماء الأشخاص والأماكن التي من شأنها أن تحدد معنى القصة ، من خلال صبغها في حدث تاريخي معين ، وكذلك حذف التفاصيل التي تبدو خاصة بنوع آخر من المشاعر. هذه الطريقة شائعة في تقديم القصص ، فهي شائعة في الأدب الذي لا يتعامل مع الموضوعات الدينية.

أهمية القصة القصيرة

يأتي فن القصة القصيرة في مقدمة الفنون الأدبية، رواجا وتكاملا في العصر الحديث ولعل رواجه وتكامله يعودان إلى أنه من بين الفنون الأدبية جميعا أقر بها إلى الحياة الإنسانية، بما ينقل من أحداثها ويصور من أشخاصها ويرسم من بيئاتها ويبرز من عاداتها وأخلاقها ويحلل من أوضاع أبنائها، ويسبر من نفوسهم ويعلل من تصرفاتهم، ويعرض من مجالات الصراع بين الأفراد والجماعات، ولعل رواجه وتكامله يعودان أيضا إلى الإمكانات التي توفرها له معطيات الحضارة الإنسانية، سواء من جهة تأليف أم من جهة النشر والتعميم.[1]

وبالتالي تعتبر القصة القصيرة من أفضل الأجناس الأدبية النثرية التي استطاعت بدورها أن تعبر عن الحياة الإنسانية بكل تفاصيلها وجزئياتها بدقة ووضوح وبطريقة فنية وجمالية، وهذا ما جعلها تحتل المكانة الأولى بجدارة.

إذا كانت القصة كظاهرة إنسانية نشاطا ينشأ بالضرورة ويتطور منذ طفولة الإنسان فإنها كذلك ظاهرة إنسانية وجدت منذ وجدت المجتمعات الإنسانية المبكرة لتلبي، كما لا تزال تلبي حتى اليوم حاجات نفسية واجتماعية وربما جمالية في ذلك الوقت، فهي تفسر كثيرا من الظواهر الطبيعية التي تحيط بالإنسان وتجيب على كثير من الأسئلة التي كانت على

(١) الأدب النموذجي تحليلا ونقدا ودراسة نصوص، ص/ ٤١٣.

الفلسفة أن تجيب عليها مرحلة أكثر تأخراً،[١] حيث كانت تقوم القصة في القديم بتفسير الظواهر الطبيعية التي أصبح العلم يجيب على كثير منها الآن وأصبحت يطلق عليها اسم الأساطير والخرافات لكنها لم تكن كذلك بالطبع في رأيهم، بل كانت تصل إلى مرتبة العقائد بالنسبة إليهم. غالبًا ما تحاكي القصة القصيرة نسيج الحياة العادية بالقرب من جو الأسرة ، كما هو الحال في قصص أنطوان تشيخوف وكاثرين مانسفيلد وجون شيفر. [٢]

حيث "ترى الدكتور شكري عياد في كتابته القصة القصيرة في مصر تحويل أفرادها إلى كيان اجتماعي واحد، فهي تعمل على تماسكهم كعمل الاسمنت في البناء بحيث تصبح لجميع أفراد مجتمع أيديولوجية واحدة تربط بينهم".[٣]

القصة القصيرة عند الطفل هي لون من ألوان اللهو التي لا يمل تكرارها من ناحية، كما لا يمل تكرار لعبة ما والتي قد تهدهد أعصابه فتكون جسرا إلى عالم النوم حيث قد تختلط بأحلامه، وتقوم القصة أحيانا لدى الطفل بالدور الذي قد تقوم به وسائل اللهو الأخرى، فقد تكون متنفسا لطاقاته المتفتحة، وقد تكون تدريبا لخياله وعن طريقها تتفتح عواطفه البكر وانفعالاته التي يعانيها في لهو المبكر، فهي تدربه على نوع من اللات الاجتماعية، فتكون جسرا بينه وبين الآخرين...، القصة القصيرة هي فن لفظي يزود الطفل بقاموس لغوي لا يتوفر له في حياته العلمية ، حيث يستفسر من وقت لآخر عن معنى كلمة أو يطلب شرح موقف يعرض عليه من قبل المتحدث.[٤]

وهكذا نجد أن القصة القصيرة عند الطفل تكاد تكون فرعا من فروع لهوه بكل ما في هذا اللهو من آثار تنعكس على حياته وتصبح جزءا من خبراته، حيث لا ننسى أن الكبار يدسون للصغار فيما يقصونه عليهم من قصص عظات أخلاقية وتهديدات وترغيبات حتى يغروهم بنوع السلوك الذي يرجون منهم أن يسيروا على هداه.

إن لالقصة القصيرة عشاقها لأنها بدورها أقرب الفنون الأدبية إلى القصيد، وأقرب بطبيعتها إلى تناول ما يمر به المراهق من أزمات عاطفية، حيث إن القصة القصيرة في مقابل

---

(١) القصة تطورا وتمردا، يوسف الشاروني، ص/ ٤١.

(٢) بين القصة القصيرة والإبداع الأدبي، فاروق عبدالمعطي، يوسف إدريس، ص/ ٢١، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤.

(٣) القصة تطورا وتمردا، يوسف الشاروني، ص/ ٤٢.

(٤) المرجع نفسه، ص/ ٣١-٣٢.

الرواية هي فن الفرد المأزوم، لذلك كانت أقرب الأشكال الأدبية بعد الشعر إلى المراهق قراءة أو كتابة، وهو يستكشف العالم ويلتمس موطئ قدمين فيصدم بما يجد بين أحلامه وواقع حياته، ويجد في القصة القصيرة حيز مجال لمعالجة ما يمر به من أزمات نفسية وعاطفية وربما اجتماعية، ولهذا يتميز معظم ما يكتب في هذه المرحلة من قصص بأنه يكون أقرب إلى أدب الاعتراف فيه المباشرة والتقريرية، وتضخيم العواطف والانفعالات وربما سادته مسحة من الحزن البالغ فيه.(١)

إن القصة القصيرة في صورتها الجديدة التي نتوقعا هي التي ترد إلى الناس إيمانهم بالوطن، وولائهم للعمل وتشبع فيهم التفاؤل والأمل، وتقوي بينهم روح المقاومة، وتبشر بوطن جديد تزدهر فيه الحرية والديمقراطية والعدل الاجتماعي، وبعد جميل لا قهر فيه ولا إرهاب، تفعل ذلك فناً يتسرب إلى النفس في خفاء، ويعمل في داخلها دون ضجيج، وليس خطابة رديئة ولا وعظا ساقطا.(٢)

ارتبط تاريخ النضال العربي ضد الاستعمار الغربي بالتطور الاجتماعي والعلمي للمرأة واستقلالها داخل المجتمع العربي. وبنضالهن السياسي ضد المستعمرين ، كانت المرأة العربية تناضل في نفس الوقت من أجل حريتها ومن أجل أن يكون لها مكانة علمية عالية في المجتمعات العربية. من أجل أرشفة دور المرأة العربية في الساحة الأدبية وتقديم مرجع لها ، الكاتبات والأساتذة الثلاث: الدكتورة رضوى عاشور من مصر ، أستاذة الأدب الإنجليزي بجامعة عين شمس ، والدكتورة فريال غزول من العراق. ، أستاذ الأدب الإنجليزي في الجامعة الأمريكية ، وحسن رضا مقدش ، ناشر من لبنان ، يقدم الكاتبات العربيات، وكذلك حتى نتعرف عليهن ونتعرف عليهن كن فخوراً بهم واتبعهم.

دور الرواد العرب في مجال الأدب ، والذي بدأ مع عائشة التيمورية ، وردة البازجية ، وزينب فواز ، وغيرهنّ ، وتابعت عملهم وتطور أدب المرأة العربية وقدم الكتاب في الجزء الأول ، ظهور الكاتبات في مجالات الأدب والشعر. النقد والسير الذاتية.

---

(١) القصة تطورا وتمردا، يوسف الشاروني، ص/ ٣٧-٣٨.

(٢) القصة القصيرة درسات ومختارات، الطاهر أحمد مكي، ص/ ١٣٣.

ويؤكد الكتاب أن هدفه ليس التباهي بالكاتبات العربيات أو بأعمالهن ، بل توثيق ظاهرة وتقديمها للقارئ حتى يتعرف أكثر على هذا الحضور الأدبي الثقافي الموجود في المجتمعات العربية ، فقط. حيث تأمل الكاتبات أن يصبح الكتاب مرآة لكل من يعمل في مجال الأدب والكتابة. ويتيح لهن التعرف على جهود جداتهن وزملائهن خلال قرن وربع من الزمن ، ومن المؤكد أن عمل الكاتبات العربيات خلال تلك الفترة أضاف الكثير للمجتمع سواء كان ذلك من خلال إعطائه. رؤية جديدة أو من خلال نبرة صوت مختلفة ، أو بالتعبير عن مشاعر شكلتها قرون من الصمت والقمع ، في عالم يحكمه الرجل ، تشكلت هذه المشاعر أيضًا وفقًا للكتاب ، من الأدوار المتعددة التي لعبتها المرأة العربية ، حتى بعد أن نالوا حريتهم واستقلالهم وخرجوا من المنزل للعمل وأصبحوا شخصيات أدبية.

ويؤكد الكتاب مرة أخرى أنه لا يقصد تتبع حركة تحرر المرأة العربية عبر السنين ، وإنما محاولة حصر الأعمال الأدبية للمرأة في العالم العربي في العصر الحديث ، رغم عمل المرأة في هذا المجال. كان الحقل مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بتحررهم من العبودية المنزلية ، وخروجهم إلى المجتمع الواسع والواسع. والمساهمة في تغييرها وتشكيلها. بدأت المرأة هذا الدور منذ أن بدأت اهتمامها بالتعليم الأساسي ثم التحقت بالجامعة ، واليوم لم تكن المرأة قادرة على أن تصبح في هذا الوضع لولا جهود الرواد الأوائل في كل من مصر ولبنان وسوريا وبعدها أتت دورهم في العراق وفلسطين ، ثم الأردن ودول أخرى من شمال إفريقيا والسودان وأخيراً شبه الجزيرة العربية.

كاتبات رائدات

بدأت تلك الجهود في العشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر في دول مصر وسوريا ولبنان ، واستمرت في الحرب العالمية الأولى. خلال تلك الفترة ، تم تأسيس جمعيات واتحادات بدأت مع "الجمعية السورية المبكرة" التي أسستها مريم نمر مكاريوس في بيروت عام ١٨٨٠م ، ثم "زهرة الإحسان" التي تأسست في العالم نفسه.

أما عن تقليد تنظيم الصابون الثقافي ، فقد بدأ مع ماريانا بنت فتح الله بن نصرالله مرعش الكاتبة والشاعرة السورية في حلب ، وصالون الأمير نازلي فاضل في القاهرة ، وصالون ألكسندرا خوري أفرينو بالإسكندرية. في عام ١٨٩٢ بدأت المجلات والصحف بالظهور ،

وأول مجلة باللغة العربية أسستها امرأة بالإسكندرية كانت مجلة "الفتاة" للكاتبة هند نوفل ، حيث كتبت فيها أدبًا عن المرأة ولصالحها. في نفس العام الذي أسس فيه جورجي زيدان مجلة الهلال ، وفي العالم التالي صدرت في حلب بسوريا مجلة "المرأة" لمديحة الصابوني.

خلال الأربعين سنة من ١٨٩٢م إلى ١٩٣٩م ، مع بداية الحرب العالمية الثانية ، تم إصدار ٢٤ مجلة ومجلة للنساء في مدن الشرق العربي ، من القاهرة إلى دمشق ومن بيروت إلى بغداد ، ونشرت الكاتبات المجلات بالعربية في الإسكندرية والمنصورة والفيوم في مصر ، بالإضافة إلى طرابلس في لبنان وحمص وحماة وحلب في سوريا. استفادت الكاتبات من الكتاب اللبنانيين الذين هاجروا إلى مصر لنشر هذه المجلات. كما ساهموا مع قاسم أمين في تحرير كتابه "تحرير المرأة".

في الوقت نفسه ظهرت موسوعات عن حياة مشاهير النساء العربيات مثل كتاب "الدر المنثور في طبقات ربات الخدور" الذي كتبته زينب فواز عام ١٨٨٤م ، وقبل خمسة عشر عاما مريم نصرالله النحاس ، السورية ، نشرت كتابها "معرض الجمال في ترجمات سيرة المرأة المشهورة" عام ١٨٧٩م ونشرت في الإسكندرية في الفترة من ١٨٩٢م إلى ١٩٣٩م ، تم نشر ٥٧١ سيرة ذاتية للنساء في مصر وحدها ، كتبها مؤلفون أدباء ، في ١٨ مجلة أو كتيبًا.

التيمورية واليازيجية

لقد قادتا الحركة النسائية في العالم العربي وردة اليازيجية في لبنان التي عاشت من ١٨٣٨م إلى ١٩٢٤م ، وعائشة التيمورية في مصر التي عاشت من ١٨٤٠م إلى ١٩٠٢م. اختارتا بشجاعة مجالين مهمين للعمل ، وهي الصحافة التي أعطتهم الفرصة للوصول إلى أكبر عدد ممكن من القراء وسمحت لهم بتكوين رأي عام ، والمجال الثاني كان كتابة القصة وهو مجال جديد في الثقافة العربية في ذلك الوقت.

في الصحافة لم تحدد الصحفيات عملهن في المجالات النسائية وكانت كل من عائشة التيمورية و وردة اليازيجية تكتبان بأسمائهن الحقيقية ، بينما كان هناك من كتبن بأسماء مستعارة. كتبت فواز روايتها الأولى بعنوان "امرأة مصرية" ولكن في الطبعة الثانية نشرت اسمها

الحقيقي ملك حنفي ناصف[١] ونشرت جميع مقالاتها باسم الباحثة واستخدمت نفس الاسم في نشرها كتاب "المرأة" عام ١٩١٠.

قام الاتحاد النسائي عام ١٩٠٨ بحملة لتشجيع النساء على نشر مقالاتهن وكتبهن باسمهن الحقيقي ، مؤكدين أن الإسلام أباح بل وشجع على ذلك ، وقد بدأت بعض النساء بالفعل في نشر أسمائهن الحقيقية ، ولكن لم يكن ذلك سهلاً ونشر أسماء مستعارة استمر في الانتشار في العالم العربي.

الرواية الأنثوية

أما بالنسبة للرواية أو القصة ، فقد بدأت المرأة العربية في نشرها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أي قبل نحو خمسة عشر عامًا من رواية "زينب" للدكتور حسين هيكل والتي كانت تعتبر الأولى في العالم العربي ، لذلك نشرت أليس بطرس البستاني قصة "صحيح" في عام ١٨٩١ ، كما نشرت زينب فواز قصتها "حسن العقاب أو غادة الزهراء" عام ١٨٩٩ ، ثم نشرت "الملك بورش أو الملك من الفرس "عام ١٩٠٥ م ، وبعد ذلك كتبت مسرحية" الحب والوفاء "عام ١٨٩٣ ، ونشرت بعدها رواية" بديعة وفؤاد "عام ١٩٠٦ ، ثم صدرت رواية" فاطمة البدوية ". وفي عام ١٩٠٤ تم نشر رواية لبيبة هاشم "قلب الرجل" ، ثم صدرت رواية لبيبة ميخائيل "حسنة سالونيك" ورواية فريدة يوسف عطية "بين العروش" عام ١٩١٢. وكان كل هؤلاء الكتاب من لبنان ، بمن فيهم أولئك الذين أقاموا في مصر مثل زينب فواز ولبيبة هاشم و هاجرت عفيفية كرم الى الولايات المتحدة.

تنمية المرأة العربية

كان للحركة الثقافية التي شهدتها الدول العربية في تلك الفترة الفضل في تطور المرأة. كانت أليس بطرس البستاني من لبنان أول من دعت إلى حق المرأة في التعليم عام ١٨٤٧ ، وبعد ذلك أيدت مطلبها من الرجال مثل رفاعة الطهطاوي ومحمد بن مصطفى بن خوجة الجزائري. ثم جاء قاسم أمين في مؤلفاته "تحرير المرأة" و "المرأة الجديدة" عام ١٩٠١ ،

(١) هو محمد الحنفى بن محمد إسماعيل خليل ناصف،كاتب و شاعر مصري شارك فى الثورة العربية بخطبه و مننشوراته.

وبعدها كتب طاهر حداد التونسي كتابه "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" أحمد لطفي السيد في مصر وأمين. الريحاني في لبنان.

مع نهاية القرن التاسع عشر ، ساهمت الكاتبات والناقدات في نشر إنجازات المرأة العربية. في بداية القرن العشرين ، كتبت مي زيادة سيرة ثلاث نساء متعلمات: وردة اليازجي ، عائشة التيمورية ، والملك حفني ناصف وفعلت ذلك من خلال التوفيق بين تلك السير الذاتية لأجيال عديدة قادمة ، لذلك كتبت مي زيادة بينما قرأت أجيال من الفتيات العربيات اللواتي تأثرن بكتاباتها أفكارًا عن تطور المرأة وحقوقها ، وانتشر تأثير هذه الكتابات ليس فقط في مصر وسوريا ولبنان ، بل استمرت أيضًا في العراق وفلسطين حيث بدأت المرأة في مجال الكتابة والرواية ، خاصة خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين.

شهدت الخمسينيات من القرن الماضي ازدهارًا كبيرًا للكتابة النسوية في جميع مجالات الكتابة الصحفية والروايات والشعر ، إلخ. في بداية الخمسينيات ، كتبت أمينة السعيد رواية "الجامعة" ونُشرت في نفس الوقت. رواية "أنا أعيش" لليلى بعلبكي ، ثم رواية "أيام معه" لكوليت خوري ، ثم رواية "الباب المفتوح" للكاتبة لطيفة الزيات ، وبعد عامين ، نشرت ليلى عسيران: غدا لا تموت "وبعدها نشرت اميلي نصرالله رواية" طيور سبتمبر ".

هذه الروايات ، رغم اختلافها ، كانت تمثل صوتًا جديدًا ، تكتشف علاقة المرأة بنفسها وبالأم والأب والمجتمع من حولها ، بكل ما قدمه من تطورات سياسية واجتماعية ، وفي نفس الوقت واحدة من أكثر الروايات نضجا في كتابة القصة الأدبية القصيرة ظهرت سميرة في فلسطين. عزام في مجال الشعر ظهرت نازك الملائكة في العراق ، وانتشرت قصيدتها "الكوليرا" عام ١٩٤٧ ، ثم ظهرت الشاعرة فدوى طوقان وسلامة خضرة.

الأجيال التالية جاءت بقيادة نوال السعداوي ، التي كانت تعتبر رائدة في التعامل مع قضايا حرية المرأة ، ومع الربع الأخير من القرن العشرين ، تطورت كتابات المرأة العربية واختلفت في مساراتها ، لكنها كلها انعكست التطورات الاجتماعية التي شهدتها الدول العربية في تلك الفترة ومعها التطورات التي حدثت في المرأة العربية. وموقعهم في هذه المجتمعات ، ويصبح من الضروري لجميع أبناء الأجيال الجديدة أن يقرأوا ويتعرفوا على هؤلاء القادة الذين ليس لديهم عندما وصلنا اليوم للمشاركة في ثورة قلبت نظام الحكم في مصر وفي

كثير من البلدان الأخرى. الدول العربية والمطالبة بكافة الحقوق في مواجهة التيارات والموجات المستقبلية التي قد تأخذنا إلى الوراء أكثر من مائة عام ، وتضع جهود النساء المتحمسات والناضلات من أجل كرامتهن وكرامة بناتهن من بعدهن.

أهم رواد القصة العربية القصيرة

برزت نخبة من الأدباء في كتابة القصة القصيرة حتي اعتبروا روادها، ومن أبرز رواد القصة العربية القصيرة هي:

محمد تيمور :

هو شاعر وأديب وكاتب مصري كبير ، ومن رواد القصة والمسرح في مصر. ولد عام ١٨٩٢م بالقاهرة. كان والده أحمد تيمور كاتبًا، وأيضاً خالته عائشة التيمورية شاعرة ، وظهر شقيقه محمود تيمور بعده. يقول الطاهر، "من خلال محمد تيمور ولدت القصة العربية الحديثة بقصته الأولى في القطار"[(١)]. يقول الدكتور الحمداني: "الباحث محمد تيمور هو من اخترع القصة القصيرة في الأدب العربي الحديث."[(٢)] . توفي شاباً نتيجة مرض الصغار فى ١٩٢١م .

محمود تيمور :

ولد محمود تيمور ، المعروف بشيخ القصة العربية ، عام ١٨٩٤ م في القاهرة في عائلة أدبية معروفة. سافر إلى فرنسا لمدة عامين وقرأ الأدب الفرنسي عن كثب وكتب قصصًا قصيرة وطويلة. كما أعجب بما كتبه في المجال المسرحي وفاز بالعديد من الجوائز على المستويين الوطني والدولي. توفي محمود تيمور عام ١٩٧٣ م ، ومن كتبه القصصية: "سنة جديدة سعيدة" ، "مكتوب على الجبهة" ، "أنا القاتل" ، "شباب ومثليون" إلخ.[(٣)]

---

(١)القصة القصيرة درسات ومختارات، الطاهر أحمد مكي، ص/ ١٠١.

(٢)الأدب العربي الحديث، دراسة فى شعره و نثره، ص/٣٤٨.

(٣)نشأة الفصة و المسرحية، فى فلسطين، إبراهيم السعافين، عمان، ١٩٨٦م، ص ١٨.

يوسف إدريس :

ينتمي يوسف إدريس إلى عائلة فلاحين ، وكان والده يعمل في التفتيش الزراعي. أكمل يوسف تعليمه الثانوي في المدارس الحكومية ، ثم أرسله والده إلى القاهرة للالتحاق بكلية الطب. بدأ حياته المهنية كطبيب وثائر وكاتب في نفس الوقت ، كما بدأ يوسف في نشر قصصه في مجلات مختلفة[١]. انتقل إلى رحمة الله عام ١٩٩١.

سميرة عزّام:

سميرة عزام كاتبة وصحفية فلسطينية من مواليد عكا بفلسطين عام ١٩٢٤م، ولقبت برائدة القصة القصيرة في فلسطين. إنتقلت إلى لبنان سنة ١٩٤٨م وعملت معظم حياتها في الصحافة و الإذاعة، بالإضافة إلى كونها صحفية مستقلة. تعتبر من أعلام القصة الفلسطينية الحديثة ، وقد حافظت على مكانتها حتى يومنا هذا على الرغم من ظهور العديد من كتّاب القصص الفلسطينيين والعرب[٢] لأن قصصها تتمتع بشروط قصة قصيرة ناجحة: سيطرة كاملة على الموضوع ودقة السرد وخفة حركته والاقتصاد اللازم وغياب العمل الروائي من الملء والتخفيف والتركيز. حول تركيز محدد وفكرة محددة ، والأهم من ذلك كله ، التعاطف الإنساني مع القضية والاستيعاب الصادق للوضع الإنساني.

أسماء الغول :

أسماء عوض جمعة الغول ، ناشطة سياسية وكاتبة وصحفية فلسطينية في مجال المرأة وحقوق الإنسان[٣]، ولدت في مدينة رفح في ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٢، الكاتب والصحفي اسماء الغول يكتب في المجال الثقافي في صحيفة الحياة أن الأيام الفلسطينية التي تتخذ من لندن مقرا لها ، مراسل مركز "الجنة" التابع لمؤسسة سمير قصير لبنان وسكرتير المعهد الفلسطيني للاتصال والتنمية. بالإضافة إلى كتابة قصة قصيرة نشرت قصتان قصيرتان. شاركت فى العديد من المؤتمرات والنشاطات المحلية الحقوقية والثقافية والإقليمية والدولية.

---

(١)حياة الأدب الفلسطيني الحديث، عبد الرحمان ياغي، المكتب التجاري، بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٥.

(٢)سميرة عزام لمناضلة مجلة الآدب، الحوت، شفيق، بيروت، ١٩٦٨م، ص/١٥.

(٣)رواية القلادة، القاهرة، بشرى أبوشرار، ٢٠١٢م، ص ١٢٤.

خليل بيدس :

أديب فلسطيني وكاتب ومترجم. ترجم أعمال تولستوي وبوشكين إلى العربية ، ولد في الناصرة عام ١٨٧٤ وتوفي في القدس عام ١٩٤٩. لا شك أن الدستور العثماني لعام ١٩٠٨ شجع خليل بيدس على إصدار مجلة تسمى "مجال النفائس". فانتشرت شهرتها في الأوساط العلمية والثقافية في الدول العربية حيث حرصت بيدس على إنتاجها بصورة فنية وجعلت منه مشهدًا للأقلام في فلسطين وسوريا ولبنان والشتات[١]. وله صدى طويل في عالم الأدب العربي قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها ، عندما نقل خليل مجلته إلى القدس وأسس فيها مكتبة فريدة تحتوي على مخطوطات قديمة وكتب قيمة ، لكنه اضطر إلى تركها في مكان بالقدس ستحتله العصابات الصهيونية عام ١٩٤٩ ، أي بعد مغادرة هذا العالم لعامين.

ليانة بدر :

صحفية وروائية وكاتبة قصة قصيرة الفلسطينية. ولدت في القدس عام ١٩٥٠م، بعد ذلك انتقلت إلى أريحا، ثم انتقلت العائلة بعد الاحتلال الإسرائيلي إلى الأردن، حيث التحقت بالجامعة الأردنية[٢]، لكنها لم تكملها. درست هناك ثم التحقت بجامعة بيروت العربية حيث حصلت على درجة البكالوريوس في علم النفس العام. عملت ليانا بدر كصحافية في بيروت بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٢ ، وتزوجت من السياسي الفلسطيني ياسر عبد ربه ، وانتقلت معه للعيش في دمشق عندما غادرت منظمة التحرير الفلسطينية بيروت عام ١٩٨٢ ، ثم انتقلت معه إلى تونس ، قبل الاستقرار هناك في رام الله عام ١٩٩٤.

نجيب محفوظ :

ولد نجيب محفوظ في أسرة متوسطة في حي الحسين في القاهرة في عام ١٩١١. لديه أربع أخوات وشقيقتان، وكان أصغر منها. كاتب مصري يعتبر الأب بلا منازع للرواية المصرية الحديثة ، نال جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٨٨ حتى نشر ٣٣ رواية و ١٣ مجموعة

---

(١) حياة الأدب الفلسطيني الحديث، عبدالرحمن ياغي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ٢٠٠٠م، ص ١٥.

(٢)الأدب العربي المعاصر فى مصر، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٨، ص٥٤.

قصصية[١] ، ونُشر حوالي ٥٠ قصة في حبيبات ومجلات ، وأكثر من ٣٠٠ مقالات ، وتم إجراء حوالي ٤٠٠ مقابلة صحفية. تم نشر أكثر من ٤٠ كتابًا وفصلًا عنه حول فكرته وكتبه في أكثر من ٢٠٠ كتاب ، وكتبت عنه أكثر من ٢٠٠٠ مقال ، وعملت في أكثر من ٢٠ رسالة جامعية عن حياته وأعماله الأدبية. توفي عام ٢٠٠٦ ودفن في القاهرة.

نجوى قعوار فرح :

كاتبة وروائية ومربية فلسطينية ، ولدت في مدينة الناصرة في ٣٠ نيسان ١٩٢٣. حصلت على تعليمها الابتدائي والثانوي في الناصرة ، ثم في بيت المعلمين في القدس. تعتبر من أوائل كتاب الجيل العربي في القصة القصيرة العربية في فلسطين. ألقت نجوى قعوار محاضرات في نوادي ثقافية[٢] ، ونشرت قصصًا ومقالات في مجلات "الأديب" و "صوت المرأة" و "الملتقى" و "القافلة" و "الغد" وبثت القصص ومحادثاتها في محطات إذاعية في القدس والشرق الأدنى وليندن وهولندا. توفيت في آب ٢٠١٥.

ثريا نافع :

كاتبة مصرية–فلسطينية من مواليد القاهرة عام ١٩٥٥ وبعد هجرة عائلتها من فلسطين عاشت بقية حياتها في قطر. كانت أيضًا عضوًا مشاركًا في القصير نادي ستوري في مصر والجمعية الفلسفية المصرية[٣]. بالإضافة إلى ذلك ، عملت كمدير عام لشركة "Nutri System" الأمريكية من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٢. عملت مديرة العلاقات العامة في المستشفى الأمريكي في قطر من ٢٠٠٢ إلى ٢٠٠٤. شغلت ثريا منصب نائب الأمين العام والإعلام مدير الجمعية العربية للترجمة وحوار الثقافات في سويسرا.

---

(١).المرجع نفسه، ص/٨٦.

(٢).المرجع نفسه، ص/٣٩.

(٣)موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، الجيوسي، سلمى خضراء، المؤسسة العربية للدراسة و النشر، بيروت، ١٩٩٧م، ص ١٤.

الفصل الثاني

القصة القصيرة فى العصرالحديث

إنّ القصة القصيرة كانت معروفة عند العرب منذ القدم بمعناها العام، إلا أنّها نشأت أول الأمر عند الغرب، وأخذها العرب تأثرًا بهم؛ لذلك فهي تعدّ فنًّا أدبيًّا حديثًا في الأدب العربي، وقد أخذ فنّ القصة القصيرة في الأدب العربي بالتطور والتشكّل حتى اتخذ ملامح محددة واتسم بسمات ميزته عن غيره من الفنون الأدبية.كانت القصة القصيرة تأثّرًا بالقصة الغربية، ومع أنّها ظهرت في وقت متأخر إلا أنها لا تعد شيئًا غريبًا عن العرب، فقد كانت عندهم قاعدة متينة للقصة ظهرت بمسميات أخرى، ولكنها لم تكن محددة كما هي الآن. تميّزت القصة القصيرة بوضوحها وصراحتها؛ إذ تكاد تخلو من التملّق الذي يزخر به الشعر، ومن الأساطير التي ترتكز عليها المقامات، إذ وُلد فن القصة القصيرة من رحم الألم والمعاناة فكان هدفه الأساسي عكس صورة الواقع، ومحاولة محاكاة الأحداث الواقعية من خلال قالب قصصي للتعبير عن الشعور والأفكار اتجاه تلك الأحداث، مع إعمال العقل لإيجاد أفضل خيار متاح وسط الأحداث المطروحة[١].

اتسع فن القصة القصيرة ليشمل العديد من المقاصد والأهداف؛ بدءًا من إيصال العبرة والعظة ومرورًا بالتسلية وانتهاءً بانتقاد الحياة السياسية بطريقة مبطنة، وربما كان هذا أكثر ما يكيز فن القصة القصيرة، إذ يتيح إيصال أي فكرة دون خلق تحفظات أو حتى دون الاضطرار إلى توضيح المقصد جليًّا. ولنا في سلسلة قصص (كليلة ودمنة) خير مثال؛ فهي قصص هندية الأصل كتبها الفيلسوف بيدبا وقد ترجمها إلى العربية عبد الله بن المقفع، وهي مكتوبة على لسان الحيوانات، وقد كتبها بيدبا يوصل رسائل خفية إلى ملك الهند آنذاك[٢].

يعتبر فن القصة القصيرة من أحدث الفنون الأدبية الإبداعية، حيث إن ولادته لا تتجاوز قرن ونصف الزمان، حتى إن العلماء والنقاد يعتبرونه ميلاد هذا القرن ؛ في الواقع، لم يتم تعريف مصطلح "القصة القصيرة" كمفهوم أدبي حتى عام ١٩٣٣ في قاموس أكسفورد. ومن أبرز مبدعي هذا الفن "الأمريكي إدغار آلان بو" و "الفرنسي جود موباسان" و

(١)دراسات في الأدب العربي الحديث والمعاصر، محمد عبدالمنعم خفاجي، ص/١٣٣.

(٢) فن القصة القصيرة، رشاد رشدي، ص/٩.

"غوغول روسي"، والتي يعتبرها النقاد والد القصة الحديثة بكل تقنياتها ومظاهرها، وفيها يقول مكسيم غوركي: "خرجنا من تحت معطف جوجول." [١].

لم يكن للقصة القصيرة، بتقنياتها الحديثة وأسسها الجمالية وخصائصها الإبداعية المميزة وسماتها الفنية، أي أهمية على الإطلاق في بداية القرن العشرين.[٢] وخلف انتشار هذا الفن الجديد وانتشاره عالميا وعربيا كانت هناك مجموعة من الدوافع والعوامل أبرزها "انتشار التعليم وانتشار الديمقراطية وتحرير العبيد". الأرض من قوة الإقطاع، وثورة الطبقة الوسطى والطبقة العاملة والفلاحين، وكذلك ظهور دور المرأة في المجتمع ومساهمتها في المجالات الحياتية والاجتماعية والسياسية والفكرية والفنية. . "التطور العلمي والفكري والثقافي والصناعي الذي شهده العصر، حيث لعبت الصحافة دورًا مهمًا في الترويج لهذا الفن ونشره، كما لم يخف دور المطبعة وانتشار الطباعة في ازدهارها المشتغلون بكتابتها لأنها تناسب قلقه وحياته المتسرعة وتعبر عن آلامه وآماله وخبراته ولحظاته وتأملاته. [٣]

وهكذا بدأ فن القصة القصيرة بالظهور والانتشار في الدول العربية بحسب التفاوتات بينها بين الخمسينيات والستينات من القرن الحالي نتيجة مجموعة من العوامل الحضارية التي شهدتها المنطقة بعد التغيير الاجتماعي الواسع في بلادها و أنماط الوجود والتغير في طبيعة الحياة الاجتماعية فيها بعد اكتشاف النفط، خاصة بعد دخول المطبعة، ظهور الصحيفة، التغيير في طبيعة النظام التعليمي، ظهور جمهور جديد من القراء باحتياجات ثقافية جديدة، وعوامل أخرى ساهمت في ولادة القصة القصيرة في المشرق العربي. [٤]

كان للنقد مكانة خاصة ومتميزة في القصة القصيرة، ربما وراء تأخرها في الانتشار والانتشار في الحياة الأدبية، وقد اتخذ هذا الموقف بموقف الناس تجاه القصة والراوي على حد سواء، حيث اعتادوا إعداد القصة في عامة، والقصة القصيرة على وجه الخصوص هي شيء يصرفه الإنسان في أوقات فراغه كما اعتادوا التحضير. كاتب القصة هو دخيل على طاولات الأدب لا يستحق أكثر من الإهمال والازدراء، مما جعل كتّابه ينشرونها في الصحف. والمجلات

---

(١)جدول الرؤى المتغايرة ، صبرى حافظ، الهيئة المصرية ١٩٩٣، ص/٣٤١.

(٢)تطور القصة القصيرة فى مصر، سيد حامد النساج، دارالمعارف، مصر، ١٩٨١م ص/ ٦٥.

(٣)الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، ص/ ٥.

(٤) المرجع السابق ، ص/٣٣.

تحت عنوان "فكاهة". كما دفع هذا الموقف بعض الرواة إلى عدم ذكر أسمائهم في رواياتهم، مما جعلهم يصنعون "محمد حسين هيكل" في رواية "زينب" عند مهرها مع "فلاحة مصرية".[١].

ومن الطبيعي أن يكون لمثل هذه المناقشة وهذا الموقف والقصة خاصة أثرها القصير العميق في انحدارها الحالي وتأخر انتشارها في الحياة الأدبية العربية ليحل محل المجمعين، الأمر الذي أخذ يحل محل المبدع حيث "أكثر العروض للقراء منذ أواخر القرن الماضي وحتى نهاية الثلث الأول من القرن الحالي مثل الترجمة والاقتباس، حتى إن أمين دار الكتب في بيروت جمع لها معجمًا أثبت فيه نحو عشرة آلاف قصة مترجمة من مختلف اللغات، وهذا يؤكد أن ظهور القصة القصيرة وفن الحكايات بشكل عام والمسرحيات كان من خلال معرفة الأدب الغربي في أعقاب الاحتكاك الثقافي والفكري والأدبي الذي حققته النهضة الحديثة التي اجتاحت العالم العربي في هذا العصر الحديث [٢]

وعلى الرغم من قصر عمر القصة القصيرة فإن هذا اللون الأدبي الإبداعي وشهرته واهتمام الكتاب والنقاد به الشديد وحرصهم على إبداعها جعلها شكلاً من الصور التي تزاحم الشعر وتنافسه، وهو الأكثر أساليب أدبية إبداعية مهمة عبر تاريخها الواسع لتحقيق شعبية واسعة.

تكمن أهمية القصة القصيرة في كونها شكلًا أدبيًا وفنيًا قادرًا على تقديم أعقد الرؤى وأخصب القضايا والقراءات الذاتية والأخرى والنفسية والاجتماعية، وبشكل دقيق وواعي من خلال علاقة الحدث بالواقع والصراع الناتج عنه وتركيزه وتكثيفه في استخدام الدلالات اللغوية المناسبة لطبيعة الحدث والأحوال الشخصية وخصائص السرد القصصي وحركة الحوار والسرد ومظاهر الخيال والحقيقة وغيرها من القضايا التي تخترق هذا الفن الأدبي المتميز.

اللافت في ما تقرأه المطابع مما يسمى بمصطلح القصة القصيرة هو أنه لا توجد قصة قصيرة في أي شيء يتجاوز الكلمات والصفحات المحدودة. كأن هذا الجانب هو أهم ما يجب على الكتاب الحفاظ عليه من أجل إعداد إنتاجهم من فن القصة القصيرة.

---

(١)المرجع نفسه ، ص/٤٣.

(٢)جدول الرؤى المتغايرة ، صبرى حافظ، ص/٣٤١.

مما لا شك فيه أن النقاد ساهموا في تلميع القصة القصيرة المدى وذوبان تقنياتها الفنية بسبب عدم التزامهم بتلك المعايير التي قدمناها وتسامحهم في تقييم ذلك الناتج وتغاضيهم عن تجاوزاته الواسعة وتجاوزاته. تقنيات هذا الفن الأدبي وكأنهم يصنعون إنتاجًا واقعيًا مفروضًا على مصطلح القصة القصيرة ولم يفعلوا القصة القصيرة لهم من خلال التقنيات الفنية والبيانات الجمالية المخصصة لهم في إطار التعريف المناسب، وهذا هو سر الارتباك والاضطراب الذي ساد هذا اللون الأدبي الشيق.

في الحقيقة تسريع المبدعين لهذا الفن وتجاهل منتقديهم أو تسامحهم لمتابعة إهمالهم وإنذارهم المستمر هو من شوه تقنيات القصة القصيرة وآخرها كل ذلك اختلاط واضطراب وليس كما يزعم بعض "الحداثة جعلتها غير قادرة على خلق تقاليد أدبية خاصة بهم" [١] ربما كان هذا هو الوضع وراء الأزمة التي شهدت القصة القصيرة، وفي حقها أن تكون القصة القصيرة قادرة على تحقيق مكانة أدبية مترفة في سلم الأساليب الأدبية الإبداعية عند حرص المبدعين، ومن وراء نقادها، الالتزام الفني الصحيح. الأساليب في الإبداع هي خالتينه مع إبداع الألوان الأخرى. هذه الأساليب أو الخصائص تقوم على جانبين: ظهور القصة وعناصرها المتعددة: الحدث، الشخصية، الحبكة، الحوار، السرد، التعقيد، الحل، الزمان والمكان، ثم المظهر ووحدة الانطباع الذي تحققه القصة القصيرة عادة بسبب عدم تعدد الأحداث وتنوع الشخصيات فيها وتركيزها على أزمة واحدة. ومن هنا نجد أننا ملزمون بتحديد أهم المكونات الفنية والجمالية للقصة القصيرة التي يجب على مبدعيها ونقادها على حد سواء الالتزام بها من أجل تحديد هويتها بشكل مستقل عن الأساليب الأدبية الأخرى المماثلة. [٢].

إن عدم وجود تعريف محدد لمصطلح "القصة القصيرة" هو السبب الأكثر أهمية الذي خلق الاختلاط بين القصة القصيرة والأنماط الأدبية الأخرى، الأمر الذي يقودنا إلى ضرورة تحديد مفهومها أو تعريفها بطريقة معينة تجعل إنه فن أدبي خاص متميز عن الفنون الأدبية الأخرى، على الرغم مما نواجهه من تعريفات النقاد، وبالنسبة لأولئك الذين يدرسون القصة

---

(١) جدول الرؤى المتغايرة ، صبرى حافظ، ص/٣٥١.

(٢)الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، ص/٤٥.

القصيرة، "نود أن نختار منها ما يذهب. القصة القصيرة عبارة عن سلسلة من المشاهد الموصوفة تنشأ خلالها حالة سببية تتطلب شخصية حاسمة ذات شخصية مسيطرة تحاول حل مشكلة من نوع ما من خلال بعض الأحداث التي تتعرض لبعض عقبات وتصعيد المجمع، حتى تصل إلى نتيجة القرار النهائي لتلك الشخصية فيما يُعرف بلحظة التنوير أو القرار بأسلوب يتميز بالتركيز والتكثيف الدلالي دون أن يكون البعد الكمي مهمًا فيه". [١].

ومن الواضح أن هذا التعريف يحدد الحدث الجزئي الذي تقوم عليه القصة القصيرة وما يرتبط به من تطور والنوم الذي تؤديه الشخصية الحاسمة، وربما الوحيدة فيها، من خلال إطار محدد من الزمان والمكان. وكلما كانت هذه العناصر أكثر تحديدًا وضيقًا، تضاءلت حقيقة القصة القصيرة ومفهومها الفني وتقنياتها. وهكذا تتولد القصة القصيرة من رحم الحدث حيث يتولد الحلم، وتنمو الشرنقة أو اللؤلؤ في قلب المحارة.

إلا أن نقاد ومبدعي هذا الفن لم يحرصوا على التمسك بهذه الخصائص الفنية مما جعلها تختلف اختلافًا كبيرًا عن الأنواع الأدبية الأخرى. الروابط المتمثلة في خصائصها الأسلوبية وعناصرها الفنية، ولا شيء آخر يتعلق بذلك على الإطلاق ؛ خلط بعض النقاد القصة القصيرة بالرواية القصيرة عندما نظروا إليها من زاوية الطول والحجم بعيدا عن التقنيات الفنية والخصائص المميزة متناسين أن مسألة الطول والحجم في القصة القصيرة يجب أن ينظر إليها فقط من خلال ما تتطلب الأحداث والمؤامر والشخصيات دون تحديد عدد النقاد الذين ذهبوا إليه[٢].

وقد وصل هذا الالتباس إلى حد أن بعض النقاد لا يلتفتون إلى موضوع الحبكة في القصة القصيرة، حتى وإن لم ينص عليها فيها. مثل هذا الأمر يؤدي إلى تسييل هذا الفن والفشل في تحديد ضوابطه وقواعده وأصول الفن، وبالتالي يؤدي إلى إهماله وعدم الاهتمام به، أو على الأقل التخلص من مصطلحه الفني. ربما لا نحسب الحقيقة إذا ادعينا أن التراجع في مستوى هذا الفن المثير للاهتمام يرجع إلى عدم تحديد أبعاد المصطلح الفني تحديدا الذي ينفي التعددية والتنوع والتمييع، وإذا أخذت القصة القصيرة مصطلح ذو نهج محدد من حيث

---

(١)التجريب في فن القصة القصيرة، محمد شعبان، دار العلم الإيمان للنشر ولتوزيع، دسوق، ١٩٩٧م، ط/ ١.، ص/١٣٣.
(٢) المرجع نفسه ، ص/٤٣.

الشكل والبنية والحدث والشخصية وتطوره وأبعاده والحبكة والسرد والحوار، كنت سأحظى باهتمام وتقدير أكبر، وقد حققت الإبداع والهيبة التي تطمح إليها ومن هنا يجب الحكم على القصة القصيرة والنظر إليها من هذه الزاوية، ومدى توافر هذه التقنيات الفنية، بحيث يتم نفي كل ما يناقضها من ألوان الإبداع الأدبي. [١].

وبالمثل "فإن الاعتماد على تعريف أرسطو للقصة واشتراطه أن يكون لها بداية ووسط ونهاية دون تحديد الحدث والشخصية والزمان والمكان أدى إلى اختلاطها بالرواية القصيرة والرواية الطويلة وغيرها من فنون سرد القصص أو رواية القصص".

وبحسب الدكتور أحمد يوسف عند ما وصف القصة القصيرة بأنها الأقرب إلى الشعر، لأنها تعتمد على تصوير لمحة إرشادية للزمان والمكان، وهذا التصوير سيركز على البناء وتكثيف الدلالة، وهما سمتان أساسيتان في الشعر. ومن هنا لا نتوقع من كاتب القصة القصيرة أن يقدم الشخصية بأبعادها المعروفة في الفن الدرامي، بل نتوقع منه دائمًا أن يقدمها متفاعلة مع زمانها ومكانها، مما يخلق حدثًا يحمل طابع المغزى الشعري، وهي شخصية تخضع لمستويات متعددة، ومن ثم تفسيرات، وبالطبع لا تجسد كل هذا إلا بلغة تتبنى الصورة وصلتها الأولى والأخيرة [٢].

وبالتالي، غالبًا ما يهمل مستخدمو فن القصة القصيرة أبرز مواصفاتهم أو شروطهم الفنية فيما يتعلق بالحدث والشخصية والحبكة والزمان والمكان، وهي أهم المكونات الرئيسية لفن رواية القصص بشكل عام. الأوراق مهما اختلفت الأحداث والشخصيات وتغيرت الأوقات والأماكن.

بمعنى آخر، في نظر هؤلاء الناس، يمكن أن تكون القصة القصيرة تلخيصًا موجزًا لأحداث رواية طويلة أو حتى سلسلة طويلة جدًا مما أظهره لنا المذيعون الفضائيون هذه الأيام، طالما أنهم يتدفقون في بضع أوراق وصياغة من بضع مئات من الكلمات، مما يدفعنا إلى تحذيرنا. مرة أخرى حتى أبرز عناصر القصة الفنية القصيرة أنها تتعامل مع حدث محدود للغاية، أو لمحة مختصرة عن أهمية فكرية أو نفسية حدثت في إطار محدود وكذلك من الزمان

---

(١)الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، محفوظ كحوال، ص/ ٥.

(٢) الأدب وفنونه دراسة ونقد، ص/ ١١١.

والمكان. يراقبها الراوي كشاشة تتطور فيها الأبعاد وتتوسط الشخصية الحاسمة للوصول إلى ما يعرف بالعقدة، ثم تأتي لحظة التنوير أو حل مشكلة الصراع أو تطور الحدث فيه. ومن هنا كان فن القصة القصيرة في نظرنا من أصعب الفنون الأدبية وأصعبها، حيث تطلب المهارة والقدرة والتحكم في كل الخيوط التي تشكلها. لا يجوز له مشاركة هذه الصعوبة بطريقة مميزة غير القصيدة [١].

من هذا كله، من الضروري في دراسة القصة/القصص القصيرة، وتقنياتها الفنية وجمالياتها، تحديد مفاهيم الأساليب الأدبية الإبداعية المرتبطة بانطباع قوي لفن القصة القصيرة في محاولة جادة لتضييق نطاق مجال الخلاف وتقريب وجهات النظر المتباينة منه.

أما أهم الفنون الأدبية التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالقصة القصيرة أو القصص، فهي الحكاية والمقام والأخبار والرواية القصيرة والرواية الطويلة والمسرحية والملحمة. ترتبط هذه الأنماط بالمشاركة العامة في البناء الحديث والشخصي، والمؤامرة، والحوار، والسرد، والعقدة، والحل، ولحظة التنوير، والزمان والمكان. ولعل هذا التشارك الواسع والعميق بين هذه الألوان الأدبية الإبداعية هو سر التداخل الكبير، بينما كان الاختلاط الناتج سببًا لهذه الديباجة التفاضلية التي تهدف إلى تحقيق الفصل أو فك الارتباط بينهما.

أما بالنسبة للقصة القصيرة، فهي مصطلحات لنوع أدبي واحد يجب أن يكون مبنيًا على أقل الأحداث الممكنة، "حدث ينمو من خلال شخصيات محدودة أو شخصية واحدة حاسمة، وفي إطار محدود جدًا من الزمان والمكان حتى يتلاشى الصراع". ذروتها عندما يزداد الوضع سوءًا ويصبح معقدًا، ثم لحظة التنوير المناسبة، معزولة عن الصدفة والتلفيق دون اشتراط الحجم أو الطول، والتي يجب أن تكون محدودة بالطبع. وفقًا لهذا التعريف، "يمكن أن تكون "المقامة" أقرب الأساليب الأدبية التي تعتمد على رواية الحكاية أو الرواية للقصة القصيرة لأنها تعتمد على حدث معين متنام وشخصية واحدة حاسمة، البطل أو الراوي، وحبكة دقيقة وزمان ومكان محددين، وأنه يخلو من التركيز والتكثيف لاعتماد أسلوب خاص في البناء يقوم على الجمال والشعر حسب طبيعة البيئة والظروف التي ولدت فيها"، بكل ما

---

(١)،التجريب في فن القصة القصيرة، محمد شعبان ، ص/ ١٠١، ط/٩

تميزه من ثقافة و البيانات الفنية، بغض النظر عن أنماط الحدث والشخصية والمخطط المتكرر فيه حسب الأغراض المتعددة التي من أجلها أقيمت العتبات كما هو معروف.

أما القصة أو الحكاية فهي تختلف عن القصة القصيرة في تعدد الأحداث وتنوع الشخصيات واختلاف الأزمنة والأماكن واتساعها الذي يخرجها من إطار القصص حتى لو كانت تتفق معها. وهي في تقنياتها الفنية المتعددة: الحبكة والسرد والحوار والعقدة والحل، دون أن تكون الأسطورة والأسطورة عاملاً رئيسياً في التمييز بينهما. ولعل أهم ما يميز هذا الأسلوب الأدبي الإبداعي أنه يغلب عليه روح الناس، وتنتشر فيه أحلامه وآماله وتطلعاته وآلامه وثقافاته، بحيث يمكن اعتباره أسلوبًا أدبيًا يعبر عن ضمير الناس وروح الجماعة.

أما الأخبار فهي أدبية ملفتة للنظر تقوم على رواية القصص ورواية أحداث متعددة دون الالتفات إلى تصوير الأبعاد الفنية والاجتماعية والأبعاد الأخرى للشخصيات الفاعلة أو الدافعة، لأن الاهتمام يتركز على تطور يوم الأحد في المقام الأول. دون اهتمام فني وكذلك الزمان والمكان وتحديد مكوناتهم الشخصية، كما نجد في أخبار "الداحس والغبراء" و "البسوس" و "الرسول النبي" وغيرها التي أخذت اللون من الأخبار التاريخية.

أما الرواية القصيرة فهي تقع في منزله في المنتصف بين مكانين للقصة القصيرة والرواية الطويلة من حيث حدود الأحداث والشخصيات والأوقات والأماكن، أكثر من نظرائهم في القصص وأقل من في الرواية الطويلة. ربما مع هذا القصور والتركيز قريبًا من كثير من الحكاية أو القصص.

وها نحن نصل إلى الرواية الطويلة، والتي تقوم أساسًا على تعدد الفصول والأحداث والشخصيات والأوقات والأماكن، "والتي تتحد جميعها لتحقيق أهداف فنية ومحتويات اجتماعية وفكرية خاصة كان يسعى إليها الراوي أو الروائي بعناية كبيرة شهدت الرواية الطويلة تطورًا تقنيًا واسعًا، وتطورًا في أجهزة البث المرئي، خاصة من خلال سلسلة محدودة وغير محدودة أو مفتوحة" (ليالي الحلمية، سلسلة شعوب أمريكا الوسطى واللاتينية، إلخ).

من كل هذا يمكننا أن نرى الخصائص الفنية للقصة القصيرة التي تميزها عن الأنماط الأدبية الإبداعية الأخرى المماثلة، وكلما تفحصنا بعناية وشددنا في تحديد تلك الخصائص والمميزات التقنية، يمكننا التفريق بينها ونفي الأنماط الأدبية التي تتداخل معها، سواء كانت

تستند إلى سرد القصص، والمؤامرة، والحدث، والشخصيات، والزمان والمكان، وما هو غير ذلك، فهي تستند إلى شيء مثل "التسرع"، والفكر، و "المقالة"، وأشياء أخرى لا ينبغي أن يكون مستعدًا على الإطلاق ؛ وإذا التزمنا بهذه المعايير الفنية وألزمنا الآخرين بها، يمكننا أولاً أن نرى صعوبة هذا الفن الأدبي الإبداعي، وثانيًا قلة أمثلته وندرة مبدعيه، وبالتالي هيمنة وانتشار القصيدة الشعرية، بكل إبداعاتها وتقنياتها وجمالياتها، باقية.

ربما كان "المقال" من أبرز الفنون الأدبية التي اختلطت بالقصة القصيرة، مع تباين كبير بينهما. ربما كان ذلك بسبب مواكبتها لها في ظهورها، وبسبب الإنتشار الإصلاحي فيها، وشدة اهتمام الكتاب بتلك المرحلة المبكرة بالمقال والقصة القصيرة، الأمر الذي جعل العديد من مقالات الكتاب تتعارض مع ذلك القصة القصيرة وتتحول إلى تحول أفسد كثيرا مفهومها وخصائصها الفنية المتميزة، ولا يمكننا أن نعذر الصحافة من مسؤولياتها ودورها الخطير في هذا الاختلاط والتداخل.

وقد أشار العديد من الباحثين إلى هذه الظاهرة في القصة القصيرة على وجه الخصوص، وإذا واصلنا التحقيق في أقوالهم وآرائهم في هذا الصدد لكان الأمر يطول ويتسع المجال، الأمر الذي يجعلنا سعداء بالإشارات السريعة إلى بعضها، مثل الرأي الذي طرحه الناقد السعودي الحداثي سعيد السريحي أثناء النظر في نشأة القصة القصيرة وتحولها من الفن الشفهي إلى الفن الكتابي مما أدى إلى لبسها في كتابة الأدب وفصلها عن الأدب. من الفن الشفهي وبما أن "المقال" هو فن الكتابة السائد، والذي تمت الموافقة على شرعيته في تلك المرحلة، كان من الطبيعي أن تكون بدايات الروايات امتدادًا لها. [1].

وبهذه الطريقة انكشف لنا الأبعاد الفنية للقصة القصيرة أو الروايات، ذلك الفن الأدبي الإبداعي الرائع الذي يجب على مبدعيه ومن خلفهم ممن نقاده أن يهتموا به بشكل كبير لإنتاج فن يستحق الإعجاب والتقدير. .

ظهرت القصة كفن أدبي في بداية القرن العشرين، وحظيت بشعبية كبيرة، وتذهب بعض الآراء إلى أن القصة القصيرة العربية الأولى بالشكل المعتاد كانت قصة (في القطار) لمحمد تيمور والتي نشرت في صحيفة الصفور عام ١٩١٧م، بينما هناك آراء أخرى تقول إن

---

(١)فن القصة القصيرة رشاد رشدى، ، ص/٣٣.

أول قصة قصيرة عربية ظهرت في العصر الحديث كانت بقلم مايكل نعيمة، وهي قصة عامها الجديد التي نشرت في بيروت عام ١٩١٤م.

القصـــة القصيرة فى مصر

كانت هناك جهود ومحاولات للاقتراب من كتابة القصة القصيرة العربية، وقام عبد الله النديم بهذه المحاولات من خلال مجلته "التنقيت والتبكيت". حيث اعتاد اللجوء إلى الشكل السردي في نقده القاسي الذي اشتهر به، وكذلك تجربة لبيبة هاشم ومنصور فهمي وخليل مطران، رغم أنهم جميعًا لم يتعدوا المساهمة في الشكل البنيوي للقصة [1]،ثم كانت تجربة "محمد المويلحي" في "حديث عيسى بن هشام"، حيث تتبع فيها آثار مقامة العرب القديمة، وكتابات "مصطفى لطفي المنفلوطي" والتي كانت خطبة نقدية في المقام الأول ولكن كان لها دور مهم في هذه المرحلة ؛ ما أتاح لها الفرصة للانتشار، وجاءت مرحلة أخرى مهمة وهي مرحلة الرواد الذين ضربوا الحماس والقوة في أرض ذلك الفن الجميل، والذين أنتجوا بالفعل تجارب حكاية لها فنهم وفكرهم الكيان بحسب سنهم وظروفهم، وهم: محمد تيمور، عيسى عبيد، شحاتة عبيد، محمود تيمور، محمود طاهر لاشين.

في هذا الوقت، فتحت ثورة ١٩١٩ وعي الكثيرين بضرورة التجديد والثورة على القديم، وظهرت ما يسمى بـ "مدرسة الحكاية الحديثة" بقيادة أحمد خيرت سعيد، من خلال "الفجر". "المجلة التي كان شعارها الهدم من أجل البناء. ومن أبرز أعضاء هذه المدرسة: حسين فوزي، ويحيى حقي، وإبراهيم المصري، وحسن محمود، وسعيد عبده، ومحمود البدوي.

حققت المدرسة الحديثة إنجازات مهمة بالتوازي مع حركة الترجمة التي كانت نشطة في ذلك الوقت، وأصبحت القصة القصيرة مكانًا مهمًا، ورحبت بها جميع المطبوعات والدوريات. ثم جاء جيل الخمسينيات كما سمي. ومن أبرز كتّاب هذا الجيل: يوسف الشاروني، يوسف إدريس، أبو المعطي أبو النجا، عبد الرحمن الخميسي، محمد صدقي ...

لعبت حركة التحرر التي ظهرت في العالم العربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين دورًا مهمًا في تبني هذا الجيل لشعارات وتوجهات الأنظمة السياسية، وقليل فقط من

---

(١) محاضرات في النثر الحديث في فلسطين والأردن ، د. ناصر الدين الأمدي، معهد الدرسات العربية العالمية ،١٩٦٠، ص/٣٣.

الذين ظلوا أوفياء للقصة كفن يعبر عن أنفسهم و مجتمعاتهم لم تنجح. كانت الستينيات واحدة من أكثر الفترات اضطرابًا في المحيطات العربية والعالمية، حيث كانت هناك حرب باردة بين قطبي العالم في ذلك الوقت: أمريكا والاتحاد السوفيتي[١].

كان للعالم العربي وضعه الخاص إنها مليئة بحركات التحرر والتغيير ومحاولة إيجاد شكل ديمقراطي للحياة السياسية، وهكذا كان جيل الستينيات أشبه بقذيفة انفجرت. ظهرت في هذا الجيل العديد من الأسماء التي كان لها وجودها ودورها المهم على خريطة الإبداع العربي. قفز هذا الجيل إلى كتابة القصة على قدم وساق، وأصبحت أقلامها مرايا موالية لمجتمعها، تكشف عيوبها، "ومن أبرز هذه الأسماء: محمد حافظ رجب، يحيى الطاهر عبد الله، إدوار الخراط. سليمان فياض، محمد البساتين، جمال الغيطاني، يوسف القائد، إبراهيم إصلان، عبد الحكيم قاسم، مجيد طوبيا، محمد إبراهيم مبروك، بهاء السيد، عز الدين نجيب، محمد جاد الرب، محمد عباس، دسوقي فهمي، خيري شلبي، محمد مستجاب، محمد جبريل".

القصـــة القصيرة فى السودان

شهدت الثلاثينيات نشاطا كبيرا للناقد والراوي معاوية محمد نور الذي كتب القصة ودراساته في النقد الأدبي ومساهماته العديدة في الصحف والمجلات الإنجليزية والمصرية واللبنانية أثناء دراسته في جامعة بيروت.

يعتبر معاوية نور أول من كتب القصة القصيرة بمعناها المحدد والمعروف. ساهمت مقالاته في النقد في جريدة السياسة الأسبوعية في اتجاه الكتاب نحو الواقعية وتصوير الشخصيات الحية ودعوتهم إلى تبني القصة الاجتماعية النفسية، وقدم أمثلة حية في كتاباته للقصة القصيرة، حتى لو كانت تعتمد على طريقة التحليل النفسي. ساهم ظهور مجلتي "النهضة" و "الفجر" في استقطاب الكتّاب وتشجيعهم ونشر أعمالهم ودراساتهم في فن القصة. ظهرت الأسماء في تلك الفترة: عبد الحليم محمد، السيد الفيل، حسن أحمد ياسين، ومحمد عشري الصديق كأول من اهتم بالقصة القصيرة ووضع اللبنات الأولى لها مع الحركة الشعرية التي ازدهرت. في تلك الفترة. تدور معظم قصصهم حول الزواج والحب والنزوح والسفر. لقد استحوذت الأساطير والتراث على ثرواتهم من اهتماماتهم التي لم تكن خارج

(١)فن القصة القصيرة رشاد رشدى، ، ص/٣١٣.

نطاق فكر المجتمع في ذلك الوقت. كما حظي الاستعمار بقدر لا بأس به من الاهتمام للتعبير عن مشاعر الأمة، واستحقاق لقب جيل الرواد. هذه تأثيرات على نشأة القصة السودانية القصيرة:

١. التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية "التي أدت إلى انهيار النظام القبلي الموروث، ونمط الحياة المستقرة."
٢. التأثير الواضح للفولكلور والأسطورة.
٣. حركة الأدب في مصر وسوريا ولبنان وبريطانيا والكتب المترجمة من الأدب الروسي إلى العربية والإنجليزية والتي كانت في أوجها في ذلك الوقت.

فترة الأربعينيات

أما فترة الأربعينيات[١] فمن الواضح أنها تأثرت بالمذاهب الفكرية التي ظهرت في السودان، ومن أبرزها ما يسمى بالواقعية الاشتراكية. عرفت القصة تطورًا نوعيًا في أسلوب وأشكال القصة للتعبير عن الشرائح الدنيا من المجتمع، وأصبحت القصة أكثر ديناميكية، واكتسبت خاصية حيوية من خلال إلهامها للشخصيات والحوارات من عمق المجتمع والرصد والمراقبة. تحليل حالاتها. ومن أبرز الأسماء في هذه الفترة خليل علي، وأبو بكر خالد، وعثمان علي نور، الذي أصدر مجلة "القصرة" كأول مجلة سودانية متخصصة في القصص القصيرة. ظهرت الأسماء التي تركت بصمتها الكبيرة في كل الأدب السوداني الحديث، مثل الأستاذ علي الملك، والدكتور إبراهيم الشوش، والشاعر صلاح أحمد إبراهيم، والزبير علي وغيرهم.

تعتبر هذه الفترة من أخصب وتأثرت بالحركة العالمية للأدب والنقد، وانتشار فن القصة على نطاق واسع. ذكر كتاب هذه الفترة الكثير من هجرتهم ودراستهم في الخارج. تزامن هذا الثراء في القصة مع الحركة الشعرية الكبيرة التي ازدهرت خلال هذه الفترة.

القصـــة القصيرة فى الجزائر

نشأت القصة الجزائرية على يد الإصلاحيين ومقاومة المحتل مثل: محمد بن العبد الجلالي ومحمد سعيد الزهراوي. سميت القصة الإصلاحية، وتتناول القيم التي يجب أن تسود

(١)فن القصة القصيرة رشاد رشدى، ، ص/٣٦٣.

المجتمع، وضرورة التخلص من المحتل، وأهمية الحرية. كان هذا حوالي عام ١٩٢٤، لكن التطور الحقيقي والنضج كان في يد الجيل الأدبي للثورة كما شهدت الحياة الأدبية والثقافية في الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٤٤) تطوراً ملحوظاً، حيث زاد عدد الكتاب، وعاد بعضهم إلى الوطن، وتخرّج الآخرون من معاهد هيئة علماء الجزائر، وهذا وشهدت المرحلة استمرار إرسال البعثات العلمية إلى الدول العربية، وخاصة إلى تونس والمغرب، مما أدى إلى طفرة في مختلف الأنواع الأدبية بعد إنشاء النوادي والجمعيات الثقافية، وانتشار الصحف اليومية والدوريات المعنية بالإبداع.(١)

يعتبر ظهور حرب التحرير الوطني الكبرى في الأول من نوفمبر ١٩٥٤ ومن أهم العوامل في تطور الأدب الجزائري المعاصر سواء من حيث الشكل أو المضمون. القصة بدورها انضمت إلى الجبل وتعايشت مع الثورة وتكتب عنها ومن رواة حكوا أنفسهم للثورة وتخصصوا فيها ولم يكتبوا عن أي موضوع آخر أمثال عثمان السعدي وعبدالله الركبي وفاضل المسعودي ومحمد الصالح الصديق.

ارتباط القصة بالثورة الجزائرية له أثران: الأثر الإيجابي: في الشكل حاول رواة القصص استعارة أشكال فنية مختلفة من الأدب العربي والأجنبي لمواكبة تعبير الثورة، وعلى مستوى المضمون ثورة التحرير. أثرت على محتوى القصة بما لا يقل عن تأثيرها على الشكل. استلهمت الجديد من الواقع، واصفة صمود الشعب الجزائري أمام القوى الاستعمارية، وتصوير بطولات المناضلين، وتعبيراً عن الحياة الاجتماعية الجديدة.

أما الأثر السلبي: فقد اهتم الراوي الجزائري كثيراً بتصوير المعارك، بدافع وطني يمليه إحساسه بالواجب، والتزامه بتصوير نضال الشعب، وقد أدى هذا الالتزام إلى ظهور بعض الكتابات الضعيفة، بسبب غياب التركيز أو عنصر التشويق. أبرز كتاب جيل الثورة (١٩٥٤-١٩٦٢): عبد الحميد بن حدوقة، أبو العيد دودو، الطاهر.

القصـــة القصيرة فىسوريا

تم نشر اثنتي عشرة مجموعة قصصية في هذه المرحلة، كان فن القصة القصيرة واضحًا

(١) القصة القصيرة النظرية والتقنية، ص/ ٥٢.

في بعضها، وفي قسم آخر، بالتناوب بين الصورة والمقال والفكر، لكنها في مجملها حملت بذور نضج فن القصة القصيرة، قصة في تاريخ الأدب السوري. الجرأة على نشر المجموعات، وأساليب المواضيع التي لم تستخدم من قبل، والاستفادة من التفاعل مع الآخر تستحق الاهتمام، خاصة وأن أماكن النشر كانت متعددة، والكتاب من مناطق متعددة، والصحافة جعلت مساهمة فعالة، واستمر عدد من هؤلاء الرواة في الكتابة والنشر لاحقًا. وطوّر خبرته وقادها لمراتب فنية مقبولة: أديب النحوي – مظفر سلطان.

في ذلك الوقت، كان للكتاب العديد من المهام المتعلقة بضرورة ترسيخ جذور الرواية. أدرك معظمهم أن مفهوم القصة القصيرة غربي في جذورها، ورغم بداية نشاط الترجمة من الأدب الفرنسي والروسي، وبداية انتشارها، سواء كانت ترجماتها في سوريا أو لبنان أو مصر، الكتاب تداخل معهم بنيران: نار الصدمة مع الآخر وضرورة الاستفادة مما تقدمه ثقافته، والنار محتلة لأرضنا.

كان الهم الاجتماعي من أبرز الاهتمامات التي شغلت الرواة، وتجلى ذلك من خلال نقد ما يفعله الناس وبعض العادات والتقاليد، وكان الشاغل الأساسي لهذا الاهتمام هو الإشارة إلى الآثار الاجتماعية المأساوية على العلاقات بين الناس. ويتعلق بمدى قدرة الذات على الانسجام مع المجتمع، وما تعانيه هذه الذات نتيجة لبعض العادات والتقاليد. بدأ الرواة يتحدثون عن اهتمامات تاريخية، وانشغل بعضهم بصدمة الغرب والتأكيد على الخلافات والتأكيد على ضرورة الاتصال.

ثم تأتي مرحلة الفن الاستوائي (١٩٥٩-١٩٦٨) وهي "من أبرز الحلقات في تاريخ القصة السورية من حيث عرضها وترسيخها لعدد من الأسماء التي لا تزال تعتبر من أميز الكتاب، أمثال: زكريا تامر، وليد إخلاصي، حيدر حيدر، محمد حيدر ... وتأثرت القصة. لقد تحطم الحلم القومي السوري بانهيار الوحدة المصرية السورية وكذلك الضربة الكبرى في حرب ١٩٦٧"[١].

تميزت القصة القصيرة في تلك الفترة بالقدرة الواضحة على خلط القضايا الاجتماعية

---

(١) الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، ناصر الدين الأسد، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة ١٩٥٧، ص ٢٨.

بالقضايا الوطنية، والتي أدرك الكثيرون أنها لا تنفصل عن بعضها البعض، وقد تكتسب جميعها مصداقية أكبر في ضوء تقاطعها. بينما كان بعضهم مشغولاً بتسجيل تجربتهم الشخصية التي عاشوها، لم يكونوا حريصين على الموضوع الفني بقدر حرصهم على توثيق ما حدث معه، وربما لم يهتم بإعطائها الأبعاد البشرية أو تعميقها. دون إهمال تأثير البكاء العاطفي واللغة البنيوية العالية في بعض القصص.

القصـــة القصيرة فى فلسطين

رغم أن "الأدب الفلسطيني جزء لا يتجزأ من الأدب العربي الحديث، وقد ساهم بشكل كامل في جميع التجارب الثورية التي شهدها الأدب العربي خلال هذا القرن"، ومنذ الخمسينيات على وجه الخصوص، اتسم باختلافات واضحة في بعض الجوانب، لا سيما في علاقته بالمكان والزمان، وفي لهجة الخطاب والاتجاهات، وفي انشغاله بالقضية السياسية السائدة. يمكن القول إن الأدب العربي برمته مشغول هذه الأيام بالنضال الاجتماعي السياسي الذي يخوضه الشعب العربي، لكن لا شك أن السياسة تفرض عبئًا ثقيلًا على الكاتب الفلسطيني، إذ تحدد عادة أن هذا الكاتب يعيش ويكتب ويدعو إلى قدر أكبر من الالتزام بأفكار سياسية معينة وأتباعها إلى صفوف المعارضة. هناك مشكلة هوية للفلسطينيين لقضاء حياتهم إما في المنفى في دول أخرى، أو مواطنين من الدرجة الثانية في إسرائيل إذا بقوا في أرض أجدادهم، أو إذا فقدوا، قبل قيام الدولة الفلسطينية، لأنهم كانوا مواطنين كاملين عندما كانوا يعيشون تحت الاحتلال العسكري الإسرائيلي في الضفة الغربية وغزة. بالطبع، هناك العديد من الكتاب العرب الذين اختاروا العيش في المنفى حول العالم بسبب ظروف القهر السائدة في العديد من الدول العربية، لكن هناك أعدادًا أكبر بكثير من أولئك الذين يعيشون – على عكس الفلسطينيين – في ظل سيادتهم الكاملة بلدان.[١]

التجربة الفلسطينية الحديثة قاسية ولا ترحم. لا تترك مظهرا من الحياة إلا أن تتدخل في أعماقها، ولا ينجو فلسطيني من قبضتها، ولا من يتجنبها. إنها تجربة لا يمكن نسيانها ولا يمكن التغلب على أي وعي. سواء كان الفلسطينيون في إسرائيل أو الضفة الغربية أو غزة أو في الشتات، فهم ملزمون بحكم هويتهم الفلسطينية نفسها أن يعيشوا حياة تحكمها أحداث

(١) القصة القصيرة النظرية والتقنية، ص/ ٥٦.

وظروف ناجمة عن نبذهم للعائلات وفقدانهم. للوطن، كما تتحكم فيه نوايا الآخرين وشكوكهم ومخاوفهم وعدوانهم.

لا مفر من ذلك، فالكاتب الذي يفكر في التوجه في اتجاه منفصل عن السياسة هو كاتب ينكر الواقع والتجربة، والانغماس في تجربة الحياة اليومية العادية يعني خيانة حياة الفرد وخيانة شعبه. وهذا يعني أن الكتاب الفلسطينيين ليس لديهم مجال للهروب، لأن أحداث التاريخ المعاصر تكتسحهم في حاضرهم حتى قبل أن يولدوا". إنهم محرومون من نعمة اختيار ما يحبونه من ماضيهم، وانتقاء ذكرياتهم، وإعادة ترتيب العلاقات التي تتجاوز الأحداث والظروف الخارجية. لقد أصبحوا دائمًا منفيين: لقد أصبحوا ذلك النوع من الغرباء الأبديين، الذين يناضلون ضد العقبات من كل نوع وأحجام. لكن أعظم نضال للكتاب الفلسطينيين وأعظم انتصار لهم كان رفضهم أن يكونوا الضحايا الخاضعين للإنسانية في النصف الثاني من القرن العشرين. على الرغم من أنهم لم يتوقفوا أبدًا عن الشعور بالمعضلة التي يعيشها شعبهم، يبدو أنهم يتمتعون بقوة التحمل التي تتجاوز المأساة وتتجاوز الضرورة. هذا هو ما لوّن الأدب الفلسطيني المعاصر وحدد اتجاهه ولهجته.

قد يميل نقاد ومؤرخو الأدب إلى توقع الرتابة والتقليد في هذا الأدب إذا لم يدرسوه، وقد يتساءل المرء عن المدى المتاح للكتاب فيما يتعلق بالوضع الفلسطيني طالما أن هذا الوضع قد حدد لهم المسار الأساسي الكامل حياتهم وأخضعوا هذا الطريق لاحتياجاتهم الخاصة. يجب على الطالب أن يكتشف معًا أن الشعراء الفلسطينيين وكتاب القصة والنثر الأدبي كانوا مبدعين إلى حد كبير حتى ضمن هذه الحدود الضيقة، وأنهم ظهروا في مقدمة الكتاب العرب التجديد والتغيير.[١]

فلسطين من حيث الموضوعات غنية بالأدب في الوضع الراهن للأزمة الفلسطينية. تحمل النكبة الفلسطينية مواقف عديدة يمكن أن تتحول إلى رؤية مأساوية من جهة، ورؤية بطولية من جهة أخرى لمواقف المقاومة والأمل والإيمان بالنصر النهائي للعدالة. ما هي المواقف الأكثر شيوعًا من هذا النوع المناسبة للعلاج الأدبي: الموت الحر للضحايا والأبرياء؟ الموت الذي يسعى إليه الأبطال وهم صغار؛ محاولات دؤوبة للفشل، اقتلاع لا ينتهي من

---

(١) الشعر الفلسطيني الحديث، خالد على مصطفى، دار الفكر العربي القاهرة،١٤٣٤، ص ٢٤.

الجذور، يتزايد الإذلال الذي يعاني منه المهاجرون الفلسطينيون في باقي العالم العربي، حالهم المزري كشعب بلا وطن. وهناك في الضفة الغربية وقطاع غزة الخاضعين لسيطرة إسرائيل، اعتقالات واسعة من قبل العدو وطرد وقصف للمنازل وإغلاق مؤسسات تعليمية ومصادرة المياه والأراضي العربية، وهو ما قامت به الحكومة الإسرائيلية يشجع المستوطنين الصهاينة المتطرفين على بناء المدن والمستوطنات في تحد لقرارات الدول. متحد؛ هناك صراع عاطفي يعاني منه عمال الضفة الغربية وقطاع غزة وهم يستغلونهم بأجور متدنية لبناء إسرائيل نفسها، وهناك الاغتراب المادي والمعنوي الذي أصاب الروح الفلسطينية في كل مكان.

عندما نتحدث عن الأدب الفلسطيني المعاصر [١]،في الواقع، نحن أمام أدبين: أحدهما أنتجه كتّاب يعيشون على أرض فلسطين التاريخية، والثاني لأدباء يعيشون في الشتات. في عام ١٩٤٨، انكسرت الثقافة الفلسطينية ذات الجذور الراسخة، وبقيت الروابط المباشرة قائمة. بين كتاب عرب يكتبون في (إسرائيل) وكتاب يكتبون في المنفى. تقريبا غير موجود منذ ما يقرب من عشرين عاما. وكانت الحياة مختلفة تحت الاحتلال الأجنبي (إسرائيل). وهو "يختلف اختلافًا كبيرًا في بعض النواحي عنه في الأردن (الذي ضم الضفة الغربية وحيث تعيش أغلبية فلسطينية) أو في الشتات في بقية الدول العربية"، حيث تعيش أعداد كبيرة من الفلسطينيين في المنفى كلاجئين. اعتادت معظم الدول العربية على اللجوء إلى وسائل القمع في معاملة الفلسطينيين رغم انشغالهم السياسي والعاطفي بالقضية الفلسطينية، الأمر الذي خلق الكثير من المشاكل غير المسبوقة للفلسطينيين. إلا أن جناحي الثقافة الفلسطينية في أرض فلسطين نفسها اجتمعا بعد أن فتحت الحدود بين إسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة بعد حرب ١٩٦٧، وفهم كل منهما تجربة الآخر تمامًا، وصوره كما لو كان كانت خاصة بهم.

الكتّاب العرب في (إسرائيل)، الذين نشأوا في ثقافة غربية خاصة بهم، وتعلم معظمهم العبرية كلغة ثانية لها، وظهرت وجهة نظر ربما أثرت في كتاباتهم وأن عددًا كبيرًا من العرب الأعمال الإبداعية، والقصة على وجه الخصوص، تُرجمت إلى اللغة العبرية، وذلك على الرغم من الإجراءات القمعية التي فرضتها إسرائيل في كثير من الأحيان على الكتاب

---

(١)فن القصة القصيرة رشاد رشدى، ، ص/٣٣.

الفلسطينيين، مثل وجود قطيعة حقيقية في التفاعل الأدبي بين الثقافتين: الثقافة العربية المتأصلة في اللغة والتقاليد الموروثة من الأزمنة الأولى، وفي الثقافة الأخرى التي تبحث عن اللغة المتجددة وتجربتها الحديثة. الذات التي كان اليهود يتوقون إليها لقرون[١] لإيجاد معنى (ولكن غالبًا لتبرير) هذه التجربة الجديدة للسيادة على أساس الفلسطينيين في الشتات على اتصال مباشر مع التجارب الأدبية الراديكالية التي سيطرت على الأدب العربي منذ الخمسينيات، والتي ساهموا فيها بشكل كامل ومباشر في واحدة من أغنى فترات الأدب العربي، وما سينتشر في هذا العالم حتى تميزوا واكتشفوا إمكاناتهم الأدبية الكاملة، كما احتل الشعراء الفلسطينيون المنفيون مكانة بارزة بين شعراء الطليعة في الوطن العربي.

ومع ذلك، لم يتميّز الأدب الفلسطيني تاريخيًا بأيٍّ من هذه الصفات الطليعية، وقد وصف كاتب حديث تطور هذا الأدب في أوائل القرن العشرين قائلاً: "حتى بداية القرن العشرين، كان الشعر مقصورًا على الأخويات، ملفقة الثناء، والمناسبات الاجتماعية الخاصة، وتكررت في المعاني الوراثية والتشبيهات والاستعارات السهلة.، وغياب هموم الإنسان، وينبع من الفراغ النفسي والفكري" [٢].

أما الرواية العربية فقد افتقرت إلى الخبرة التراكمية والشجاعة والسعي للتجريب بهذا الشكل الجديد الذي لم يكن واثقًا من وتيرته، وهو وضع يزداد صعوبة عندما يواجه الكتاب ضرورة سياسية ملحة، حيث يميلون في مثل هذه الظروف إلى تلك الفترة، في وقت مبكر، كان يكافح من أجل تثبيت قدميه، وكان وضعه انعكاسًا لضعفه في معظم الدول العربية، حيث لم ينجح الكتاب بعد في وضع معايير وأشكال لهذا النوع الفني الجديد، ولم يتمكن المؤلفون الطموحون من ترجمة الحقائق. من الحياة العربية المعاصرة إلى فن سردي ذو قيمة جمالية حقيقية. مما لا شك فيه أن هناك تراثًا روائيًا قديمًا في اللغة العربية تم تناقله عبر القرون شفهياً وكتابياً. وعندما نذكر قصص الحب والمغامرة التي ازدهرت في العصر الأموي على وجه الخصوص، قصص كليلة ودمنة من الشخصية الأليجورية، وألف ليلة وليلة، والأضرحة العباسية، القصة الرمزية الفلسفية التي تمثلها قصة حي بن يقظان، فن الحكايات، العديد من

---

(١)الرواية في الأدب الفلسطيني، أحمد أبو مطر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م، ، ص/ ٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص/ ٥٩.

القصص الشعبية البطولية، وآلاف الحكايات الشعبية التي حافظت على ذاكرة الناس العاديين والنساء على وجه الخصوص، يمكننا أن نرى الأدب العربي غنيًا جدًا في هذا المجال. "لكن هذه الأنواع من الفن القصصي تختلف عن الفن الحديث للقصة القصيرة والخيال، وهما فن المجتمع البورجوازي من جهة، ونتاج التراث الذي نشأ بعد اختراع الطباعة من جهة أخرى. الطريقة التي يترجم بها هذان الفنانان عناصر الحياة إلى عناصر سردية تتطلب مقاربة مختلفة لرواية القصص.[١]"

الفن القصصي الفلسطيني

استوحى الفن الروائي الفلسطيني في القرن العشرين، في مراحله الأولى، من القصة الغربية المترجمة إلى العربية في المقام الأول، وكان هذا هو الحال في جميع البلدان العربية، حيث أخذت القواعد الأولى لهذا الفن مباشرة من أولى الأمثلة الحديثة لفن القصة القصيرة والرواية في الأدب الغربي الحديث. بعد ذلك فقط، أي حوالي منتصف القرن، بدأ يلهم أنواع القصص التي يكثر فيها الأدب العربي.

أول جهد مركز لجذب انتباه الكتاب الفلسطينيين ذوي الطموحات الأدبية إلى الرواية وقدرتها على تلبية احتياجات القراء المتزايدة جاء من كتّاب مثل خليل بيدس (١٩٨٥-١٩٤٩) وأحمد شاكر الكرمي (١٨٩٤-١٩٢٧). وجميل البحري (توفي في ريعان عمره. شباب عام ١٩٣٠). يؤثرون عليهم بعدة طرق:[٢]

أولاً: "أنشأ كل منهم مجلته الأدبية وأشرف على تحريرها بنفسه. أصبحت هذه المجلات منابر مبكرة لنشر القصص، والتي تُرجم معظمها من اللغات الأوروبية".

ثانيًا: "عمل هؤلاء الثلاثة في مجال مهم من الترجمة الأدبية: بيداس، الذي درس في المدرسة الأرثوذكسية الروسية في الناصرة، ترجم مباشرة من الأدب الروسي أو من ترجمات روسية لكتاب أوروبيين آخرين مثل ماري كوريلي وفيكتور هوغو". كان الكرمي يجيد اللغة الإنجليزية، لذلك قام بترجمة أعمال أوسكار وايلد ومارك توين، كما ترجم من اللغة الإنجليزية لأعمال الكتاب الأوروبيين مثل جيه دوموباسان، وبرناردين دي سان بيير، وتولستوي،

---

(١)ملف القضية الفلسطينية، سامى هداوى، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٦٨م، ص/٣١.

(٢) العرب في ظل الاحتلال اللإسرائيلي، حبيب قهوجي، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت ١٩٧١، ص/ ٥٦.

وتشيكوف. "أما البحري فقد حوّل العديد من النصوص الروائية إلى نصوص مسرحية، وكان مولعًا بشكل خاص بترجمة القصص البوليسية".

ثالثًا: كتب هؤلاء الكتاب عن النظرية وأكدوا على أهمية الفن الروائي لمجتمعهم الفلسطيني المعاصر. ورأى بيدس أن القصة كانت من أهم ركائز الحضارة، وأسهلها انتشارًا، وقدرتها على التأثير في قلوب الناس ونفوسهم وأخلاقهم وعاداتهم.

في رأيه أن كاتب القصة يجب أن يكتب للجمهور وليس للخصوصية، وبالتالي يجب عليه الاختلاط مع عامة الناس والتعرف على حياتهم ومشاكلهم، لأن الكاتب في نظره هو نبي ذلك. لا يرى آخرون.

كاتب حقيقي [١]هو الذي يعيش من أجل الفن ويكتب من أجل الفن. العمل الروائي الكامل هو العمل الذي يطمح إلى أهداف أسمى، ويرفع من شأن الفضيلة ويشق الرذيلة، ويسعى إلى رفع شخصية القارئ وتنوير عقله. لا شك في أن قيمة القصة تكمن في فائدتها والمعنى الذي تهدف إليه، كما يقول بيدس. وبالمثل، يعتقد أحمد شاكر الكرمي أن الفن الروائي يجب أن يسعى لتحقيق المنفعة الأخلاقية وتقديم نقد بناء للجوانب البالية للمجتمع الفلسطيني في أيامه. ونجد هذا الموقف الأخلاقي أيضًا لجميل البحري الذي لم يتردد في تعديل النصوص التي اشتغل عليها، مستبعدًا ما يعتقده عديم الفائدة من المشاهد الرومانسية التي لا تناسب عيون وآذان الشباب في رأيه.

ونسب لخليل بيدس الفضل في كتابة أول رواية فلسطينية معروفة وهي رواية الوريث التي ظهرت في القدس عام ١٩٢٠، كما كتب بيدس قصصًا قصيرة ونشر مجموعته الأولى بعنوان (آفاق الفكر) في القاهرة عام "١٩٢٤ (مع المقدمة التي ذكرناها أعلاه)[٢].

ويعتبر خليل بيدس، بحق، والد القصة الفلسطينية لما له من جوانب عديدة في الترويج لها. تصور الرواية حياة شاب من عائلة تجارية سورية هاجرت إلى مصر. هناك يقع الشاب في حب راقصة يهودية تصورها الرواية على أنها مصاصة دماء، ويساعدها على ابتزاز المال من

---

(١)مجلة نير الإسرائيلية، ص/ ٣٠ عدد (ت٢، ك١)١٩٢٠.

(٢) القصة القصيرة النظرية والتقنية، أنريكي أندرسون امبرت، ترجمة على إبراهيم على منوفي، المجلس الأعلى للثقافة، د ط، ١٩٩٢م، ص/ ١٥.

الشاب، مجموعة من أبناء شعبها، فيقع في خيوطهم ويغرق في ديون ضخمة. . لكن الرواية لا تتعامل مع الخطر الحقيقي الذي كان يهدد المجتمع الفلسطيني في أواخر العقد الأول من القرن الحادي والعشرين – أي بعد إعلان وعد بلفور مباشرة وبدء الهجرة اليهودية المنظمة إلى فلسطين – بل تقدم نظرة ازدراء لليهود على طريقة شيلك لذلك هم جشعون ولا يترددون في ارتكاب الفظائع من أجل المال. على الرغم من أن الكاتب كان ينوي حقاً تحذير شعبه الفلسطينيين من مخططات اليهود للاستيلاء على أجزاء منها

لقد تعامل وطنه مع الموضوع بشكل غير مباشر، وبالتالي لم يكن له أي تأثير. جعل الشخصيات سورية والمكانة مصرية، وركز على الأخلاق الموروثة والنظرة التقليدية بدلاً من وضع يده على الأبعاد الحقيقية للحركة الصهيونية وما تنطوي عليه هذه الحركة للفلسطينيين.

تم المحاولة الثالثة لمحمد العدناني في روايته على السرير (ط/١، ١٩٦٤، ط /٢، حلب: سعد، ١٩٥٣). "ومحاولة الإسكندر الخوري البنجالي: في قلب الأشياء (القاهرة: مكتبة العرب، ١٩٤٧)".[١]

يعزو البنجالي المحاولات السابقة لكتابة رواية، مثل: "الحياة بعد الموت (القدس ١٩٢٠) التي وصف فيها الأحداث التي وقعت خلال الحرب العالمية الأولى. ضاعت هذه الرواية والعديد من القصص القصيرة الأخرى، المؤلفة والمترجمة، في أحداث عام ١٩٤٨ عندما أجبر بعض الفلسطينيين، نتيجة الهجرة الجماعية، على ترك مكتبات ضخمة".

جدير بالذكر أن بعض الفلسطينيين المعروفين في مجالات أخرى جربوا حظهم في مجال الرواية. على سبيل المثال، كتب المؤرخ المعروف الموسيقار العارف رواية نشرها في القاهرة عام ١٩٤٧ تحت عنوان مارك للمكفوفين، وكتب المؤرخ الشهير محمد عزت دروزة في ما يقال رواية بعنوان The Land Brokers أو بحسب رواية أخرى الملاك الوسيط وأبو مطر (الرواية في الأدب الفلسطيني).

يهاجم السماسرة الذين استدرجوا بعض ملاك الأراضي الفلسطينيين لبيع أراضيهم لليهود. هناك معلومات متناقضة حول نشر هذه الرواية، يقول البعض إنها نُشرت بالفعل عام ١٩٣٤، بينما يشير المؤلف نفسه إلى مخطوطة مفقودة تحمل نفس العنوان. لكن المهم هنا أن

---

(١)حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص/ ١٥.

هذه الرواية تبدو وكأنها الأولى التي كتبت عن الوضع السياسي في البلاد. يرجع جمال الحسيني إلى أنه كتب روايتين: ثريا وخط الحجاز، نشرتا في الثلاثينيات.

ومن اللافت للنظر وجود أسماء عدد من الكتاب والمترجمين في هذه الفترة المبكرة، وأشهرهم أسماء توبي التي نالت مكانة مرموقة ككاتبة من عكا في الثلاثينيات والأربعينيات. ترجمت قصصًا وكتبت عن السلوك الأخلاقي ونشرت لاحقًا في عام ١٩٥٥، أي بعد تخليها عن مجموعة من قصصها القصيرة بعنوان كلمات من القلب، أنتجت عنبرة سلام الخالدي من أصل لبناني ترجمة الإلياذة. التي نشرتها في القدس عام ١٩٤٦. كانت مغامرة شجعت الكتاب الفلسطينيين الناشئين. وهناك امرأة أخرى ولدت وعاشت في لبنان وكتبت في فلسطين، وهي جمال سليم نويهيد الذي نشر عام ١٩٢٢ رواية في حلقات في مجلة دنيا المرأة بعنوان(بنت القمر).[١]

في عام ١٩٣٢ تم نشر سبع عشرة قصة قصيرة في مجلة القدس العربية. بين عامي ١٩٤٣ و ١٩٤٤ كتبت ما يقرب من خمسين قصة قصيرة بثتها إذاعة القدس، ولم ينشر جمال سليم نويهيد الذي كان يميل إلى العزلة باستثناء روايتين من رواياتها العديدة، موكب الشهداء (١٩٥٩) والتغريب في الوطن (١٨٧٠). هناك رواية ثالثة، عرس الجنة مطبوعة، وكثير من روايتها تدور حول المأساة الفلسطينية والآفة التي رافقتها قبل عام ١٩٤٨ وبعده.[٢]

(١) القصة القصيرة النظرية والتقنية العرب في ظل الاحتلال اللإسرائيلي، ص/ ٩١.

(٢)حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص/ ٦١.

الباب الثاني

القصة القصيرة وتطورها فى الأدب الفلسطيني

الفصل الأول: الأدب القصصى الفلسطيني بعد الإحتلال ١٩٤٨م

الفصل الثاني: أنواع القصة عند الكاتبات الفلسطينيات

الفصل الثاني: أشهر مجموعات القصة القصيرة في الأدب الفلسطيني

الفصل الأول

الأدب القصصى الفلسطيني

بعد الإحتلال ١٩٤٨م

الأدب الفلسطيني جزء لا يتجزأ من الأدب العربي الحديث، وقد ساهم بشكل كامل في جميع التجارب الثورية التي شهدها الأدب العربي خلال هذا القرن، ومنذ الخمسينيات على وجه الخصوص، اتسم باختلافات واضحة في بعض الجوانب، لا سيما في علاقته بالمكان والزمان وفي نبرة الخطاب التيارات وانشغاله بالقضية السياسية السائدة. يمكن القول إن الأدب العربي كله مشغول هذه الأيام بالنضال الاجتماعي والسياسي الذي يخوضه الشعب العربي، لكن لا شك أن السياسة تفرض عبئًا ثقيلًا على الكاتب الفلسطيني، حيث يتقرر عادةً أن يعيش هذا الكاتب يكتب ويدعو إلى التزام أكبر بأفكار سياسية محددة وأتباعها. إلى صفوف المعارضة. هناك مشكلة هوية للفلسطينيين لقضاء حياتهم إما في المنفى في دول أخرى، أو مواطنين من الدرجة الثانية في إسرائيل إذا بقوا في أرض أجدادهم، أو إذا فقدوا، قبل قيام الدولة الفلسطينية، لأنهم كانوا مواطنين كاملين عندما كانوا يعيشون تحت الاحتلال العسكري الإسرائيلي في الضفة الغربية وغزة بالطبع، هناك العديد من الكتاب العرب الذين اختاروا العيش في المنفى حول العالم بسبب ظروف القمع السائدة في العديد من الدول العربية، لكن هناك أعدادًا أكبر بكثير من أولئك الذين يعيشون – على عكس الفلسطينيين – في سيادتهم الكاملة.

عندما نتحدث عن الأدب الفلسطيني المعاصر، فإننا في الواقع نواجهه بأدبين: أحدهما أنتجه الكتّاب الذين يعيشون على أرض فلسطين التاريخية [(١)]، والثاني أنتجه كتّاب يعيشون في الشتات. في عام ١٩٤٨، تمزق الثقافة الفلسطينية ذات الجذور العميقة وبقيت الروابط المباشرة. بين كتاب عرب يكتبون في (إسرائيل) وكتاب يكتبون في المنفى. تقريبا غير موجود منذ ما يقرب من عشرين عاما. وكانت الحياة مختلفة في ظل الاحتلال الأجنبي (إسرائيل). وهي تختلف بشكل كبير في بعض النواحي عنها في الأردن (الذي ضم الضفة الغربية وحيث تعيش غالبية فلسطينية) أو في الشتات في بقية الدول العربية، حيث تعيش أعداد كبيرة من الفلسطينيين في المنفى كلاجئين. لقد اعتادت معظم الدول العربية على اللجوء إلى أساليب القمع في معاملة الفلسطينيين على الرغم من انشغالهم السياسي والعاطفي بالقضية الفلسطينية، الأمر الذي خلق العديد من المشاكل غير المسبوقة

(١) القصة القصيرة النظرية والتقنية، ص/ ٥٦.

للفلسطينيين. لكن جناحي الثقافة الفلسطينية في أرض فلسطين نفسها التقيا بعد أن فتحت الحدود بين إسرائيل والضفة الغربية وقطاع غزة بعد حرب ١٩٦٧م، وفهم كل منهما تجربة الآخر تمامًا، وصوره وكأنه كانت تجربته الخاصة.

الاختلافات الثقافية

ومع ذلك، ظلت بعض الاختلافات الثقافية. "الكتاب العرب في (إسرائيل)، الذين نشأوا في ثقافة غربية حول ثقافتهم الخاصة ومعظمهم تعلم العبرية كلغة ثانية"، طوروا وجهة نظر ربما أثرت على كتاباتهم[١] أيضًا، يجب أن نلاحظ أن عدداً كبيراً من الأعمال الإبداعية العربية، والقصة على وجه الخصوص، تُرجمت إلى العبرية، على الرغم من الإجراءات القمعية التي فرضتها إسرائيل في كثير من الأحيان على الكتاب الفلسطينيين، مثل وجود انقطاع فعلي في التفاعل الأدبي بين الثقافتين: العربية الثقافة المتجذرة في اللغة والتقاليد الموروثة من الأزمنة الأولى، وثقافة الآخر، التي تسعى إليها كل من اللغات المتجددة وتجربتها الحديثة (وهي تجربة تحقيق الذات التي كان اليهود يتطلعون إليها لقرون لخلق معنى (ولكن في كثير من الأحيان لتبرير) هذه التجربة الجديدة للسيادة على أساس الفلسطينيين في الشتات في اتصال مباشر مع الخبرات الأدبية الراديكالية التي سيطرت على الأدب العربي الصادق فى الخمسينيات، والتي ساهموا فيها بشكل كامل ومباشر في واحدة من أغنى فترات الأدب العربي، وبمجرد انتشارهم في هذا العالم، بدأوا يميزون أنفسهم ويكتشفون إمكاناتهم الأدبية الكاملة، مثل الشعراء الفلسطينيين المنفيين. احتلت الصدارة بين الشعراء الطليعيين في العالم العربي.

الأدب الفلسطيني قبل سنة ١٩٤٨م

كان الفن الروائي الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨م بأشكاله الحديثة (قصة قصيرة ورواية) لا يزال في مراحله التجريبية، في النصف الأول من القرن العشرين. الأدب هو عملية تراكمية، لأنه نتاج المؤلفين الناشئين الذين يستجيبون للتأثيرات الخارجية أو رغبتهم الكامنة في التطور. أما الرواية العربية فقد افتقرت إلى الخبرة التراكمية والشجاعة والسعي إلى التجريب بهذا الشكل الجديد الذي لم يكن واثقًا من وتيرته – وهو وضع يزداد صعوبة عندما يواجه

---

(١) رواية سحر خليفة، ترجمة لبروتا (Prota)، Wild Thorns: Saqu Books, London,

الكتاب ضرورة سياسية ملحة، كما يميلون. في مثل هذه الظروف، فقد كافح في الفترة المبكرة لتثبيت قدميه، "وكان وضعه انعكاسًا لضعفه في معظم الدول العربية، حيث لم ينجح الكتاب بعد في وضع معايير وأشكال لهذا النوع الفني الجديد، ولم يتمكن المؤلفون الطموحون من ترجمة حقائق الحياة العربية المعاصرة إلى فن خيالي ذي قيمة جمالية حقيقية. مما لا شك فيه أن هناك تراثًا روائيًا قديمًا في اللغة العربية تم تناقله عبر القرون شفهياً وكتابياً. وعندما نذكر قصص الحب والمغامرة التي ازدهرت في العصر الأموي على وجه الخصوص، وقصص كليلة ودمنة ذات الطابع اليجوري"[١]، ألف ليلة وليلة، مزارات عباسية، قصة رمزية فلسفية ممثلة بقصة حي بن يقظان، فن الحكايات، العديد من القصص الشعبية البطولية، وآلاف الحكايات الشعبية المحفوظة في ذاكرة الناس العاديين – والنساء على وجه الخصوص. لذلك يمكننا أن نرى أن الأدب العربي غني جدًا في هذا المجال. لكن هذه الأنواع من الفن القصصي تختلف عن الفن الحديث للقصة القصيرة والخيال، وهما فن المجتمع البورجوازي من جهة، ونتاج التراث الذي نشأ بعد اختراع الطباعة من جهة أخرى. الطريقة التي يترجم بها هذان الفنانان عناصر الحياة إلى عناصر سردية تتطلب مقاربة مختلفة لرواية القصص.

يبدو أن الفن الروائي الفلسطيني في القرن العشرين كان مستوحى، في مراحله الأولى، القصة الغربية المترجمة إلى العربية في المقام الأول، وكان هذا هو الحال في جميع الدول العربية، حيث أخذت القواعد الأولى لهذا الفن مباشرة من أول الأمثلة الحديثة لفن القصة القصيرة والرواية في الأدب الغربي الحديث. بعد ذلك فقط بدأ يلهم أنواع القصص التي تكثر في الأدب العربي، حوالي منتصف القرن.[٢]

كانت هناك محاولات عديدة أخرى في مجال الرواية في فلسطين العربية، لكن هذه الأعمال لم تكتسب أهمية خاصة في الأدب الفلسطيني في ذلك الوقت. أولاً، لأن الشعر كان لا يزال مهيمناً على الساحة الأدبية، وثانياً لأن هذه المحاولات كانت لا تزال في مرحلة التجربة، لذلك لم تنتج أعمالاً أدبية قادرة على إثارة اهتمام واسع[٣]، ومع ذلك، هناك عدد

---

(١) هذه قصص أليغورية(ترميزية) ترجمها عن الفارسية بالدرجة الأولى الكاتب ابن المقفع الذى عاش فى القرن الثامن، والذى شكّل أسلوبه النّاصح البيان، الثهل عن الفهم الممتنع عن التقليد.

(٢) الرواية فى الأدب الفلسطينى، أحمد أبو مطر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٨م، ص/٢٣.

(٣) المصدر السابق، ص/٥٦.

من النقاط التي تستحق الاهتمام النقدي. في المقام الأول، كان الاتجاه التعليمي والوعظي هو السائد في معظم الأعمال المعنية، وهي الأعمال التي تتعارض تمامًا مع مبادئها الأساسية – أي الثقافة الأوروبية للمهاجرين اليهود الأوروبيين في تلك الحقبة.

إذا أخذنا في الاعتبار، في ضوء ما سبق، انتشار المشكلات الاجتماعية على المشكلات السياسية في القصص المكتوبة قبل عام ١٩٤٨، يصبح هذا شيئًا يمكن فهمه. وبالمثل، لم يجد الكتاب الفلسطينيون، الذين مروا بتجربة الكتابة في هذا المجال، أمثلة جاهزة ليقتدوا بها، لأنهم تأثروا بالرواية الغربية التي لم تكن على علم بالالتزام السياسي بارتباطها بمزيد من الهدوء والطمأنينة. العهود.

الأدب الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨م

ربما كانت النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨، بصدماتها النفسية والجسدية المدمرة، الحدث الأول الذي يمكن وصفه بدقة "بأنه نقطة تحول في الأدب العربي الحديث على مستوى العالم العربي كله". يمثل هذا الحديث خطاً فاصلاً بين وقت كان فيه هدوء نسبي وثقة زائفة وأمل، وزمن شهد وعياً بالذات مفجراً، ويأس سائد، وقلق، وشك عميق، واضطراب عام.

لكن النكبة فتحت الأعين كما بدت مع الإدراك المفاجئ لإفلاس النظام العربي القديم. [(١)]،ولدت قوة جديدة من ثنايا العذاب، وهذا النوع من الإرادة للعيش والرغبة في تجاوز الفجيعة نشأت مما يعرفه الناس فقط من مر بتجربة الخسارة والمأساة. لقد ظهروا فجأة في كل الفلسطينيين والعرب خلال الخمسينيات وشكلوا تحديًا قويًا للذات وللعديد من المؤسسات الثقافية والاجتماعية والسياسية الموروثة بطريقة ما لا يمكن تصوره في الأربعينيات، وعلى الصعيد السياسي، "شهدت المنطقة ثورات وانقلابات متكررة غيرت خريطة المنطقة السياسية. حدثت عدة انقلابات في سوريا، بينما أنهت الثورة المصرية الكبرى عام ١٩٥٢ حكم الملك فاروق والنظام الاقتصادي البالي والقاسي الذي كان سائداً في ذلك الوقت. في العراق"، أنهت ثورة ١٩٥٨ حكم الأسرة المالكة الهاشمية وأدخلت نظام الجماهيرية. في

(١) الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، ص ٨٨.

الجزائر، كانت ثورة العشر سنوات ضد الاستعمار الفرنسي الراسخة الجذور وبلغت ذروتها بالنصر في عام ١٩٦٢ مصدر ثقة وفخر في عالم عربي في حاجة ماسة إلى استعادة الثقة بالنفس. في أواخر الستينيات، نجح اليمن (الجنوب عام ١٩٦٧ والشمال عام ١٩٦٩) في إنهاء حكم الأئمة المظلم، الذي أغرق البلاد في الفقر المدقع والحمأة الرجعية. كان الطموح. كان التطلع إلى التحرر والحرية واضحا في كل مكان وعلى الجبهتين الداخلية والخارجية .[١]

أما على الصعيد الاجتماعي، "فقد شهدت المنطقة شجاعة جديدة وضعت النظام الموروث موضع تساؤل، وتحدت الاتجاهات القمعية فيما يتعلق بالحب والجنس، وكل شيء تحدى مكانة المرأة ودورها في المجتمع. هذا الشوق الملح للحب الفردي والسعادة"، والذي عبر عنه الشعر الرومانسي في العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات، لم يعد تعبيراً مؤثراً في العالم العربي كله. "تم تخفيف القيود المفروضة على السلوك الجنسي – على الأقل بين المفكرين والكتاب المبدعين" (وكذلك بين الرسامين والنحاتين الذين تتزايد أعدادهم باستمرار)، وبدأ الناس في الانشغال بقضايا السياسة والمصير القومي، وهي أمور لها توجه مباشر. التأثير على الأدب.[٢]

"شكلت مأساة عام ١٩٤٨ تحديًا للتراث الأدبي، وأتاحت الفرصة للمفكرين والمثقفين لإخضاع هذا التراث للتدقيق النقدي. دقتها هي قيمة هذا الأدب الكلاسيكي الغني والمتنوع".[٣]

كانت القصة القصيرة تتطور بوتيرة ثابتة، وأصبحت أكثر دقة ودقة مع ظهور المزيد من الكتاب المثقفين، مسلحين بشجاعة أكبر، ومعرفة أوسع بالأشكال الجديدة في القصة العالمية والنظريات الجديدة التي ظهرت حولها. على الرغم من أن القصص التي كتبها فلسطينيون (والعديد من الكتاب العرب) تعكس في كثير من الأحيان الوضع الجديد من حيث الموضوع، لا يوجد دليل على أن تطورهم الفني في الخمسينيات قد تسارعت بسبب المأساة.[٤]

---

(١) العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي، ص/ ٥٢.

(٢) المصدر السابق، ص/٧٩.

(٣) الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، ص ٢١٨.

(٤) المصدر السابق، ص/٩٧.

الفن القصصي بعد عام ١٩٤٨م

التجارب المبكرة في الفن الروائي الفلسطيني، وهي التجارب التي تحدثنا عنها في القسم السابق، لم تسفر عن أمثلة رائعة لتقليدها، وللناقد أن يستنتج من ذلك أن الفن الروائي الفلسطيني بعد عام ١٩٤٨ قد تأثر بشكل كبير من خلال الأمثلة القصصية الجيدة التي ظهرت في عدد من الدول العربية خلال هذه الفترة. يعزز هذا الاستنتاج حقيقة أن الفن الروائي الفلسطيني في الخمسينيات، مثل نظيره العربي بشكل عام، ركز على القصة القصيرة أكثر من الرواية – على عكس الوضع الذي كان عليه في وقت مبكر هذا الفن في فلسطين. أربعة من كتاب القصة المعروفين كانوا يعيشون خارج فلسطين خلال هذه الفترة. "وهم محمود سيف الدين الإيراني، وجبرا إبراهيم جبرا، وسميرة عزام، وغسان كنفاني".[١]

سميرة عزام

أما سميرة عزام (١٩٢٤ – ١٩٦٧) فهي ثالث كاتبة فلسطينية في القصة اشتهرت في الخمسينيات. ولدت في مدينة عكا الساحلية، وأجبرت على مغادرة وطنها أثناء الهجرة عام ١٩٤٨. "قبل وفاتها المبكر عام ١٩٦٧، عاشت في قبرص أولاً كموظفة في إذاعة الشرق الأدنى العربية، والتي كانت تُدار من قبل البريطانيين، ثم في بغداد، وأخيراً في بيروت، حيث نشطت في الحركة الأدبية في تلك المدينة الأدبية". تجربتها الأدبية مستمدة من رؤية واقعية للحياة، لكنها وجهة نظر تحكمها ضوابط أدبية، وقد برعت في تصوير العديد من جوانب التجربة الإنسانية، بما في ذلك التجارب المتنوعة للمرأة في الثقافة العربية، وتميز أسلوبها بالدقة والإيجاز والوضوح والبعد عن الانفعال المفرط والعرض والابتذال. تنبثق قصصها من الملاحظة الدقيقة للسلوك البشري، لا سيما في الجوانب الشمولية، وأحيانًا، ولكن بمزيد من الدقة، في تلك الجوانب ذات الطابع الفلسطيني.[٢] وكانت بارعة في شرح التغيير الحتمي الذي حل بأبطال الأبطال – وهو سمة مميزة للقصة القصيرة الجيدة. قطعها دموع للبيع مثلا [٣] يقدم معالجة مفصلة لقضية إنسانية عامة في إطار الشرق الأوسط. في هذه القصة، تصف رد

---

(١) الأدب وفنونه دراسة ونقد، عز الدين اسماعيل، ص/ ١٢١.

(٢) الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، ص/ ١٢٠.

(٣) حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص/٩.

الفعل المتناقض لامرأة تبكي على الموتى. تتطلب مهنتها أن تبكي في الجنازات وتبكي الآخرين، لكنها تفشل في كل التوقعات عندما لا تستطيع ذرف دمعة واحدة عند وفاة ابنتها الوحيدة. القصة في هذه المجموعة، خبز الفداء، هي إحدى القصص التي كتبتها عن التجربة الفلسطينية، ومثل العديد من قصصها الأخرى، فهي تعبر عن المفارقة المتأصلة في المآزق الإنسانية المعقدة أثناء الاضطرابات العنيفة.

بدأت سميرة عزام الكتابة عام ١٩٤٨، ويتضح من أعمالها ومن أعمالها الروائية المبكرة أن وعي الكتاب الفلسطينيين خلال تلك الفترة بالأحداث الخطيرة التي كانت على وشك الاستيلاء على حياتهم وحياة كثيرين آخرين، كان محدودًا الوعي.[١]

إذا قارنا الأعمال المكتوبة في تلك الفترة المبكرة قبل ١٩٤٨ وبعدها مباشرة، وأعمال الكتاب الفلسطينيين بعد حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧، بما في ذلك جبرا نفسه (منذ وفاة سميرة عزام عام ١٩٦٧)، يتضح لنا كيف بدأ الوعي السياسي لكسب المزيد من السيطرة على الكتاب الفلسطينيين في كل مكان، وكيف ارتفع مستوى التوقعات السياسية لجمهورهم إلى نفس الدرجة.

كانت القصة القصيرة العربية، على عكس الشعر العربي، إبداعًا واعًيا تحرر فنياً من قبضة التراث الراسخ بعمق، إلا أن القصة القصيرة الفلسطينية وجدت نفسها، مع تنامي الوعي السياسي، أسيرة للوضع الوجودي الذي يعيشه الفلسطينيون، وسرعان ما خلقت تقاليد تتعلق بالموضوعات وقائمة على واقع التجربة الفلسطينية، وبالتالي خسرت. جزء من الحرية التي تتمتع بها القصة القصيرة ليس فقط في الغرب، ولكن في بقية أنحاء العالم العربي، حيث ظلت القصة أكثر حرية في اختيار التجارب التي تتناولها.

سميرة عزّام وجبرا

عندما بدأ كل من سميرة عزام وجبرا الكتابة، كانا لا يزالان يتمتعان بهذه الحرية، على الرغم من أن سميرة عزام كانت، بسبب رؤيتها الشاملة للتجربة الإنسانية، أكثر تمثيلًا

(١) المصدر السابق، ص/٩١.

لإمكانات الثقافة العربية الأوسع. لو قارنا أعمال سميرة عزام بأعمال جبرا التي تفوقت عليها في التعقيد والمهارة، لقلنا أن جبرا ترجم الواقع، في عدة قصص من عرق، إلى واقع آخر لا علاقة له به في الغالب، بينما بقيت سميرة عزام وفية لإمكانيات الحياة الواقعية في العالم العربي، لكنها ارتقت به إلى مرتبة الفن بالإضافة إلى أن بعض قصص جبرا في أراك لا تصل، من الناحية الفنية، إلى لحظة يتلاشى فيها التوتر، لكي ترى العالم في حبة رمل – كما يقال – بل تسعى، كما في أصوات ليلة، لتقديم نظام كامل للأفكار في قصة واحدة. أما سميرة عزام، فهي تمارس الانضباط الناجح الذي تفرضه على نفسها، وهو نظام يتطلبه الشكل الفني الجديد – القصة القصيرة في هذه الحالة – ويجب أن يكتشف بنفسه قواعده ومبادئه. يعكس عملها احترامًا عميقًا لأدواتها الفنية والتزامًا بمبادئ القصة القصيرة كشكل فني يسعى لالتقاط لحظة من الواقع، حيث يصور بدقة مرحلة من العمل ويحافظ – كما تقول إليزابيث بون – على دلالة موضوعية وليس السرد الشخصي. لا تحتوي أعمال سميرة عزام على بلاغة، أو تألق في الأسلوب، أو عمق أفكار جبرا، وأفضل أعمالها تلك التي تصور تجارب اجتماعية شاملة (والأنثوية على وجه الخصوص)، ولكن عندما تتعامل مع التجربة الفلسطينية، فإن القصص القصيرة هي أفضل تمثيل للقصة القصيرة الفلسطينية في عقدي الخمسينيات والستينيات، باستثناء قصص غسان كنفاني.

القصة في الضفة الغربية

سيطرت أعمال جبرا وكنفاني وسميرة عزام – وجميعهم يعيشون في الشتات – على ما أنتجه الفلسطينيون في القصة قبل عام ١٩٦٧. أما القصة التي كتبها الفلسطينيون في الضفة الغربية وكانوا آنذاك تحت الحكم الأردني، أو أن الفلسطينيين كتبوا في الخمسينيات من القرن الماضي، أنها عانت من بعض علامات الضعف من حيث الشكل والمضمون. ومع ذلك شهدت الستينيات ظهور عادة خيالية جديدة في هاتين المنطقتين تطورت بعد بضع سنوات وازدهرت في أعمال عدد من الكتاب الذين يتمتعون الآن بثروة من الشهرة.[١]

(١) الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، ص/ ٩٠.

في الضفة الغربية، "اشتهر كتاب مثل محمود شقير وخليل السواحري ورشاد أبو شعور ويحيى يخلف في الستينيات. في الفترة التي أعقبت حرب ١٩٦٧، أي بعد احتلال (إسرائيل) للضفة الغربية، هاجر الكثير منهم إما طوعا أو قسرا – كما حدث لشقير والسواهري اللذين طردتهما إسرائيل"، وهذا مؤشر على تأثير كتاباتهم على القراء من حولهم، تأثير كان يقتصر في السابق على الشعر[١].

في إسرائيل نفسها، ركز النشاط الروائي في الخمسينيات – كما كان قبل عام ١٩٤٨ – إما على ترجمة الأعمال الروائية الغربية أو على التقليد المباشر للنماذج الغربية في القصص المؤلفة. ومع ذلك، شهدت أواخر الستينيات ظهور إميل حبيبي، الكاتب السياسي البارز والعضو النشط في حركة الراكة – الحزب الشيوعي الإسرائيلي – وأصبح حبيبي لاحقًا أحد أشهر كتاب القصص في العالم العربي – خاصة بعد ظهور الغرب. حقائق حول اختفاء سعيد ابي النحاس المتشائم (١٩٧٤)[٢] ،وهي من أكثر الروايات أصالة في الأدب العربي الحديث. ومن بين الكتاب الذين ظهروا في هذه الفترة توفيق فياض ومحمد نافع ومحمد علي طه.[٣]

سحر خليفة

كان ظهور الروائية سحر خليفة في الضفة الغربية حدثًا مرحبًا به. سحر خليفة كاتبة لا مثيل لها من قبل فلسطينية أخرى كتبت في قدرتها على استحضار الإيقاعات واللهجات والمفردات وأنماط التفكير لدى مختلف فئات سكان المدن الفلسطينيين، والعمال البسطاء والمثقفين على حد سواء. وتكشف سحر خليفة عن قدر كبير من الذوق الفني من خلال تنويع اللغة حسب المكانة والمستوى التعليمي للشخصية المصورة. أما عن وصفها لحياة شخصياتها، في منطقة نابلس (مسقط رأسها)، حيث تعيش الشخصيات عادة فيما بينها، فهو وصف يشبه الحياة وينطبق على الواقع بكل تفاصيله، ولكنه في نفس الوقت كذلك. يتم بطريقة فنية تحافظ على الإيجاز والتوتر اللازمين لنجاح العمل الأدبي. ركزت سحر خليفة

---

(١) فى نقد الأدب الفلسطيني، نبيل خالد أبوعلي، دارالمقداد، غزة، ط١، ٢٠٠١م، ص/١٢٣.

(٢) دفاع عن الأدب الفلسطيني، ميشيل جبران، مجلة الأديب،الجزء الثاني، السنة الرابعة، الناصرة، ١٩٤٥.

(٣) المصدر السابق، ص/٦٧.

على قضيتين أساسيتين: النضال الفلسطيني ونضال المرأة من أجل التحرر. وبين وصف إميل حبيبي وضع الفلسطينيين تحت الاحتلال داخل إسرائيل نفسها (خاصة في روايتها الصبار ١٩٧٦ و عبّاد الشمس ١٩٨٢م.[١]

وصف الوجود الفلسطيني المعقد والمحاصر في الوطن نفسه كامل. أفضل أعمال سحر خليفة عن المرأة هي رواية "مذكرات امرأة غير واقعية" (١٩٨٦)، حيث تبحث في مشاكل طموح المرأة والقيود المفروضة عليها، وكذلك تستخدم لغة مناسبة لخطاب المرأة في منطقتها. وكذلك يكشف عن القيم الثقافية التي تخترق أعماقهم. توضح سحر خليفة، وخاصة في عباد الشمس، الترابط الوثيق بين النضال السياسي والنضال النسوي، كما تظهر قدرة كبيرة على تصوير تلك الشخصيات التي يجب عليها، بحكم الظروف المحيطة بها، تغيير مواقفها، وتلك التي تمثلها. تمثل الأنماط الثابتة التي لا تغير من زهدي وأسامة في الصبار هذين الأسلوبين على التوالي.

من السمات البارزة للأدب الفلسطيني خلال السنوات الأخيرة، سواء كتب في الشتات أو في الداخل، عدم تناوله للقضايا العربية الكبرى، وهو وضع أصبح أكثر وضوحًا على مر السنين (لم يكن هذا هو الحال في الخمسينيات) والستينات، عندما كان رد الشعراء الفلسطينيين على وجه التحديد، فإن أحداث العالم العربي لا تقل عن تجاوبهم مع التجربة الفلسطينية)[٢] تتجلى هذه الخاصية بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بدول الخليج، حيث ذهب الفلسطينيون، إلى جانب غيرهم من العرب، للعمل في مجال التعليم أو في وضع البنية التحتية في البلدان التي تم إثرائها واستيقاظها حديثًا مع ظهور النفط في العالم الحديث[٣].

بدأ الأدب الفلسطيني في التراجع نحو الذات أكثر مع تفاقم الأزمة الوطنية بعد حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧م، لكن كتاب الشتات الذين عاشوا في بلدان مثل العراق ولبنان ظلوا على صلة وثيقة بما يحدث في البلدان التي يعيشون فيها. تصور روايات جبرا، على سبيل المثال، مجموعة متنوعة من المثقفين من لبنان والعراق، كما تخيلت ليانا بدر، في مجموعتها

---

(١) تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص/٦٧.

(٢) موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ياسين كتاني، الجزء الرابع، مجمع القاسمي للغة العربية و آدابها، ٢٠١١م، ص/ ٢٦.

(٣) تطور القصة القصيرة فى مصر، سيد حامد النساج، دارالمعارف، مصر، ١٩٨١م، ص/ ٣٥.

الجميلة المكونة من ثلاثة أجزاء، فيراندا علي الفخاني (١٩٨٣م)، وهي ثورية تونسية تعيش في بيروت، تحارب، و تموت من أجل القضية الفلسطينية [١]. رشاد أبو شاور في مذكراته عن الغزو الإسرائيلي عام ١٩٨٢م بعنوان (يا بيروت!) (١٩٨٣م) يقدم لنا شخصيات من دول عربية وغير عربية. تتضمن هذه الإجراءات إحساسًا بالتماهي مع العرب الآخرين، وليس فقط مع جنسيات عربية محددة. من الواضح أن الكتاب الفلسطينيين سيستمرون في الشعور بهذا الارتباط مع الثوار والفقراء والمنفيين، وكذلك مع المثقفين، كما في أعمال جبرا. ولكن على الرغم من حقيقة أن العديد من الكتاب الفلسطينيين عاشوا وعملوا في دول الخليج لسنوات عديدة، إلا أنهم لا يشعرون بالتماثل مع مواطني هذه الدول الغنية حديثًا. والصور التي يقدمونها عن الحياة في الخليج تبقى دائما سلبية. الكتاب القلائل الذين تضم رواياتهم شخصيات من تلك المنطقة يصورون هذه الشخصيات على أنها متخلفة ثقافيًا أكثر من غيرها. هذا ما نجده، على سبيل المثال، في رواية "براري الحمى" لإبراهيم نصرالله، حيث يحيط الشخصية الرئيسية بعالم من الجهل والقسوة والتخلف، وكذلك الحال في رواية يحيى نجران تحت الصفر.

يعبر الأدب الفلسطيني في الشتات عن إحساس عميق بالمكان والارتباط به، وغالبًا ما يتم تصويره في مواجهة مشاهد من المنفى. وعندما يركز الكتاب على استعادة مكان ثابت – قراهم أو مدنهم – فإنهم يفعلون ذلك على سرير متنقل من المنفى يطفو في عالم غالبًا ما يتسم بالعداء و الاستقرار المطلوب يستحضر هذا أيضًا لمحات من الشعر العربي القديم، حيث يصور الشاعر الصحراء اللامحدودة بوضوح ويلهم الخوف – إنها مكان خطر مترامي الأطراف ومشبعة بحرارة الشمس الحارقة – ولكنها في النهاية تقودنا إلى المكان المطلوب [٢].

الآن، يشبه الشعراء الصحراء الشاسعة بالشتات، حيث يجب على الفلسطيني المنفي أن يتخذ لنفسه حضورًا في انتظار العودة إلى تلك البقعة الصغيرة المستقرة على الخريطة، والتي تفصل بينها مخاطر وأهوال الرحلة الشاقة عبر الأراضي القاحلة.

---

(١) المصدر السابق، ص/٦٧.

(٢) المصدر السابق، ص/٦٢.

الأدب الفلسطيني المعاصر

يشكل الأدب الفلسطيني المعاصر مساهمة غنية وفعالة في الثقافة العربية الحديثة، مساهمة نابضة بالحياة والإبداع. تطور هذا الأدب في مجال الفن الروائي بشكل مشابه لتطوره في الأدب العربي الحديث بشكل عام، وكانت بعض تجاربه الطليعية، مثل تجارب غسان كنفاني وجبرا إبراهيم جبرا وإميل حبيبي وإبراهيم نصر الله، مساهمات بناءة للتجارب التي تحدث باستمرار في العالم العربي، وفي بعض الحالات. أنتج الفن الخيالي الفلسطيني معالجات فريدة لا مثيل لها في الأدب العربي، على سبيل المثال رواية إميل حبيبي، وقائع اختفاء سعيد أبي النحاس، والمتشائم، وإبراهيم نصرالله. يستمر العمل التجريبي في مجال الرواية بحيوية وحيوية تامة.

الظروف الخاصة التي يعيشها الفلسطينيون، حيث يقعون ضحية للتشويه باستمرار، وتتعرض هويتهم للمحو المستمر، دفعت العديد منهم بشكل غريزي إلى إنتاج العديد من أشكال الشهادات الشخصية، وهو النوع الذي يعد بالمساهمة بحصة إبداعية كبيرة في أغنياء الأدب العربي الحديث.

الأدب الفلسطيني تحت الإحتلال

مرّ الأدب الفلسطيني تحت الاحتلال الإسرائيلي بتجربة غنية يمكن تميزها، حيث تتامي الإبداع الأدبي للحركة الأسيرة مع تتامي حدّة التناقضات والصدامات في تلك السجون الصهيونية[١]، وعكس الإنتاج الأدبي للمتعلقين حقيقية الواقع الاعتقالي، الذي تميز بحجم المعاناة التي عاشها الكثير من أبناء الشعب الفلسطيني.

وقد نضج هذا الأدب الفلسطيني نتيجة مسيرة تقيفية طويلة وشاقة تفاعلت مع واقع السجن الاجتماعي والتربوي والفكري، هذا الواقع الذي فرضته الحاجة لخلق حركة أسيرة قادرة على تحمل تبعة إدارة الصراع ضد السجان، محاولة، قدر الإمكان، تخفيف الظروف القاتلة المفروضة عليها، فقد استخدمت السلطات الإسرائيلية وسائل الشعبة لتنفيذ سياساتهم المتمثلة في التعامل مع المعتقلين الفلسطينيين كمجرمين ومخربين يجب تحطيمهم، وفرضت

(١) السجون وآثارها فى الآداب العربية، واضح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات، ١٩٩٥م، ص/١٤٥

سلطات الاحتلال حصارا ثقافيا على المعتقلين، في البداية، ومنعتهم من امتلاك القلم والدفتر والكتاب، وحرمتهم من كل أنواع الثقافة.

وفي المقابل خاص المعتقلون الفلسطينيون، مواجهات عنيفة مع السجانى، من أجل تحسين شروط الحياة الثقافية، حتى سمح لهم بإدخال الكتب بعد أن يتم إخضاعها للرقابة، ولكن ملاحقة الثقافة ظلت مستمرة، فسعت إدارات المعتقلات إلى إجراء تفتيشات بهدف مصادرة كتابات المعتقلين، وإنتاجاتهم، ماكان يضطر المعتقلين إلى إخفاء أو حرق تلك المواد لحظة التفتيش.

ولعل هذا الأدب الذي أنتجه السجناء الفلسطينيون في زنازينهم يتميز بالصدق والإنسانية، فهو يعتمد أسلوب التأثير الذي يهز المشاعر، لمأساة الأحداث التي تمر بالسجن، فالإبداع الفني في الغرف المعتمة، وبين خيام معسكرات الاعتقال ليس من باب الترف، أو النزهة، كما أنه لم يكن من أجل التسلية وقضاء الوقت، وإنما كان الإبداع الفني في الأسر تعبيرا عن الواقع المسيّج بالأسلاك الشائكة والذكريات، فانفعالات السجين تنتج عملاً فنياً مليئاً بالعاطفة الجياشة، التي تستطيع التحليق والقفز فوق الأسلاك الشائكة واجتياز القبضان.[١]

ارتقى الإنتاج الأدبي لمبدعي الحركة الأسيرة الوطنية كظاهرة، تطورت تدريجياً بدأ بالبيان، حتى العمل الأدبي المتكامل من قصيدة وقصة قصيرة ورواية، فظاهرة فريدة ولافتة للنظر، التفاعل الاجتماعي الفكري والتربوي مع واقع الأسر كحاجة فرضتها ظروفه، والضرورة لخلق حركة أسيرة وطنية عالية التنظيم والتماسك، قادرة على تحمل تبعة إدارة الصراع ضد السجان، مخففة، قدر الإمكان، للظروف القائلة المفروضة عليها.

قد لا تتوفر للأديب الأسير الشروط الأكاديمية، من وجهة نظر المثقفين، لكن ذلك لا يقلل أبدا من قيمة افتراضنا كون الكتاب والمبدعين الأسرى لم يكتبوا ترفا، أو تخيلا، بل عكسوا في إنتاجهم رؤاهم فيما يجري من قلب المعاناة، ومن جحيم الحرمان المطبق على كل شيء حتى على الأنفاس.

---

(١) الإبداع الفني خلف القبضان، (ورشة عمل)،فايز أبو شالة، ص/٧، رام الله المركز الفلسطيني لقضايا السلام والديمقراطية، ٢٠٠٢، ص/٤٥.

استطاع مبدعو الحركة الوطنية الأسيرة، تجاوز كثير من المعيقات، خلال استمرارية العملية التنظيمية، التي بدأت تقولب مفاهيم جديدة في شخصية الإنسان الفلسطيني الأسر، وفي هذا الجو المفعم بالنضال، انتفت إرهاصات أدبية ذات أهمية قصوى في حياة الأدب الأسير، اتخذت من تشجع الكتابة قاعدة لها، للانطلاق قدما، في عملية تثوير وجدانية أدبية متأثرة بما يحيط بها(١).

فالمعتقل الفلسطيني، طيلة سني اعتقاله لم يجلس فست زاوية من غرفة الاعتقال يقرض أظفاره في انتظار لحظة الإفراج، بل عمل على مختلف المستويات النضالية والثقافية من أجل تحسين ظروف اعتقاله، وعمل كذلك من أجل استثمار وقته فيما يفيد المجتمع الاعتقالي ككل. كما إن الأدب الإعتقالي، الذي نشأ في ظروف لها خصوصيتها، فهو جزء من أدب المقاومة، ومرتبط به، فالأقلام التي أنتجت هذا الأدب أقلام محسومة للثورة، ضحى أصحابها وعانوا في سبيل القضية الفلسطينية.

أنتج الأدباء الفلسطينيون في المعتقلات أدبا جسّد معاناة الفلسطيني بكل أبعادها، وأشكالها، فصور حياة الإنسان الفلسطيني، وأسهمت القصائد والقصص التي نجحت في التحرير من الأسلاك الشائكة في عملية التحريض ضد الاحتلال، كما استطاع أن يعكس واقع المعتقلين، بطريقة أدبية فنية، فجسد بذلك تضحيات المعتقلين الفلسطينين وتجاربهم، بصور وتشبيهات، ورموز فنية، تعكس تجربة أدبية عالية، فاستحق، بذلك أن يكون أدبا مميزا في الأدب العربي، بشكل عام، والفلسطيني بشكل خاص.

وقد كان الشعر أكثر استجابة للتعبير عن المعاناة، لأنه ابن اللحظة، ويتعامل مع اليومي والمؤثر السريع، ويمكن تناقله حفظا لاشتماله على الإيقاع، وسعت القصة القصيرة في صياغتها إلى الإخبار حيث شكلت التجربة الاعتقالية أهم المحاورة التي تعرضت لها الصهيونية بشكل واقعي، فسجلت الواقع اليومي بأسلوب فني فقد تناولت موضوعات السجن والاعتقال والتعذيب، وكان تركيز المعتقلين على مثل هذه الموضوعات، لأنها كانت ظاهرة بارزة، ولأن كثيرا من أبناء الشعب الفلسطيني تعرضوا للإعتقال، كما أن الذين كتبوا هذه الروايات كانوا من الذين عانوا من هذه الاعتقال، وممارسة المحتل، وكان التركيز على السجن

---

(١) أدب المواجهة منابع الأدب الحركة الأسيرة الوطنية، سلمان جادالله، جمعية الأسرى والمحررين، غزة، ٢٠٠٠م، ص/١٨٥.

والتعذيب، لأن السجون الإسرائيلية من الأماكن التي تنتهك فيها حقوق الإنسان بشكل سافر.

رصد المعتقلون من خلال كتاباتهم إحساسات تبلورت وهم في معركة المواجهة مع السجان. وقد كانت كتاباتهم تعبيرا عن الرغبة في الانفلات من بيئة المعتقل، حيث قوانين القيد المفروضة التي تضج بالعدوانية، فقد كتبوا من قلب المعاناة، ومن العيش على الأرض الواقع والاكتواء بنارها، فدخل التوثيق والتسجيل الكتابة الروائية، فتم توثيق الأحداث وتسجيلها، لتكون شاهدا مهما تغيرت الحياة، أما الرسائل فعلمت على هضم الواقع الاعتقالي، وربطت بين هموم المعتقلين، وهموم الشعب الفلسطيني، وسجلت لمرحلة هامة من المراحل التي مرّ بها الشعب الفلسطيني[١].

الأدب القصصي الفلسطيني بعد إحتلال ١٩٤٨م

كان الفن الروائي في فلسطين قبل عام ١٩٤٨م يمر بمراحل تجريبية كما كان الحال مع القصة العربية بشكل عام والتي كانت في ذلك الوقت تفتقر إلى النضج لتأهيلها لتأسيس نفسها.[٢]

ينطوي الحديث عن القصة القصيرة الفلسطينية على صعوبات متعددة، يرتبط بعضها بمرونة هذا الجنس الأدبي، ويشير الآخر إلى مأساة الوضع الفلسطيني الصادر عن الاحتلال والشتات. فالقصة القصيرة، كأداة كتابية، تحتمل الخاطرة والحكاية وما دعي "بالقصة القصيرة جداً"، التي مارسها محمود شقير بنجاح كبير، بقدر ما تحتمل سرد "وقائع كبيرة"، كما هو الحال في رواية غسان كنفاني "رجال في الشمس"، التي رأى فيها بعض النقّاد "قصة قصيرة طويلة".

ولعل مرونة القصة القصيرة، هو ما جعل الروائيين الفلسطينيين[١]، يتعاملون معها بمقادير متفاوتة. فقد مارسها كنفاني قبل دخوله إلى العالم الروائي، وذلك في مجموعتين

---

(١) إبداعات المعتقلين الأدبية ٣، مخطوطة، رام الله مركز أبو جهاد،

(٢) تطور الرواية والقصة القصيرة فى الأدب العربي فى إسرائيل ١٩٤٨-١٩٧٦، عباسى، محمود، مكتبة كل شئ، حيفا، ١٩٨٨م، ص/١٢٣.

واضحتي التميّز هما: "موت سرير رقم ١٢" (١٩٦١) و"أرض البرتقال الحزين" (١٩٦٣)، نقل فيهما الكتابة الفلسطينية من مدار التفجّع والحنين الميلودرامي إلى مستوى تعبيري قائم على المساءلة.

ومع أن جبرا ابراهيم جبرا بدا روائياً "احترافياً"، في رواياته السبع، فقد كتب القصة في مطلع مساره الكتابي ونشر مجموعته "عرق" في بيروت سنة ١٩٥٦، التي ضمت قصصاً كتبت في الوطن وأخرى في المنفى، واعتبرها بعض النقّاد عملاً أدبياً طليعياً، له أبعاد فلسفية. بل إن سيرته الذاتية الرائعة "البئر الأولى"، لم تكن ممكنة من دون تمكّنه من القصة القصيرة وسيطرته عليها. وما كان طريق إميل حبيبي مختلفاً، فقبل "المتشائل" كتب قصته الشهيرة "بوابة ماندلبوم" وأقام كتابه "سداسية الأيام الستّة"، الذي أعقب هزيمة حزيران/ يونيو، على مجموعة من القصص القصيرة الموحدة الموضوع والمفعَمة بالفكاهة السوداء.

وإذا كان توزع الأدباء الفلسطينيين، بأشكال متفاوتة، على الرواية والقصة يواجه الباحث بصعوبة معينة، فإن صعوبات أكثر اتساعاً تأتي من شتات الشعب الفلسطيني المتواتر، الذي وزّع أدباءه على أقاليم بعيدة وعلى دول عربية مجاورة، حال حسن حميد الذي يعيش في دمشق، ومحمود الريماوي وفاروق وادي "الأردنيين"، وآخرين ماتوا بعيداً عن فلسطين، مثل "نجاتي صدقي، القاص اليساري القديم، الذي حمل شيخوخته وتوزع على بيروت واليونان.

وإذا كان في توزّع الأدباء الفلسطينيين على مناف متعددة ما يثير الأسى، فإن أسى تخالطه الفكاهة السوداء يتكشّف في وضع القصة داخل فلسطين ذاتها، حيث على الباحث أن يذهب إلى "الخط الأخضر"، أو ما دعي ذات مرة "بعرب إسرائيل"، ويمر على قطاع غزة، قبل أن يتوقف أمام كتّاب القصة في قدس منتصف الستينات، التي سبقت هزيمة حزيران.

يعتبر خليل بيدس (١٨٧٤م- ١٩٤٩م)، على المستوى التاريخي، مؤسس القصة القصيرة الفلسطينية، بعد أن تعلّم اللغة الروسية في مدينته الناصرة، فقرأ بها وترجم عنها، وتعرّف على أجناس الأدب الحديث، ومنها القصة القصيرة، التي اقترب منها في عمل شهير

---

(١) القصة القصيرة الفلسطينية : ميلادها و تطورها ١٩٢٤-١٩٩٠، فاعور، ياسين، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م، ص/١٧٣.

هو "مسارح الأذهان"، جمع بين التأمل والتحريض، وفي قصص أخرى أشهرها "الحسناء المتنكّرة" (١٩١١م). أستأنف جهود بيدس، وفي مجال القصة القصيرة تحديداً، أدباء آخرون، أبرزهم محمود سيف الدين الإيراني، الذي استهل نشاطه الكتابي بقصة "أول الشوط" (١٩٣٧م)، ونجاتي صدقي، وعارف الغزوني، واسكندر خوري، في انتظار زمن ما بعد النكبة، الذي عرف أسماء متعددة منها: لطفي ملحس، خارج فلسطين، وحنا إبراهيم داخلها، المعروف بعمليه "بعد عشر سنين" (١٩٥٩م) و"أزهار برية" (١٩٧٢م).

أسس كل من هؤلاء الكتاب مجلة أدبية خاصة وأشرف على تحريرها بنفسه، وكان معظم ما نشرته عبارة عن قصص مترجمة، كانوا يترجمونها بأنفسهم من اللغات الأوروبية والأدب العالمي. في عام ١٩٤٣م نشر إسحاق موسى الحسيني الرواية الفلسطينية الثانية بعنوان "يوميات دجاجة" وكتب المقدمة د. طه حسين وطُبع عدة مرات. بسبب الشهرة التي حصلت عليها في ذلك الوقت في العالم العربي.

تأثر الفن الروائي الفلسطيني بعدد من التجارب في الوطن العربي، واشتهرت خلال هذه الفترة أربعة كتّاب جميعهم عاشوا خارج فلسطين[١]، وهم: محمود سيف الدين ١٩١٤م-١٩٧٤م، جبرا إبراهيم ١٩١٧م-١٩٩٤م، سميرة ١٩٢٤م-١٩٦٤م، غسان كنفاني ١٩٦٣م-١٩٧٢م.

كتب محمود سيف الدين الإيراني القصة منذ الأربعينيات وهي أكثر نضجًا من محاولاتها السابقة في فلسطين، وانتقل إلى الأردن عام (١٩٤٢م). كان من أهم رواد القصة في شرق الأردن. ولعل مجموعته "مع الشعب" (١٩٥٦م) هي التي أثبتت قدراتها المتعددة.

أما أعمال جبرا السردية فقد بشرت بولادة مستوى مختلف وأكثر حداثة، ونشر مجموعته "عِرق وقصص أخرى" عام (١٩٥٦م)، وكانت قصصه مصدر إلهام للنخبة.

أما سميرة عزام التي بدأت الكتابة قبل عام ١٩٤٨م، فإن عملها يشير إلى إدراكها للأحداث الخطيرة التي كانت على وشك الحدوث[٢]،بالإضافة إلى حقيقة أن قصصها

---

(١) تطور الرواية والقصة القصيرة فى الأدب العربي فى إسرائيل ١٩٤٨م-١٩٧٦م، ص/١٠٣.

(٢) المصدر السابق، ص/٨٩.

تعكس الانضباط الذاتي المفروض على الذات واحترام أدواتها الفنية، باختصار قصصها الفنية هي أفضل تمثيل للقصص الفلسطينية القصيرة في الخمسينيات والستينيات.

أما غسان كنفاني، فقد دخل عالم الأدب بنشر مجموعته "سرير الموت رقم ١٢" عام ١٩٦١م، وبدا أن هذا الكاتب استطاع تحقيق العمق والتنوع، وبصدور مجموعته الثانية "الأرض". البرتقال الحزين "عام ١٩٦٣م ؛ رسخ نفسه ككاتب قصص من الدرجة الأولى، ثم أصدر عالماً ليس لنا عام ١٩٦٥م، عن الرجال والبنادق عام ١٩٦٨م، ونشر كنفاني روايته الأولى "رجال في الشمس" عام ١٩٦٣م، ثم رواية "ماذا؟ تركت لك "عام ١٩٦٦م، وعاد إلى حيفا عام ١٩٦٩م، وكانت رواية" رجال في الشمس "هي التي وضعتها في مقدمة كتاب القصص في الأدب العربي عامة، والفلسطيني بشكل خاص. أما رواية "ما بقي لك"، فقد كانت محاولة جريئة لتحديث القصة في العالم العربي[١] .

تجارب قصصية مشتركة و جديدة

صدرت المجموعة القصصية المشتركة عام ١٩٧٧م، "٢٧ قصة من الوطن المحتل"، كأول تجربة عن منشورات آفاق، وقدم لها الأديب محمد البطراوي الذي كان من جيل الأفق الجديد، وضمت المجموعة أربع عشرة قصة لأربعة عشر كاتبا من الضفة والقطاع شارك كل منهم بقصتين وهم حسب ترتيب ورود قصصهم في المجموعة: إبراهيم العالم، جمال بنورة، حمدي الكحلوت، زكي العيلة، زياد هواري، سامي الكيلاني، صبحي حمدان، علي لباد، عبد الله تايه، غريب أشقلاني، فضل الريماوي، محمد أيوب، محمد كمال جابر، مفيد دويكات وقد أعيد طباعة ونشر المجموعة في بيروت عن مجلة فلسطين الثورة.

وقد ركزت القصص على الموضوعات الاجتماعية والتمسك بالأرض والتراث، وقضايا العمال في الخط الأخضر، والسجن والاعتقال ومقاومة المحتل، وظروف المخيمات ومصادرة الأرض وهدم البيوت والقتل والاستشهاد والمقاومة بمختلف ألوانها، ومظاهرات الطلاب وصعوبة التنقل وحظر التجوال والأحكام العسكرية ومعاملة الأسرى غير الإنسانية، ووصف المعتقلات والزنازين وأقبية التحقيق وجمع الشمل وتصاريح الخروج وعلاقات الناس في المخيم

(١) المصدر السابق، ص/٨٣.

وألوان القهر التي تعرض لها العمال واستغلالهم في ظروف غير إنسانية داخل الخط الأخضر، وقضايا عديدة أظهرتها هذه القصص في التزام قوي بالحرية وفضح ادعاءات الاحتلال – إهماله المتعمد لجميع أوضاع الحياة في الأراضي المحتلة، وخاصة في المخيمات، مما أجبر الناس على مغادرة بلادهم ومغادرتها.

المجموعة الثانية المشتركة "قصص قصيرة من الوطن المحتل – القدس" ١٩٨١م إصدار المنتدى الفكري في القدس. وقدم لها الشاعر علي الخليلي، تضمنت المجموعة قصتين لكل قاص وترتبت حسب الأبجدية لأسماء الكتاب فكانت قصتي ("القرار" و"مؤتمر فعاليات القرية يصدر قرارا هاما") لأكرم هنية، وجمال بنورة له قصتان ("الحصار" و"أمومة")، وقصة (الجيل لا يأتي) و (سلال من لحم) للقاص زكي العيلة، وسامي الكيلاني له (التليفون لا ينفع) و(شعب)، والقاص صبحي حمدان (لحظات من حياة عاشق فلسطيني) و (التناسخ)، أما القاص عادل الأسطة فكان له (البوصلة) و (البحث عن المدينة)، والقاص عبدالله تايه له قصة (الدوائر برتقالية) و (الحجرة رقم ٣)، وغريب عسقلاني (زائر الفجر) و (العودة والحضور المتواصل)، وفضل الريماوي (النجم الأحمر) و (بياع السوس)، والقاص محمد أيوب (الخيمة) و (هدية من عامل إلى معلمة)، والقاص محمد كمال جبر له قصة واحدة (يوم ليس كالأيام)، ومفيد دويكات له (نفس الورقة) و (سمك).

تجربة فنية متطورة

والدارس لقصص المجموعة الثانية المشتركة يلاحظ تطورا فنيا لكتاب القصة الذين أصبحت أسماؤهم معروفة في كتابة القصة القصيرة[١]، ومنهم من كان قبل المجموعة قد أصدر مجموعته القصصية الخاصة به، وقد أتى هذا النمط من النشر القصصي الجماعي بعد غياب رواد القصة القصيرة خارج فلسطين بعد ١٩٦٧ إلى منافي عديدة، فكانت تجربة المجموعة المشتركة الأولى وهذه المجموعة تجربتين رائدتين في مجال النشر وتتناول الموضوعات التي استجدت على الساحة الفلسطينية، ويلاحظ القارئ والدارس أن هذه القصص جمعتها فكرة

(١) المصدر السابق، ص/٦٣.

تناول القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الأرض المحتلة، ومناقشتها كل حسب ثقافته ووعيه واتجاهاته، وقد تضمنت القصص نماذجا عديدة للإنسان الفلسطيني في حياته وأعماله ومقاومته للاحتلال بشتى صور المقاومة، ومن القاموس اللغوي لهذه القصص مفردات كثيرة تنبئ عما وصل إليه الحال تحت سطوة الاحتلال والسجن والفورة والشهيد والعامل الفلسطيني وعلاقته بـ"المناهيل" الإسرائيلي في العمل، والوعي الجمعي للتخلص من الاحتلال وصور الفقراء والبؤس في المخيمات والرجوع بالذاكرة إلى القرى والبلدات التي طرد منها الأهل بالقوة عام النكبة، وبذلك تكون المجموعة الثانية وسابقتها قد وضعت للدارس والناقد ما يمكنه من الاطلاع على التجربة الفنية المتطورة للقصة القصيرة وموضوعاتها بما وصل إلى سجل حافل بالأحداث في الأراضي المحتلة والممارسات اليومية للاحتلال في شتى نواحي الحياة الفلسطينية وتفاصيلها، وقد عدت هاتان المجموعتان مرآة للحال الذي يعيش فيه الفلسطينيون تحت القوانين والأوامر العسكرية ونهب الأرض وتنامي المستوطنات والأحكام التعسفية لوأد طموح شعب يسعى للحرية.[١]

وبعد هاتين التجربتين بسنوات صدر كتاب "المهرجان الوطني الأول للأدب الفلسطيني في الأرض المحتلة" عن جمعية الملتقى الفكري العربي في القدس سنة ١٩٨١، عن دائرة الكتاب في الملتقى، وتضمن الكتاب مجموعة من القصص القصيرة لمجموعة من الكتاب تناولوا جوانبا عديدة من الحياة تحت الاحتلال والعلاقات الاجتماعية، وقد تضمن كتاب المهرجان ثماني عشرة قصة، وقد ظهرت الأسماء الأولى لكتاب القصة في المجموعتين المشتركتين السابقتين مع أسماء أخرى جديدة وهم (يعقوب الأطرش، عفيف صالح سالم، سامية فارس، جميل الحوساني، محمد زحايكة، أسامة العيسة، حليمة جوهر، يوسف العبيدي، عبدالكريم قرمان، ماهر عودة) وكانت عناوين قصصهم حسب ترتيب الأسماء (السارق، يونس الخليلي، عزة وعمر، حكاية حمدان، البراغيث تغزو جزيرة القمر، ضياع على أعتاب المدينة، ما العمل؟، من الجنوب قادم، الليل، كل عام وأنتم بخي.

(١) المصدر السابق، ص/١٢٣.

القصة القصيرة و التعبير عن حالة الانتفاضة

وفي العام ١٩٩١م، عن منشورات اتحاد الكتاب، صدر كتاب مشترك[١] قدم له الكاتب عزت الغزاوي، تضمن نصوصا شعرية ودراسات نقدية وعددا من القصص القصيرة، وتناولت هذه النماذج القصصية شخصيات وأحداث وموضوعات ثورة الشعب في وجه الاحتلال في أسلوب وتقنيات اهتمت بأن تقدم القصص بشكل فني بعيدا عن الصراخ السياسي والشعارات، وتختار النماذج الإنسانية القادرة على الوصول إلى اهتمام كل من يساند حركة التحرر وهو يرى كيف تدور الأحداث على أرض فلسطين في إصرار شعب على نيل حريته، وضم الكتاب نصوص لواحد وعشرين قاصا مع ملاحظة المدلولات القريبة والبعيدة في مناقشة أفكار وتجليات الانتفاضة، فوليام فوسكرجيان له قصة (أبو الفرج يطلق ساقيه للريح)، وجمال القواسمي (الجندي المعلوم)، ود. سمير شحادة (الاجتياز)، ومحمد خليل عليان (الحمامة)، وسامي الكيلاني (جمع الأسرى جمع)، ومحمود عفانة (الخائن)، وربحي الشوبكي (شوشانه)، وعبدالكريم سمارة (مجلس العموم)، ويعقوب الأطرش (السقوط)، وحسن أبو لبدة (ولادة حادة)، ونائلة هاشم صبري (انتفاضة)، ومحمد كمال جبر (٥ قروش فلسطينية)، وإبراهيم جوهر (المتطوعون)، ومحمد أيوب (الورم)، وجمال بنورة (أم الشهيد)، وعبدالله تايه (الأشجار تموت واقفة)، وعمر حمش (أزهار إلى مقبرة المخيم)، وزكي العيلة (حيطان من دم)، وصبحي شحروري (سلة التين)، ومحمود شقير (في الطريق إلى البلدة القديمة)، وعزت الغزاوي (السما).

يلاحظ الدارس والقارئ المتابع، ظهور أسماء جديدة في كتابة القصة[٢]، والعناوين تدل على طبيعة المواضيع التي تناولها القاصون، وإن عددا من هذه القصص ناقش قضية السجون وأوضاع الأسرى وعلاقة المحتل والمقاوم مع المحتل والأرض، خاصة أن معظم الكتاب مروا بتجربة السجن حيث سجنوا لفترات متفاوتة، في هذه القصص يظهر عطر الانتفاضة وجراحها وصمود أهلها في كل جملة وعبارة وعنوان، مع اهتمام واضح بالأسس الفنية والجمالية للقصة واستقطاب نماذج بشرية ذات طابع خارجي وداخلي. . الأبعاد التي تمر عبر

---

(١) القصة القصيرة الفلسطينية : ميلادها و تطورها ١٩٢٤م-١٩٩٠م، ص/١٤٣.

(٢) المصدر السابق، ص/٨٣.

السرد الفني إلى أهداف الفكرة والمحتوى، في الاهتمام باللغة، وأنماط السرد، وفن الشكل، والسرد، واللغة، واختيار العناوين الموحية.

وعلى الرغم من الانقسام والحصار الذي حدث على قطاع غزة، فقد نجح في إخراج عدد من كتاب القصة القصيرة، مثل عبد الله تايه، وزكي العيلة، وغريب أشقلاني، وصبحي حمدان، وغيرهم ممن "ناضلوا" من أجل العطاء. للقصة مكانة معترف بها في المشهد العربي والفلسطيني. . على الرغم من أن الكمية لا تشكل معيارًا أدبيًا، إلا أنها تشير إلى مناخ أدبي، حتى إلى حد ما. بلغ عدد كتاب القصة القصيرة في غزة ٣٧ كاتبًا خلال الفترة الماضية بين ١٩٦٧م و٢٠٠٩م. اتخذ هؤلاء الكتّاب من "الحصار" مجازاً واسعاً في كتاباتهم متقاسمين، ولكن في ظروف مختلفة، هواجس كتّاب "الخط الأخضر" الذين جعلوا، ولفترة طويلة، من "الحكم العسكري" (١٩٤٨م- ١٩٦٤م) مادة إبداعهم القصصي معطين، في النهاية، أسماء أدبية مرموقة، مثل محمد علي طه في مجموعاته القصصية: "لكي تشرق الشمس"، "سلاماً وتحية"، وصولاً إلى عمله الأفضل "جسر على النهر الحزين". وكذلك سلمان الناطور (١٩٤٩م- ٢٠١٦م)، المثقف الموهوب، الذي عالج الترجمة والمقالة الساخرة والقصة القصيرة ("ما واء الكلمات"- ١٩٧٢م) وقصصاً تسجيلية عن النكبة، منها: "وما نسينا" (١٩٨٣م)، و"خمارة البلد" (١٩٨٧م)... وكان كاتب القصة الموهوب توفيق فيّاض قد عالج وجوه الاحتلال في عمله "الشارع الأصفر" (١٩٦٨م)، قبل أن يستقر، نسبياً، في بيروت ويقدم مجموعته الممتازة "البهلول"، التي تمازج فيها عسف الاحتلال بوجوه فلسطينية "شعبية".

وخلال دفاع الأدباء الفلسطينيين عن وطنهم وحقّهم في الكتابة معاً[(١)]، أصدروا مجلة "الأفق الجديد" المقدسية (١٩٦١م- ١٩٦٦م)، متكئين على إرادة وطنية جامعة وثقافة أدبية حديثة، وعلى رغبة بالتجريب والتجديد، ومنهم على سبيل المثال: محمود شقير، ومحمود إبراهيم غنّام، وماجد أبو شرار... وكان زملاؤهم، في منطقة "الخط الأخضر"، قد "لاذوا"، قبل زمن، بصحافة الحزب الشيوعي الإسرائيلي الممثلة بمجلة "الجديد" وصحيفة

(١) تطور الرواية والقصة القصيرة فى الأدب العربي فى إسرائيل ١٩٤٨-١٩٧٦، ص/١٦٣.

"الاتحاد"، حيث آزرهم إميل حبيبي والمؤرخ إميل توما والشاعر توفيق زياد، وغيرها من الأسماء.

يتراءى في الملاحظات السابقة واقع مأساوي ثلاثي الأبعاد: غياب المكان الموحّد الذي تترافد فيه الجهود الأدبية، وغياب المرجع المؤسساتي الذي يوحّد الجهود ويدعمها، وعدم إمكانية الحوار، إلا بشكل مجزوء، بين كتّاب القصة الفلسطينيين. ولهذا لا تتكشّف "الهوية الوطنية في الأدب" واضحة، إلاّ في جهود الروّاد الأوائل، وفي الجيل القصصي الفلسطيني الذي استأنف طموحه، قبل "النكبة".

في حدود جهود أدبية مستمرة، ووعي وطني يوحّد بين الأدب والسياسة، أعطى الفلسطينيون ثلاثة أسماء[١]، في القصة القصيرة، أسهمت في تطوير القصة الفلسطينية والعربية معاً: غسان كنفاني الذي أدرج في القصة الرمز والتداعي الحر والحكايات الشعبية وصيّرها إلى مجال إبداعي واسع قوامه المأساة والمقاومة، وسميرة عزّام (١٩٢٧م- ١٩٦٧م)، التي قرأت مأساة الفلسطيني في مأساة الإنسان المقهور، واعتمدت الرمز الكثيف، وصالحت بين السرد القصصي والحوار المفتوح على الحياة. يظهر هذا في عمليها: "أشياء صغيرة" (١٩٥٤م) و"الظل الكبير" (١٩٥٦م). ومن المحقق أن عزّام، التي ولدت في عكا لم تأخذ، حتى اليوم، ما هي جديرة به من احتفاء وتقدير. وثالث الأسماء هو محمود شقير، الذي عُني باللغة عناية خاصة، من عمله الأول "خبز الآخرين"، وتميّز بتطور مثمر نقله من القصة البسيطة إلى القصة المركبة، ومن النثر إلى لغة صقيلة تتسم بالاقتصاد والشعرية معاً، كما في "ابنة خالتي كوندوليزا".

انفتحت القصة القصيرة الفلسطينية، منذ ولادتها، على السؤال الوطني، وزاملته في أحواله المختلفة، ولا تزال تسائله بكتابة لا تكفّ عن التطور. ولعل هذا القَدَر الصعب هو الذي ضيّق "مساحة الموضوع" الذي تعالجه. فإذا كانت القصة القصيرة، تعريفاً، تصف "حيزاً محدداً من الحياة اليومية"، فإن هذه الحياة، كما عاشها الفلسطينيون، تتشابه ولا تعرف إلا القليل من الاختلاف. ولهذا لم تعرف سميرة عزام، في بداية مسارها الكتابي، مجالاً اجتماعياً واسعاً يشبه ذاك الذي كتب عنه السوري زكريا تامر، ولن يعرف محمود شقير الفضاء الكتابي

(١) موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث الجزء الرابع، ص/ ٩٦.

المتنوّع، الذي تحرّك فيه المبدع المصري المتميّز محمد المخزنجي، ولم يسمح ظرف الفلسطينيين للمبدع زياد خدّاش أن يدخل في تجربة كتابية تشبه تجربة الأردني د. هشام بستاني.

حاول كتّاب القصة القصيرة الفلسطينيون "توسيع أزمنتهم"، منذ أواسط التسعينيات، بأدوات جمالية متعددة، قوامها العناية بالنثر وتأمل الحياة اليومية العارية من الأوهام، والدخول إلى عالم الإنسان الداخلي المليء بالصور والاحتمالات. ظهر هذا في محاولات زياد خداش، وزياد بركات، ونبيل عبد الكريم، الذين شاؤوا منظوراً كتابياً لا أوهام فيه عنوانه، ربما: الواقعية الجديدة في الكتابة[١].

أدب نسائى أم نساء أديبات

شغفت المرأة العربية منذ العصور القديمة بكتابة الأدب شعره ونثره، ففى العصر الجاهلى وما بعده برز عدد غير قليل من الشاعرات كالخنساء أشهر شاعرة عربية وعائشة بنت المهدى وولادة بنت المستكفى وغيرهن،

كما كان للجدات والوصيفات أكبر الأثر فى تهذيب الأطفال وتنمية الذوق والحس الجمالى لديهم، عن طريق قص الحكايات الشفاهية للأطفال العرب، وفى العصر المعاصر تبوأت المرأة العربية مكانتها تكتب الشعر والقصة والمسرح،

وبرز عدد غير قليل من الأديبات كمى زيادة ونازك الملائكة وفدوى طوقان، ليلى الأطرش، علوية صبح، رضوى عاشور، غادة السمان، نعمات البحيرى، سعاد الصباح، ليلى العثمان، سعدية مفرح، ظبية خميس، أحلام مستغانمى، وغيرهن.

وعلى المستوى العالمى، نجد أسماء لا حصر لها من النساء الأديبات أشهرهن: فرجينيا وولف، نادين جورديمر، سيلفيا بلاث، أنا أخماتوفا وغيرهن.

وراحت المرأة العربية تلقى بثقلها نحو كتابة الرواية باعتبار أنها أكثر الفنون الأدبية التى تستطيع المرأة التعبير من خلالها عن آلامها وآمالها، وانتشرت الروايات الأدبية النسوية انتشارا واسعا وترجم الكثير منها إلى لغات أجنبية.

---

(١) http://www.youm٧.com/story/٢٠١٠/١/١٢

على أن تسمية ما تكتبه المرأة العربية بالأدب النسائى لاقى معارضة من معظم النقاد الذين يرفضون تقسيم الأدب إلى ذكورى وأنثوى أو (نسائى)، كما أن بعض الأدباء الرجال كتبوا أدبا روائيا رائعا يعبر عن معاناة وأحلام المرأة مثل إحسان عبدالقدوس وقاسم أمين وغيرهما، وأن مصطلح الأدب النسائى يقلل من قيمة ما تكتبه المرأة[١].

وعللت بعضهن مدافعات عن انتشار المصطلح باعتبار أن المرأة أقدر على مواجهة سلطة المجتمع الذكورى، وأقدر على التعبير عن جنسها وضبط إيقاعها الداخلى كأنثى لكونها تميل إلى الجانب الوجدانى.

على أن النساء الأديبات أثبتن مهارة فى إبداعهن الروائى وقدرتهن الفائقة فى الحكى والتعبير عن معاناتهن وأحلامهن فى المجتمع العربى، وإن اتجه بعضهن للإغراق فى تفاصيل الجسد وإثارة الغرائز رغبة فى الشهرة والانتشار السريع أو الهرولة لحصد الجوائز ولترجمة أعمالهن إلى اللغات الأجنبية التى احتلت الأعمال "الأدبية النسائية" فيها نسبة لا يستهان بها، إلا أن عددهن قليل ولا ينتقص من قدرة النساء العربيات الأديبات اللائى وصلن لدرجة عالية من المهارة فى الكتابة والانتشار عربيا وعالميا.

---

(١) http://www.arab٤٨.com

الفصل الثاني

أنواع القصة عند الكاتبات الفلسطينيات

ظهر فن القصصي النسائي في فلسطين خلال الخمسينيات والستينيات، وتعتبر القصة من أهم التراث الأدبي. استطاعت الكاتبات الفلسطينيات أن تسهم في الأدب الفلسطيني، وكتبن الروايات والقصص التي لاقت صدى ملحوظًا. تحتل الكاتبات الفلسطينيات مكانة كبيرة في ساحة الأدب النسائي الفلسطيني والعربي، وبدأن كتابة الروايات مثل رواية "نجوم أريحا" وغيرها، ووضع المرأة، وعبّروا عن المشاكل والمصائب التي واجهوها في المجتمع. المواضيع الرئيسية التي تناولها الكتاب في رواياتهم وقصصهم هي: حنان الوطن والشوق إليه، ومشاكل المرأة في المجتمع الفلسطيني، والتخيلات والأساطير وغيرها.

أنـواع القصة القصيرة

للقصة القصيرة أنواع عديدة ومن بينها أذكر :

١. **قصص الأسرة :** ويقصد بقصص الأسرة تلك النواة التي تتألف من الوالدين والأبناء، وهي البنية الأولي التي تكون مع مثيلاتها مجتمعاً له خصائصه وصفاته المميزة، ومعظم هذه القصص من سوريا و مصر والعراق، بينما جاءت البقية من بلاد عربية أخري من لبنان و فلسطين والكويت والسودان والمغرب، وقد عرفت هذه القصص ألواناً من أحوال الأسرة فى هذه الأقطار، وكأنها تتحدث عن مجتمع واحد متكامل فى خصائصه النفسية والسلوكية، مما يؤكد تماثل مجتمعاتنا العربية فى كثير من خصائصها.[١]

٢. **قصص العاطفية (الغرامية) :** أبطال هذه القصص بعامة يمثلون معظم أطياف المجتمع، وهم من الأشخاص العاديين، وتتصف هذه القصص بشيء من الرومانسية، ويظل هذا الحيز في هذه القصص محطوماً بالعادات والتقاليد والمثاليات الأخلاقية.

٣. **قصص المغتربين :** المقصود بهذه القصص هو تلك القصص التي نشرها كتاب عاشوا خارج حدود الوطن العربي، ونرى المغترب من خلال قصصه إنساناً ضائعاً، فقد ارتباطه بوطنه الأم، ومشاعر الإحباط واليأس تغلب على قصصهم، وبطلها يعاني من مشكلة الفراغ، وتكاد معظم هذه القصص تتماثل بتحليلها اجترار الكليات وعواطف ومشاعر حزينة لا تجد مبررا واضحا يستحق أن تغزوها إليها.

---

(١)القصة القصيرة في مجلة الأدب، عوني أحمد تغوج، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٤م، ص٢٠.

٤. **قصص ذات الطابع الوجودي :** الذي تغلب عليه مشاعر القلق والوحدة واليأس، وتبرز فى قصصهم المشاعر الحزينة الواضحة، وهي ليست وجودية بالمعنى المعروف والجدد. هذا النوع فيتمثل فى قصص اجتماعية متنوعة، وهي قصص تعالج مشكلات المجتمع والأوضاع الاجتماعية السائدة فى بيئة معبنة، ولا تخلو هذه القصص من الطرافة والتشويق والمفاجأة.

٥. **قصص العمال و المؤظفين والمدرسين والكتاب :** هذا النوع من القصص يعرض الفساد والمتاعب، كما تتطرق أحداث قصصه إلى مشاكل المدرسة والمدرسين و الطلاب، وتتطرق إلى المشكلات التي يواجهها الكتاب من عدم حرية التعبير و التقيد بمعايير محددة.

٦. **قصص وطنية :** شملت هذه القصص قضاية وطنية متنوعة فى عدد أقطار عربية وعالمية.

٧. **قصص سياسية :** يتناول هذا النوع فى قصصه العلاقة بين الفرد و السلطة السياسية الحاكمة.[١]

٨. **قصص قرآنية :** لقد أدرك القرآن دور القصة في إثارة الضمير، وإثارة الانفعالات، ولفت انتباه القارئ والمستمع، وجعلها وسيلة من وسائله في تحقيق أهدافه، كتأكيد الوحي، وتأكيد الرسالة.، وتأصيل القوة الإسلامية، لكنها لا تأتي كعمل فني مستقل، بل تخضع للأهداف التي تهدف إليها، وتأتي فيها الألوان:

- **القصة التاريخية :** تدور حول شخصيات من الماضى، الأنبياء و المرسلين، وهي تستخدم التاريخ، لكنها ليست عرضاً له، وتقصد غير ما يقصد، وتعرض غير ما يعرض، وقد تغفل " قصداً تحديد الزمان، وذكر المكان، وتسمية الشخصيات، والتعريف المتعدد بمن تذكر أسماءهم من هؤلاء الأشخاص"[٢] أو تعيد ترتيب الأحداث على نحو يحقق الغاية من إيراد القصة، فهى تطلب التأثير وتستهدف الإقناع. ويعلق الإمام محمد عبده عند

---

(١)القصة القصيرة في مجلة الأدب، عوني أحمدتغوج، ص٧٢.

(٢)القصة القصيرة، دراسة و مختارات، الطاهر أحمد مكي، د.، ص٢١.

تفسير هذا اللون من القصص فيقول : " إن كثيرين من أعداء القرآن يأخذون عليه عدم الترتيب فى القصص، والجواب عن هذه الشبهة يفهم مما قلتاه مراراً فى قصص الأنبياء والأمم الواردة فى القرآن، وهو إنه لم يقصد بها التاريخ وسرد الوقائع مرتبة بحسب أزمنة وقوعها، وإنما المراد بها الاعتبار والعظة، بيان النعم متصلة بأسبابها لتطلب بها، ومتى كان هذا هو الغرض من السياق فالواجب أن يكون ترتيب الوقائع فى الذكر على الوجه الذي يكون أبلغ فى التذكير وأدعي إلى التأثير"[١].

- **القصة التمثيلية :** والمراد به البيان والإيضاح، أو الشرح والتفسير، فلا يشترط في الوقائع التي وقعت، أو في الأشخاص الذين وُجدوا، أو في الحوار الذي صدر فيه، بل في الكل. وهذا يكتفي بالافتراض والتخيل وكثيرا ما يصور القرآن المعاني بالتعبير عنها في صورة سؤال وجواب أو بأسلوب القصة لبيانها وتأثيرها كما يدعو العقول إلى ما يتجاوزها من المعاني.[٢] كقوله تعالي" يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ "[٣]. فلا يقصد أن يسألها الله تعالى إذا استجابت، بل هي تمثيل لدورتها، ولا تقيدها المجرمين أيا كانوا. "فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ "[٤]. " والمعني فى التمثيل ظاهرٌ"[٥]
- **القصة الأسطورية :** وهو يختلف عن اللونين السابقين. ليست أحداثًا تاريخية واقعية تناولها القرآن ورتبتها بترتيب يحقق الغرض من عرضها، وليست قصصًا تمثيلية فرضت أحداثها أو تصورها، بل هي قصة كاملة، وهو اسم ينفر عنه بعض العلماء، وأجازه آخرون، ويقول الإمام محمد عبده عند تفسير

---

(١)تفسيرالمنار، محمد رشيد رضا، دارالنوادر للنشر و التوضيع، ٢٠٠٧م، ج١، ص٣٢٧.

(٢)القصة القصيرة، دراسة و مختارات، الطاهر أحمد مكي، د.، ص٢١

(٣) سورة ق، الأية ٣٠.

(٤)سورة الصافات، الأية ٣٣.

(٥) تفسيرالمنار، ج١، ص/٢٨٠.

قصة هاروت وماروت: لقد بيننا أكثر من مرة أن القصص ذكرت في القرآن من أجل النصح والمراعاة، لا لشرح التاريخ، ولا للحث على الإيمان بأجزاء من أخبار المتهربين، وأنه يخبرهم عن معتقداتهم الصحيحة والباطل، ومن تقاليدهم الصحيحة والباطل، ومنهم النافع والضار. عادات الخطبة والنظر. قصة القرآن ليست أكثر من موضوع الدرس، ولا تتعدى نقاط الهداية، ويجب أن تأتي الأرض في عبارة أو سياق وأسلوب أنظمة، مما يدل على الموافقة على الخير و استنكار القبيح. وقد يأتي إلى القصة بعبارات يخاطبها، أو ما يروى عنها، ولو لم تكن صحيحة في ذاتها،كقوله: " كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ "[١] وايضاً كقوله:" بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ "[٢]. هذه الطريقة مألوفة، حيث نرى العديد من الكتاب العرب وكتاب الفارانجيين يذكرون آلهة الخير والشر في فصولهم ومقالاتهم، خاصة في السباق على كلامهم عن قدماء الإغريق والمصريين، ولا أحد منهم يعتقد أي شيء من هذه الأساطير الوثنية."[٣]

فكل أنواع القصة القصيرة تبرز من خلال أعمال الكاتب فى قصصه القصيرة، ويظهر كل نوع من خلال خصائصه الفنية التي تميزه عن النوع الآخر، فالقصة القصيرة ليست مجرد قصة قليلة الصفحات فحسب، بل هي لون أدبي له كتاب و رواد تخصصوا فيه وأبدعوا في كتابته.

أنواع القصة عند الكاتبات الفلسطينيات

ظهر فن القصصي النسائي في فلسطين خلال الخمسينيات والستينيات. استطاعت الكاتبات الفلسطينيات ترك بصمة واضحة في الأدب الفلسطيني، وكتبن خلال هذه الفترة

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٧٥.

(٢) سورة الكهف، الآية ٩٠.

(٣)تفسيرالمنار، ج١، ص/٣٩٩.

العديد من الروايات والقصص الاجتماعية التي لاقت صدى كبير. ومن بين هذه الأنواع، تعاملت الكاتبات الفلسطينيات مع ما يلي:

١. ذكريات الوطن والحنين إليه:

كتبت ليانة بدر في قصصها ورواياتها عن ذكريات الوطن مثلا في روايتها "نجوم اريحا". [١]التي كتبتها بعد اتفاق أوسلو بشأن بلادها. ولدت في بلدة أريحا داخل فلسطين وعاشت قبل رحلتها إلى عمان. هذه الحرب لها أثر عميق على ذهنها، و في هذه الرواية قد أظهرت ذكريات بلدها والمآسي خلال الحرب. ظلت تتنقل وبدأت تتحدث عن حرب حزيران عندما هاجمت الجيوش الإسرائيلية بلدها ودمرت البلاد بأكملها وقتل عدداً كبيراً من الناس، فهاجرت ليانا بدر مع أسرتها إلى عمان ومكثت هناك لفترة طويلة. عرضت ليانة أحداث المخيم وتل الزعتر في روايتها، وعبرت عن أحلامها عن العودة للوطن، وأشارت إلى ضيق الوضع وسلسلة من الأحداث و آلام الشعب الفلسطيني وتقدم نظرة كاملة للقضية الفلسطينية. ثم تذكر ذكرياتها في المنزل وتحدثت عن ظروف حياتها وشبابها وأوضحت خسارتها ولم يتبق منها إلا والدها الذي كان في طرف، وتغيرت حياتها كلها وتحيط بها الحزن واليأس.

٢. المرأة ومشاكلها:

من أهم الموضوعات التي تناولتها معظم الأديبات في رواياتهن وقصصهن هي مشاكل المرأة في المجتمع الفلسطيني. قدّمتها المظلومة التي لا تستطيع رفع صوتها لأجل حقوقها. عبرت الكاتبة عن الألم خلال هذه الروايات التي تتعرض له المرأة من جانب الرجل والمجتمع، وصورت العلاقة بين الرجل والمرأة على أنها بغيضة، وأن دور المرأة هو مضايقة الرجل، وكأنها يحاول الرجل دائمًا إزعاج المرأة وفضحها، ويسعده أن يفقد المرأة ويمكنه العيش بدونها. عرضت قصة فتاة اسمها غزالة كانت طالبة في الجامعة، وكانت تحب رجلاً عراقيًا وسيمًا وأرادت الزواج منه، لكنه رفض الزواج منها وذهب إلى العراق ولم يعد إليها أبدًا. كما نجد في الرواية قصة أم عايدة التي كانت تعيش تحت وطأة المحن والألم مع والدها الكبير وابنتها عايدة. كان زوجها طالبًا في الجامعة، وكان يسكن مع زملائه في الفصل فى شقة أمام

---

(١) نجوم أريحا، ليانة بدر، دار الهلال للطباعة، بيروت، ١٩٩٣م، ص/١٠٩.

منزلها، فأحب بعضهم بعضًا وتزوجها، ولكن بعد أن انتهى الشاب من الدراسة طلقها وترك ابنتها معها وغادرت البلاد. وكانت ابنتها عايدة مطلقة هي الأخرى، وكان زوجها عنيفًا وقاسيًا يضطهدها ويؤذيها بشتى الطرق، ووصل الأمر إلى درجة أن ابنها كان حريصًا عليها وأخبره أنها فقيرة الخلق. وأبعدته عن والدته، فشعرت عايدة باليأس والإحباط وحصلت على الطلاق.

حكايات سميرة عزام تحتوي على قضية المرأة إلى حد كبير، حيث قدمت لنا صورة شاملة عن حياة المرأة الفلسطينية وأشكال معاناتها وفتحت أعين النساء على واقعهن في أغنية بارعة [١].وأضافت الكاتبة السورية ألفة الإدلبي: "سميرة عزام رائدة القصة في أدبنا النسوي". [٢]

لعبت المرأة الفلسطينية دورًا رئيسيًا في التخفيف من معاناة أسرتها ومنزلها، حيث تحملت المصاعب والصعوبات والمشاكل التي تدفعها ثمناً باهظاً. شاركت في مجال المقاومة والتحرير في سبيل وطنها وحقها. كما لعبت دورًا بارزًا في الإعلام من خلال تغطية الأحداث وإبراز الوحشية والقمع الصهيوني على أيدي جنود الاحتلال. كما شاركت في مجال الرعاية الطبية، حيث كانت تتعاون مع الجرحى وكذلك تخدمها في المستشفيات والعيادات، ولا ننسى مساهمتها في التظاهرات والمسيرات المطالبة بحق الشعب الفلسطيني، بالإضافة إلى حضورها الاجتماعي في مختلف مناحي الحياة.

أما مجال الذبيحة والفداء فقد دفعت ثمناً غالياً بروحها ودمها ودم أبنائها. القصة ترسم صورة لأم فلسطينية تتألم وتحزن وهي تودع أبنائها الذين لن يعودوا الى الأبد. أسامة يوسف شهاب يقول في مقاله بعنوان "المضطربة في قصص سميرة عزام". تعدّدت نماذج المرأة في أدب سميرة عزّام، وصوّرتها في معظم مجالات الحياة ... صديقة حميمة تعاطفت معها، وكشفت عن عوامل ظلمها، ودعت إلى نصرتها، ليس انحيازا منها إلى بنات جنسها، ولكن إيمانا منها بدورها الهام في المجتمع، لقد صوّرت المرأة صاحبة المصائب والمشكلات، المرأة

(١) الواقعية فى قصص سميرة عزام، حنة بيخان، أقلام الهند، دراسات و مقالات، السنة الثانية، العدد الثالث، ٢٠١٧.

(٢) المصدر السابق ، ص/٢٨.

العاشقة المظلومة في حبّها، المرأة الأم التي طردت من وطنها، المرأة الزوجة التي غاب عنها زوجها للدفاع عن وطنه[١].

لا تقوم النساء فقط بتربية أطفالهن بالطريقة التقليدية، ولكنهن أيضًا بارعات في مقاومة الذات والشكل البشري. ساهمت الحروب مع العدو في خلق امرأة ثورية تعادل الرجل، كما أشارت سميرة عزام في قصة "خبز الفداء". [٢]هذه القصة تحكي عن حب صغير وحب كبير. جمعت سعاد ورمس علاقة حب خالصة ممزوجة بالوطنية. سعاد ترفض مغادرة البلاد مع عائلتها. ويدل على ارتباط سعاد بالوطن واعترافها بحب رامز، حيث قال لها رامز: هل فعلت هذا بسببي؟ وانفجرت في وجهه: "لا، ليس بسببك .. صحيح أنني أحبك .. لكنك لست كل شيء". ذات مرة، بينما كانت سعاد تنقل الطعام للمقاتلين، أصيبت برصاصة. لكنها تمكنت من الوصول إليهم، لكن الطعام اختلط بدمها وماتت. قرر رامز منع أصدقائه من تناول هذا الطعام. وتنتهي الحكاية بفقد رامز للوعي، بعد أن قال لأصحابه: "كلوا .. سعاد لا تقبل أن نموت جوعاً". وبدا لنا أن سعاد لم تترك فلسطين مع أهلها، بل فضلت العيش فيها والعمل معها حتى استشهدت. شخصية سعاد ترمز إلى الوطن الجريح، فروحها متحدة مع ترابها الطاهر.

٣. العادات والتقاليد الموجودة في المجتمع الفلسطيني:

ويعبر الأدب في قصصها ورواياتها عن بعض العادات والتقاليد السائدة في المجتمع الفلسطيني، ويوضح أن المرأة الفلسطينية تحافظ دائمًا على عاداتها وتقاليدها حتى لو بلغت سن الشيخوخة. السينما بسبب وجود الرجال هناك، وبعد أخذ كلمة تقنعها عمة الرواية بكشف وجهها حتى تتمكن من مشاهدة بطل الفيلم عبد الوهاب وصديقته.[٣]

معظم الناس في المجتمع الفلسطيني يؤمنون بنعمة وجود الأطفال أمام الجن، ويأخذون الفأل من الأطفال، ويلجأ الكبار إلى قراءة الكأس لمعرفة ما يختبئ، ويصب الرصاص المنصهر

---

(١) المرأة المأزومة فى قصص سميرة عزام، أسامة يوسف شهاب، دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجامعة الأردنية، عمان، المجلد ٣٨، العدد ٢، ٢٠١١، ص/٣٠٦.

(٢) وقصص أخرى، سميرة عزام، المؤسسة دار الطليعة، بيروت،١٩٦٠م، ص/٧٥-٩٣.

(٣) نجوم أريحا، ليانة بدر، ص/١٢٢.

في الماء لمعرفة الحسد أو فك الملاحظة، وتذهب النساء إلى المنجمين لقراءة برجك، كما فعلت أم فضل في زواج ابنها، أرادت منع ابنها من الزواج والذهاب إلى أحد المنجمين لحلها ومشكلتها. أخبرها المنجم بأنها إذا لم توافق على زواج ابنها من تلك الفتاة، فسيسافر الابن بعيدًا ولن يبقى على هذه الأرض. وبالفعل، سافر حسين إلى الخليج ومكث هناك لمدة خمسة وثلاثين عامًا كاملة. ثم تنغمس أم فضل في عالم السحر في أمر زواج ابنتها، وتبحث عن الأسباب غير المرئية لفشل ابنتها في الزواج من النرجس، فتلجأ إلى المنكرات وتضعه في النار لإبطال الشر و أخطار من ابنتها.

٤. قضية فلسطين :

تعد القضية الفلسطينية من أهم القضايا الأساسية التي أولتها الكاتبات اهتمامًا كبيرًا، وهي من الموضوعات التي شغلت عليها كثيرًا. ثم انتقلت إلى الأزمة والواقع الفلسطيني المأساوي الذي أرهق الشعب الفلسطيني وشرده وأخرجه من منزله وأهاليه ووطنه.

لقد مرت القضية الفلسطينية بعدة مراحل، إذ أنّ قضية فلسطين ليست مجرد مشكلة قومية، على الصعيد العربي، أو مشكلة اجتماعية، بالنسبة لأبناء فلسطين، وإنما هي مأساة إنسانية عامة، هي مأساة العنصرية، أكبر وصمة عرفها التاريخ الحديث، لذلك أتصور فلسطين دائما نبعا لا ينصب من الأفكار والتجارب التي لا تنتهي[١].

أعربت سميرة عزام عن رأيها في القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني في مجلة "صوت المرأة" التي تصدر في بيروت في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٦ قائلة:

"ليست القضية الفلسطينية قضية عرب فلسطين وحدهم، بل هي قضية كل قطر عربي يتظلل برأية الجامعة .. فمطامع الصهيونية لا تقتصر على فلسطين فحسب بل لعلها تتمسك بفلسطين كنقطةِ ارتكازٍ تزحف منها على ما يجاورها من بلاد العرب، فتحيك حولها المؤمرات وتدعي فيها حقوقا تاريخية ودينية تعرف كيف تختلقها"[٢].

نرى في أدبيات سميرة عزام أن القضية الفلسطينية تحتل جزءًا كبيرًا من نتاجها السردي، فهي لا تمثل مأساة شعب فحسب، بل مأساة أمة بأكملها. يعتني بها ابن وابنة.

---

(١) شعرنا الحديث إلى أين، غالي شكري، دارالشروق، بيروت، ١٩٩٣م.

(٢) الواقعية فى قصص سميرة عزام، حنة بيخان.

قضية التفاوت الطبقي وسوء الوضع الاقتصادي:

وهي من أبرز القضايا التي تناولتها الراوية سميرة عزام. عندما نراجع قصصها نلاحظ أن الاحتلال أدى إلى تفاقم المشاكل الإنسانية، بما في ذلك قضية الصراع الطبقي. كما نجد أن عددًا كبيرًا من سكان فلسطين كانوا يعيشون تحت خط الفقر، ويواجهون أزمة اقتصادية، ومرت حياتهم بأوضاع اجتماعية واقتصادية وسياسية بالغة الصعوبة، ورغم ذلك تميز الشعب الفلسطيني بصبرهم والاعتزاز بأنفسهم وكرامتهم رغم الآلام التي عانوا منها والمعاناة والتشرد الذي تحملوه.(١)

ويصور القسيس مشاهد من الحرمان والبؤس التي تعاني منها شريحة من الشعب الفلسطيني. وتحدثت عن موضوع المعاش وتأمين الاكتفاء الاقتصادي، فهو شكل من أشكال النضال من أجل البقاء، ومحاربة العدو بكل الوسائل المتاحة لاستعادة الوطن الذي يحبه ويعشقه الشعب الفلسطيني ويتوق إليه. سميرة عزام تحب وطنها شغف يمسك بزمام السيطرة. ترى في جماليات فلسطين التي نادراً ما تراها في أي مكان آخر، إنه حب الوطن ... كان الوقت ربيعًا، ربيع فلسطين بحر أزرق تتمايل فيه أشرعة المراكب البيضاء أثناء النهار وبساتين البرتقال تكثف الهواء، وفي ربيعها عرف هذا شيئين: الحب والحرب، والأول أعطى معنى للثاني، بل مجموعة من المعاني، لأن الحرب ليست عدوًا يقتل الشهوة، بل هو بالأحرى. الحق في أن يعيش الأرض التي يحبها، والفتاة الحزينة التي تحبها، فلسطين ليست بحرًا وقوارب للصيادين، وليست برتقالة تتشبث كالذهب، وليست زيتونًا. ولبسنا يملأ الشاويب .. وهو أيضا عيون سعاد السوداء. ورأى في عيني (سعاد) خير فلسطين كلها ... رأى ظل البيت السعيد له، وزوجة تلده بأبطال صغار وتجعل حبها لها معنى لوجوده .. .. وذلك بالرغم مما تعانيه بداخلها(٢).

---

(١) "وقصص أخرى"، سميرة عزام، ص/٧٥.

(٢) المصدر السابق، ص/٨٣.

الفصل الثالث

أشهر مجموعات القصة

القصيرة في الأدب الفلسطيني

نظرا لأهمية القصة القصيرة في ظل المناخ العام المقاوم للاحتلال وتصوير ما يحدث في الأرض المحتلة في الضفة والقطاع، ازداد عدد كتاب القصة القصيرة ونشطت حركة الطباعة والنشر، فبرزت ظاهرة المجموعات القصصية المشتركة مبكرا، ومنذ أواخر السبعينيات وهذا العمل الجماعي جاء لعدم وجود هيئات أو دور نشر تتبنى طباعة ونشر وتوزيع المطبوعات في هذه الفترة الزمنية، وللعامل المادي في ضيق ذات اليد لدى الكتاب وعدم تمكن بعضهم من نشر مجموعات مستقلة، والأهم، إبراز الطابع الجماعي لكتابة القصة وتنوعها وإطلاع القراء والباحثين داخل فلسطين وخارجها على نماذج من القصة لأكثر عدد ممكن من كتابها، حيث كان النشر الجماعي وسيلة وفكرة جادة وراقية للتعريف بكتاب القصة وجمع ما له علاقة بتنوع موضوعات وقدرات القص لديهم والأفكار الكثيرة التي لها علاقة بقضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ مما جعل هذه المطبوعة تعبر عن خريطة القصة القصيرة وتبيان التفاعل مع الواقع المرئي وغير المرئي لأفعال الاحتلال على الأرض، ويلاحظ الدارس والناقد والقارئ والمتابع لما صدر بعد ذلك من مجموعات مستقلة أو مشتركة، أن الهم الوطني صبغ الموضوعات التي تناولها القاصون مع تفاوت غير كبير في القدرات الفنية وأصول ومناهج وأساليب القص وفنيتها، فتلك هي البدايات، ولاحقا منهم من استمر وطور وارتقى بأدواته ومنهم من انقطع لظروفه الخاصة، وترسخت أسماء لمبدعي هذا اللون الأدبي حيث كان لهم شرف المبادرة والمقاومة بالكتابة والقص الملتزم في ظل أحكام عسكرية إسرائيلية.

برزت نخبة من الأدباء والأديبات وخاصة الأديبات الفلسطينيات في كتابة القصة القصيرة حتي اعتبروا روادها، ومنها سميرة عزام، نجوى قعوار، ندي جريس، إسراء عبوشي، أسماء الغول، سناء الشعلان وغيرها. ومن أشهر مجموعات القصة العربية القصيرة هي:

١. المجموعة القصصية «أشياء صغيرة » — سميرة عزام

سميرة عزام كاتبة مؤسسة لفن القصة القصيرة؛ فهي في هذا المضمار أفضل من كتب القصة القصيرة الفلسطينية في عصرها، حيث تركت لنا قصصًا أجادت فيها من حيث التغلغل في الحياة وتمثلها كما ينبغي، وكأنها اختارت فن القصة القصيرة، وفضلتها على غيرها من فنون النثر، لأنها أقرب الفنون إلى حياة الناس وهمومهم المباشرة ولما كانت الكتابة بشكل عام هي تصعيد وتعبير عن إلحاح الهموم والأفكار والمشاعر، فإننا نرى سميرة عزام في سياق

البحث عن أشكال تعبيرية تحمل خطابها وتتواءم مع روح العصر، فلم تكتف بأسلوب السرد المباشر، فقد أدخلت (المونولوج) في بعض القصص، ولجأت إلى أساليب مختلفة في قصص أخرى، كأسلوب الرسائل والحواريات. وهي في معظم قصصها لم تقع في بوتقة الصياغات التقليدية، أو المقاييس الجامدة والمفهومات الميكانيكية عن القصة القصيرة. ويمكن أن نلمس هذا بشكل جلي في القصص التي كتبتها بعد اطلاعها على الآداب الأجنبية قراءة وترجمة، إذ تخّلصت قصص هذه المرحلة إلى حد بعيد من الحشو الزائد، وقّلت تدخلات الكاتبة شارحة ومفسرة ومسيرة للشخصيات ومطوعة الحدث لخدمة فكرة مسبقة تود إيصالها إلى القارئ على شكل عظة أو أمثولة.[١]

في مجموعة (أشياء صغيرة) [٢] تتجلى البراعة والقدرة على السرد حيث تضم هذه المجموعة تسع قصص، وترتيب الحوادث في معظم قصصها، وكذلك في القصص: "بعد السيجارة"، "علاء الدرب"، "بائع الجريدة" و "منفاخ الإطارات". إنها مليئة بالتشاؤم في بعض جوانبها. "كعب السجائر" و "على الطريق" فتبدو الكاتبة على واقعيتها الرومانسية؛ "فهي تكتب ضمن الاتجاه الواقعي المغلَّف بالرومانسية الشفافة المعبرة عن واقعها الحزين المؤلم...، وعلى براعتها في بناء الحوادث، نجدها أكثر جنوحًا للتشاؤم .فقد أتكأت على ضغط الظروف في" عقب سيجارة"، لتؤكد أن الفتات في مائدة الحياة هو الذي ينتظر "محمود "وأسرته"، فألقتهم مقيدين في خضم الحياة بلا مسوغ مقبول، وسدت منافذ الحياة والنجاة على هذه الأسرة على الرغم من قدرة ابنها على العمل؛ فقد حملت نظرة الكاتبة المتشائمة الابن إلى السجن، كذلك فعلت في رسمها لصورة العروسين الحزينة في قصة "على الدرب" مع أن هذين العروسين الشابين اللذين يعملان، ولا يحملان حملا ثقيلا من المسؤوليات في الحياة كانا مثالا جيدًا للكفاح وشقِّ الطريق نحو السعادة والبناء.

---

(١) سميرة عزام أميرة القصة الفلسطينية، أبو عومر: مقالة مصورة زودني بها الاستاذ الدكتور محمود السمرة لم أستطع توثيقها، وارجح أنها منشورة في مجلة " شؤون فلسطينية" الصادرة من مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، العدد ٢٥٣، صيف ٢٠١٣م.

(٢) أشياء صغيرة، سميرة عزام، دارالعلم للملايين، بيروت، ١٩٥٤، ص/٦٤.

وفي "نافخ الدواليب" [١] ضاقت الكاتبة بالبطل الحيلة، ومنافذ الحياة الشرعية عندما أجبره على الغش، بينما كان في نضارة الحياة، ولم يوسع آفاقه لحياة كريمة في العيش – رغم نشاطه ودقته. اللافت في هذه المجموعة هو إصرار الكاتبة على موضوع الوالدين والأطفال من ثلاثة جوانب: "وجه الأم الشابة الجميلة التي مات زوجها من أجلها ونحو طفلين معها، كشف شبابها ورغبتها في ثانية زواج كما تلاحظ في قصة الأمومة الأخيرة"[٢] وجه الأب الذي تبين أنه حمل من والده عوامل الإنجاب المشوهة، عار على الزواج بسبب حبه لزوجته الشابة، وطلق زوجته الحبيبة، كما في قصة "ماما"، [٣]وجه الأم التي لم تستطع تحمل التضحية استجاب لنداء الزوج الثاني بعد وفاة الزوج الأول، وترك طفلاً يعرف كل أبعاد اليتم وآفاقه القاسية والمرة، كما في القصة "والده مات"[٤]. كان أسلوب الكاتبة في الغالب في مجموعتها القصصية، وهذا التجاوب المفرط مع فكرة الضغط ومرارة الظروف القاسية، وما ينعكس في أدبها وأسلوبها بشكل عام، مع إبراز ما تعانيه المرأة من داخل نفسيتها المرتبكة والمضطربة.

ومن قصص هذه المجموعة قصة "حكايتها" [٥] ، وشكل الخطاب الذي اعتمد عليه الكاتب في تجسيد مضمونه كان أقرب إلى الخطبة منه إلى القصة. "ونجد أن البطلة أصرت على تبرير سقوطها في حاجتها إلى عيش مرير، وسط ظروف قاسية حاولت فيها رسم صورتها. أما قصتها (أشياء صغيرة)" [٦] عنوان مجموعتها الأولى – إنها قصة تنفجر بالمشاعر الرومانسية التي تفلت من القمع، وازدادت في وهجها كمشاعر مراهقة تتفاقم لأسباب أساسية دون منطق معقول، "ولكن بمنطق خاص دائرة ضيقة ... يفتقر إلى الإقناع. لكن إرادة هذه المراهقة تنحسر وتضعف وتحير مما يتسلل إليها من التيارين": التيار الخاص والميل العام. لقد برعت هذه القصة في لمس أكثر الهواجس الخفية والدقة في نفس لون

---

(١) المصدر السابق، ص/٨٣-٩٠.

(٢)المصدر السابق، ص/٧١-٧٥.

(٣) المصدر السابق، ص/١٠٧-١١٦.

(٤) المصدر السابق، ص/١١٧-١٢٤.

(٥) المصدر السابق، ص/١٧-٢٦.

(٦) القصة القصيرة فى فلسطين والأردن، هاشم ياغي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١م، ص/١٦١-١٦٥.

الأبطال، وقد برعت في تتبع صراعها مع هذه الأشياء الصغيرة التي تواجهها في الحياة في المجال الخاص والعام، فهي قضية صراع بين قديم. تآكل ومتحلل، وجديد يحاول إثبات نفسه. بدت القصة وكأنها مونولوج داخلي تمت تصفيته من هذه المشاعر التي تندلع وتظهر مع أشياء صغيرة، بأسلوب ممتع وأنيق.

لم نجد في المجموعة الأولى لسميرة عزام أي ملامح للشخصية الفلسطينية أو أي جانب من جوانب هذه الشخصية. بل صادفنا في المجموعة ملامح وجوانب صور لشخصيات عامة غامضة تعيش في فراغ، خالية من المكان والزمان، وهذه السمات تسلط الضوء على بعض جوانب شخصية المرأة بشكل عام: مثل الفتاة المراهقة، الجانحة أو المرأة المنحرفة، المرأة المعدمة، الفقيرة .. أما صورة اللاجئة الفلسطينية فهي غير موجودة. لكن قد يتساءل المرء: أين خرجت سميرة عزام من المأساة، مطرودة من وطنها؟ .. يبرر الدكتور واصف أبو الشباب ذلك بحكم طبيعة عمل سميرة كصحفية ارتبطت في هذه الفترة الأولى من النكبة بوسائل إعلام أجنبية كان لها دور واضح في تهجير الشعب الفلسطيني، حيث أن هذا العمل منعها إلى حد كبير من الالتفات إلى مأساة أهلها، ومنعها من رؤية صورة هذا المتشرد، رغم أن الكاتبة نفسها من المشردين.[١]

٣. المجموعة القصصية «الظل الكبير» — سميرة عزام

مثلت سميرة عزام البدايات الأولى للقصة الفلسطينية التي رافقت بدايات الكفاح المسلح الفلسطيني. يرى غسان كنفاني أن أدب سميرة عزام يتخطى واقع المرأة إلى أكثر القضايا شمولاً وإنسانية، ولا فصل بينهما – فهي ابنة فلسطين وكاتبتها الرئيسية التي جعلت قضية فلسطين محور حياتها و الإنتاج الأدبي.

يقول الدكتور عيسى الناعوري[٢]: "لعل سميرة عزام هي أفضل راوية عربية تعالج قصص النساء وتحلل نفسية المرأة ومشاعرها في قصص فنية بارعة. إنها قادرة على التقاط جزء من الحياة لتجعل قصتها مليئة بالبهجة والعذاب"[١]!

---

(١) صورة الفلسطيني في القصة الفلسطينية المعاصرة، أبو الشباب، دار الطليعة، بيروت، ب ت، ص٧٥ .

(٢) هو أديب و كاتب و باحث أردني ، ولد فى ناعور (عمان) فى عام ١٩١٨م و توفي عام ١٩٨٥م. يعدّ واحداً من أهم الكتاب الأردنيين فى القرن العشرين.

أما في مجموعة سميرة عزام الثانية (الظل الكبير) [٢] التي صدرت عام ١٩٥٦، فاتبعت نفس النهج السابق من خلال إبراز جوانب شخصية المرأة مع تجاهل واضح للإنسان الفلسطيني، باستثناء قصتين قصيرتين نشعر من خلالها بموقف المؤلف السلبي تجاه الفلسطيني. في قصة "زغاريد" [٣] تخيل جانبا من حياة لاجئ فلسطيني شاب في بيروت وبقية أفراد أسرته: أبوه وأمه وأخته بقوا في مدينتهم "يافا".[٤] وعندما كان ينوي الزواج، أخبر أسرته برسالة عبر راديو الشرق إلى نير تنتقل هذه الرسالة إلى الكاتبة بحكم عملها كمذيعة. سميرة عزام تكتب عن هذا الخبر قصة قصيرة تصور فيها معاناة أم ستتزوج ابنها وهي بعيدة عنه دون أن تتمكن من رؤية عروسه أو اختيارها. فتقول: أي قسوة في الحياة تشتط فلا تشفق على قلق أم ولا تفرح قلب أب..[٥]، أما جميل عبد الله اللاجئ المحكوم عليه ألا يرى أهله، فمجبر على تقبل واقعه، وقد ذكر الابن في رسالته المذاعة الساعة التي سيعقد قرانه فيها، فنجد الأب يقوم ويقعد ويبصق من النافذة ويلعن أبا اليهود..[٦]، تجهش(أم جميل) بالبكاء. وتمضي الكاتبة في نقل حزن الأم، من خلال أحاسيس رومانسية حزينة، فتقول الأم :حتى أفراح الخلق صارت مثل جنازات المتشردين ... مات طعم الفرح في أفواه الناس، وامتدت جباههم بالحزن. ..[٧].

القصة القصيرة الثانية تصور حالة امرأة عجوز في رحلة شاقة من بيروت إلى الضفة الغربية، مرورا بجميع الحواجز الحدودية، للوصول إلى بوابة ماندلباوم لمقابلة ابنتها التي تركتها عروسا في ريعان شبابها، التي تزوجت بعد مأساة ١٩٤٨ .. الكاتب مشهد مأساوي يدل على معاناة الشعب العربي الفلسطيني من الاضطهاد والعذاب .. حيث تجلس المرأة العجوز (أم عبود) وتنتظر (ماري) ابنتها، لكن الابنة لم تأت حيث مرض زوجها ولم يتمكن من

---

(١) "مارس يحرق معداته"، عيسى الناعوري، دار المعارف، مصر، ١٩٥٥م، ص٧٥ .

(٢) الظل الكبير، سميرة عزام، دار الشرق الجديد، بيروت،١٩٥٦ .

(٣) المصدر السابق، ص/٣٦.

(٤) هى من أقدم وأهم مدن فلسطين التاريخية تقع اليوم ضمن بلدية تل أبيب على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط.

(٥) المصدرالسابق، ص/٣٧.

(٦) المصدرالسابق، ص/٣٨.

(٧) المصدرالسابق، ص/٤١.

مقابلة والدتها، هكذا تقول الأم العجوز لحامل هذا الخبر" قبلْ رأسها عني وُقلْ لها على لساني بعد السلام أنني إذا عشت عامًا آخر فسآتي إليها زاحفة على قدمي ..وإذا عاجلتني رحمة الله، فلن أموت إلا بحسرتين، حسرة بلدي، وحسرة (ماري)"[١] هذه القصة من أفضل قصص هذه المجموعة، وهي تحتوي على مواقف إنسانية مؤلمة، استطاع الراوي تسليط الضوء عليها بلغة عاطفية معبرة.

عالم الآخرين هو عالم بطلاتها وأبطالها، لذلك تكاد الدموع تفلت من عيونهم حتى تذرف على صفحاتهم بعد ماضيهم. لو تعاملنا مع شخصية (فرحات) هذا المزارع البسيط يستعد لركوب الطائرة إلى الشتات، ومن حوله عالمه الصغير من العشاق والعائلة ... سنجده في صورة السمكة التي ستنتقل منها (البركة) تتخبط في تشنج في مكان ما في العالم، ثم يضطر لمغادرة الوطن. وفي (فرحات) تتجمع آلام الهجرة والنفي. عندما يتنفس عشاقه في البكاء، يتشقق العالم، ويتشقق الوجود، وتنتقل الدموع من أقارب فرحات ومعارفها إلى البطلة التي التقطتها مشهد فرحات وهي لا تعرفه .. لكنها تتعرف فيه على الوجه المظلم الواجب للهجرة العامة لسكان الريف، حيث نشعر باستحالة تكيفهم خارج عالمهم الصغير الدافئ. ... خارج وطنهم!

٣. المجموعة القصصية «وقصص أخرى» — سميرة عزام

وقصص أخرى[٢] إنها المجموعة الثالثة من هذه القاصة المتميزة التي نشرتها عام ١٩٦٠. حاولت المؤلفة أن تكون انتباهاً لقضية الشعب الفلسطيني، خاصة أنها ابتعدت لفترة من الوقت – من خلال تقديم جوانب شخصية الفلسطينيين المشردين. وبقية قصص المجموعة تدور في الغالب حول القضايا الاجتماعية المتعلقة بالمرأة.

أما في قصة "في الطريق إلى برك سليمان[٣] فإنه المكان الذي تجمع فيه المهاجرون الفلسطينيون بعد خروجهم من قراهم إلى الضفة الغربية، تحت وطأة الضغط والإرهاب والقتل. تدور أحداث الفيلم حول جانب من حياة معلم فلسطيني زوجته وطفله من قرية

---

(١) صورة الفلسطيني في القصة الفلسطينية المعاصرة، ص٧٥-٧٦.

(٢) "وقصص أخرى"، سميرة عزام، ص/٢١.

(٣) المصدر السابق، ص/٢٣-٣٢.

بتير".[١] حيث حاصر اليهود هذه القرية بقواتهم الكبيرة وأسلحتهم المتفوقة، وتصف القصة كيف وقف أهلها في الصمود بأسلحتهم البسيطة وذخائرهم المحدودة، بمن فيهم معلم القرية وزوجته، وتصف تهجير أهل القرية، وشعور المعلم بعد نفاد رصاصاته وهو غير قادر على الصمود فيحمل طفله الصغير وتتبعه زوجته .. والتفت (حسن) إلى منزله وكان لا يزال مقيدًا بكرامة بياضها. الجدران تشرب ضوء القمر، ورائحة زهر اللوز تغسل له الربيع بسخاء، وحجارة بيته من المحاجر الجبلية، وحديقته ثمار فأس خرج بضربته بألف وعود .. شجرة اللوز المزروعة على يوم ولد (عمر). أصبح الزرع أكبر وأخضر، وكان يحمل ابنه ويوقفه بالقرب منه ويقول لنقيس ... أيهما أصبح أطول، أنت أم اللوز؟

ورأى زوجته تتحول مثله، وفي لحظة واحدة استعرضوا تاريخ العواطف التي بدأت منذ أن عرفت طالبة في القدس، وأحبها ثم حملها إلى هذا المنزل، ومعها جنبًا إلى جنب، قاموا بزرعها. الحديقة مليئة بالورود والأشجار، والعمر بيت بالحب والثروة، نعم هو في بيت عشهم الأبيض. كل حجر فيها يحكي قصة ملونة .. وشمم (سعاد). أما بالنسبة له، فقد حاول أن يتماسك وهو يستمد شجاعته من حرارة الجسد اللين الذي يحمله [٢].

في الطريق أثناء نزوح المعلم (حسن) يلعب القدر دوره في القصة، والشظايا تصيب ابنهما (عمر)، ويشعر الأب أن شيئًا ساخنًا يغطي يديه ويمسك نفسه، وينتقل للعيش معه. زوجته تحت وابل من القذائف. بيته وأرضه ووطنه وحده (عمر). وبعد أن دفنه – وشعر بعظم الجرحى – الوطن، والبيت، والمستقبل، والولد، وأنهم جميعًا ضاعوا في رحلة الضياع والتشرد والبؤس ... بطانية لزجة على ساعده، مع العلم أنها لم تكن حمراء قبل ساعتين ... إنها صورة الفلسطيني المقاوم الذي يحمل على كتفيه أكثر من آلام حزينة ومؤلمة، وهذا يدل على أن الكاتب بدأ يتجه عمدًا إلى جوانب من حياة الكارثة. [٣]

---

(١)قرية فلسطينية تقع في قضاء القدس.

(٢) وقصص أخرى، سميرة عزام، ص/٢٩.

(٣)صورة الفلسطيني في القصة الفلسطينية المعاصرة، ص/٧٨-٧٩.

أما قصة خبز الفداء [١] فهي قصة وطنية من قصص المحارب الفلسطيني، غنية بالبطولة البسيطة الجميلة، تتلألأ بالأضواء وكأنها أنوار الشعر الغنائي، والحكاية تظهر جهاد الفتاة العربية الفلسطينية وحبها النبيل والمخصب ورائعها. البطولة في أصعب الأيام التي قتلت أجمل وأروع فلسطين. ولهذا يرى الدكتور هاشم ياغي أن هذه القصة أشبه بقصيدة غنائية تثني على الشخصية الفلسطينية بكل أبعادها وظروفها وأرضها الجميلة وخداع أعدائها وخداعهم. جاءت أحداث القصة لتدفق الحياة الفلسطينية في محنتها بكل أنوارها وظلامها،كما استطاعت أن تتطور في أكثر الظروف تعقيدًا، وعلى مسرح البطولة، حب جميل ومشرق بين شخصين، فتاة فلسطينية وفتى فلسطيني، فتنامى هذا الحب، ونسف الجهاد الشريف حرارته وبطولاته، وانتهى بمأساة الفلسطينيين. أحسنت الكاتبة في عرض أحداث قصتها وتسلسلها، دون وعظ أو افتراء! والمرأة – البطلة – تعاني دائمًا وتتألم دائمًا وتضحي دائمًا.

(رامز) في هذه القصة شاب فلسطيني يقاتل دفاعا عن أرضه ووطنه، و (سعاد) مقاتلة فلسطينية تعمل في مجال التمريض للمقاتلين العرب. تؤسس الكاتبة معظم أحداثها في قصصها على القدر، حيث يلعب دورًا رئيسيًا في مجريات الأحداث وفي تحديد مصير الشخصيات. ولفتت هذه الجوانب لشخصيتين فلسطينيتين تمثلان النضال الفلسطيني المتميز بالصمود والأمل والثبات والكرم والتضحية. إطارات، عندما يقاتل ويثابر على مركزه، فإن ثباته يقوم على رسالته التي رسمتها اللجنة الوطنية للمدينة ... وعندما وجد وقتًا للاسترخاء فيه يجد وقتًا للتفكير بسعادة، و لنتساءل كيف تراها تعيش وتحت أي ظروف؟ ... صُدم مرة عندما رآها أمامه. ... كانت ملفوفة في عباءة، وحملت حزمة كبيرة، وكانت ساخنة حول كيفية استلامها، لكنها قللت من الأمر عندما فتحت الحزمة وقالت كلمتها لجميع الرفاق: اللجنة كانت خائفة أن تفرغ مستلزماتك وتتطوع بحمل هذه الأشياء ... في نظرة جذبت كل شوق العالم، فأشعلته لدرجة أنه تمنى إدراجها أمام جميع أصدقائه ...[٢] هي المرأة المقاتلة التي تجلب الإمدادات والمعدات والسجائر للمقاتلين، وهي المرأة التي تحمل هموم الأمة

---

(١) وقصص أخرى، سميرة عزام، ص/٧٥-٩٣.

(٢) المصدر السابق، ص/٨٧.

المغتصبة ... هي المرأة التي تضحّي من أجل تأمين الطريق للمقاتلين أثناء عملياتهم ضد العدو.

حاولت الكاتبة ما بوسعها أن تصور حدثاً، لا أن تسرد أخباراً، خصوصاً أنها نوعت المواقف التي تعرضت لها الشخصية، خاصة شخصية (سعاد) الممرضة، والمقاتل الذي يقف خلف المقاتل، حاملاً دعمه ومساندته. له نفسيا ومعنويا لتشجيعه على الاستمرار في صموده ومقاومته.[١]

سميرة عزام تعشق وطنها بشغف يسيطر على نفسها، وترى في جماليات فلسطين الجماليات التي تراها في أي مكان آخر، إنه حب الوطن ... كان وقت الربيع، وربيع فلسطين هو بحر أزرق تبحر فيه أشرعة المراكب البيضاء نهارًا، وتكثف البساتين البرتقالية الهواء، وفي ربيعه عرف شيئين، الحب والحرب، والأول أعطى معنى للثاني، بل مجموعة من المعاني ؛ ليست الحرب عدوًا يقتل الشهوة، بل هي حق حياة الأرض التي يحبها، والفتاة الحزينة التي يحبها، فلسطين ليست بحرًا ومراكب الصيادين، وليست برتقالة ما لا تتشبث. أن يحب الذهب، وليس الزيتون والزيت هو الذي يملأ الخوابي .. بل أيضا عيون سعاد السوداء. ورأى في عيني (سعاد) خير فلسطين كلها .. رأى له ظل بيت سعيد، وزوجة تلده بأبطال صغار، وتجعل من حبها معنى لوجوده .. .. وذلك رغم ما تعانيه من داخل نفسها.[٢]، إذا لم يكن هناك فاصل بين الحبيب والوطن الحبيب، ولا انفصال مع صديقنا بين الحب والحرب، حيث أعطى الأول معنى – لكن معاني – للثاني، وفي عيني سعاد (رامز) رأى الوطن، وحب الوطن .. يذكرنا بمقطع للشاعر بدر شاكر السياب. فاتت عيناك كف ساعة السحر .. كما خلط الشاعر جماليات محبوبته بجماليات وطنه!

كانت هناك أمثلة كثيرة عن المرأة في أدب سميرة عزام، وصورتها في معظم مجالات الحياة .. صديقة حميمة تعاطفت معها، كشفت عن عوامل ظلمها، ودعت إلى انتصارها، لا التحيز تجاه جنسها، بل في إيمانها بدورها المهم في المجتمع. العاشق المظلوم في حبه، الأم التي طردت من وطنها، الزوجة التي غابت عن زوجها للدفاع عن وطنه. كما أن سميرة لم تهتم

---

(١)القصة القصيرة فى فلسطين والأردن، ص/٧٩-٨٠.

(٢)وقصص أخرى، سميرة عزام، ص/٨٣.

بأمور المرأة الصغيرة بقدر اهتمامها بقضاياها المصيرية، لنساءها – في معظمهن – اللواتي سحقتهن الحياة، لكن رغم ذلك استطعن الوقوف طالما أنهن يمكن ... لم تلتقي في حكاياتها بسيدات الصالونات المولعات بالأحذية والمحافظ والفساتين، مثلما لم تلتقي بالنساء المتسكعات في السوق، لا مع من يحتقرن الحب الذي يقضي جفنه وينام. معهم – كما تقول الكاتبة نجمة حبيب – وعندما عرضت المرأة البرجوازية في قصة يتيمة بعنوان "عندما تمرض الزوجات" سخرت منها ذات مرة بطريقة (كاريكاتورية) عرّيتها وفضحت صفها ونموذج تفكيرها. . ولاحظت الباحثة اهتمام سميرة بنموذج المرأة العادية والمقاتلة والمحروقة .. وأهم قضاياها التي جعلت الكاتبة تقف في الصف الأول بين الكاتبات العربيات الرائدات في فن القصة القصيرة. المرأة ليست حضورا (نموذجيا) من جانب واحد وتهتم بنفسها وجوه ومواقف اجتماعية متعددة في إطار رؤية فكرية ناضجة وموقف متشدد تجاه الحياة[١] .

٤. المجموعة القصصية «الساعة والإنسان» — سميرة عزام

قدم عفيف فراج في دراسته "الحرية في أدب المرأة" أمثلة على "سميرة عزام" عندما رصد النماذج (البروليتاريا) المتهالكة من الصغار والأطفال المتسولين وعارضات كمال الأجسام .. تلك المرأة التعيسة". يدفعه مجتمع القمع الجنسي والقمع الاجتماعي والنفاق الأخلاقي إلى الحضيض. قدم عفيف هذه الأمثلة في ثلاث قصص "قصتنا" من مجموعة "الأشياء الصغيرة" و "الطوفان" و "من بعيد" من مجموعة "وقصص أخرى" ... كما أظهر نوعًا حيث المرأة الساقطة لها صور كثيرة. وذكرها في القصة "الثمن" و "قصص أخرى". ووقفت فراج أيضًا على مثال المرأة المقاتلة، ولا يمكن مغادرتها دون النظر إلى النسوية نموذج نضالي، وقد قدمت سابقًا نموذجًا واضحًا للمرأة في قصتها "خبز الفداء". [٢]

"الساعة والإنسان[٣] هي المجموعة الرابعة لسميرة عزام، لا تختلف عن مجموعتها وغيرها من القصص من ناحية المستوى الفني، حين ركزت في القصص على الخطاب

---

(١) المرأة في أدب سميرة عزام، الدكتور فخري طمليه، سلسلة مقالات صوت الشعب،٥ أيلول، ١٩٨٦.

(٢) الحرية في أدب المرأة، عفيف فراج، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت،١٩٨٠ ، ص١٧٢ .

(٣) الساعة والإنسان، سميرة عزام، المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر، بيروت،١٩٦٨ .

الاجتماعي، وتعرضت للفقر والانحراف وحب المال ... بينما تتناول قصتنا أوضاع اللاجئين في هذه المجموعة لأنه يحبهم[١] وفلسطين"[٢].

ربما تكون القصة أقرب إلى تقرير صحفي، حيث قال المؤلف إن الظروف البائسة للاجئين هي ما يدفعهم ليكونوا بينهم اللص والمجرم والظالم والوغاد. وعلى لسان إحداهن تتحدث، لأن أحدهم شعر بالغيرة، لذلك أحرق مخزنًا للإمدادات، لأنه في رأيه، كانت مثل هذه المتاجر هي أنجبت الظروف البائسة للاجئين، وعلى الرغم من أن الظروف تلعب دورًا كبيرًا فلا يمكن أن تبرر (وصفي) بالذات، رغم من ذهب لإحراق المخزن – رمز الظروف البائسة. وهو في نفس الوقت ثري، ويقرض ماله (مع الفائدة) بالنسبة لا تقل عن خمسين بالمائة! أو يميل إلى فرض رؤية معينة على شخصياتها وبطلاتها – خاصة – في مواقف الأزمات، وأدعي أن هذا البحث جديد في الاقتراح والمناقشة.

وإذا علمنا أن الراوي يكتب هذه القصة بواسطة راوي، وإذا علمنا أن الراوي هو موظف في مركز التموين (أونروا)[٣] وهو صديق لـ (وصفي) متهم بالسرقة، نعرف ما الذي استهدفه الكاتب. إنها تعيش بعيدًا عن الخيمة، ومصائبها، وتعيش حياة مريحة بتأثير علاقتها الرومانسية المعتادة، تنتقم من الفلسطيني لأنه لا يمكنه إلا أن يكون صامتًا وخاضعًا، وتحاول أحيانًا إيجاد مبررات لكل من روى جزء من حياتهم، ذكرا وأنثى، وإن كان الناقد يأتي إلى الدفاع عن الفتيات أحيانا !!

يظهر الاضطراب الظاهر في بنائه السردي وتسلسل أحداثه فى القصة الثانية "فلسطيني"[٤]، فضلًا عن المبالغة في تفسير الأمور وتفسيرها، الأمر الذي دفع "الدكتور واصف أبو الشباب" قائلاً: "إنها أقرب ما تكون إلى خبر مسلٍّ طريف ينشر في صحيفة يومية، وأفضل مكان له في الصحيفة زاوية الحوادث، القصة في واقعها خبر محض لأنها تفتقر إلى تصوير معقول للجانب الذي أرادت إبرازه، فهي تحكي عن فلسطيني يملك دكانًا، ويأتيه

---

(١)الساعة والإنسان، سميرة عزام، ص/٢٥.

(٢) المصدر السابق، ص/٨٥.

(٣) "وكالة الغوث الدولية لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين".

(٤)الساعة والإنسان، سميرة عزام، ص/٦٥.

أحد السماسرة يغريه بدفع رشوة أو مبلغ من المال لقاء حصوله على بطاقة شخصية لبنانية، ويوافق هذا الرجل كما توافقه زوجته، وبعد فترة وجيزة، يعرف أنه كان ضحية لعملية تزوير وغش !وكان الأحرى بالكاتبة أن تترك هذا الخبر لصحيفة يومية ولا تحاول أن تجعل منه مسألة هامة!"[١]

٥. المجموعة القصصية «العيد من النافذة الغربية » سميرة عزام

مجموعة قصصية لسميرة عزام "العيد من النافذة الغربية" [٢] نُشرت بعد وفاتها بخمس سنوات ، ظهرت فيها المرأة مهزومة وفي أزمة. تضم المجموعة "إحدى عشرة قصة"، نُشر أغلبها في الصحف والمجلات العربية المحلية و الدولية. وشعرت بتراجع في قدرة الكاتبة على إظهار شخصياتها ومحاورهم. تشبه قصص هذه المجموعة إلى حد كبير مقالة قصصية أو فكرة يومية في زاوية صحيفة. وفي ختام هذه المجموعة، ضم الناشر أفكار نثرية لسميرة عزام بعنوان "فلسطينيون"، وشكك باحث غير باحث في نسب هذه الأفكار لصديقنا ...[٣]

نرى تحقيقا للفكر أو الخيال في مجموعة "العيد من النافذة الغربية" وتعرض الكاتبة في قصتها التي تميزت بها "حياة أرملة حزينة". ومضى عام، على وفاة زوجها، في يوم العيد، تتردّد هذه الأرملة: هل ستفرح وتشارك الناس في أحزانهم وسرورهم، أم ترتدي الأسود، تندب ثروتها كشجرة في حديقتها، التي لم تثمر منذ أعوام؟ .. تحاول المؤلفة أن تنهض هذه الأرملة، لترى قطعان العصبة مرة أخرى، وتشاهد العيد القادم تشعر بهذه الفرحة الحقيقية، وتخلع سوادها، وربما ينحرف الكاتب عنها موضوعية القصة وتتورط في قولها، "نحن حياة تموت جزئياً فقط لأن في قلبها بذرة التجديد".

يحس القارئ بقصد الأسلوب السردي العام في قصصها، "هم مقتنعون، لكن بما أن الحارس كان الحارس واللص في نفس الوقت – وقد سرق المنزل الذي كان يحرسه عندما علم أنه سيكون طرده من عمله ... وهو يحاول إقناع أصحابه بأن المنزل سيُسرق، فالأمان

---

(١) المرأة المأزومة فى قصص سميرة عزام، ص/٣٠٦.

(٢) العيد من النافذة الغربية، سميرة عزام، دار العودة، بيروت،١٩٧١ .

(٣) صورة الفلسطيني في القصة الفلسطينية المعاصرة، ص ٨٣-٨٥.

مشروط بوجوده، لكن الحارس لم يفهم لماذا طُلب منه، بعد أيام، تسليم البندقية وتطهيرها. غرفة لحارس جديد جاء لتوه"[١] ...

في القصة "التباس" تظهر القصة باهتة اللون من حين لآخر لكن يد لم تمتد إلى الحلقة، ووضعت عليها أربع عيون، يكاد لا يصدق أنها كانت الحلقة نفسها. وبدأ البائع يضحك ويسعد بالموقف الذي تخيله عندما يرافق المهندس وزوجته لشراء بديل لخاتمها، الصورة هنا ضعيفة والحدث ضعيف! [٢]

أما في قصة "المحروس" تضيع الحدث وموقف الشخصيات أوسط ارتباك شديد في اختيار الزوج لاسم طفله التالي. أعتقد أن هذه ليست مشكلة مهمة تصلح لقصة قصيرة، وتوافقني جميلة العمايرة في عرضها لهذه المجموعة.[٣] ...

إنها مشاعر مثقفة تشتاق إلى وطنها الوثني وتتحدث إليه برسم العذراء، وكذلك مئذنة المسجد كرمز إسلامي. إنها أعمال درامية رومانسية أو لنقل الأفكار الوطنية. واختتمت مجموعتها الحكاية الأخيرة "العيد من النافذة الغربية" وهي تقترب من فن القصة القصيرة على الرغم من سرحات الكاتبة ونثار خواطرها التي تعكسهم المرأة البعيدة عن وطنها المحتل، إنها المرأة التي تعاني فقدان الوطن والأهل ! ومجموعات سميرة عزام الخمس، لا تحتوي إلا على سبع قصص قصيرة تعالج جوانب الشخصية الفلسطينية، وما تبقى من قصصها فهو قص عام مجرد من الزمان والمكان وهو يتسم بالعمومية والشمول، بحيث تجمع هذه القصص بين جوانب لشخصيات عامة حول المرأة والرجل، المرأة بصورتها السلبية والايجابية، حيث نجد المرأة الطيبة المضحية، وتتمثل غالبًا في صورة الأم والزوجة، كما نجد المرأة المنحرفة الشاذ وصور الفقر المتعلقة بالرجل والمرأة تنتشر في معظم مجموعاتها، وكذلك الصور التي تمثل، بعض الجوانب الاجتماعية المتعددة.

يحسب الباحث أنها ستدقق في أحداث فلسطين ومآسيها، ولكن سميرة طرقت هذا الموضوع الخاص بالشخصية الفلسطينية عرضًا دون إحساس عميق بمشكلات هذا الإنسان

---

(١)العيد من النافذة الغربية، ص/٣٧.

(٢)الصدر السابق، ص/٦٧.

(٣) الإبداع فالرحيل ..بصمت، مقالة سميرة عزام، جريدة الدستور الأردنية .

وما يعاني في تشرده وغربته .وفي المقابل التفتت إلى المجتمع وصورت الكثير من حياة أفراده، ولكن رسمها وتصويرها لهذه الشخصيات كان خارجيًا يفتقر إلى العمق ووضوح الرؤية، وتفتقر إلى المعاناة الحقيقية التي يحتاجها أي كاتب يريد أن يتصدى لمشكلات مجتمعه.

في حين نجد غيرها من الكتاب الفلسطينيين أمثال، غسان كنفاني، ورشاد أبو شاور، ونبيل شحادة، وسلوى البنا، وعرفات حجازي، ..ومن داخل الأرض المحتلة محمد علي طه، وزكي درويش وحنا ابراهيم وغيرهم، مِمن جعلوا قصصهم القصيرة مقتصرة على الإنسان الفلسطيني[١] ...

٦. المجموعة القصصية « عابروالسبيل » — نجوى قعوار فرح

من أشهر المجموعات القصصية[٢] للأديبة نجوى قعوار فرح، مجموعة قصصية تتكوّن من خمس عشرة أقصوصة. وقد صدرت الطبعة الأولى منها في عام ١٩٦٠م عن دار ريحاني للطباعة والنشر في بيروت.

في اختيار مجموعة من إنتاجها الأدبي الذي سبق المأساة، والإشراف عليه، وكان من أشد دواعي سروري أن اكون أنا الذي يقدم هذه المجموعة إلى القراء، فأشعر بتجدد الصلة بيني وبين هذا القلم المنتج الجميل.

سيجد القارئ في هذه المجموعة خمس عشرة أقصوصة، وهي أي السبيلين، بائع الصحف، العودة، حكيم المقهى، الطبيب المجهول، القبس، وحيدة، منحة طفل، الإبن الأكبر، بهجة الخريف، اليتيم الفنان، ساعة الرحيل، فتاة هوبة، قصة الجيل، عندما عاد النيروز. سبق أن نشرت او اذيعت، والاخيرة منها هي أطولها، حتى ليمكن القول إنها اكثر من اقصوصة، لأنها تزيد في حجمها على ثلاثٍ من أخواتها، وسيجد ان جميع ابطال هذه الأقاصيص هم من المذنبين أو المتألمين، بعضهم نساء وبعضهم رجال، واسباب المهم متنوعة، فبعضها شقاء اجتماعي، وبعضها شقاء عاطفي، واغلبها نتيجة الاوضاع الاجتماعية

---

(١) الاتجاهات الادبية الحديثة في فلسطين والأردن، أبو شباب، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة،١٩٥٧ ، ص/١٠٢-١٠٣.

(٢) عابروالسبيل، نجوى قعوار فرح، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م.

والاقتصادية السيئة في الشرق، أو بسبب الجهل والرجعية، أو بسبب تحكُّم الاقطاعية، أو سوء النُّظم والحُكم.

وسيلمس القارئ في أغلب هذه الأقاصيص نقمة طاغية عنيفة على غطرسة الأغنياء وقسوتهم، وعطفاً بالغاً على الطبقات الضعيفة المتألمة. وسيلمس كذلك روعة التأثير روعة العميق في هذه الاقاصيص، سواء في خلق الحوادث أو وضع الحوار، ولكن ابلغ التأثير يمكن في خواتيم هذه الأقصيص، فانها تثير الدمع على الرغم من البساطة الجميلى التي في اغلبها، سيجد هذا التأثير البليغ بشكل خاص في خواتيم (اليتيم الفنان، الإبن الأكبر، بهجة الخريف، منحة طفل، الطبيب المجهول، فتاة موهوبة). وفي القسم الآخر من المجموعة تجد ابلغ التأثير في سياق الاقصوصة، كما في (بائع الصحف، أي السبيلين، وحيدة، الإبن الأكبر) وغيرها[١].

ومما يثير في نفس القارئ شديد الاعجاب بهذه المجموعة، هو إن المؤلفة كانت بارعة كل البراعة في اختيار الحادثة وخلق المناسبة والجوار في جميع اقاصيصها، وكثيراً ما تبدو برعايتها العظيمة ايضاً في الوصف، وصف الأجواء القصصية، ووصف الطبيعة، ووصف الاحاسيس المتنوعة، وفي هذه الأخيرة تتجلى مقدرة المؤلفة في التحليل النفسي الدقيق لأحاسيس الحب، والحزن والطفولة، والحنو، والاستسلام، والتمرد، وهذه المواقف التحليلية في بعض اقاصيصها كما في: بهجة الخريف، منحة طفل، بائع الصحف، ساعة الرحيل، وحيدة، اليتيم الفنان، فتاة موهوبة، وعندما عاد النيروز إنما تزيد في قوة المجموعة، وفي شدة تأثيرها، وروعة وقعها في النفس.

والمؤلفة دقيقة الملاحظة، قوية الاحساس بما حولها، وقوة الاحساس ودقة الملاحظة ميزتان أساسيتان في الأديب والفنان، وعليهما يرتكز إلى حدّ بعيد جمال الإبداع وقوّته في انتاجه الفني، والقارئ يلاحظ أن نظر المؤلفة وإحساسها لا يفوتهما إحساس يتيم، أو فتاة موهوبة، أو بائع صحف، أو أجير في مقهي، أو جدّ عجوز يبذل حنانه لحفيده، أو عانس تقف حياتها لسعادة شقيقها وأولاده، أو معلمة عجوز وحيدة في ليلة عيد، أو إنسان ساذج يلّم ذوي العلم قيمة الاتكال على رحمة الله أو غير ذلك.

---

(١) "عابروالسبيل"، قصة أى السبيلين، ص/٦٥.

وفي خلال الحرب العالمية الثانية تتدفق على فلسطين جماعات عديدة من البولونيات الشقراوات، فتغص بهن القدس، والناصرة، وعين كارم، وحيفا، وجهات أخرى كثيرة من فلسطين، ويكون مجيئهن سبباً في مآس عائلية وأخلاقية عديدة، وفي إشاعة كثير من الفساد الخلقي في الشباب المتهالك على الجمال الغريب المباح، فيكون هذا باعثاً لقلم نجوى على وضع قصة تحليلية وصفية طويلة رائعة، كانت البولونيات الشقراوات فيها هن عامل الفساد والدمار، وهدم السعادة في قلبين شديدي الحب والإخلاص، ووقوع مأساة مدمرة لهما معاً، تلك هي قصة (عندما عاد النيروز).

وفي هذه القصة الطويلة[١] المليئة بالتحليل العاطفي والوصف الجميل، تلتقي براءة الحب وعنفه بقساوة الهجر وآلامه، والندامة ومرارتها، والصفح وجماله، ثم عذاب الفراق الأبدي، إنها أحاسيس مختلفة تجمعها الظروف والناسبات التي عرفت المؤلفة كيف تؤلف بينها ببراعة تامة.

ولا تكاد تخلو قصة من هذه المجموعة من عظة وعبرة، ففي بعضها ثورة على الرشوة والنفاق والدجل الاجتماعي، وفي بعضها نقمة على غطرسة الأغنياء وذوي المظاهر الخادعة، وفي بعضها حث على الإيمان برحمة الله وعدالة السماء، وفي بعضها نقد لاوضاع المجتمع السيئة، أو لرجعية بعض من يحاربون المدينة العصرية فتصرعهم المدنية وتمضي في تقدّمها، وهكذا.

وإلى جانب ذلك يظهر أثر الشعور الديني بوضوح شديد جداً في عدد من الاقاصيص، فاحتفالات عيد الميلاد، وتراتيلها وأجراسها ومشاعرها، وهدايا العيد، تتكرر في (وحيدة منحة طفل، الإبن الأكبر) وكذلك تتكرر الإشارات إلى المدارس التبشيرية، والتمثل ببعض الآيات من التوراة والانجيل، وتشيع الروح الدينية المؤمنة الشديدة التمسُّك بأهداب الدين في (ساعة الرحيل، والطبيب المجهول) وفي الأولى بشكل خاص، فإن أي متدين يقرأها يشعر بأنها أوقع في النفس من عظات الف قسيس.

---

(١) عابروالسبيل، قصة عندما عاد النيروز، ص/٦٨.

وليس غريباً أن تشيع هذه الروح في ما ينتجه قلم نجوى، فقد نشأت نشأة دينية، وكان خالها القس مرمره. رئيس المجمع الأنجيلي في فلسطين والأردن، ثم قدّر لها أن تصبح أخيراً زوجة قسيس، هو القس الفاضل رفيق فرح راعي الطائفة الانجيلية في حيفا الآن[١].

إلى جانب الحسنات الكثيرة التي يلمسها القارئ في هذه المجموعة، فتثير في نفسه الإعجاب والتقدير، سيلاحظ أن في بعض الأقاصيص اضطراباً في الحوار بين الفصحى والعامية، حتى ليجتمع كلاهما في العبارة الواحدة، كما في العبارة التالية من قصة (حكيم المقهى): ألا يكفي أنك إنقذتني؟ وبتخسر من حبيبك كمان؟ وهذا الاضطراب بين العامية والفصحى يتكرر كثيراً، وبشكل بارز.

الا أن ما في الاقاصيص من التأثير، والقوة، والتحليل، والوصف، والجمال، يطغي على هذا الأضراب، ويهون من امره، حتى ليكاد يختفي من ذهن القارئ الذي يهمه الموضوع قبل كل شيء، فينساق إليه بكل حواسّه، ويستغرق فيه بلذة كثيرة[٢].

٧. المجموعة القصصية «القفص» — ندى جريس

من أشهر المجموعات القصصية[٣] للأديبة ندى جريس، مجموعتها القصصية الثالثة بعنوان " القفص." ، مجموعة قصصية اشتملت على ١٣ قصة قصيرة، وهي:" القفص، الجوع كافر، ورشة عمل، على كف عفريت، كنقرات الديك، الصوان، خبير أجنبي، جدران أخرى، الغراب، سندريلا، توكلي على الله، كفاف يومنا،" و "junk food". صدر حديثًا عن دار الثقافة بالشارقة في الامارات العربية المتحدة. وجاءت المجموعة في ١٤٨ صفحة من الحجم المتوسط، وصمت غلافها مروى الهرمودي.

وتصور مجموعة "القفص" واقع الحياة اليومية فى مدينة رام الله، بكل تناقضاتها تحت نير الاحتلال، وسعي الانسان الفلسطيني الى تدبير أمور حياته ومعيشته فى واقع قهري بالغ التنقيد،حيث عمليات التنكيل الاحتلالية وتفتيش العابرين على الحواجز العسكرية وإذلالهم وخنقهم،وتحويل حياة الناس الى عذاب ومعاناة يومية. ونلمس فى المجموعة النقد الساخر

---

(١) عابروالسبيل، قصة ساعة الرحيل، ص/١٦٤.

(٢)الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، ص/٢١٣.

(٣) القفص، نجوى قعوار فرح، دار ريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٠م.

للكثير الظواهر الاجتماعية والسياسية. يشار إلى أن ندى جريس كاتبة فلسطينية من قرية فسوطة بأعالي الجليل، وتعيش فى رام الله، وكان صدر لها مجموعتان قصصيتان هما " حياتنا الصغيرة" و "الخواجا".

٨. المجموعة القصصية «تقاسيم الفلسطيني» — سناء الشعلان

تقاسيم الفلسطيني[١] من أشهر مجموعات قصص الأديبة الدكتورة سناء الشعلان مجموعة قصص قصيرة تتكون من "مائة وأربع وسبعين قصة قصيرة" موزعة على سبعة عناوين رئيسية وهي أقسام الوطن، "تقسيمات المعتقل وانقسامات المعسكر وانقسامات الشتات وانقسامات العرب وانقسام العدو وانقسامات البعث" بما في ذلك عام ٢٠١٥ من قبل دار أمواج للنشر والطباعة في الأردن.

"سناء كامل أحمد شعلان" كاتبة من المملكة الهاشمية الأردن من أدباء العرب المعاصرين. هي من أصول الشعوب الفلسطينية، حيث ترجع أساس عائلتها إلى قرية "بيت نتيف" في محافظة الخليل. حاصلة على درجة الدكتوراه في الأدب الحديث، وتعمل أستاذة جامعية في نفس التخصص في الجامعة الأردنية في الأردن. تكتب الرواية والقصة القصيرة والمسرح والسيناريو وأدب الأطفال. حاصلة على لقب واحدة من أنجح ٦٠ امرأة عربية لعام ٢٠٠٨ في الاستفتاء العربي الذي أجرته مجلة سيدتي، والتي تصدر باللغتين العربية والإنجليزية، وتحمل نجمة السلام لعام ٢٠١٤ من منظمة السلام والصداقة الدولية في الدنمارك وناقد وإعلامي ومراسل لبعض المجلات العربية وناشط في قضايا حقوق الإنسان. الرجل والمرأة والطفولة والعدالة الاجتماعية، عضوة في العديد من المنتديات الأدبية، وفازت بنحو ٦٠ جائزة دولية وعربية ومحلية في مجالات الرواية والقصة القصيرة والمسرح وأدب الأطفال والبحث العلمي، بالإضافة إلى العديد من المسرحيات المنشورة والممثلة والحائزة على جوائز. حاصلة على درع الأستاذ الجامعي المتميز من الجامعة الأردنية لعامي ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨ على التوالي كما حصلت على درع الطالب الأكاديمي والإبداعي لعام ٢٠٠٥م.[٢]

---

(١) تقاسيم الفلسطيني، د. سناء شعلان، دار أمواج للنشر والطباعة، الأردن،٢٠١٥م.

(٢) الدّواني و الغواني، د. سناء شعلان، دار أمواج للنشر والطباعة، الأردن،٢٠٢٠م.

لها ٥٢ كتاباً منشوراً ما بين كتاب نقدي متخصص، ورواية، ومجموعة قصيرة، وقصة للأطفال، بالإضافة إلى مئات الدراسات والمقالات والأبحاث المنشورة، بالإضافة إلى العديد من الأعمدة الدائمة في العديد من الصحف والدوريات المحلية والعربية . كما لها مشاركات واسعة في المؤتمرات المحلية والعربية والدولية حول قضايا الأدب والنقد والتراث. حقوق الإنسان والبيئة، بالإضافة إلى عضويتها في لجانها العلمية والتحكيمية والإعلامية، وممثل لعدد من المؤسسات والهيئات الثقافية والقانونية، وشريك في العديد من المشاريع الثقافية العربية. ترجمت أعمالها إلى العديد من اللغات، وحصلت على العديد من الأوسمة، والدروع، والألقاب الفخرية، والتمثيلات الثقافية والمجتمعية وحقوق الإنسان.

هذه المجموعة من القصص هي عبارة عن مجموعة تسجل في قصص قصيرة ملامح مختلفة لنضال الشعب الفلسطيني داخل الوطن وخارجه عبر قرابة ستة عقود من المعاناة والمواجهة والإصرار على النصر والالتزام بالوطن المقدّس في استعادة وطنه، وفي الوقت نفسه يصور المشاهد الإنسانية والتاريخية والسياسية والاجتماعية والدينية والفكرية المحيطة بهذا الحلم، الذي أصبح بلا منازع نموذجًا للثوار والأبطال والمناضلين في تاريخ البشرية الحديث.

مجموعة القصص هذه هي تجربة إبداعية جديدة يجب أن تمر بها من حيث الشكل السردي القصير الذي يتمسك بوحدة الموضوع في جميع أنحاء المجموعة ضمن الموضوعات الرئيسية التي تنظمها لإلقاء الضوء على ملامح التجربة الفلسطينية بكل تنوعها والتفرد والتميز. من ناحية أخرى، فإنه يسجل تجربة الظلال الذاتية التي تمتلك الخصوصية المبدعة نفسها، وهي تستفيد من تجربتها الشخصية كفلسطينية وابنة حالتها، وتفحصت حقيقة العديد من الصور لقضيتها، بل وعاشت حقيقتها، واستشهدت ببعض تفاصيلها في هذه المجموعة. سواء كانت مقصودة أم لا. [١]

وعن هذه المجموعة الحكاية تقول الكاتبة شعلان إنها فخورة بهذه المجموعة القصصية التي تعتبرها حصريا من مجموعاتها القصصية امتدادا لنفسها وتجربتها الشخصية كفلسطينية تتعايش مع صور ومراحل القضية الفلسطينية، لأنها تعيش بشكل طبيعي، ولهذا تقول إنها

(١) السرد الغرائبي و العجائبي فى الرواية والقصة القصيرة فى الأردن ١٩٧٠-٢٠٠٢، د. سناء شعلان، وزارة الثقافية الأردنية، ٢٠٠٦.

هي مجموعة من تجارب شخصيات عوالمها لدي علاقة مباشرة أو غير مباشرة، وجدوا أماكن لهم في سرد هذه القصص، وشاركوا في صياغتها من أفكارهم ومواقفهم تجاه قضيتهم بعد رصد العديد من المواقف الفلسطينية والعربية والدولية تجاههم، وأثر ذلك على مصير ومسيرة وأحداث هذه القضية.

وأضاف شعلان أن هذه المجموعة الحكاية هي تمثيل حقيقي لفلسطين، فهي مشهد اعتزازها بعدالة قضية وطنها، وانتصاراً حتمياً لها مهما طال الصراع والتضحيات. وطالما أن هذه القضية من أكثر قضايا الإنسانية عدالة، والحرية والعدالة في هذا العالم، مهما تأخر تحقيق النصر الكامل وتحرير فلسطين من نير احتلالها.

٩. المجموعة القصصية «أرض الحكايا» سناء الشعلان

المجموعة القصصية "أرض الحكايا"[١] من أشهر مجموعات قصص الدكتورة سناء الشعلان مجموعة قصصية صدر العدد الأول منها عام ٢٠٠٦ عن طريق نادي الجسرة الثقافي قطر.

هي مجموعة حكايات تتلاعب بموضوعات الأسطورة والأساطير والحكاية الشعبية، وتتخلص منها في مزيج سردي جريء يختزل الواقع لتقديم الواقع بكل أجزائه الجميلة والقبيحة، يرسم السعادة في أبهى صورها معانيه ويكرس الحزن بكل قبحه وألمه. هي مجموعة تتميز بقدرتها على تقديم مساحات كبيرة من المشاعر الإنسانية والعواطف الإنسانية بعيدًا عن المحرمات دون احتقار أو الوقوع في فخ المغالطات أو التناقضات أو المبالغات العقيمة، على الرغم من أن المجموعة تدين بالكثير من تماسكها النصي وسردها تقنيات لعبة المفارقة التي تجعل الحرمان سداسيًا، وتجعل البحر كذبًا، وتجعل ملك القلوب بلا قلب، وتحول جدارًا من الزجاج إلى قوة تحجر مشاعر أبطال قصته، و يجعل الطيران ممكنا لمحب حتى لو كان عاشقا مكتئبا. هي التي تبرر بكاء الشيطان في عالم يدين بالكثير للأحلام والتجاوزات.

---

(١) أرض الحكايا، د. سناء شعلان، نادي الجسرة الثقافي، قطر، ٢٠٠٦م.

١٠- المجموعة القصصية «ياسمين» إسراء عبوشي

كتاب الياسمين[١] للكاتبة الفلسطينية إسراء عبوشي، صدر عن دار الشامل للنشر والتوزيع بنابلس سنة ٢٠١٧، ويحتوي الكتاب على ١٦٢ صفحة متوسطة الحجم، ويضم مجموعة قصصية. يحتوي الغلاف على لوحة للفنان الفلسطيني: عماد أبو شتية وصممتها وفاء صلاح من مصر.

بدأت الكاتبة الفلسطينية مجموعتها الحكاية بعنوان "الياسمين" بمقدمة للبروفيسور جميل السلحوت الذي بدوره قدم للمؤلفة نبذة مختصرة عن حياتها في ظل الاحتلال وأشاد بهدف هذه المجموعة التي تنقسم إلى أربعة أجزاء تفرقنا، آخر المعزوفة، أسطورة الحب، سلاسل "ياسمين". ويبدو أنها شاهد عيان على تلك الجرائم والفوضى التي خلفها الاحتلال، لذلك تقرر أن تشم رسائلها برائحة الياسمين، فتكتب عن الدم، عن حلم الياسمين الصاعد. أما عن التفاني فقد قادتنا الكاتبة من خلاله بحب لعائلتها وخاصة والدتها التي بدأت معها وحققت حلمها.

القصة الأولى "شمولنا منقسم" تحدث المؤلف من خلال هذه القصة عن حرب ١٩٦٧ وتقسيم الأراضي الفلسطينية إلى شرقية وغربية مما أدى إلى تشتت العائلات وشتاتهم، حيث ضمت الإدارة الأردنية جزءًا من فلسطين إليها "الضفة الغربية" ومنحهم الجنسية الأردنية.

لا شك أن الكاتبة تنقلنا من مكان إلى آخر، لذا فهي تتحدث عن أسباب قوة الأشخاص الذين لا يقهرون الذين ينهضون من جديد مهما كانت الظروف والمحن التي تعيشها. والمرأة التي لا تزال تتعامل معها تنحصر في كونها خادمة ليس لها حق.

تروي هنا لنا الكاتبة قصة الشاب "سامر"[٢] التي كان لحبها النصيب الأكبر من التشتت، من خلال حبه لابنة عمه "مرام" التي تعتبر أردنية ولا تحمل الجنسية الفلسطينية، مما يعني أنها ليست مواطنة فلسطينية، وأنها أجنبية.

---

(١) ياسمين، إسراء عبوشي، دارالشامل للنشر والتوزيع، نابلس، ٢٠١٧م.

(٢)المصدر السابق ، ص/٣٤

لكن الحب أقوى بكثير من كل أسباب الانفصال، فتراه يقول: "يترك الحب علامات في سماء الاتصال، وكأنه همسة، ولا يسمعها سوى حبيبان صدقا العهد". [١]

ثم تبدأ خيالات الرفض التي تتحول بين سامر ومرام، وتبدأ الأفكار في الضغط عليهما، ومنها أنه إذا عبرت مرام الحدود ودخلت فلسطين، فلن تتمكن من العودة إلى عائلتها في الأردن، وبالتالي تعود الأسرة إلى الشتات والعزلة مرة أخرى.

بعد فترة وجيزة تدخلت وصال "أخت مرام" لإقناع الأسرة بأن الحب أقوى من كل شيء، وأنها ستعتني بوالدتها عندما تسافر إلى مرام. وسرعان ما جاء يوم الفرح في الضفة الغربية "الأردن" لتنتقل بعد ذلك إلى فلسطين التي لم تعد وطنها.

القصة الثانية "الضائع الأخير" وهنا يتحدث الكاتب عن آلام السجن للسجين والأسرة التي تعتبر غرابتها ثوبًا، عن العنف والإيذاء الذي يتعرض له السجين سواء لفظيًا أو جسديًا أو نفسية، عن الخسائر التي يلحقها به، وعن فقدان أحد أعضائه ووصوله إلى الإعاقة، كما تحدثت عن الرباط في الأرض المقدسة والصمود رغم أساليب العنف والتهديد.

حكاية فتاة تدعى سعاد تبلغ من العمر اثني عشر عاما تزوجت من شاب اسمه عمر وكان زواجهما تقليديا ولكن كان على أساس الحب ولم يمر وقت إلا عندما ينسج الظلام ما يريد من الأفعال حكم عليه بالسجن ٣٠ عاما، ويبدو أن عمر هو التضحية ببطاقة الهوية، وبمجرد أن مرت الأيام أنجبت سعاد طفلتها "إباء". وبمجرد أن نشأ ابنها وأصر على زيارة الأقصى استشهد عرسًا في مدينة فلسطين، فتقول سعاد: "أحدهما في الجنة والآخر جنتي". أستغرب من العادات والتقاليد التي سردت الكاتبة أنني لا أحبها، لأنه بعد طول انتظار لهذه المرأة لإخراج زوجها من السجن، قرر الوالدان الزواج من ابنهما عمر بدافع الإنجاب، ويبدو أن نظرتنا للمرأة لن تتغير لأنها مخلوقة فقط للإنجاب !!

القصة الثالثة "أسطورة الحب"[٢] يأخذنا الكاتب إلى عالم الحب والأحلام، ويستحضر موضوع زواج الفتيات من رجال العائلة، حتى لا يأخذهم أي غريب. هنا يذكر الكاتب قوة الإخلاص للفتيات التي تفوق الرجال بكثير.

---

(١) المصدر السابق، ص/٣٧.

(٢) المصدر السابق، ص/٧٦.

تحكي قصة شاب اسمه "عمر" وفتاة "أمل"، يجمعهما الحب رغم المسافة، حيث كانت الفتاة تزور قريتها من حين لآخر وترى ذلك الحبيب الذي كان ينتظرها للبحث عن. له، وبعد ذلك بدأت اللقاءات بينهما تكشف عن الحب، وعادات الفتاة في المجتمعات العربية التي تحابي الرجل دائما يعبر عن حبه لها وينتظر فارس الكوماندوز الذي لا يخجل إلا أمام عينيها.

لكن الأحداث تتفاقم فتنسحب الثورة معها رجالاً من أبطال الجهاد ومنهم عمر، وبمجرد اشتداد الأوضاع وسجن عمر ٣ سنوات، وبعد انتظار طويل وضيق من الانفصال، زور أبو عمر الخبر عن خطوبة ابنه عمر على ابن عمه ابن الشهيد الذي يجب أن يحتضنه في الأسرة ولا يأخذه غريب. مرت الأيام وتزوج عمر من ابن عمه رغما عنه. إلا أن الحياة أغلقت أبوابها على أمل، فقرر الزواج هربًا من الحب، لكن القدر يجمعها مع عمر مرة أخرى، فحاول عمر الاقتراب من زوج أمل بحجة العمل، ويبدو أن أمل لم تنس. يعود هو وقلبها للفشل مع حبه مرة أخرى، فتقرر الطلاق من زوجها، لأنها لا تستطيع أن تقدم الحب الحقيقي لزوجها. تمر سنوات على حياة أمل ولا تزال أمل تأمل في أن تلتقي بعمر الذي يقرر الحفاظ على أسرته مقابل هذا الحب. أمل مصابة بالسرطان ولا تجد من يريحها. يبدو أن حبها هو أصالة امرأة شرقية لا تستطيع التلاعب بمشاعر الآخرين وإذا كانت تحب فهي تحب من القلب رغم تلك الملالة وهي على فراش الموت لا ترغب إلا في رؤية عمر "الحبيب". من أدار ظهره لها وخرج "!! نعم ماتت تلك الأسطورة ولم تنجح في نسيانها، ويبدو أن الموت سيأخذ حق أمل وسيحصل عمر على النصيب الأكبر من فراقها لما تبقى من سنوات حياته. وتختتم القصة بندم عمر واعتراف زوجته بأنها على علم بحبه لأمل، لكن يبدو أن عمر بقي منه قطعة من الولاء وقرر العودة لزوجته إلا كغريب وليس كزوج، يبقى في عزلة لفترة من الزمن ويعترف بأن الحب الذي يولد لا يموت.

القصة الرابعة "قيود الياسمين". [١]وتطرح الكاتبة موضوع المرأة الفلسطينية التي لا تزال تلد الأبطال رغم الشهداء التي فقدتها. يتحدث عن الشباب الذين يقضون حياتهم من أجل حرية الأرض. لقد أثرت موضوع عملاء الوطن، لكن لا شك أن العميل الخائن لا علاقة له

---

(١) المصدر السابق، ص/٩٨.

بأسرته وأن الوصف لا يشملهم. كما أنه يذكر أسباباً كثيرة لبيع الوطن، لكني لا أعتقد أنه مقبول أو كافٍ مهما كان الأمر، فالهدف لا يبرر الوسيلة حتى لو كان إجبارياً فلا شك أن الكثير من الناس يبيعون منازلهم في الأساس خائن أو هدف مالي.

يعود الكاتب ليخبرنا عن موضوع الفصائل والأحزاب التي قسمت الشعب الفلسطيني إلى أجزاء. ويشير الكاتب إلى حجم الظلم والأذى والجحيم الذي تعيشه عائلات الأسير أو الشهيد، مثل هدم المنازل والتهجير القسري. لقد عرضت أنواعًا عديدة من الجهاد، ولا شك أن الأم الفلسطينية التي كانت تعد الطعام للمقاتلين كانت نوعًا من الجهاد.

يبدأ المؤلف هذه القصة بتمني أن تكون أجسادنا جسرًا للحرية، ويبدأ بابي بفداء ذلك الطفل المولود من الأرض الذي جعل تاريخه بصمة لن ينساها شعبه أبدًا. كان أبو فداء فدائيًا طارده الاحتلال ولم يتمكن من رؤية أسرته إلا عندما أتيحت له الفرصة لزيارتهم من حين لآخر، مثل أي رجل يحلم بالاستقرار والزواج وبناء الأسرة، وسرعان ما تقرر أسرته الزواج منه. لفتاة اسمها ياسمين، من خلال فرح صامت بسبب حالتها المأساوية والحداد على أرواح الشهداء. عانت من سوء سمعة والدها الذي رافقها في ظل مجتمع قاسٍ، ويبدو أن حياتها كانت جحيمًا منذ أن ماتت والدتها قهرًا على يد والدها، لكن النصيب كان وأبو تزوجتها فداء.[١] .

نعود للعرس من جديد ويبدأ زفاف أخته على أبو فداء وكالعادة انتشر الجواسيس خاصة بعد انتشار خبر وجود أبو فداء ولم يكن لدى العدو الكثير من الصبر حتى تمكن من القبض على أبو فداء. بعد أن شكل أسرة وكان عنده الفداء، وبعد سنوات عديدة جاء قرار بتبادل الصفقات للأسرى، ومن بينهم أبو فدا، حيث كانت ياسمين تنتظره لاستقبال مولودها معها، الذي حملته من الخلف. الحانات ولم تنتظرها حتى تكبر أو تفوت سن الإنجاب، هكذا الأم الفلسطينية التي تحاول دائمًا النجاح في كل المحن.

---

(١) المصدر السابق، ص/٨٧.

الباب الثالث

معارف فلسطين

- **الفصل الأول:** فلسطين و موقعها الجغرافيائي
- **الفصل الثاني:** فلسطين عبر العصور
- **الفصل الثالث :** أحوال فلسطين الأدبية والإجتماعية

الفصل الأول

فلسطين و موقعها الجغرافيائي

فلسطين

يُطلق اسم فلسطين على الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام، وهي الأرض الواقعة في غرب آسيا على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وتعتبر فلسطين موقعًا استراتيجيًا مهمًا، فهي حلقة الوصل بين قارتي آسيا وأفريقيا، و نقطة التقاء جناحي العالم الإسلامي.

وهي منطقة جغرافية تقع في غرب آسيا وفي قلب الشرق الأوسط تربط غرب آسيا وشمال إفريقيا بشبه جزيرة سيناء. إنه مفترق طرق للأديان والثقافات والتجارة والسياسة. لذلك، فإن العديد من مدنها لها أهمية تاريخية أو دينية، وخاصة القدس [١].

أما فلسطين، فامتدت حدودها طولاً من الشمال إلى الجنوب بنحو أربع درجات عرض، وامتدت بين خطي عرض ٢٩.٣٠ و ٣٣.١٥ شمالاً وبين خطي طول ٣٤.١٥ و ٣٥.٤٠ شرقاً بمساحة ٢٦.٩٩٠ كلم تشمل بحيرة طبريا ونصفها البحر الميت يحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط بخط ساحلي طوله ٢٢٤ كم، ومن الشرق سوريا والأردن، ومن الشمال لبنان، ومن الجنوب مصر وخليج العقبة. فلسطين مستطيلة الشكل، طولها من الشمال إلى الجنوب ٤٣٠ كم، وعرضها في الشمال يتراوح بين ٥١–٧٠ كم، وفي الوسط يتراوح بين ٧٢–٩٥ كم في القدس، بينما في الجنوب عرضها واتسعت لتصل إلى ١١٧ كم في رفح وخان يونس حتى البحر الميت.

يمكن استخدام اسم فلسطين دوليًا في بعض السياقات للإشارة في بعض الأحيان إلى المناطق الواقعة تحت حكم السلطة الفلسطينية. يشير العنوان الفلسطيني اليوم، وخاصة منذ عام ١٩٤٨، إلى السكان العرب في جميع أنحاء المنطقة. ومن بين الرموز المعروفة باستخدام اسم "فلسطين" كمرجع للمنطقة الجغرافية في جنوب بلاد الشام، ما كتبه المؤرخ اليوناني هيرودوت في كتاباته في القرن الخامس قبل الميلاد، عندما أشار إلى مناطق بلاد الشام و بلاد الرافدين كـ "سوريا" وإلى الجنوب كـ "فلسطين" سورية فلسطين. يبدو أن هيرودوت استعار هذا الاسم من اسم "جلشت" الذي يشير إلى الساحل الجنوبي بين يافا ووادي العريش حيث كانت تقع المدن الفلسطينية.

---

(١)فلسطين في الموسوعة العربية – دمشق، نسخة محفوظة ٠٥ أغسطس ٢٠١٧، ص /٦٤٣ .

كان الفلسطينيون من شعوب البحر ومن أبرز الشعوب التي عاشت في منطقة فلسطين من القرن الثالث عشر إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد لما لا يقل عن ٥٠٠ عام قبل مايو ١٩٤٨، أطلقت سلطات الانتداب البريطاني على فلسطين اسم "فلسطيني" على جميع مواطني الانتداب، بمن فيهم اليهود في حين تفضل وسائل الإعلام الإسرائيلية لقب عربي إسرائيلي أو مواطن عربي في إسرائيل في إشارة إلى أحد أبناء ٤٨ عربيًا، بينما يفضل الكثير منهم لقب "فلسطيني إسرائيلي" أو "فلسطيني يحمل الجنسية الإسرائيلية."

استخدم اسم فلسطين كاسم لمنطقة ذات حدود سياسية معينة في القرن الثاني الميلادي، عندما ألغت سلطات الإمبراطورية الرومانية دولة يهوذا بعد تمرد اليهود عليهم عام ١٣٢ بعد الميلاد، تم إنشاء مقاطعة فلسطين السورية (Provincia Syria Palestinae) محلها. أصبحت فلسطين تسمى "جنود فلسطين" في بداية عهد الخلافة الإسلامية، وتداخلت حدودها مع "جند الأردن". [١]

تمتلك المنطقة أراضي متنوعة للغاية، وهي مقسمة جغرافياً إلى أربع مناطق، وهي من الغرب إلى الشرق السهل الساحلي والتلال والجبال (جبال الجليل، وجبال نابلس، وجبال القدس، وجبال الخليل، والأردن. الوادي في أقصى الجنوب صحراء النقب، ويقع مرج بن عامر بين جبال نابلس، وجبال الجليل، وجبل الكرمل الممتد من جبال نابلس إلى الشمال الغربي، يمر عبر السهل الساحلي.

تأسست دولة إسرائيل بعد حرب عام ١٩٤٨، بعد تهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين من وطنهم في حين أن جزءًا كبيرًا من سكان فلسطين التاريخية اليوم يتحدثون بالعربية، أي المسلمين والمسيحيين، في حين أن الجزء الآخر من سكانها يتحدثون العبرية وأتباع الديانة اليهودية والمهاجرون وغيرهم من الشعوب.

حدود فلسطين التاريخية (من النهر إلى البحر) هي البحر الأبيض المتوسط غربا، "خط رفح العقبة" الذي يفصلها عن سيناء من الجنوب الغربي، رأس خليج العقبة

---

(١) Kamal Suleiman Salibi (١٩٩٣). The Modern History of Jordan. I.B.Tauris. صفحات/ ١٧–١٨.

جنوبا، وادي عربه، البحر الميت ونهر الأردن شرقا، ومنحدر هضبة الجولان قرب شواطئ بحيرة طبريا الشرقية ومسار نهر الأردن الشمالي في الشمال الشرقي. ويحد فلسطين شمالا لبنان في خط متعرج يبتديء غربابرأس الناقورة على البحر الأبيض المتوسط، ثم يتجه شرقا إلى قرية هارون، فينعطف شمالا حتى المكان حيث وقعت في الماضي قريتي المالكية وقَدَس وحيث تقع بلدة المطلة ثم شرقا إلى تل القاضي وغربا إلى نقطة قرب منبع بانياس .ويشكل مسار الحدود الشمالي الشرقي صورة إصبع حيث أطلق على هذه المنطقة اسم" إصبع الجليل" [١] .

الحدود التي يشار إليها اليوم باسم حدود فلسطين التاريخية هي نتيجة سلسلة من المفاوضات والاتفاقيات بين الإمبراطوريات التي هيمنت على الشرق الأوسط في بداية القرن العشرين والتي أدت أيضًا إلى رسم حدود سياسية في جميع أنحاء الشرق الأوسط بين عامي ١٩١٧ و ١٩٤٨، أشار اسم فلسطين إلى الانتداب البريطاني لفلسطين، وكان يتألف من عدة وحدات إدارية.

سكن الإنسان أرض فلسطين منذ القدم، كما تدل على ذلك الحفريات والموروثات، وشهدت أرضها المراحل الأولى من التطور البشري في التحول من الرأي إلى الزراعة، وأول مدينة بنيت في التاريخ كانت مدينة "أريحا" تقع في شمال شرقي فلسطين، حوالي عام ٨٠٠٠ قبل الميلاد، بحسب علماء الآثار.

أقدم اسم معروف لهذه الأرض هو أرض كنعان لأن أول من سكن هذه الأرض ومعروف لنا تاريخيًا هم الكنعانيون الذين أتوا من شبه الجزيرة العربية حوالي ٢٥٠٠ قبل الميلاد. اسم فلسطين هو اسم مشتق من اسم الشعوب البحرية، وربما جاء من غرب آسيا الصغرى ومناطق بحر إيجة حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وقد ورد اسمها في النقوش المصرية بـ "BLST". لعل الظهيرة أضيفت بعد ذلك لصيغة الجمع، وسكنوا المناطق الساحلية واندمجوا مع الكنعانيين بسرعة، ولم يتركوا أثرًا مميزًا سوى أنهم أطلقوا على الأرض اسمهم. [٢]

---

(١) الموسوعة البريطانية "بريتانيكا"/ العدد ١١ (١٩١)

(٢)عروبة فلسطين في التاريخ، محمد أديب العامري، صيدا- بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٧٢،، ج/ ١، ص/١١٧-١٢٨.

تقع فلسطين في غرب آسيا بين خطي عرض ٣٣.٢٩ و ٥٠.٣٣ شمالاً وبين خطي طول ٣٤.١٥ و ٣٥.٤٠ شرق غرينتش وهي الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام. ويحد فلسطين من الشمال لبنان ومن الغرب يحدها البحر المتوسط، ويحد فلسطين من جهة الشرق، سوريا والمملكة الاردنية الهاشمية، ويحدها من الجنوب جمهورية المصر العربية. وتبلغ مساحة فلسطين حوالي (٩٠٠.٢٧) كيلوميتر مربع ومن هذه المساحة (٧٠٤) كيلومترات مربعة، مساحة بحيرة الحوالة، وبحيرة طبريا والنصف مساحة بحيرة الميت.[١]

ولم يكن اليهود يمتلكون اكثر من ٦.٨% من جميع اراضي فلسطين حسب احصاء الوكالة اليهودية في عام ١٩٤٧م. ولكن اليهود قد اختلفوا من فلسطين ٧٠% من مساحتها (٧٠٠,٢٠) كيلومتر مربع، كما أن قرار التقسيم الجائز الصادر عن الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧م قد أعطى لليهود الحق في تملك ٥٥% من مساحة فلسطين، فاستطاعوا الحصول على هذه النسبة في عام ١٩٤٨م بدعم وسند دولي مضافا اليها قرابة العشرين بالمائة ايضا، وهذه النسبة التي كان يمتلكها اليهود لا تعطيهم الحق في امتلاك هذه المساحات الشاسعة لولا المؤامرة الدولية على فلسطين بدأ من صدور وعد بلفور وانتهاء بقرار التقسيم عام ١٩٤٧م وحرب عام ١٩٤٨م.

سكان فلسطين

قدر العثمانيون عدد سكان فلسطين في العام ١٩١٤م ٦٨٩٢٧٥ نسمة ٨% من اليهود وارتفع عدد السكان في عام ١٩٢٠م (٧٣٦٠٠٠) نسمة منهم (٥٢١٠٠٠) نسمة من المسلمين ٦٧٠٠٠ ومن اليهود ٨٧٠٠٠ من المسيحيين و٧٠٠٠ من المذاهب الأخرى، وفي الاحصاء الذي اجراء لبريطانيون في عام ١٩٢٢م بلغ عدد السكان في فلسطين ٧٥٧٠٠٠ نسمة بينهم ٨٣٧٩٤ يهوديا والباقي من العرب، وقفز هذا العدد ليصل في عام ١٩٤٨م الى ٢٠٦٥٠٠٠ نسمة منهم ١٤١٥٠٠٠ نسمة عربي مسلمون، و٦٥٠٠٠٠ يهودي و١٤٦١٦٢ مسيحي.

---

(١)الموسوعة الفلسطينية، إشراف أحمد المرعشلي، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق،١٩٨٤، ج/ ١، ص/ ١١٧- ١٢٩.

وهكذا يتضح لنا ان نسبة اليهود قد ارتفعت من ٨% عام ١٩١٨م الى ٣٣% عام ١٩٤٨م، وهؤلاء اليهود دخلوا البلاد بطريق غير مشروعة وبالقوة رغم معارضة السكان العرب المستمرة لرغبات دخولهم.

اقسام فلسطين الطبيعية

يمكن تقسيم فلسطين إلى ثلاثة قطاعات رئيسية، وهي السهل الساحلي، ومرتفعات الجبال الوسطى، والوادي المتصدع الأردني والسهل الساحلي منطقة تتركز معظم فلسطين، حيث تعتبر الموانئ مراكز تجارية واقتصادية وزراعية. ومن المرتفعات الجبلية الوسطى جبال الجليل ونابلس والخليل وتلة النقب، وأعلى جبالها جبل الجرمق فى شمال فلسطين ويبلغ ارتفاعها ١،٢٠٧ متر. يعيش المزارع الفلسطيني في هذه المرتفعات منذ آلاف السنين ويزرعها بالحبوب والفواكه والخضروات، ويرعى الماشية. أما الصدع الأردني حيث يتدفق نهر الأردن إلى البحر الميت، فهو أدنى منطقة تحت مستوى سطح البحر مقارنة بأي مكان آخر على وجه الأرض، حيث يصل المنخفض إلى حوالي ٤٠٠ متر تحت مستوى سطح البحر، وهي مناطق تتميز بدرجة حرارة في جميع أنحاء العالم، وتشتهر بزراعة النخيل والأعشاب والخضروات. تنقسم فلسطين بشكل طبيعي إلى ثلاثة أجزاء وهي السهل الساحلي والجبل والغور والصحراء وهذه الاقسام هي:

١. الساحل: يمتد من رأس الناقورة حتى رفح، وأما السهل الساحلي فيمتد من جبل الكرمل الى رفح.... ويروي السهل الساحلي عدة انهار تصب كلها في البحر التوسط من اهمها المقطع والزرقاء والعوجاء وروبين.
٢. الجبال: تمتد وسط بلاد فلسطين مؤلفة عمودها الفقري وهي تلي الساحلي مباشرة، كما أن جبال فلسطين امتداداً لجبال لبنان باتجاه الجنوب وتتألف المنطقة الجبلية فلسطين من ثلاثة اقسام: جبال الجليل من الشمال وجبال نابلس في الوسط وجبال القدس شرقا ومناخ المنطقة الجبلية بارد شتاء ومعتدل صيفاً.
٣. الغور: تقع الغور شرقي فلسطين، وتفصل بين فلسطين من جهة، وكل من سوريا وشرقي الأردن من جهة أخرى ويخترقها نهر الأردن مع بحيراته.

٤. منطقة بئر السبع وصحراء النقب: وهي الجزء الجنوبي من فلسطين وتشمل جميع الأراضي الواقعة بين منطقتي غزة والخليل وشبه جزيرة سيناء وتسمى منطقة بئر السبع وتقدر مساحتها بـ ١٢٥٧٧ مربع كيلومترات. ومناخ الفضاء صحراوي واهم حاصلاتهم الزراعية الشعير والقمح والذرة والبطيخ والخضارة والعنب والحقيقة أن اليهود لم يمتلكوا شيئاً فيه ولم يسكنه احد منهم.

مناخ فلسطين

تتمتع فلسطين بمناخ معتدل ومناخ متوسطي يشجع على الاستقرار والإنتاج، أي أنه معتدل شتاء وصيفاً ما عدا بعض المناطق، فالحرارة متنوعة و مختلفة بحسب المناطق، فالمناطق الجبلية مناخها بارد شتاء ومعتدل صيفاً، ومناخ الغور والصحراء فهو دافئ شتاء وحار رطب صيفا. وحسب هذا المناخ سكان فلسطين له مهن عديدة ومنها:

الزراعة

يزرع في فلسطين القمح والشعير والذرة والسمسم والبرتقال والزيتون والعنب والبطيخ والرمان والمشمش والتفاح، وتشتهر فلسطين بالخصمات والزيتون.

الصناعة

يغلب على صناعة فلسطين الطابع الحر ومن اهم الصناعات الفلسطينية صناعة الصابون والصدف وخشب الزيتون والسجاير والزجاج والقماش والتطريز.

التجارة

داخلية وخارجية فالصادرات بلغت حوالي ١٥ مليون جنية في عام ١٩٤٤م وبلغت الواردات ٣٦ مليون جنية فيكون الميزان التجاري فيه عجز يقدر بـ٢١ مليون جنية أي بنسبة ٤٣% ويسد هذا العجز من رؤوس الأموال الوافدة من المهاجرين وما ينفقه السياح في البلاد من أموال وغير ذالك.

موقع الفلسطين الجغرافيائى:

لم يتم تحديد أرض فلسطين بحدودها الجغرافية المعترف بها بدقة إلا في أيام الاحتلال البريطاني لفلسطين التي تضيق وتتوسع عبر التاريخ. ومع ذلك، استمرت في التعبير بشكل عام عن الأرض الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الميت ونهر الأردن، وفي العصر الإسلامي، تم تقسيم بلاد الشام إلى جيوش، تمتد جند فلسطين من رفح على الحدود مع سيناء المصرية إلى اللجون التي تقع على بعد ١٨ كم شمال غرب مدينة جنين، ومهما كانت التقسيمات في العهود الإسلامية المختلفة، بقيت فلسطين جزءًا من بلاد الشام، وكانت هذه التقسيمات لا توسع أو تضيق لتغيير أي شيء عن الواقع. شعور أبنائها بأنهم أبناء أمة مسلمة واحدة، وأن ولائهم للحكم لا يتزعزع طالما أنه مسلم حقًا، وعلى كل حال، فإن تبلغ مساحة فلسطين ٢٧.٠٠٩ مربع كلم حسب التقسيمات المعاصرة. (١)

الوقع الاستراتيجي

تقع فلسطين على مقربة من مصر وقناة السويس، وان وجود اليهود في فلسطين يشكل قوة مطيعة للاستعمار البريطاني في المنطقة العربية، كما ان بريطانيا رأت ان اليهود سيقومون بمهمة التجسس ضد الحركة التحررية العربية، مما يخدم مصالحها الاستعمارية في المنطقة العربية، ورأت أيضاً الكليان الصهيوني سيحافظ على تأمين سلامة الموصولات الإمبراطورية المؤدية إلى الهند، أكبر درة في تاج الهند، لأن موقع فلسطين يشكل محوراً رئيساً في شبكة المواصلات الامبراطورية في الشرق.

المكانة الدينية

المكانة الدينية التي تتمتع بها فلسطين بين جميع أتباع الديانات التوحيدية الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام. لأن أرض فلسطين مكانة عظيمة في قلوب المسلمين فهي:

- أرض مقدسة بنص القرآن الكريم ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾(٢)

(١)الموسوعة الفلسطينية، إشراف أحمد المرعشلي، ج/ ١، ص/ ١١٧- ١٢٩.

(٢) سورة القصص، الآية ٢١.

- أرض مباركة بنص القرآن الكريم ﴿ سُبۡحَـٰنَ ٱلَّذِیٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِی بَـٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾[١]
- وقوله تعالى: ﴿ وَلِسُلَيۡمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِی بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِی بَـٰرَكۡنَا فِيهَاۚ ﴾[٢]

وفيه المسجد الأقصى المبارك، والقبلة الأولى للمسلمين، وثالث مساجد الإسلام، ويسن جذب الناس إليه، والصلاة فيه تعادل ٥٠٠ صلاة من مساجد أخرى. قال رسول الله ﷺ: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى".[٣] وقال ﷺ: "الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف الصلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمس مائة صلاة".[٤]

فلسطين أرض الانبياء و الرسل عليهم السلام، عاش في أرضها إبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان وصالح وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام الذين ورد ذكرهم في القرآن كما زاره محمدﷺ وكثير من الأنبياء من إسرائيل عاشوا على أرضه التي لم يرد ذكرها في القرآن، وفلسطين أرض الرحلة الليلية. لقد اختار الله ﷻ المسجد الأقصى ليكون مسرى رسول اللهﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومنه صعوده إلى الجنة وأكرم اللهﷻ هذا المسجد وأرض فلسطين بشرف عظيم، وفي المسجد الأقصى جمع اللهﷻ الأنبياء حيث كان رسول الله ﷺ أمهم في الصلاة دليل على استمرار رسالة التوحيد التي أتى بها الأنبياء، ونقل ميراث الأنبياء الإمامة وأعباء الرسالة للأمة الإسلامية.

وفي الحديث الصحيح أن بيت المقدس "أرض المحشر والمنشر".[٥]

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٨١.

(٣) رواه البخاري ومسلم وإبن ماجة وأبوداؤد.

(٤) حديث حسن، رواه طبراني.

(٥) حديث صحيح، رواه الإمام أحمد في مسنده، وإبن ماجه في سننه,

والشام وفلسطين منها دار الإسلام في زمن اشتداد الفتن، كما في الحديث الصحيح: "عقر دار الإسلام بالشام"[١] و "ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام"..[٢]

والساكن الذي يحسب في هذه الأرض مثل المجاهد والمبيت في سبيل الله لقوله ﷺ: " أهل الشام وأزواجهم وذريارتهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتل مدينة من المدائن فهو في رباط، ومن احتل منها ثغرا من الثغور فهو في جهاد".[٣] والطائفة المنتصرة ثابتة على الحق فتعيش يوم القيامة في بلاد الشام وخاصة القدس وضواحيها.[٤] لذلك لا غرابة في أن تكون قلوب وعقول المسلمين مرتبطة بهذه الأرض المباركة والمقدسة ويفديونها بدمائهم وأرواحهم.

حظيت فلسطين باهتمام خاص في معاهدة سايكس بيكو السرية عام ١٩١٦، عندما نص أحد بنودها على: إنشاء إدارة دولية في فلسطين، يتم تحديد شكلها بعد التشاور مع روسيا والاتفاق مع الحلفاء ومع ممثلي الشريف حسين شريف مكة المكرمة، وهكذا فإن معاهدة سايكس بيكو فصلت فلسطين عن باقي البلاد العربية، وأعطتها إدارة دولية مميزة كانت بريطانيا تهدف من وراء ذلك إلى تهيئة فلسطين لتكون وطناً قومياً لليهود من جهة، ولتخضع فيها بعد حكم الانتداب البريطاني الذي أخذ على عاتقه إعداد فلسطين لتكون مقراً استيطانياً لليهود وقاعدة للكيان الصهيوني من جهة ثانية.

وعد بلفور

جاء التزام بريطانيا بتنفيذنا في وعد بلفور عام ١٩١٨ م، والذي جاء فيه: (إن حكومة جلالة ملك بريطانيا تتعاطف مع إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل قصارى جهدها من أجل تسهيل تحقيق هذا الهدف، بشرط أن يكون من المفهوم

---

(١) حديث حسن، رواه طبراني.

(٢) حديث صحيح، أخرجه الحاكم، وأبو نعيم في الحلية.

(٣) رواه الطبراني، وقال الهيثمي فيه أطاره بن المنذر، وبقية رجاله ثقات.

(٤) ورد حديث رواه الإمام أحمد بهذا المعنى، ونصه "لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين، لايضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك، قالوا يا رسول الله ﷺ: وأين هم؟ قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس"، ورجاله ثقات إلا مهدي بن جعفر الرملي، فقد وثقه ابن حبان ويحي بن معين، وضعّفه البخاري.

بوضوح أنه لن يتم اتخاذ أي إجراء والإضرار بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الجاليات غير اليهودية المقيمة في فلسطين، ولا بالحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى.)

الحكومة التركية

لأن فلسطين كانت تابعة للحكومة التركية، وان الدولة التركية كانت قد دخلت الحرب الى جانب دول الوسط (ألمانيا ونسما) ضد دول الوفاق (بريطانيا وفرنسا و روسيا القيصرية) في الحرب العالمية الأولى، ومما لا شك فيه أن احتلال القوات البريطانية لفلسطين سيضعف الجبهة التركية بصورة خاصة وجبهة المانيا تركيا بصورة عامة.

الاحتلال البريطاني لفلسطين وصك الإنتداب

احتلت فلسطين المقام الأول في المخططات الاستعمارية البريطانية في المنطقة العربية بخاصة ومنطقة الشرق الاوسط بعامة، ويعود هذا الى عدة اعتبارات، نذكر من أهمها:

الحملة البريطانية على فلسطين

بدأت علامات الضعف تظهر في جبهة القتال التركية في الحرب العالمية الأولى منذ عام ١٩١٥م ويعد ذلك لعدة متغيرات حدثت في الساحة التركية، نذكر من أهمها:

١. تمكمنت القوات البريطانية (حملة الهند) من احتلال جزء كبير من مناطق العراق الجوانبية، ودحرها القوات التركية نحو الشمال، وزاد في ضعف الجهة التركية فيما بعد سقوط العراق كلها بيد القوات البريطانيا، وتكون بذلك قد فقدت خط الدفاع الأول عن بلادها آسيا الصغرى، لأن العراق يشكل جزءا من خط الدفاع الجنوبي عن منطقة الاناضول، وتشكل بلاد الشام الجزء الآخر من هذا الخط.
٢. قام العرب بثورتهم ضد الأتراك (الثورة العربية الكبرى) بقيادة الشريف حسين بن علي شريف مكة وازدياد جبهة المعارضة العربية ضد الأتراك، مما ساعد في اضعاف الجبهة التركية في بلاد الشام والحجاز.

وبناء على مجموعة المتغيرات تلك، قررت بريطانيا ان ترسل حملة (الحملة البريطانية المصرية) من قواتها الموجودة في مصر لاحتلال فلسطين، واخراجها من دائرة النفوذ التركي،

لأن فلسطين تشكل اهتماماً خاصاً بالنسبة للاستراتيجية البريطانية في منطقة الشرق الأوسط بعامة والمنطقة العربية الخاصة.

وقد تحركت القوات البريطانية من مصر باتجاه جنوب فلسطين واحتلته، ثم تابعت الحملة سيرها باتجاه مدينة القدس واحتلها أيضاً في ٩ديسمبر ١٩١٧م، ونشر قائد الحملة الجنرال اللنبي بيانا في القدس بالإنجليزية والفرنسية والعربية والعبرانية والروسية والإيطالية واليونانية وهذا نصه:

"بيان إلى سكان بيت المقدس وأهالي القرى المجاورة: أن انهزام الاتراك أمام الجيوش التي تحت قيادتي أدى إلى احتلال مدينتكم من قبل جيوشي، وفي الوقت الذي أذيع عليكم هذا النبأ، أعان الأحكام العرفية، وستبقى هذه الأحكام نافذة المفعول ما دامت ثمة ضرورة حربية، ولئلا ينالكم الجزع، كما نالكم من الأتراك الذين انسحبوا أريد ان اخبركم أنني ارغب ان أرى كل واحد منكم قائماً بعلمه وفق القانون دون أي تدخل من قبل أي كان.

وفضلاً عن ذلك بما ان مدينتكم محترمة في نظر اتباع الديانات الثلاث الكبرى وترابها مقدس في نظر الحجاج والمتعبدين الكثيرين من أبناء الطوائف الثلاث المذكورة قرون وأجيال، أود ان احيطكم علماً بأن كل بناء مقدس ونصب ومكان مقدس أو معبد أو مقام أو مزار أو أي مكان مخصص للعبادة من أي شكل وإلى أية طائفة من الطوّاف الثلاثة سيصان ويحتفظ به عملاً بالعبادات المرعية وبالنسبة إلى تقاليد الطائفة التي تملكها".[١]

(١) الموسوعة الفلسطينية، ج/ ١، ص/ ١١٧- ١٢٩.

الفصل الثاني

فلسطين عبر العصور

فلسطين عبر العصور

يشير علم الآثار إلى "أن الإنسان سكن فلسطين منذ العصر الحجري القديم" (٥٠٠٠ - ١٤٠٠٠ قبل الميلاد)، ويشير العصر الحجري الأوسط (١٤٠٠٠ - ٨٠٠٠ قبل الميلاد) إلى وجود أشكال حياة حضارية ممثلة بما يعرف بالبيت النطوفي، ومتى جاء الكنعانيون من شبه الجزيرة العربية (حوالي ٢٥٠٠ قبل الميلاد) وكانت هجرتهم واسعة جدًا لدرجة أنهم أصبحوا السكان الرئيسيين للبلاد، وأنشأوا ما لا يقل عن مائتي مدينة وقرية في فلسطين، مثل مدن بيسان وعسقلان، عكا وحيفا والخليل وأشدود وبئر سبع وبيت لحم. وتعتقد ثقافات المؤرخين أن معظم أهل فلسطين، الهلين، وخاصة القرويين، هم من نسل القبائل الكنعانية والآشورية والفلسطينية، ومن القبائل العربية التي استقرت في فلسطين قبل الفتح الإسلامي وبعده، كما اندمج الجميع في نسيج واحد، يجمعه الإسلام واللغة العربية، إذا أسلما وتعريبهما في ظل الحكم الإسلامي طوال أربعة عشر قرنا.

كان وصول إبراهيمعليه السلام إلى فلسطين (حوالي عام ١٩٠٠ قبل الميلاد) بمثابة إشراق لنور التوحيد في هذه الأرض المباركة. كان معاصراً لحاكم القدس ملكي صادق، الذي كان على ما يبدو موحداً وصديقاً له. لم يجد أي عناد من أهل فلسطين، ولم يضطر إلى تركها بسبب دينه أو دعوته، فظل مستقرًا فيها، ويتنقل بحرية حيثما شاء حتى أماته الله في المدينة التي حمل اسمه الخليل وأبناؤه الأنبياء من بعده تبعوا إسماعيلعليه السلام استقر في مكة واسحقعليه السلام وابنه يعقوبعليه السلام الذين استقروا في فلسطين وكان ليعقوبعليه السلام اثنا عشر ابنا وهم القبائل المعروفة ببني اسرائيل (واسرائيل لقب ليعقوبعليه السلام) وهاجروا الى مصر واستقروا هناك. حيث عانوا من اضطهاد الفراعنة لقرون قليلة، وأرسل الله موسىعليه السلام (في القرن الثالث عشر قبل الميلاد) لينقذهم من فرعون وطغيانه، وأهلك الله فرعون وجنوده، إلا بني إسرائيل في كان ذلك الوقت مطبوعًا على الإذلال والجبن، لذلك رفضوا الذهاب إلى الأرض المقدسة قائلين لموسىعليه السلام ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾[١]

(١) سورة المائدة، الآية ٢٣.

ومات موسىعليه السلام قبل دخوله "فلسطين"، وعندما نشأ جيل جديد (حوالي ١١٩٠ قبل الميلاد)، صلب من بني إسرائيل بعد أربعين سنة من تانتي، قادهم يوشع بن نونعليه السلام حيث عبر معهم النهر نهر الأردن، وكان قادراً على تحقيق بعض السيطرة على أبناء إسرائيل في الجزء الشمالي والجزء الشرقي من فلسطين، وعلى مدى الـ ١٥٠ عامًا القادمة، سادت النكبات والفوضى والخلافات والانحلال الأخلاقي والديني بين بني إسرائيل، ولم تتحسن أوضاعهم إلا مع وصول طالوت ملكًا لهم استطاع هزيمة أعدائه.

شكل ظهور داودعليه السلام الذي خلف طالوت بداية مرحلة جديدة من نور التوحيد في الأرض المباركة، حيث جاءه اللهسبحانه وتعالى الملك (حوالي ١٠٠٤ قبل الميلاد)، واستمر في حربه ضد الكفار في يوم الأرض المقدسة حيث أخضعها وتمكن من نقل عاصمته إلى القدس عام ٩٩٥ ق م)، وسيطر على معظم فلسطين باستثناء معظم المناطق الساحلية التي لم تكن خاضعة له، واستمر في حكمه حتى عام (٩٦٣ قبل الميلاد) عندما خلفه ابنه سليمانعليه السلام (٩٦٣-٩٢٣ قبل الميلاد)، عندما شهدت فلسطين حركة بناء وتشييد وبناء ضخمة. واستهزأ الله به بالريح والجن، وأعطاه ملكًا لا ينبغي لأحد بعده، وكان حكم داودعليه السلام وسليمان عليه السلام العصر الذهبي، الذي حكمت فيه فلسطين قرابة ثمانين عامًا تحت راية الأئمة والتوحيد من قبل الفتح الإسلامي لها.

بعد وفاة سليمانعليه السلام، "انقسمت المملكة إلى دولتين منفصلتين وغالباً ما تكونا معاديتين، وأنشئت مملكة إسرائيل في شمال فلسطين خلال الفترة ٧٢١-٩٢٣ قبل الميلاد")، وهو ما وصفته دائرة صانع السلام البريطانية بازدراء " المملكة الذيلية"، حيث ضعف وفساد حكامها وانتهى بهم الأمر بسيطرة الآشوريون بقيادة سرجون الثاني عليها دمروها ونقلوا سكانها من بني إسرائيل إلى حران وخابور وكردستان وبلاد فارس، واستبدلوهم بمجموعات من الآراميين، ولا أثر لعشرة قبائلهم من أبناء اسرائيل التي شكلت هذه الدولة بقيت بعد ذلك. أما مملكة يهوذا فقد استمرت خلال الفترة (٥٨٦-٩٢٣). ق.م) وعاصمتها القدس، اتسمت بعوامل الضعف والتأثير الخارجي لفترات طويلة. وأجبرت على دفع الجزية للآشوريين ... ثم سقطت أخيرًا في أيدي البابليين، تحت قيادة نبوخذ نصر.

تشير التوراة إلى خطايا بني إسرائيل التي بسببها استحقوا هلاك ملكهم، لذلك ورد في كلام إشعياء أحد أنبيائهم: "ويل للأمة الخاطئة أيتها الثقيلة الأشرار، نسل فاعلي الشر، الأطفال الفاسدين الذين تركوا الرب، واستهانوا بقدسية إسرائيل، رجعوا وراءهم. يقول سفر إشعياء الفصل الأول والتوراة: "ولوثت الأرض تحت أهلها لأنهم خالفوا الشرائع وغيروا الفريضة ونقضوا العهد الأبدي". سفر إشعياء الفصل ٢٤.

وهكذا فإن مملكة بني إسرائيل في فلسطين لم تدم أكثر من أربعة قرون، وكانوا في أغلب الأحيان يحكمون بعض أراضيها، وكان حكمهم في أغلب الأحيان ضعيفًا ومفككًا، وأحيانًا خاضعًا للتأثير وسيطرة دول الجوار القوية، وفي نفس الوقت بقي أبناء فلسطين من الكنعانيين وغيرهم في أرضهم، ولم يتخلوا عنها أو يغادروا.

سمح الإمبراطور الفارسي قورش لليهود بالعودة إلى فلسطين، وعاد القليل منهم للعيش إلى جانب أطفال فلسطين، وتمتعت منطقة القدس بنوع من الحكم الذاتي تحت الحكم الفارسي الذى استمر خلال الفترة (٣٣٢-٥٣٩ قبل الميلاد)، تلتها سيطرة اليونان الهلنستية على فلسطين خلال الفترة (٦٣-٣٣٢ قبل الميلاد)، واستمر "رئيس الكهنة" في إدارة شؤون اليهود، وتمكن اليهود من تحقيق الحكم الذاتي منذ عام (١٦٤ قبل الميلاد). . الوقت فوق فلسطين (الرومان، البطالمة، السلوقيون ...).

استطاع الرومان السيطرة على فلسطين في عام (٦٣ قبل الميلاد)، وأخضعوها لحكمهم المباشر منذ العام السادس بعد الميلاد، عندما ألغي الحكم الذاتي اليهودي في منطقة القدس، وثور اليهود خلال الفترة (٧٠-٦٦). م)، لكن القائد الروماني العسكري تيتوس أخمد ثورتهم ودمر الهيكل، ثم ثار اليهود مرة أخرى وأخيرًا خلال الفترة (١٣٥-١٣٢ م)، لكن القائد الروماني يوليوس سيفيروس احتل القدس ودمرها، والرومان أنشأ الإمبراطور هادريانوس مدينة جديدة على أطلالها أطلق عليها اسم إيليا كابيتولينا، حيث عُرفت بعد ذلك باسم إيليا، وهو اسم هادريان الأول ودخل اليهود القدس بعد حوالي مائتي عام، [١] تناقصت أعدادهم مقارنة بعدد السكان خلال الثمانية عشر قرنًا التالية، بينما ظل سكان

(١)تاريخ فلسطين القديم ١٢٢٠ ق.م، ١٣٥٩م، ظفر الإسلام خان، ج/ ١، ط/ ٤، بيروت دار النفائس، ١٩٨٤ ص/ ١٨٤-١٨٦،.

البلاد الذين كانوا في الأصل من كنعان وأولئك الذين اختلطوا بهم من بين القبائل العربية مستقرين في البلاد قبل وصول بني إسرائيل وخلالها. بوجودهم، واستمروا في القيام بذلك بعدهم إلى أيامنا هذه.

تولت الدولة البيزنطية (الدولة الرومانية) الجزء الشرقي من الدولة الرومانية منذ عام (٣٩٤ م)، واستمرت في السيطرة على فلسطين، باستثناء فترات صغيرة من النفوذ الفارسي، حتى جاء الفتح الإسلامي لفلسطين في (١٥ هـ / ٦٣٦ م).

فلسطين في العصر الإسلامي

قبل تشكيل الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، كان اهتمام المسلمين القلائل الضعفاء في مكة يتجه نحو المسجد الأقصى وبيت المقدس في فلسطين، حيث حدثت معجزة الإسراء من المسجد الأقصى، و كان المسجد الأقصى هو القبلة الأولى للمسلمين في الصلاة، وفتح خيبر (٧ هـ) وغزو مؤتة (٨ هـ) وتبوك (٩ هـ) وحملة أسامة بن زيد (١١ هـ) مقدمة لتطلع المسلمين إلى بلاد الشام.

أما عن فتح فلسطين، فإن أبرز المعارك التي أدت إلى فتحها كانت معركة أجنادين بقيادة خالد بن الوليدﷺ في (٢٧ جمادى الأولى ١٣ هـ / ٣٠ يوليو / تموز ٦٣٤ م) بالقرب من بيت جبرين، حيث قُتل نحو ثلاثة آلاف روماني، وكانت معركة بيسان يوم ٢٨ ذو القعدة ١٣ هـ – ٢٣ يناير ٦٣٥ م) التي كان ميدانها غرب نهر الأردن جنوب بيسان، وكانت المعركة الحاسمة معركة اليرموك في شمال الأردن في (رجب ١٥ هـ – ١٢ أغسطس ٦٣٦ م)، حيث واجه جيش المسلمين المكون من ٣٦ ألفًا، بقيادة أبو عبيدة بن الجراح ﷺ، وخالد بن الوليدﷺ، الجيش الروماني قوامه ٢٠٠ ألف، و حملت كارثة كبرى في رملة يقدرها بعض المؤرخين بحوالي ١٣٠ ألف قتيل، وأدت هذه المعركة إلى فتح بلاد الشام، وجاء عمر بن الخطابﷺ بنفسه ليستلم مفاتيح بيت المقدس، بعد أن حاصر المسلمون لبضعة أشهر، وأهلها أرادوا المصالحة بشرط أن يغادر عمر ﷺ العقد نفسه، وهي المدينة الوحيدة في عهد الراشدين التي استولى الخليفة نفسه على مفاتيحها. شارك عمر ﷺ في فتح نحو أربعة آلاف من الصحابة، وصدى صوت بلال بن رباحﷺ عليه الأذان، بعد أن كان أكثر متعة

منذ وفاة الرسول[١] ﷺ وقد كتب عمر بن الخطاب ﷺ لأهل القدس عهداً، اشتهر باسم "العهد العمرية" وجاء فيه:

"بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ماأعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لاتسكن كنائسهم ولاتهدم، ولاينتق منها ولا من حيزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود"[٢].

ويجب على أهل إيليا دفع الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم الخروج منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم آمن على نفسه وماله حتى يصلوا إلى سلامتهم. وبحسب ما في هذا الكتاب عهد الله، فتوى رسوله، وذمة الخلفاء، وذمة المؤمنين، إذا دفعوا الجزية لمن عليهم. شهد على ذلك خالد بن وليد ﷺ، و عمرو بن العاص ﷺ، وعبدالرحمن بن عوف ﷺ، ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ، وكتب وحضر سنة ١٥هـ.

يعكس هذا النص مدى التسامح الديني بين المسلمين، في عالم يسوده التعصب الأعمى والإكراه على الدين. تم احتلال أورشليم على الأرجح في ربيع الآخر ١٦ هـ-مايو ٦٣٧ م. كانت قيسارية آخر مدينة افتتحت في فلسطين في (شوال ١٩ هـ). - أكتوبر ٦٤٠ م)،" وكانت ميناء ومدينة قويين، سعى الرومان للاحتفاظ بها لأطول فترة ممكنة.

وبحسب التقسيمات الإدارية، أصبحت فلسطين "جنديًا" من "جنود" بلاد الشام، توزعت على أربعة جنود في الراشدين، وأصبحت خمسة في عهد الدولة الأموية. ظلت فلسطين جزءًا لا يتجزأ من الدولة الإسلامية وتفاعلت مع تطوراتها السياسية والخضراء، ولم يؤثر تغيير الدول والأسر الحاكمة على حقيقة أن أهل فلسطين عرب مسلمون موالون لدولة الإسلام والحكم من الإسلام.

---

(١)تاريخ فتوح الشام، تحقيق عبدالمنعم عبدالله عامر، مؤسسة سجل العرب، ط/ ٣، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٤، ص/٧٧.

(٢)تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج/ ٣، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص/ ٤١٨.

استمر حكم الراشدين حتى عام (٤١ هـ / ٦٦١ م)، ثم تبعه حكم الأمويين حتى (١٣٢ هـ / ٧٥٠ م)، ثم العباسيون، الذين استمر حكمهم المباشر على فلسطين حتى بدأت تعاني من ضعف وتفكك، مع نهاية العصر العباسي الأول بمقتل الخليفة العباسي المتوكل في عام (٢٣٧ هـ / ٨٦٢ م)، مما أتاح للحكام الفرصة لتشكيل سلطات محلية وراثية لأنفسهم كما حدث مع الأسرة الطولونية التي حكمت مصر وضمت فلسطين خلال الفترة (٢٦٤ هـ – ٢٩٢ هـ أو ٨٧٨ م – ٩٠٥ م)، وكان الأخيديون قد اقتدوا بالطولونية عندما حكموا مصر، وغزوها لنفوذهم في تلك الفترة (٣٢٧-٣٥٩هـ، ٩٣٩-٩٦٩م)، وحكم الإخشيديون والطولونيون في الظل الاسمي للدولة العباسية.

في عام ٣٥٩هـ، استطاع الفاطميون، المنتمون إلى الذهب الإسماعيلي، السيطرة على الفلسطينيين، ثم تمكن السلاجقة في عام (٤٦٤ هـ / ١٠٧١م) من السيطرة على معظم فلسطين، لكن الصراع عاد ليحتدم بين السلاجقة أنفسهم و بينهم وبين الفاطميين. استطاع الفاطميون السيطرة على صور عام (١٠٩٨م)، والقدس في (فبراير ١٠٩٨م)، كان هذا الصراع في خضم الحملة الصليبية الأولى، التي بدأت طليعتها في الوصول إلى بلاد الشام، وكتب الفاطميون إلى عرض الصليبيون عليهم التعاون في محاربة السلاجقة مقابل الجزء الشمالي من الشام إلى الصليبيين ومن فلسطين إلى الفاطميين. [١]

استطاع الصليبيون احتلال فلسطين، واستولوا على القدس (٤٩٣هـ / ١٠٩٩م) بعد أن قاتلوا في بحر من دماء المسلمين خلال الحروب الصليبية[٢] وقتلوا حوالي ٧٠ ألفًا منهم في القدس، لكن الأمة الإسلامية ما زالت تمتلك قدرًا كبيرًا من القوة والحيوية وكانت متحضرة ومتفوقة علميًا على الصليبيين الأوروبيين رغم ما كانت تعانيه من التفتت والصراع السياسي والحروب الداخلية. ظهر أبطال المجاهدين الذين أنهكوا الصليبيين طوال فترة حكمهم، من أتال أقصنقر البرسقي (٥٠٨-٥٢٠هـ)، وعماد الدين زنكي (٥٢١-٥٤٠هـ) الذي أطاح بإمارة الرها الصليبية، ونجله طور الدين محمود (٥٤١-٥٧٩هـ، أي ١١٤٦م-١١٧٤م)، الذي قدم نموذجًا متميزًا للقيادة الإسلامية وتبنى مشروع النهضة الحضاري الموازي لمشروع

(١) حول فلسطين في عهد الراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين، الموسوعة الفلسطينية، ص/ ٢٤٢، ج/٣.

(٢)جهاد المسلمين لتحرير فلسطين من الصليبيين والتتار، ص/ ٨٩.

التحرير الذي شغله طوال فترة حكمه، فتمكن من ترسيخ الإسلام القوي التوحيد تحت قيادته في بلاد الشام، ثم ضم مصر لحكمه، وأطاح بالخلافة الفاطمية هناك على يد واليه هناك صلاح الدين الأيوبي، وتمكن من تحرير حوالي خمسين مدينة وحصن من الصليبيين. لكنه مات رحمه الله بعد أن يواصل تثبيت فك كماشة (مصر والشام) على رقبة الصليبيين.

رفع صلاح الدين الأيوبي راية الجهاد بعد نور الدين في الفترة (٥٦٩-٥٨٨هـ أي ١١٧٤م-١١٩٣م) وأعاد توحيد الشام ومصر تحت قيادته، وخاض معركة حطين مع الصليبيين على (٢٤ ربيع الآخر ٥٨٣ هـ - ٤ يوليو ١١٨٧م) معركة حاسمة في التاريخ أدت إلى تدمير الوجود الصليبي وفتح القدس في (٢٧ رجب ٥٨٣هـ - ٢ أكتوبر ١١٨٧م)، أي بعد ٨٨ عامًا من الحكم الصليبي، واصل الصليبيون حملتهم وتمكنوا من السيطرة على الشريط الساحلي بين يافا وصور، كما سيطروا على القدس مرة أخرى (بسبب الصراعات الداخلية في الدولة الأيوبية) معظم الفترة بين (٦٢٦-٦٤٢هـ، أي ١٢٢٩-١٢٤٤م) حتى عادوا أخيرًا إلى حضن الإسلام، واستمر ذلك حتى الاحتلال البريطاني لفلسطين عام ١٩١٧م.

خلف المماليك الدولة الأيوبية في عام (٦٤٨هـ / ١٢٥٠م) وواجهوا تقدم المغول على أرض فلسطين في معركة عين جالوت (٢٥ رمضان ٦٥٨هـ - سبتمبر ١٢٦٠م) بقيادة قطز (محمود بن ممدود) التي تعتبر من المعارك الفاصلة في التاريخ، ثم واصل المماليك مشروع تحرير فلسطين والشام من فلول الصليبيين، فقام الظاهر بيبرس بجهد كبير في ذلك، حيث استعاد الكثير من مناطق فلسطين والشام، ثم تبعه سيف الدين قلاوون، ثم ابنه أشرف خليل بن قلاوون الذي كان على يديه فكان الوجود الصليبي في بلاد الشام لإسقاط مملكة عكا الصليبيين الذي حرر عكا في (١٧ جمادى الأولى ٦٩٠هـ -١٧ مايو ١٢٩٢م)، وبعد ذلك بقليل استولى على صيدا وصور وحيفا وعطاط، وعادت السيطرة الكاملة على فلسطين والشام مرة أخرى إلى حكم الإسلام.

عندما ضعفت مكانة المماليك، سيطر العثمانيون على فلسطين وبقية بلاد الشام (سوريا والأردن ولبنان) عام ١٥١٦م، وسيطروا على مصر والحجاز واليمن والجزائر في العام التالي، وتوسعوا فى سيطرتهم خلال نصف القرن المقبل لتشمل معظم العالم العربي، بما في ذلك العراق وشرق الجزيرة و حكموا فلسطين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م.

اكتسبت فلسطين طابعها الإسلامي منذ الفتح العمري، ودخل أهلها إلى دين الله قطعان، وعرّبوا وعبّروا عن لغتهم باختلاطهم بالقبائل العربية الآتية من الجزيرة العربية تحت راية الحضارة الإسلامية، و لم تؤثر فترة الحروب الصليبية كثيرًا في حالة الدفاع المنهكة.

استمر الحكم الإسلامي لفلسطين حوالي ١٣٠٠ سنة حتى عام ١٩١٧م، وهي أطول فترة تاريخية مقارنة بأي حكم آخر. حمى مقدسة مصونة. نشأ الإسلام في فلسطين مع قدوم عدد من الصحابة رضي الله عنهم واستقرارهم في فلسطين وانتشار الإسلام فيها ومن هؤلاء: عبادة بن سميط، وشداد بن أوس، وأسامة بن رائد بن حارثة، وواسطة بن الأصقاء، وفيروز الديلمي، وضاحية الكلبي، وعبد الرحمن بن غنام الأشعري، ولقامة بن مجزر الكناني، أواس بن السميط، مسعود بن أوس بن زيد، زنبع بن روح، أبو ريحانة، شمعون الأنصاري، سويد بن زيد، ذو العصابات التميمي، أبو أيبون أم حرم الأنصاري، أنيف بن ملة الجدمي وأبو رويحة الفزع ... وغيرهم من الصحابة الذين عاشوا في فلسطين ودفنوا في ثروتها.

ومن أتباع أبناء فلسطين رجاء بن حياة الكندي من مواليد بيسان، الذين أشاروا إلى سليمان بن عبد الملك إلى تكريم عمر بن عبد العزيز بالخلافة، وأيضًا من أتباع عبادة بن ناسي آل كندي، وروح بن زنبه، ومن أهل فلسطين أو زاروها من التابعين مالك بن دينار والعوازي، وهاني بن كلثوم، وحميد بن عبد الله اللخمي، وسفيان الثوري، وابن شهاب آل زهري.

ومن كبار الأئمة والفقهاء الذين ولدوا في فلسطين الإمام الشافعي من مواليد غزة، ومن أئمة فلسطين إبراهيم بن أدهم، والليث بن سعد، وأبوبكر محمد أتاتوشي وأبو بكر الجرجاني وابن قدامة المقدسي.

ولفلسطين ملك الأندلس القائد موسى بن نصير اللخمي، وكذلك عبد الحميد بن يحيى رئيس فن الكتابة وأستاذ البناء والمكاتب في عصره، وأيضاً أول الكيميائيين العظماء في التاريخ الإسلامي، ينتمي إليها خالد بن يزيد الأموي، والحقل ليس واسعًا لمزيد من الاستكشاف، فقد كانت الأرض المقدسة مركزًا للحضارة الإسلامية، وبيتًا للمسلمين، وشارك أبناؤها بفاعلية في بناء الصرح الشامل للأمة الإسلامية وفي دفع نهضتها. [١]

---

(١)فضائل بيت المقدس، تحقيق محمد مطيع حافظ، سلسلة فضائل الشام رقم ٢، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥، ص/ ٩٢،

يبني اليهود في ذلك الوقت احتلالهم لفلسطين على أساس مزاعم دينية وتاريخية. يزعمون أن اللهﷻ وعدهم بهذه الأرض، ويشيرون إلى ارتباطهم التاريخي بها، بحكمهم لها فترة من الزمن، ووجودهم على أرضها، وارتباطهم النفسي والروحي بها، وقد شتتها معها لهم، ونعتقد أن لليهود حريتهم الدينية، ولا يحق لأحد إجبارهم على تغيير معتقداتهم، لكن ليس لديهم الحق في إلزام الآخرين بمعتقداتهم، تمامًا كما أنه ليس من حقهم إزاحة الناس من ديارهم ويغتصبوا أراضيهم وممتلكاتهم ومقدساتهم بمطالباتهم الدينية.

أما المسلمون فهم لا يعيدون لليهود حقاً في هذه الأرض. من ناجٍ ديني، أعطيت هذه الأرض لبني إسرائيل عندما رفعوا راية التوحيد ووقفوا إلى جانبها بقيادة رسلهم وفضلهم، لكنهم انحرفوا وقتلوا أنبياءهم، ثم عاثوا فسادًا فى الأرض، لذلك فقدوا تلك الشرعية. ويرى المسلمون أنهم الورثة الحقيقيون لواء التوحيد، وأنهم هم الامتداد الحقيقي الوحيد لأمة التوحيد ودعوة الرسل، وأن دعوة الإسلام امتداد واستمرار للدعوة لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل وموسى وداود وسليمان وعيسى ... عليهم السلام، لذا فإن المسلمين الآن هم الأكثر استحقاقا لهذا الميراث بعد انحراف الآخرين. لا يتعلق الأمر بالجنس والنسب والقومية، بل يرتبط باتباع المنهج، ولهذا نؤمن نحن المسلمون أن ميزان الأنبياء هو رصيدنا، وخبرتهم هي تجربتنا، وتاريخهم هو تاريخنا، والشرعية التي أعطاها اللهﷻ للأنبياء وأتباعهم في حكم الأرض المقدسة دليل على شرعيتنا وحقنا في هذه الأرض والحكم. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[٢] وقال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٣] وهكذا قال الله

---

(١) سورة آل عران، الآية ٦٧-٦٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٣٢.

(٣) سورة البقرة، الآية ١٢٤.

لإبراهيمﷺ أن القيادة لا يكتسبها الظالمون من نسله، لأن الأمر يتعلق بصلاح منهج الله، وإذا كان الأمر يتعلق بالإنجاب فلا يجب على بني إسرائيل. يقصرها على أنفسهم، ولا يحق لإسماعيلﷺ ونسله أن ينالوا هذا الوعد الذي أعطي. لإبراهيم والعرب المنتسبين لإسماعيلﷺ لن يستحقوه جد عرب العدنانية ومنهم قريش وسيدنا محمدﷺ.

من الناحية التاريخية، كانت فترة حكم بني إسرائيل في فلسطين قصيرة ولم تتجاوز أربعة قرون على أجزاء من فلسطين، ليس جميعها. أما الحكم الإسلامي فقد استمر قرابة ١٢ قرنًا (٦٣٦م – ١٩١٨م)، وانقطع لفترة وجيزة مع فترة الحروب الصليبية، وإذا غادر معظم اليهود فلسطين وانقطع اتصالهم الفعلي بها لمدة ١٨ قرنا، من ١٣٥م حتى القرن العشرين. لم يتركها أهل فلسطين الأصليون خلال الأربعة آلاف وخمسمائة سنة الماضية، حتى طردت العصابات الصهيونية عددًا كبيرًا منهم قسراً عام ١٩٤٨م، وما زالوا يكافحون حتى يومنا هذا لاستعادة أرضهم دون التخلي عنها.

فقد اليهود عمليًا علاقتهم بفلسطين لمدة ١٨٠٠ عام، ولم يكن لديهم سوى المشاعر الدينية، ورفض حاخاماتهم وقادة الحاخامات تحويلها إلى برنامج عملي، لأنهم اعتقدوا أنهم يستحقون تدمير حياتهم والدولة والشتات بسبب خطاياهم، وأن عليهم انتظار المسيح المخلص. أو "المسيح"، وفي ذلك الوقت يمكنهم الاستقرار في فلسطين وإنشاء كيانهم الخاص.

لكن حدث عدد من التغييرات المهمة في التاريخ الأوروبي الحديث، وهو ما انعكس بدوره على اليهود وتأسيس المشروع الصهيوني. منذ القرن السادس عشر الميلادي ظهرت "حركة الإصلاح الديني"، "الحركة البروتستانتية" التي ركزت على الإيمان بالعهد القديم، "التوراة"، ونظرت إلى اليهود من منظور كتابي باعتبارهم "شعب فلسطين" الذين نزحوا على الأرض، وآمن كثير من البروتستانت بنبوءة الألفية، بأن اليهود سوف يجتمعون في فلسطين.

من ناحية أخرى، شهدت أروبا، خاصة في القرن التاسع عشر، تحولات سياسية مهمة. منذ الثورة الفرنسية ضد النظام الملكي عام ١٧٨٩م، تشكلت "الدولة الأوروبية الحديثة"، وانتشرت "الفكرة الوطنية" والمشاعر القومية، وتم إنشاء أنظمة علمانية تفصل الدين عن الدولة وتهمش دور الدولة كنيسة تم "تحرير" اليهود ومنحهم كافة حقوق المواطنة، خاصة

في أوروبا الغربية، مما سهل على اليهود اختراق هذه المجتمعات والأنظمة ورفع مكانتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتحقيق مستويات أعلى من التأثير في السياسة والدوائر الاقتصادية والإعلامية.

من ناحية أخرى، اتخذت المشاعر القومية في روسيا وأوروبا الشرقية اتجاهًا آخر، حيث توحد معظم يهود العالم، حيث قاوم يهود روسيا عمليات الاندماج والتحديث الروسية، والتي اتسمت بالتفوق والإكراه والإرهاب. وزادت مشاركة العديد من اليهود في الحركات الثورية اليسارية من العداء للحكومة القيصرية الروسية بالنسبة لهم، وانفجرت العداوة ضدهم علانية بعد اغتيال القيصر ألكسندر الثاني لروسيا عام ١٨٨١م، والذي اتهم اليهود به، وبدأت موجة من الإجراءات العنيفة القاسية ضدهم، والتي أطلق عليها اسم "معاداة السامية"، أي العداء لليهود لأنهم كانوا يهودًا ينتمون إلى العنصر السامي "مشكلة اليهود"[١] حيث بدأ ملايين اليهود في روسيا بالبحث عن فرصة للتخلص مما هم فيه، وبدأت أعداد كبيرة منهم بالهجرة إلى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية والجنوبية، وكانت هذه فرصة للحركة الصهيونية للظهور والدعوة لحل المشكلة اليهودية، ولخلق مستقبل آمن لليهود في فلسطين، وتعاطف الكثير من الأوروبيين والأمريكيين مع هذه الدعوة، سواء بسبب خلفياتهم الدينية، أو للتخلص من أعباء تدفق اليهود على أراضيهم.

ساهم ضعف الدولة العثمانية التي كانت فلسطين تحت حكمها في الفترة (١٥١٦م-١٩١٨م)، وسعي الدول الغربية لتقاسم أراضيها، في ظهور بيئة عملية أفضل لتأسيس المشروع الصهيوني، حيث كانت هناك رغبة غربية لملء الفراغ الذي سينتج عن سقوط الإمبراطورية العثمانية، ووضع صعود قوة خليفة إسلامي رئيسي للعثمانيين.

لقد عاش الغرب قرونًا طويلة من الصراع مع المسلمين، حيث كانت اليد الطويلة للمسلمين حوالي ١١ قرنًا، ولن تنتهي الدولة الإسلامية حتى تحل محلها دولة مسلمة تجدد الحيوية في هذه الأمة وتحافظ على شرفها وكرامتها. كان المماليك من غزو معظم أوروبا الشرقية، ومن توحيد الوطن العربي تحت رايتهم، وكانوا حصنًا كبيرًا للإسلام لقرون عديدة، لكن ضعف الدولة العثمانية، خاصة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قرون

---

(١)الأيديولوجية الصهيونية، عبدالوهاب المسيري، المؤسسة العربية للدرسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠م، ص/ ٢٣.

جعلت الأوروبيين يفكرون بطريقة تضمن عدم وجود العالم الإسلامي بعد ذلك، ولا يحل محل العثمانية دولة إسلامية جديدة تجلب لهم الحيوية والانتعاش، لذلك كانت فكرة الدولة القاحلة التي تزامنت مع فكرة حل المشكلة اليهودية، ومع فكرة حماية الجناح الشرقي من السويس قناة.

لفتت حملة نابليون بونابرت إلى مصر، التي احتلها بسهولة في يوليو ١٧٩٨م، الانتباه إلى مدى ضعف الإمبراطورية العثمانية، وفتحت الشهية للاستعمار الأوروبي لتقاسم إرث هذه الدولة، ورغم أن حملة بونابرت ضد فلسطين انتهت بـ فشل على أسوار مدينة عكا عام ١٧٩٩م، لكنه كان أول زعيم سياسي أوروبي يوجه دعوة رسمية لليهود لتحقيق آمالهم وإقامة كيانهم على أرض فلسطين، ونشر هذه الدعوة في (١٧٩٩/٢٠/٤م) أثناء حصار عكا.[١]

مع بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤م، بلغ عدد اليهود في فلسطين نحو ٨٠ ألفًا، لكن موقف اليهود المؤيدين لبريطانيا وحلفائها ضد الإمبراطورية العثمانية جعل العثمانيين يقيدونهم من فترة الحرب (١٩١٤م-١٩١٨م)، فانخفض عددهم بنهاية الحرب إلى حوالي ٥٥ ألفًا.

فلسطين تحت الاحتلال البريطاني ١٩٤٨م-١٩١٨م

أكمل البريطانيون احتلالهم لجنوب ووسط فلسطين في (كانون الأول ١٩١٧م)، والقدس المحتلة في (٩ كانون الأول ١٩١٧م). وألقى قائد الجيش البريطاني اللنبي كلمة في القدس احتفالا بانتصاره قائلا: "والآن انتهت الحروب الصليبية". [٢]كانت حملتهم على فلسطين هي الحملة الصليبية الأخيرة، وكأن الحروب الصليبية لم تتوقف منذ أن أطلقها الأوروبيون قبل أكثر من ٨٠٠ عام، وفي (سبتمبر ١٩١٨م) احتل البريطانيون شمال فلسطين، كما احتلوا في (سبتمبر – أكتوبر ١٩١٨م)، شرق الأردن وسوريا ولبنان، ومنذ ذلك الوقت فتحت بريطانيا مشروع التهويد المنظم لأرض فلسطين بالقوة، ثم استطاعت بريطانيا إقناع فرنسا بالتخلي عن مشروع تدويل فلسطين كما في نصوص سايكس بيكو

---

(١) الموسوعة الفلسطينية، ص/ ٢٧٩، ج/ ٢.

(٢)فلسطين عبر ستين عاماً، أميل الغوري، دار النهار للنشر، بيروت،١٩٧٢م، ص/ ٢٨.

مقابل رفع بريطانيا دعمها للحكومة العربية التي نشأت في دمشق بقيادة فيصل بن شريف حسين، حتى تتمكن فرنسا من احتلال سوريا.

وفرت بريطانيا لنفسها غطاء دوليا بإصدارها قرارا من عصبة الأمم في (١٩٢٢/٧/٢٤م) بالانتداب على فلسطين، وأدرج وعد بلفور في سند الانتداب، ليصبح التزاما رسميا معتمدا دولياً لكن انتداب العصبة الذي ابتكرته عصبة الأمم استند على أساس مساعدة شعوب الانتداب وإعدادهم لتحقيق استقلالهم، وتضمن الانتداب على فلسطين نفسها مسؤولية دولة الانتداب (بريطانيا) لتعزيز مؤسسات الحكم المحلي والحفاظ على الحقوق المدنية لجميع سكان فلسطين، وهذا يعني أن وعد بلفور يجب ألا يقف في نهاية المطاف في طريق أخبار فلسطين ضد الارتقاء بمؤسساتهم وإقامة دولتهم، وتنفيذ وعد بلفور يعني عملياً الإضرار بمصالح وحقوق الشعب الفلسطيني، وتعطيل بناء مؤسساتهم الدستورية من أجل إقامة دولتهم، لطالما فضلت بريطانيا الالتزام بالجزء المتعلق بوعد بلفور، وأبقت آذانها صماء ولم تحترم الجزء المتعلق بحقوق أبناء العرب فلسطين التي مثلت حوالي ٩٢ (٪) من السكان في بداية الاحتلال، وربما أرادت بريطانيا إنشاء نصوص تتعلق بحقوق الفلسطينيين للمطالبة بحقوقهم وفق مدينة "دستورية"، وليس إغلاق الجميع. الموانئ من قبلهم، فلا يصلون بسرعة إلى نقطة الانفجار والثورة، وهم يماطلون ويماطلون، بانتظار ترسيخ الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

وضعت بريطانيا فلسطين تحت الحكم العسكري حتى نهاية (يونيو ١٩٢٠م)، ثم حولتها إلى جسد مدني، وعينت اليهودي الصهيوني هربرت صموئيل المفوض السامي الأول لفلسطين (١٩٢٠م-١٩٢٥م)، حيث شرع في التنفيذ للمشروع الصهيوني على الأرض، وتابع المندوبون الساميون خاضوا نفس العملية، لكن أكثرهم سوءًا وودًا ونجاحًا في التنفيذ كان أثير واشوب (١٩٣١م-١٩٣٨م)، عندما وصل المشروع الصهيوني في عهده إلى خطورة المستويات.

عاشت فلسطين تحت الاحتلال البريطاني مؤامرة رهيبة، لقد حُرم الشعب الفلسطيني من بناء مؤسساته الدستورية وحكم نفسه. وُضِعوا تحت الحكم البريطاني المباشر، وأعطي المندوبون الساميون سلطات مطلقة، وقيدت بريطانيا معيشة الفلسطينيين وكسب لقمة

العيش، وشجعت الفساد، وسعت إلى تعميق الانقسامات الأسرية والمذهبية، واحتلال أبناء فلسطين، بعضهم من جهة أخرى اليد، شجعت الهجرة اليهودية، وازداد عدد اليهود من ٥٥٠٠٠ (٨٪ من السكان) في عام ١٩١٨م إلى ٦٤٦٠٠٠ (٣١.٧٪ من السكان) في عام ١٩٤٨م، وعلى الرغم من الجهود المضنية لليهود البريطانيين للحصول على الأرض، لم يتمكن اليهود من الحصول على حوالي ٦٪ فقط من فلسطين بحلول عام ١٩٤٨م، وكان معظمها إما أراضٍ حكومية، أو أراضٍ باعها إقطاعيون غير فلسطينيين مقيمين في لبنان وسوريا وأماكن أخرى، وبنى اليهود ٢٩١ مستعمرة على هذه الأراضي.

بينما كانت السلطات البريطانية تسعى جاهدة لنزع سلاح الفلسطينيين، وفي بعض الأحيان قتلت أولئك الذين يمتلكون سلاحًا ناريًا، وحتى سجنت لسنوات من يحمل الرصاص أو خنجرًا أو سكينًا طويلًا، إلا أنهم غضوا الطرف، بل وشجعوا اليهود سرًا على القيام بذلك تسليح أنفسهم، وتشكيل وتدريب القوات العسكرية، العدد الذي وصل إليه مع اندلاع حرب عام ١٩٤٨م أكثر من ٧٠ ألف مقاتل (٦٤ ألف هاغانا، خمسة آلاف إرغون، ألفان ستيرن ... وغيرها)، أي أكثر من ثلاثة أضعاف عدد الجيوش العربية السبعة عندما دخلوا حرب ١٩٤٨م، وأنشأ اليهود الوكالة اليهودية عام ١٩٢٩م التي تولت شؤون اليهود في فلسطين، وأصبحت كدولة داخل دولة بسبب سلطاتها الواسعة، واليهود أنشأت مؤسسات اقتصادية واجتماعية وتعليمية ضخمة شكلت بنية تحتية قوية للدولة اليهودية القادمة، لذلك تم تأسيس نقابة العمال (الهستدروت) وافتتحت الجامعة العبرية في القدس في ١٩٢٥م.[١] وهكذا كان الظلم والقمع والمحسوبية من أبرز سمات الاستعمار البريطاني في فلسطين.

ظهور الحركة الوطنية الفلسطينية

بالرغم من حالة الإنهاك التي خرج بها الفلسطينيون من الحرب العالمية الأولى، ورغم سقوط الدول العربية من حولهم، والعالم الإسلامي بشكل عام، تحت تأثير الاستعمار وتأثيره، ورغم ضعف إمكانياتهم المالية، وعدم وجود أدوات ضغط وتأثير سياسي، مقارنة بما يتمتع به المشروع الصهيوني من دعم يهودي عالمي، ومن رعاية القوى العظمى له، رغم كل

(١)سياسة الانتداب البريطاني حول أراضي فلسطين العربية، محمد سلامة النحال، ط/٢، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت، ١٩٨١م.

ذلك، فقد كان التمسك بحقهم الكامل في فلسطين، والإصرار على استقلالهم مهما كان الثمن، كان أبرز سمات نشاطهم السياسي الفلسطيني حول مطالب محددة، وأبرزها:

- إلغاء وعد بلفور لاحتوائه على ظلم وإجحاف بحقوق الغالبية العظمى من السكان أوقفوا الهجرة اليهودية
- الكف عن بيع الأراضي لليهود.
- تشكيل حكومة وطنية فلسطينية منتخبة من خلال مجلس نواب (مجلس تشريعي) يمثل الإدارة الحقيقية والحرة للسكان.
- الدخول في مفاوضات مع البريطانيين لإبرام معاهدة تؤدي في النهاية إلى استقلال فلسطين.

وعلى هذه الأسس نشأت الحركة الوطنية الفلسطينية وعقد الفلسطينيون مؤتمرهم الأول (المؤتمر العربي الفلسطيني ١٩١٩/١/٢٧م) في القدس. رفض تقسيم بلاد الشام حسب المصالح الاستعمارية، واعتبر فلسطين جزءًا من سوريا (بلاد الشام)، وطالب باستقلال سوريا ضمن الوحدة جامعة الدول العربية، وتشكيل حكومة وطنية تمارس الحكم في فلسطين، وعقد الفلسطينيون سبعة مؤتمرات حول هذا الموضوع حتى عام ١٩٢٧م، وكان من بين قيادات الحركة الوطنية رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني موسى كاظم الحسيني الذي استمر في القيادة الرسمية للحركة الوطنية حتى وفاته في آذار (مارس) ١٩٣٤م.

لكن في الحقيقة اسم الحاج أمين الحسيني الذي أصبح مفتي القدس عام ١٩٢١م، ورئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى منذ إنشائه عام ١٩٢٢م، والذي أصبح أهم حصن للحركة الوطنية والقيادة القوة من ورائها، ومع وفاة موسى كاظم الحسيني، أصبح الحاج أمين زعيم فلسطين بلا منازع حتى نهاية الاستعمار البريطاني عام ١٩٤٨م.

الحركة الوطنية الفلسطينية (١٩١٨م-١٩٣٩م):

كانت الحركة الوطنية الفلسطينية، خاصة خلال الفترة ١٩١٨م-١٩٢٩م، عرضة للمقاومة السلمية للمشروع الصهيوني، ومحاولة إقناع بريطانيا بعكس وعد بلفور، ولا يزال لديها بقايا أمل في ذلك، خاصة وأن البريطانيين كانوا كذلك حلفاء الشريف حسين خلال الحرب العالمية الأولى، والمشروع الصهيوني لم يحققوا حتى الآن أي نتائج عملية ذات أبعاد

خطيرة على الوضع في فلسطين، بالإضافة إلى حقيقة أن القيادة الفلسطينية لم تكن تعتقد أن الفلسطينيين لديهم وسائل بديلة مناسبة من شأنها أن تمكنهم من فرض إرادتهم على البريطانيين، تمامًا كما أن القيادة نفسها لم تكن تمتلك العزيمة والإرادة والتماسك لتحدي البريطانيين الذين لعبوا بوسائل أكثر عنفًا، ونقص الخبرة السياسية والتنافس الأسري على القيادة (حسينة و نشبة) التي ساهم البريطانيون في تأجيجها، لعبت دورها في إضعاف الحركة الوطنية الفلسطينية، لكن هذا بشكل عام لم تؤثر على الموقف المبدئي الفلسطيني من المشروع الصهيوني والاستعمار البريطاني المطالب السياسية العامة للحركة الوطنية.

الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٢٩م-١٩٣٩م:

بشرت ثورة البرق عام ١٩٢٩م بعقد تصاعدات فيه المقاومة الجهادية العنيفة إلى المشروع الصهيوني وإلى الاستعمار البريطاني على حد سواء، ووصلت إلى ذروتها في الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦م-١٩٣٩م). وفى الفترة ١٩٣٠م-١٩٣٥م تضاعف عدد اليهود الذين تم إحصاؤهم في منتصف عام ١٩٢٩م بنحو ١٥٦ ألفًا، وكان العديد من المهاجرين الجدد من ألمانيا من رجال الأعمال وأصحاب المال والتجارة والعلماء المتخصصين واليهود في نفس الفترة (١٩٣٠م-١٩٣٥م) تم الكشف عن حالتين بتاريخ ١٩٣٠/٣/١٥م و ١٩٣٥/١٠/١٦م.[١]

تميز النصف الأول من الثلاثينيات بتزايد النشاط السياسي والتفاعل الوطني مع الأحداث، وتوجيه العداء بشكل مباشر وواسع للسلطات البريطانية باعتباره أصل المرض وأساس كل بلاء. وتشكلت الأحزاب الفلسطينية في هذه الفترة، وكان "حزب الاستقلال" أول من ظهر في (آب ١٩٣٢م). وأسهم بشكل كبير في توجيه العداء لبريطانيا، لكنه ضعف منذ أواسط عام ١٩٣٣م، أما "الحزب العربي الفلسطيني" الذي ظهر في آذار ١٩٣٥م، فقد أصبح أول حزب شعبي، وحظي بدعم المفتي (الحاج أمين) ودعم

---

(١) انظر تقرير بيل، ص/ ٢٦٦، وانظر أيضاً، Palestine Government, A Survey of Palestine, prepared in Dec. ١٩٥٤ & Jan. ١٩٤٦ (Jerusalem: Government Printer, ١٩٤٦), vol. ١, p. ١٤١, ١٨٥, ٢٢٤.

الجماهير[١] خلال الفترة نفسها، نشطت جمعيات الشباب الإسلامي والحركات الكشفية، ونشأت وتطورت التنظيمات الجهادية العسكرية السرية مثل حركة "الجهاد" بقيادة عز الدين القسام، و "تنظيم الجهاد المقدس" بقيادة عبد القادر الحسيني (والإشراف السري للحاج أمين)، وظهرت مجموعات ثورية أصغر دخلت في اشتباكات مبكرة مع السلطات، مثل "النخلة الخضراء".

خلال هذه الفترة فقد الفلسطينيون أملهم في الحصول على حقوقهم بالطرق السلمية والقانونية، وعلق الحاج أمين الحسيني على تلك المرحلة قائلاً: "ما زلنا حتى عام ١٩٣٢م على بعض الأمل، لكنه اختفى مع الوقت، كل ما لدينا. عذاب ... بحذر، ليس لدينا سوى الشهادة." [٢] أشارت مذكرة مدير المخابرات في شرطة فلسطين إلى أن الشعور المتنامي بالاستياء من الانتداب البريطاني والإدارة أصبح سائدا بين جميع الطبقات ... وأن العرب الذين كانوا يأملون في أن تجلبهم بريطانيا لهم العدالة يائسة.[٣]

الثورة الفلسطينية الكبرى ١٩٣٦م-١٩٣٩م

كانت الثورة الكبرى من أعظم الثورات في تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، واندلعت في (١٥/٤/١٩٣٦م) على يد جماعة قسام بقيادة الشيخ فرحان السعدي وقتلت يهوديين آنذاك. تفاعلت الأحداث، وكانت هناك ردود فعل غاضبة متبادلة بين العرب واليهود، أعلن أبناء فلسطين الإضراب العالمي في ٢٠ أبريل، واتحدت الأحزاب العربية، وتشكلت اللجنة العربية العليا (برئاسة الحاج أمين الحسيني نفسه) في ٢٥ أبريل). وأعلنت اللجنة الإصرار على استمرار الإضراب حتى المطالب الفلسطينية بتشكيل حكومة فلسطينية.

---

(١) القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧م-١٩٤٨م، مؤسسة الدرسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨١م، ص/٥١.

(٢)محمد سلامة النحال، زهير المارديني، د.ن، بيروت، ١٩٨٠، ص/ ٧٧.

(٣) Appreciation of Arab Feeling as Affecting Palestine, Memorandum by H.R. Rice Submitted to the Chief Secretary, Govermment of Palestine, ٨/٩/١٩٣٣, Secret, Colonial Office (C.O.) ٧٣٣/٢٥٧/١١.

من جهة أخرى حاولت بريطانيا إيجاد مخرج سياسي وهي تسحق الثورة فألغت مشروع تقسيم فلسطين وابتهجت بمعتقلي سيشيل ودعت إلى مؤتمر مائدة مستديرة في لندن حيث وفود تمثل الفلسطينيين. وحضر يهود وعدد من الدول العربية وفشل المؤتمر الذي عقد في فبراير ١٩٣٩، وصولاً إلى نتيجة محدودة، مهد ذلك الطريق أمام البريطانيين للإعلان بأنفسهم عن الحل الذي أرادوه، والذين قالوا إنهم سينفذه بغض النظر عن موافقة الطرفين، فأصدرت الحكومة البريطانية "الكتاب الأبيض" في مايو ١٩٣٩، والذي شكل حدًا كداعم سياسي للفلسطينيين، وافقت بريطانيا بشكل قاطع على أنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية، وأن ما تريده هو دولة فلسطينية مستقلة، يشترك فيها العرب واليهود في السلطة، وأعلنت بريطانيا مساعيها لإقامة دولة فلسطينية خلال عشر سنوات، وأن الهجرة اليهودية في السنوات الخمس القادمة لن تتجاوز ٧٥ ألفًا، وبعد ذلك سيتم منعها إلا بإذن من العرب، وقررت حظر بيع الأراضي في بعض المناطق في فلسطين، في حين أنها مقيدة في مناطق أخرى. معظم القيادة الفلسطينية لم توافق على المشروع البريطاني، لأنه قام على وعود ونوايا بريطانية، ولأنه ربط استقلال فلسطين بموافقة وتعاون اليهود، ولم يعد بإصدار عفو عام من أجل الثورة، أو المصالحة مع زعيم فلسطين الحاج أمين، وفوق ذلك رأى الفلسطينيون أنه ليس من الحكمة الموافقة مبكراً على المشروع الذي يتضمن بعض الصفقات، طالما أن بريطانيا تصر على تنفيذه في أي وقت، فالوقت سيوضح مدى خطورتها، مثلما عارض اليهود بشدة وعنف المشروع البريطاني. (١)

التطورات السياسية ١٩٣٩م-١٩٤٧م

في الفترة ما بين ١٩٣٩م-١٩٤٧م، اندلعت الحرب العالمية الثانية، ودخلها الفلسطينيون مرهقين، وتشتت قيادتهم السياسية نتيجة الثورة. اضطر الحاج أمين إلى الفرار إلى العراق في أكتوبر ١٩٣٩م، ثم فر إلى إيران وتركيا ثم إلى ألمانيا التي وصل إليها في أكتوبر في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤١م، بعد سقوط الحكم الوطني المناهض لبريطانيا في

(١) المصدر السابق، ص/ ٣٠٠.

العراق، والذي كان للحاج أمين دور كبير في تأسيسه، ولم يجد هناك خيارًا في التعاون مع الألمان بالأعداد من أجل الحصول على حقوق العرب.

اتخذت قضية فلسطين بعدا دوليا عندما طلبت بريطانيا من الأمم المتحدة في ١٩٤٧/٤/٤م إدراج الموضوع على جدول أعمالها، ثم تم تشكيل لجنة تحقيق دولية لدراسة الوضع وتقديم تقرير عنه، واستكملت عملها في ٣١ آب (أغسطس) ١٩٤٨م. وتشمل توصياته المتحيزة:

١. الانتداب البريطاني على فلسطين.

٢. تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين، عربية ويهودية، مع وضع القدس تحت وصاية دولية.

في مؤتمر صوفر في ١٩٣٧/٦/٩م، وفي ١٥-٧ / ١٩٤٧/١٠م، قررت الدول العربية مقاومة مقترحات اللجنة الدولية لتقديم المساعدة من الرجال والسلاح لشعب فلسطين، "الاحتياطات العسكرية" وتنظيم العمل العسكري.

إن قرارات الجمعية العامة ليست قرارات ملزمة حتى ضمن مواثيق الأمم المتحدة من حق الشعوب في الحرية وتقرير المصير. علاوة على ذلك، لم يتم التشاور مع الشعب الفلسطيني المعني بالأمر ولم يتم استجوابه، بالإضافة إلى الظلم الصارخ الوارد في تفاصيل قرار منح حوالي ٥٥٪ من فلسطين مملوكة لأقلية يهودية مهاجرة تمثل ٣١.٧٪ من السكان ولا تملك أكثر من ٦٪ من الأرض.

حرب ١٩٤٨م وانكاساتها:

اندلعت الحرب فور صدور قرار التقسيم، وتحمل الشعب الفلسطيني أعبائها في الأشهر الستة الأولى بمساعدة عدد محدود من المتطوعين. رفضت الدول العربية إرسال جيوشها إلى أن غادرت بريطانيا في ١٩٤٨/٥/١٥م، وشكل الفلسطينيون جيش الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني. شكلت جامعة الدول العربية جيش الإنقاذ من متطوعي الدول العربية والإسلامية. عانى أبناء فلسطين من نقص الدعم العربي بالسلاح والمعدات إلى درجة مأساوية. ومع ذلك، فقد نجحوا في إثارة قلق وإرهاب اليهود لفترة طويلة"، وتوصلت

الولايات المتحدة إلى تكفير جدي للانسحاب من فكرة التقسيم في آذار / مارس ١٩٤٨م، وحتى دخول الجيوش العربية، استطاع الفلسطينيون الاحتفاظ بحوالي ٨٢٪ من أرض فلسطين رغم النقص المريع في لا شيء مقارنة باليهود، ورغم تعاون البريطانيين أثناء انسحابهم مع اليهود.

مثّل دخول الجيوش العربية السبعة قصة مأساة أخرى، إذ لم يتجاوز عدد مقاتليها مجتمعة ٢٤ ألفًا مقابل أكثر من ٧٠ ألفًا يهوديًا، وعانوا من ضعف التنسيق بينهم، وجهلهم بالأرض، وقديمهم والسلاح الفاسد، ومنهم من انشغل بنزع سلاح الفلسطينيين بدلاً من تسليحهم. وقد عانى بعضهم من ضعف القيادة، واستقلال بعض الدول العربية، وقلة خبرة جيوشهم. لا تزال بعض هذه الدول عمليا تحت التأثير الاستعماري البريطاني. (١)

حماسة أبناء فلسطين وأخبار الشباب العربي والإسلامي للجهاد والتضحية، لكن القيادة السياسية والجيوش كانت عاملاً من عوامل الإحباط والفشل الكبيرين. فعلى سبيل المثال، شارك الإخوان المسلمون في مصر في جهود كبيرة لإنقاذ فلسطين، وتطوع الشهيد حسن البنا في أكتوبر ١٩٤٧م بدماء عشرة آلاف من الإخوان كدفعة أولى للمعركة، لكن الحكومة المصرية شددت المسامير عليها، ومنعها من السفر إلا بشكل محدود للغاية. لكن المئات منهم الذين تمكنوا من المشاركة في المعارك ولعبوا فيها أدوارًا بطولية.

أعلنت الحركة الصهيونية "دولة إسرائيل" مساء يوم ١٩٤٨/٥/١٤م، وبنهاية الحرب تمكنت من هزيمة الجيوش العربية والاستيلاء على حوالي ٧٧٪ من أرض فلسطين. أما عن الجانب الفلسطيني، فقد قررت السلطة العربية العليا تشكيل حكومة فلسطينية لملء الفراغ الناتج عن انسحاب بريطانيا من فلسطين، وسعت إلى إقناع الحكومات العربية بفعل ذلك خلال أشهر آذار وأبريل النصف الأول من مايو ١٩٤٨م، ولكن دون جدوى. في ١٩٤٨/٩/٢٣م، أعلنت الهيئة "حكومة عموم فلسطين" في غزة برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي، ووافقت الحكومات العربية (باستثناء الأردن) على ذلك واعترفت بالحكومة، ولتأكيد شرعيتها، دعت حكومة عموم فلسطين والسلطة العربية العليا إلى مجلس وطني فلسطيني في

---

(١)نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود، عارف المعارف، ج/ ٢، و ص/ ٢٢٥، ج/٦، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٥٤، ص/ ٣٤٢.

غزة في ١٩٤٨/١٠/١م برئاسة الحاج أمين، وأعلن المؤتمر استقلال فلسطين، وإقامة دولة حرة ديمقراطية بسيرتها منحت الحدود الدولية المعترف بها أثناء الاحتلال البريطاني الثقة لحكومة عموم فلسطين المكونة من عشرة وزراء برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي. (١)

وعندما حاولت حكومة عموم فلسطين ممارسة صلاحياتها في قطاع غزة، تدخلت السلطات المصرية، ونقلت الحاج أمين الحسيني بالقوة إلى القاهرة، وأجبرت عددًا من أعضاء المجلس الوطني على مغادرة غزة إلى القاهرة، وسرعان ما أجبر رئيس وأعضاء حكومة عموم فلسطين على الانتقال إلى مصر، ورفضت الحكومات العربية اعترافات جوازات السفر الصادرة عن حكومة عموم فلسطين، وتم حل القوات الإدارية وإنهاءها في "المناطق الواقعة تحت سيطرة حكومة عموم فلسطين". القوات المصرية "، أي قطاع غزة. (٢)

كانت النتائج المباشرة لحرب ١٩٤٨م أن العصابات اليهودية الصهيونية شردت حوالي ٨٪ من الشعب الفلسطيني من أرضهم (حوالي ٨٠٠ ألف من أصل مليون و ٣٩٠ ألف هجروا قسرًا) إلى خارج الأرض التي أسس عليها اليهود كيانهم فيما نزح ٣٠ ألف آخرين إلى مناطق أخرى داخل الأرض. وقام المحتل نفسه والصهيوني بتدمير ٤٧٨ قرية من أصل ٥٨٥ قرية كانت موجودة قبل الحروب، وارتكبا ٣٤ مجزرة خلال حرب ١٩٤٨م بحق المدنيين الفلسطينيين أثناء عملية التهجير. (٣)

مزقت حرب ١٩٤٨م النسيج الاجتماعي والاقتصادي للشعب الفلسطيني الذي وجد نفسه بلا مأوى في العراء بعد أن استقر في وطنه منذ أربعة آلاف وخمسمائة عام. قوى الغطرسة الدولية المتعاطفة مع الحركة الصهيونية، والصهاينة، الذين بنوا كيانهم على بحر من الدم الفلسطيني والألم والمعاناة، ولم يشعروا بالذنب أو وخز الضمير، وكان من الأنسب لهم أن يشعروا معاناة الآخرين بسببها، ولم يشفوا بعد جراحهم من مذابح الألمان ومن "معاداة

---

(١)قطاع نغزة ١٩٤٨-١٩٦٧: تطورات اقتصادية وسياسية واجتماعية وعسكرية، حسين أبو النمل، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٧٩، ص/ ٢٢.

(٢) المصدر السابق، ص/ ٣٧٩.

(٣)المجتمع العربي في إسرائيل، إبراهيم أبو جابر، الدخل إلى القضية الفلسطينية، سلسلة دراسات رقم ٢١، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمّان، ١٩٩٧، ص/ ٤٢٧.

Salman Abu Sitta, Palestinian Right to Return (London: The Palestinian Return Center, ١٩٩٩), p. ١٦.٢٧.

السامية". روس موشيه ديان، الذي شغل مناصب رئيس أركان الجيش الإسرائيلي ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية، وكان عالم آثار، يعرف أنه "لا توجد قرية يهودية واحدة في هذا البلد لديها لم يتم بناؤها على موقع قرية عربية ".[١] إنها الجريمة المنظمة المتعمدة مع سبق الإصرار والتي لم تتوسط للكيان الصهيوني أن الأمم المتحدة اتخذت أكثر من ١٢٠ قرارًا حتى الآن لإعادة اللاجئين إلى أراضيهم، والذين بلغ عددهم حوالي ٦ ملايين و ٢٥٠ ألف من أبناء فلسطين المحتلة في ١٩٤٨م، بالإضافة إلى أكثر من مليون آخرين من الضفة الغربية ممنوعون من العودة إليهم.

قضية فلسطين ١٩٤٩م-١٩٦٧م

كان الشعور بالمرارة والإذلال هو الشعور السائد بين أبناء فلسطين، بل والعرب والمسلمين، نتيجة حرب عام ١٩٤٨. لكن في محاولة لتحرير أرضهم، تعامل أهل فلسطين بحيويتهم المعروفة، مع الوضع بطريقة إيجابية، وحاولوا التكيف مع ظروفهم الصعبة. على سبيل المثال، مرت سنوات قليلة فقط حتى هز الشعب الفلسطيني الأكثر تعليما مقارنة بجميع الدول العربية، إذا كانت العملية التعليمية وسيلة للتعويض والاستعداد لمواجهة المستقبل وتحدياته.

البلاد العربية وفلسطين

وشهدت هذه المرحلة انحسار الاستعمار من معظم دول العالم العربي والإسلامي، غير أن الأنظمة "المستقلة" التي حلت محلها استخدمت نظام الحكم الغربي، فاتخذت نغمات علمانية ذات دلالات ليبرالية أو اشتراكية أو محافظة، أو وقعت تحت الحكم العسكري، وسعى كل نظام عمليًا إلى ترسيخ نفوذه والهوية الوطنية القطرية بدلاً من السعي للوحدة، الأمر الذي أدى إلى استمرار حالة التفكك والتمزق التي تعاني منها الأمة. إلا أن الخطاب الوطني والشعارات تسود على الساحة العربية، والفلسطينيون يعلقون آمالهم في هذه المرحلة على "معركة القومية"، والأنظمة العربية، وخاصة مصر، بقيادة جمال عبد الناصر.

استمرت حالة العداء الرسمي ضد الصهيونية طوال هذه المرحلة، لكن الخط الرسمي للأنظمة العربية مال عملياً نحو ترسيخ الواقع وعدم تغييره، أو بعبارة أخرى اتجه نحو

---

(١)حقائق وأباطيل في الصراع العربي الإسرائيلي، كليفورد رايت، دار الناصر، عمّان، ١٩٩٢، ص/ ٨٥.

"الاستيطان" وليس "التحرير" من أجل الذات. والأسباب الموضوعية التي جعلتهم يشعرون بالعجز الحقيقي، فتنشغلوا بدغدغة مشاعر الجماهير الغفيرة، الذين كانوا ينتظرون ساعة المعركة، بينما الكيان الصهيوني "اللين" يزداد قوة وأقوى. لذلك، غالبًا ما تم تبني المقاومة الفلسطينية لأسباب تكتيكية في المرحلة، وليس كجزء من الخطط الاستراتيجية الشاملة، وكانت سياسات دول المواجهة مع المؤسسة الفلسطينية تسير في اتجاهين.

أكملت الحكومة الأردنية سيطرتها الدستورية على الضفة الغربية، التي تشكل معظم بقية فلسطين (٥٨٧٨ كم، أو ٢١.٧٧٪ من مساحة فلسطين)، بعد أن عقدت بتشجيع من مؤتمرات حضرتها شخصيات فلسطينية بارزة في دعم الأردن، ودعوا إلى الوحدة مع الأردن، لذلك عقد مؤتمر في عمان في ١٩٤٨/١٠/١م (بالتوازي مع مؤتمر غزة) برئاسة الشيخ سليمان التاجي الفاروقي، وتم تفويض الملك عبد الله بالكامل للتحدث باسم عرب فلسطين، [١]عقد مؤتمر في أريحا بتاريخ ١٩٤٨/١٢/١م برئاسة محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل، أعلن فيه وحدة الأراضي الأردنية والفلسطينية، وبايع الملك عبد الله فلسطين، وأصدرت الحكومة الأردنية بياناً وقال انها "تقدر رغبة سكان فلسطين وتتفق معها". اجتمع مجلس الأمة الأردني في ١٩٤٨/١٣/١٢م، حيث أيد مؤتمر أريحا موقف الحكومة الأردنية، واتخذ قراراً بالشروع في تنفيذ توحيد البنكين، وذلك في نهاية شهر كانون الأول من العام نفسه. وعقد مؤتمر ثالث في رام الله ورابع في نابلس. أيد قرارات مؤتمر أريحا، وأثار الموقف الأردني معارضة شديدة في المجالين العربي والفلسطيني، رسميًا وشعبيًا، لكن سيطرة القوات الأردنية على معظم ما تبقى من فلسطين (الضفة الغربية) مكنتها من منع حكومة عموم فلسطين من ممارسة صلاحياتها، واتخذت الحكومة الأردنية عددًا من إجراءات الوحدة خلال عام ١٩٤٩م، وفي ديسمبر ١٩٤٩م صدر مرسوم ملكي بأن جميع المقيمين في البنكين قد حصلوا على الجنسية الأردنية، وأمر ملكي آخر – صدر لاجراء الانتخابات في ١٩٥٠/٣/٢٠م بالتساوي بين البنكين وفي ١٩٥٠/٤/٢٤م عقد اول مجلس نواب ممثل البنكين حيث وافق على الاندماج بين الضفة الغربية وشرق الاردن. [٢]

---

(١)منظمة التحرير الفلسطينية، أسعد عبدالرحمن، مركز الأبحاث، نيقوسيا، ١٩٨٥، ص/ ٣٣.

(٢) الموسوعة الفلسطينية، ص/ ٣٩، ج/ ٤.

في الوقت نفسه، سيطرت الحكومة المصرية على قطاع غزة (٣٦٣ كم، أو ١.٣٤٪ من مساحة فلسطين) وأدارته، والحاج أمين ورفاقه في السلطة العربية العليا وفي عموم فلسطين. مُنعت الحكومة من العيش أو العمل سياسياً في الضفة الغربية أو القطاع، وظلت حكومة عموم فلسطين قائمة في مصر، دون أن تتمكن من القيام بأي من الأعمال الموكلة إليها، وفرضت السلطات المصرية حصارًا على منزل الهيئة العربية العليا بالقاهرة، ووضع الحاج أمين تحت رقابة مشددة، وحرمانه من حرية العمل والتنقل، وبالتالي عانت السلطة العربية العليا وحكومة عموم فلسطين من الحصار والإهمال والتقييد، حتى النهاية من أي أثر عملي لهم على الواقع الفلسطيني، ووجد الحاج أمين نفسه رهينة في مصر، فاضطر لتركها إلى لبنان عام ١٩٥٨م بعد أن ذاق مرارة العزلة والحصار، تمامًا مثل " وجدت اللجنة "و" حكومته "نفسيهما في حالة من التقلص والانسحاب إلى أن اقتصروا على شقة أو اثنتين في عمارات القاهرة، وتحول دور رئيس وزراء حكومة عموم فلسطين منذ عام ١٩٥٢م إلى مجرد مندوب لفلسطين لجامعة الدول العربية. وهكذا تضاءل نجم الحاج أمين تدريجياً، وسواء حمله البعض مسؤولية خسارة فلسطين أم لا، فقد شهد الرجل بصلابة وإخلاص، وكان أول رمز للعمل الوطني منذ أكثر من ثلاثين عامًا.

نشأة حركة الفتح

خلال تلك الفترة، طرحت حالة الضيق والاضطهاد على التيار الإسلامي، خاصة في مصر وقطاع غزة، أسئلة على شباب الإخوان المسلمين الفلسطينيين المتحمسين، الذين بدأوا يتساءلون عن سبل العمل الممكنة لتحرير فلسطين، رغم حقيقة ذلك ان التيار الدولي في وسطهم كان يدعو الى الصبر والتركيز على النواحي التربوية والإيمان، عدا أن التيار يتبنى أطرًا وطنية تمكنه من تجنيد قطاعات أوسع من الشباب، ولا تجعله عرضة لعداء الأنظمة واضطهادها بعد (حركة التحرير الوطني الفلسطيني) عام ١٩٥٧م في الكويت برئاسة ياسر عرفات والتي انبثقت بشكل أساسي من أحضان الإخوان المسلمين، وخاصة من قطاع غزة.

أما الحركة القومية العربية فكان معظم أعضائها المؤسسين فلسطينيين يدرسون في الجامعة الأمريكية في بيروت في منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، وكان من أبرزهم

جورج حبش الذي رفع شعار الوحدة الوطنية والسعودية تحرير فلسطين، ودعم سياسات الناصرية، وتشكلت لجنة فلسطين عام ١٩٥٨م.

قضية فلسطين ١٩٦٧م-١٩٨٧م

تميزت الفترة ١٩٦٧م-١٩٨٧م بانبثاق الهوية الوطنية الفلسطينية، وقيادة الفصائل الفلسطينية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ونجاح المنظمة في تحقيق الاعتراف بها كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني وحصولها على مقعد لها بصفة مراقب في الأمم المتحدة.

كما أنها فترة اتسمت بتراجع البعد العربي للقضية الفلسطينية، وإغلاق حدود دول الحلقة أمام أعمال العصابات الفلسطينية، وانتهاء حقبة الحروب الرسمية مع "إسرائيل" ودخول مصر في تسوية سلمية مع "إسرائيل".

تزامن خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن، وغرقها في مستنقع الحرب الأهلية في لبنان، ثم طردها من لبنان عام ١٩٨٢م، مع تنامي توجهات القيادة الفلسطينية للعمل السياسي، والحلول المؤقتة، وإقامة الحركة الفلسطينية دولة محررة على أي جزء من فلسطين.

وفي الوقت نفسه، شهدت هذه الفترة صعود الحركة الإسلامية الفلسطينية داخل فلسطين وخارجها، حيث أصبحت قوة شعبية لا يستهان بها ظهرت ملامحها في المساجد والمدارس والجامعات والنقابات ومؤسسات العمل الخيري كما ظهرت النوى الأولى للمقاومة الإسلامية المسلحة.

حاولت الأنظمة العربية امتصاص الصدمة وثقة الجماهير بها، واجتمع القادة العرب بالخرطوم في ١٩٦٧/٨/٢٩م وأعلنوا عدم مصالحة أو مفاوضات أو اعتراف بالكيان الإسرائيلي، وتعهدت الدول العربية بدعم دول الحلقة لإعادة بناء قواتها دخلت مصر وسوريا في حرب استنزاف مع القوات الإسرائيلية، خاصة خلال الفترة من أغسطس ١٩٦٨م إلى أغسطس ١٩٧٠م، وساهمت إلى حد ما في استعادة الثقة ورفع الروح المعنوية للجيشين المصري والسوري.

أما بالنسبة للدول العربية، فقد أدى ترسيخ الهوية الوطنية الفلسطينية والتمثيل الشرعي الوحيد لمنظمة التحرير الفلسطينية للفلسطينيين إلى نقل عبء المسؤولية تجاه القضية من أكتافها، وإلقاء اللوم على الفلسطينيين وحدهم، وأصوات "المعركة". لقد تضاءلت القومية "لتقتصر على السياق الفلسطيني الضيق، الذي كان عليه أن يواجه أقوى القوى في العالم، ومع مرور الوقت،

خاصة بعد عام ١٩٧٣م، اقتصرت مسؤولية الدول العربية على الدعم السياسي والاقتصادي. وبالفعل بدأ الدعم الاقتصادي نفسه يضعف منذ الثمانينيات بعد أن سعت كل دولة لعرض أولوياتها المحلية وبعد انشغال الدول النفطية. ولم تسلم منظمة التحرير بمشكلاتها الناجمة عن انخفاض أسعار النفط من مشاكل مع عدد من الأنظمة العربية جعلتها غير قادرة على القيام بمهامها و مشاكلها مع الساحة الأوسع والأهم، الأردن غطت السبعينيات، ومشاكلها مع لبنان لم تهدأ طيلة الفترة، واشتعلت مشاكلها مع سوريا عام ١٩٧٦م، ثم تصاعدت مرة أخرى منذ عام ١٩٨٣م ومات، عندما طرد ياسر عرفات. من دمشق، ومحاولة القضاء على وجود أنصاره في شمال لبنان، وخاصة مخيمي نهر البارد والبداوي في نفس العالم، بالإضافة إلى حالة العداء مع أكبر قوة عربية تمتص (خاصة في ١٩٧٧م-١٩٨٣م) بعد دخولها في مشروع التسوية السلمية وتوقيعها على اتفاقية كامب ديفيد، بينما احتل العراق بحرية مع إيران في الفترة ١٩٨٠م-١٩٨٨م ليفقد الكثير من فعاليته على الساحل.

كان الموقف العربي في بداية هذه المرحلة جامدًا، من خلال الإمتناع عن مؤتمر الخرطوم عام ١٩٦٧م، ودخول مصر وسوريا في حرب استنزاف مع "إسرائيل"، وفي ٦ أكتوبر ١٩٧٣م، اندلعت الحرب الإسرائيلية (حرب أكتوبر / رمضان) التي شاركت فيها سوريا ومصر ضد الصهيونية.

الفصل الثالث

أحوال فلسطين الأدبية والإجتماعية

أحوال فلسطين الإجتماعية:

القيم الثقافية الإنسانية الأصيلة التي تحتضن في جوهرها إنجازات الإنسانية على مر العصور، فهي تلخص ثمار جهود البشرية في نضالاتها ونجاحاتها وإخفاقاتها، ونحن نقف ضد هذه الظاهرة (العنف) ونعتبرها مؤشرًا على خطورة الانزلاق الذي يشهده واقعنا. العنف كفرد أو ظاهرة مجتمعية هو تعبير عن خلل في سياق صانعها سواء على المستوى النفسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي، في حين أن العنف بمختلف تداعياته والتزاماته العميقة والأساسية سيضع حداً لظروف استثنائية وغير مستقرة تعيق الحياة الاجتماعية والسياسية والتنموية[١].

تحتاج الأمم إلى إزالة الالتزامات الاجتماعية والاقتصادية التي تدفع الإنسان إلى تبني خيارات طائفية وعنيفة في علاقاته مع الآخرين، في غياب مقتضيات العدالة في جانبها الاقتصادي والاجتماعي. إن الطريقة الحقيقية والجادة لإنهاء ظاهرة العنف والتعصب في مجتمعاتنا هي بناء حياة سياسية جديدة تسمح لجميع القوى والتيارات بممارسة حقوقها والمشاركة الجادة والنوعية في البناء والتنمية.

عندما تختل القيم والمفاهيم في أي من المجتمعات، يبدو أن الفوضى والعبثية تسود بينما يصبح الشخص مهددًا في نفسه وشرفه وأمواله، ولأسباب عديدة، على رأسها هيمنة الظلم وغياب العدالة، وتهميش العقل والمنطق، وكذلك ما يترتب على ذلك من فساد الخليقة والضمير.

في العصور التي تشهد فيها القيم والمفاهيم اضطرابات واهتزازات خطيرة نتيجة انتشار الظلم والقمع، حيث يتم استخدامها كوسيلة لتصفية الحسابات الشخصية أو الحصول على مزايا ومكاسب أنانية من خلال غش أصحاب السلطة والهيبة، نجد أن المخاطر الناتجة عن تدهور القيم والمفاهيم الاجتماعية تتحول إلى ممارسات تقليدية.[٢]

الثقافة قضية مهمة لأي مجتمع، بعيدًا عن نوع وطبيعة الأيديولوجية التي تحملها الثقافة، وتنبع أهميتها الأساسية من حقيقة أن المجتمع الذي لا يمتلك خصوصية ثقافية لا

---

(١) فلسطين قبل وبعد، د.يوسف هيكل، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٧١م، ص/ ١٢٧.

(٢) النظام الأقتصادي في فلسطين، سعيد حمادة، الجامعة الأمريكية بيروت، ١٩٣٩، ص/ ٣٤.

يمكنه أن يبنيها له. يجب هزيمة المجتمع المتهور ثقافيًا عسكريًا أو اقتصاديًا أو سياسيًا، ومن الضروري منا قراءة المفاهيم والقيم الثقافية بشكل صحيح لأنها الحصن المنيع الذي تلجأ إليه كل أمة لمعالجة أزماتها، والتي تبدأ عادةً عند حدوث لازمة الثقافة. والفكر يبدأ وبالتالي، يجب أن تتجاوز الثقافة المحلية والوطنية والبدء في التفاعل والتعامل مع ثقافة إنسانية ودولية عالمية معقدة ومتنوعة ذات أبعاد مادية وأخلاقية.

إن الأزمة التي تعاني منها العديد من المجتمعات المتقدمة والنامية في العالم هي ضعف قدرتها على بناء جسر ثقافي يسهل ويهيئ التواصل والتفاعل والتماسك الاجتماعي. إن بناء هذا الجسر الحضاري أصبح بلا شك ضرورة حيوية للإنسانية والحضارة الإنسانية، فلا يمكن لأي ثقافة أو مجتمع أو إنسان أن يعيش منعزلاً ومنغلقًا على نفسه، وأن كل شعب ينتمي إليه من خلال مجموعة من المعتقدات والقيم المختلفة. والرموز.

يلاحظ التتبع لحركة النضال الفلسطيني منذ عام ١٤١٤هـ خاصية لم تكن تشبه الخصائص الأخرى لنضال الشعوب العربية المحيطة بفلسطين، ومرد ذلك أن الحركة الصهيونية عكست تحدبها على جميع طبقات الشعب الفلسطيني بما في ذلك طبقة الاقلاع الممثلة للقيادات الفلسطينية حينذاك، مما دفع الشعب كله، حتى القيادات الإقطاعية فيه إلى ممارسة أوقبول ممارسة أرقى أشكال النضال السياسي، وإلى إصرار هذه القيادات ولو من جهة الشكل على رفع الشعارات الوطنية، وفي أثناء ذلك كانت البلاد العربية المحيطة بفلسطين تضطلع بدورين متحاكمين إزاء ما يجري من صراع في فلسطين، ففي حين كانت الجماهير العربية تنعش النفس الثوري للشعب الفلسطيني، وتبني مع حركاته علائق متبادلة التأثير، وكانت الأنظمة الحاكمة المهيئة في هذه البلاد تبذل كل ما في وسعها لكبح وجماح هذه الحركات وإجهاضها، ذلك أن طبيعة التناقضات التي كانت تعيشها الساحة الفلسطينية، من شأنها أن تطور أشكال النضال التي كانت تحتمل السلاح العربية الأخرى، وترتقى بها إلى درجات ثورية لم يكن بمقدور الفئات الحاكمة فنياً أن تفض الطرف عنها، فانساقت نحو الوقوف بجانب الاستعمار البريطاني ضد شركائها في الطبقة والمصالح ممن كانوا يقودون الحركة الوطنية الفلسطينية.

وفي الوقت نفسه، عمل الصهيونيون على تسخير مرافق الدولة لشططاتهم ولجأت حكومة الانتداب إلى شحن جهازها بالموظفين الموالين للصهيونية وفتحت باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مصراعيه.[١] ولم تكن هذه الهجرة والاشكالات النبشة عنها مسألة قومية فحسب، بل كان لها إنعكاسات اقتصادية مباشرة وحادة، أنها تأثير في الشعب العربي الفلسطيني بجميع طبقاته، ذلك أنها فجرت هزات اقتصادية عنيفة، بسبب إقداء، الصهيونيين على تطعيم تلك الهجرات برإساليين يهود، حرصا على تأمين تمركز رأسالي صهيوني في البلاد، فأدي ذلك إلى تحويل الأقتصاد الفلسطيني من اقتصاد زارعي إلى إقتصاد صناعي، وإلى إختلاق قطاع عام عربي في فلسطين عاطل من العمل، كما أدى تدفق الأموال الصهيونية بفزارة على فلسطين، مضافا إليها أموال الجهاز الإداري البريطاني المسخر الخدمة المخططات الصهيونية إلى مزاولة تأثير تخريبي على الشعب العربي الفلسطيني، ذلك أن ملكية الجماعات اليهودية قد ارتفعت على حساب الأراضي العربية [٢] مهما أدى إلى أفقار الفلاحين بصورة لم يسمع بها من قبل، ولما كانت الحياة الزراعية في الموالم المختلفة عموما، وفي العالم العربي بصورة خاصة لا تعني من الإنتاج فحسب، بل أسلوب حياة اجتماعية ود ينيمة راسخة، فقد أدت عملية الإفقار المنظمة هذه، التي واجهها الفلاح الفلسطيني إلى صدام إتخذ شكل صراع عنيف.

وسط هذا الجو المحموم، والتناقضات المتزايدة العمق التي كانت تصب على رأس الفلاحين والعمال العرب الفلسطينيين بالدرجة الأولى، وتجثم بثقل كبير على صدر البرجوازية، كان المأزق يتصاعد باطراد، معبرا عن نفسه بانفجارات مسلحة بين الفينة والأخرى، كما بات الإقطاع الفلسطيني يشير بأن مصالحته هو الآخر محددة من قبل قوة اقتصادية صاعدة الأوهي الرأسمالية الصهيونية الشعالفة مع الانتداب البريطانى، هذا عدا كونه مهددا من قبل الجماهير الفقيرة التي لم تصد تصرف أين يثمين عليها أن تتجه. أما البرجوازية الفلسطينية فقد كانت ضعيفة، غير قادرة على قيادة مرحلة التحول الاقتصادي، وقسم صغير منها تحول إلى طحلب متعلق على حامش النمو الصناعي اليهودي، أما المثقفون الشباب الذين تحدروا

---

(١) النظام الإقتصادي في فلسطين، سعيد حمادة، ص/ ٣٢.

(٢) فلسطين قبل وبعد، ص/ ١١٧.

من عائلات مدنية أو ريفية غنية ذات نفوذ ديني أو اقطاعي أو وجاهي، فقد اضطلموا دور بارز في التحريض الثوري، دون أن يصدروا في ذلك عن عقول تنظيمية أو انتماءات عقائدية، وأنما عن مواهب فرهية واجتهادات شخصية، فقد عاد هؤلاء المثقفون من جامعاتهم، ليرفضوا صيغ الملاقات الاجتماعية القديمة التي أصبحت تناقض المفاهيم الجديدة، وليتمردوا على الواقع المستحدث الذي يبلور نفسه وسط التحالف الصهيوني البريطاني.

وهكذا امتزجت المصلحة الفردية، بالصالح القومية، بالشاعر الدينية، بصورة لانظير لها، وتفجر هذا المزيج وسط الأزمة التي يماشرها المجتمع الفلسطيني أشكالا متقدمة من النضال، في وجه حلف خبيث من الاستعمار البريطاني ومجتمع الفزو الصهيوني وكانت السمة البارزة لهذا النضال هي السمة القومية، برغم تقع الريف الفلسطيني بستار الدين كمظهر من مظاهر مجابهة الحركة الصهيونية المحقونة بعمل من التعصب الديني الشديد.(١)

بجانب هذه الفصول التعاتبة من المشكلات السياسية والإقتصادية التي عاشها المجتمع العربي الفلسطيني، عاش أيضاً مشكلة اجتماعية حادة، تحدرت رواسبها من تقاليد المجتمعات السابقة، وفيها عندما كان الرجل يفاجر بجنسه، ويستعلي على المرأة، وينظر الينا نظرة احتفار وإذلال، اذ بقيت هذه النظرة قائمة بصورة عامة، ولم يخط المجتمع حينذاك خطوات إيجابية تتناول المرأة وقضاياها من خلال أطهر اجتماعية وأقصية، وتطلمات مستقبلية جديدة. ومن هنا جاء عدم الاهتمام بها، وانكار كثير من حقوقها تعليمها وتعبيرها عما تحس به كأنسان يحاول أن يستكمل شخصيته الإنسانية.(٢) وعلى الرغم من ظاهرة التوجه الكبير نحو التعليم في المجتمع العربي الفلسطيني، إلا أن تعليم المرأة ظل متأخرا نسبيا، وخصوصا في القرية، حيث ظلت بعض القيم التقليدية مسيطرة على العقول.

وأتمت (نكبة ١٩٤٨م) الفصول الدموية التي عاشتها فلسطين منذ عام ١٩١٨م وبدأت عملية اقتلاع الشعب الفلسطيني من أرضه، ليقذف به إلى أماكن أخرى مختلفة يجير فيها على التكيف أعطيتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الجديدة، وعلى التألف مع

---

(١) ملف القضية الفلسطينية، سامى هداوى، ص/٣١.

(٢)فلسطين قبل وبعد، د.يوسف هيكل، ص/ ١٢٧.

القيم والعلاقات الناشئة عن الوجود الجديد، ورست هذه الأوضاع حدود آفاق جديد للمجتع العربي الفلسطيني، فلم يعد هناك طبقات فلسطينية بالمعنى التقليدي، فالبرجوازيون مثلا لم يعودوا طبقة موجودة على أرض واحدة لها علائق فيما بينها وبين الطبقات الأخرى بل صاروا موزعين في عدة أقطار، علاقتهم مع البرجوازيات المحلية، وقطاعات الشعب المحلي الأخرى، ولم يكن باستطاعتهم أن يحلوا محل البرجوازيات القائمة، وانما كان بمقدروهم بفعل ما يملكون من السوال، أن يتوجهوا إلى أعمال تجارية ترتبط بالدرجة الأولى مع قطاعات هي خان أطار الوسط الفلسطيني. كذلك أدى تحطيم البنية الاقتصادية للمجتمع العربي الفلسطيني إلى جملة مجتمع خدمات متحرك في غالبيه يتنقل بين مختلف الأقطار العربية وغير العربية بحثا عن مصادر عيش جديدة، وقد خلق هذا التحول اهتزازا كبيرا في الملائق الاجتماعية والاسرية القديمة، وتولدت علائق جديدة قادت إلى قيم وقاليد جديدة شملت جميع أفراد المجتمع رجالا ونساء كما خلق هذا التحول حوافر قوية للإقبال على التعليم وخاصة لدى الفتاة الفلسطينية على اعتبار أن التعليم هو السلاح الوحيد للقضاء على التخلف، والسبي الأمثل لبناء مستقبل كريم بتواعم مع الواقع الجديد غير المرتبط بأرض أو بكيان اقتصادي ثابت.

وكان لابد أمام هذا التوزيع الجغرافي الذي عاشه الإنسان العربي الفلسطيني من أن يعيش توزيعا سياسيا مرافقا، يدفعه إليه انجذاب نحو العمل على تحرير دياره والمودة اليها، فبرزت النقسامات المذهبية، والانتمائات الحزبية في سني ما بعد (النكبة) بصورة حادة حتى على أفراد الأسرة الواحدة، فصار يصعب على المرء، يلتقي بأسرة فلسطينية يجمعها ولا سياسي واحد، وكانت الخلافات السياسية للبلدان العربية التي تعودها مشارب مختلفة، وسيلة مثل يتوسل بها الشاب الفلسيني للنضال من أجل قضية، ومن أجل ذلك كانت هذه المرحلة حتى منتصف الستينيات مرحلة عمقت التفسخ بين أفراد المجتمع الفلسطيني على الصعيد السياسي أيضاً واستمرت الحال على هذا النحو الى أن قامت الثورة الفلسطينية المسلحة، فمكثت إلى حد ما تجميع هذا الشعث المتاثر، ومن استقاطاب الولايات السياسية المختلفة لأبناء هذا المجتمع، وتوجيهها نحو فلسطين، وأضحت الثورة رمزا للإنسان الفلسطيني التأثر وأملا نحو النصر.

ولم تكن أوضاع أبناء المجتمع العربي الفلسطيني تحت الاحتلال الصهيوني،[١] أحسن حالا من أخوانهم الذين نزعوا عن الأرض، فقد سقت دولة الصهانية بعد (النكبة) القوانين العازلة لهم، كأقلية ليس لها حقوق مدنية أو سياسية أو قومية، فعانوا ماعانوا من الكبست والقهر والحرمان والسلب لأقل الحقوق الإنسانية، وحاول الصهيونيون بكل طاقاتهم ووسائلهم إذابة هذا المجتمع وتقسيمه وأغراقه في بحر من الإجراءات البيئة التي تجيز استعملات الأراضي العربية بالقوة، ومصادرة الأرزاق، والغاء القاعدة المادية لمصادر المعيشة، ومن ثم العمل على فعل المجتمع البشري الفلسطيني من أرضه وإخضاعه إلى آلة التهديد والإرهاب بحيث لا يبقي أمامه سوى الخضوع إلى الفاء البطئ على أرضه المتبقية، أو هجرته عنها.

على أن أخطر مشكلة واجهت الإنسان الفلسطيني في أرضه المحتلة وتوازى في خطورتها مصادرة الأرض وهي مشكلة التعليم، فقد "أفرزت سياسة الفزو الصهيوني نظاماً تعليماً يهدف إلى خلق جيل من (الإسرائيليين العرب) بعيد عن ثقافته وقيمه العربية وبتاريخه العربي"، فالطالب الفلسطيني هناك يعيش ازدواجية شفافية تتمثل في التناقض الواضح بين ما يؤمن به من أهداف وبين مايخطط له من أهداف أخرى، يجدها في الكتب والمناهج المبنية على فلسفة تمتد سياسة التهويد وتلبي طموحات الصهيونية،[٢] وليس غريبا أن ترى نسبة كثيرة من الأطفال العرب لا يواصلون دراستهم حتى نهاية المدرسة الابتدائية، ناهيك عن تعليم الفتيات المختلف جداً وخاصة في مرحلة التعليم الثانوي، ويعود ذلك إلى عدم توافر المدارس الثانوية للبنات ثم إلى معارضة (بعض) السكان للتعليم المختلط وخاصة في المرحلة الثانوية يضاف إلى ذلك زواج البنت العربية في سن مبكرة.[٣]

وبعد (هزيمة حزيران يونيو ١٩٦٧م) وضع الفلسطينيون في الضغة الغربية "وقطاع غزة" تحت إدارة الحكم الصهيوني المباشر، ولجأ الحكام العسكريون إلى ممارسات غربية في مرتبة أقصى من الاضطهاد، وأشد اصتهانا لكرامة الإنسان من التمييز العنصري، كما لجأوا

---

(١) ملف القضية الفلسطينية، ص/ ٧٥.

(٢) العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي، ص/ ٢١٨.

(٣) التعليم في إسرائيل، د. منير يشور، خالد الشيخ يوسف، بيروت، ١٩٦٩م، ص/ ٢١،.

إلى اعتماد مخططات تعليمية خبيئة شبيهة بتلك التي فرضوها على عرب الأرض المحتلة سابقا بقية مصادرة العقل العربي الفلسطيني وطمس الهوية القومية.[١]

العنف والثقافة

العقل العنيف هو نتاج مجموعة من الحالات والعوامل التي تتشابك وتتراكم مع بعضها البعض والتي تستوعب العوامل والظروف الذاتية، فضلاً عن العوامل والظروف الموضوعية، لذلك فإن طبيعة الثقافة في المجتمع تحدد إلى حد كبير أشكال العنف، وإذا كانت الثقافة عنيفة يتحول اللسان إلى أداة لإلحاق الأذى بجميع أنواعه وأشكاله، واليد إلى ممارسة القتل والتدمير وكافة أشكال العنف الجسدي، لكن إذا احتضنت الثقافة مفاهيم سيتم تحقيق الرحمة والتسامح والسلم الأهلي والتوازن الاجتماعي في المجتمع. العنف كظاهرة مجتمعية له جذوره الثقافية ومتطلباته المعرفية. لا يمكن معرفة هذه الظاهرة بشكل صحيح إلا من خلال معرفة الجذور الثقافية وحاضنات العنف.[٢]

ما يعمق هذا الخلل في الفضاء الفلسطيني بجميع مستوياته هو طبيعة الثقافة السائدة واختيارها العام، فهي ثقافة ترفض العدد والاختلاف، وتكتفي بالتقدم البشري والحداثة بالمقاييس، بينما تنغمس في ترسيخ موضوع المجتمعات العربية وفق قواعد الاختزال والاستبداد، وكذلك الثقافة السياسية والاشتراكية الرافضة للحق في الاختلاف، وتحارب التنوع، وتجسد السلطة بعيدًا عن مقتضيات الحقيقة، هي أيضًا بيئة خصبة للإنتاج ظاهرة العنف في المجتمعات العربية. إن الثقافة التي تنتج الإقصاء الاجتماعي والإقصاء الثقافي والتمايز هي رابط عاطفي بين المختلف والمغاير، ثقافة تولد ظاهرة العنف.

أسباب اجتماعية:

لو نظرنا إلى حقائق العنف في المجال الفلسطيني، لوجدنا، دون جهد وصعوبة، أن فشل التنمية والتفاوت الصارخ في مستويات المعيشة والبطالة وتدني مستوى الحياة والعيش

---

(١) مجلة نير الإسرائيلية، ص/ ٣٠ عدد (ت٢، ك١)١٩٢٠م.

(٢) العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي، ص/ ٢٢٨.

الكريم من الحقائق التي تساهم في ذلك لظهور ظاهرة العنف ويؤدي التدهور الاقتصادي إلى حدوث انقسامات اجتماعية خطيرة توفر كل متطلبات ظهور ظاهرة العنف في نظام العدالة الاجتماعية.

إن المجتمعات المهمشة التي تعيش حمى الضنك في جميع مراحل حياتها مجتمعات مريضة، لأنها ببساطة لا تعيش حياة طبيعية، والمجتمع الذي تعيش فيه سلوكه العام مضطرب، والأزمات المفاجئة تظهر في كل مجال، وتتفجر أحداثه العامة في شكل هدايا وانحرافات اجتماعية.

إن التمييز ضد جماعة ما ضار بالمجتمع، لأن من يتعرض للتمييز يُكره على الانطواء والعزلة وقمع فعاليتها، ويؤدي إلى تفاقم الكراهية ضد الجماعة التي تضطهدهم، وتنشأ بينهم صراعات من يحرمهم من حقوقهم، وبالتالي تضيع الطاقات التي يمكن للمجتمع الاستفادة منها إذا وجهت في طريق البناء الصحيح.

يتحول ضياع الحوار بين الجماعات إلى اضطهاد الأقوياء للضعفاء وسيطرتهم عليهم، ومحاولة لمحوهم وتدميرهم، وبالتالي يؤدي إلى مزيد من ظهور الفساد والعنف والجريمة والتفكك الاجتماعي والسياسي، ومن هنا جاء الانقسام الاجتماعي. العدالة التي تمنح جميع الأفكار فرصًا للحياة والسمع، بحيث يتخلى الناس عن الأفكار الخاطئة عن طيب خاطر أو كره.

التحولات الاجتماعية في فلسطين

يمكن لمتابع لحركة التنمية في المجتمع الفلسطيني أن يرصد دون جهد – تعايش المواطن الفلسطيني، واقع اجتماعي يختلف في معطياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية عن الواقع الذي يتعايش فيه الإنسان العربي، وهذا الاختلاف هو واضح في مفردات الحياة اليومية وأيضًا في أنماط التفاعل البسيطة وأشكال العلاقات الاجتماعية [١].

إن أهم ما يميز الأوضاع الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني هو الأوضاع الانتقالية وغير المستقرة، وتحمل الأشكال الجديدة فيها العديد من السمات القديمة وهي من العوامل التي تشوه وتضعف الوضع الاجتماعي الفلسطيني. وينتج عن ظهور التعصب أو عمق الرابطة

---

(١) العرب في ظل الاحتلال اللإسرائيلي،، ص/ ٢٤٨.

الاجتماعية الضيقة التي تكرس الولاء لرموز التخلف المرتبطة بالمظاهر الإصلاحية وحالات الفوضى والفساد والفوضى تحت غطاء العادات والأعراف والتقاليد والتراث في سياق التدهور السياسي – الاجتماعي – الثقافي الحالي، ستتراكم الجوانب السلبية للصراع على معظم مكونات المجتمع الفلسطيني.

العنف المجتمعي

لا يزال التفسير السائد لتصعيد هذا العنف قائمًا على مشاكل نوع السيولة المجتمعية نتيجة المرحلة الانتقالية في التكوين الاجتماعي الفلسطيني، أو على تفكك نظام القيم السائد نتيجة التأثير الأجنبي الثقافات الفرعية المتمثلة في ضعف وتفكك مؤسسات التعليم الابتدائي.

تتحول هذه الظاهرة تحت وطأة التهميش والنبذ إلى مستودعات محتملة للعنف. وهذا النوع من التوظيف أو عنف المرتزقة يحمل درجة من العنف والقمع، والشعور بالتهميش تجاه المجتمع، وبالتالي تهيمن عليه الرغبة في الانتقام.

١. المظهر الاجتماعي

إن مخاطر هذا النمط المشوه للعلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية تنعكس بالضرورة في العلاقات الاجتماعية العربية، وخاصة الفلسطينية، مما يعمق الأزمة الاجتماعية، خاصة مع انتشار الثروة غير المشروعة والأشكال السريعة للثروة كنتيجة مباشرة للعلاقات الاجتماعية انحدار الثوابت السياسية والاجتماعية.

أخطر عواقب الفوضى الاجتماعية وانتشار الفساد الاجتماعي والأخلاقي مرتبطة في ظل هذا الجو والكراهية الاجتماعية التي تضر بتطور المجتمع، فالحقد مدمر ولا يبنى وليس هناك أسهل من تأجيج الكراهية والبغضاء، سواء كان الوضع الاجتماعي يساعد في ذلك أم لا. نظام القيم وتحليلها هو نتيجة لتأثير الثقافات الأجنبية، فضلا عن ضعف وتحليل مؤسسات التعليم الابتدائي.

٣. التركيبة الاجتماعية وغير المعيارية في المجتمع الفلسطيني

يعكس اللاموازن حالة من عدم التوازن في القيم والمعايير على مستوى المجتمع بكافة فئاته وأنظمته ومؤسساته الاجتماعية، ويصبح نمطًا من السلوك المنحرف مثل جرائم القتل والمخدرات والسرقات وظاهرة التبعية التي منتشر في المجتمع الفلسطيني.

على الرغم من أن نظام القيم السائد في المجتمع هو الذي يتحكم في نظام القيم على المستوى الفردي، فقد تأثر نظام القيم بالعديد من العوامل الخارجية، بما في ذلك تلك المتعلقة بعلم النفس، والبنية الاجتماعية، أو نظام اجتماعي، وفي هذه الحالة غير الطبيعية تعبر عن انهيار الأعراف الاجتماعية. السلوك الحاكم وكذلك التعبير عن ضعف التماسك الاجتماعي.

تغيير صيغة القيمة والوضع غير المعياري

شهد المجتمع الفلسطيني وما زال الكثير من التغيير الاجتماعي، وشمل هذا التغيير نمط البنية الاجتماعية وكذلك النمط الثقافي. ثقافة المجتمع ليست محصنة ضد التغيير. إن تغير القيم، وخاصة في الوقت الحاضر، يحدث نتيجة لتأثير ثقافات المغتربين على المجتمع الفلسطيني مما أثر على العلاقات الاجتماعية وانتشار التعليم أو انتشار المجتمع الاستهلاكي، مما أدى إلى ظهور قيم جديدة. من خلال العرض السابق يمكننا تشخيص بعض جوانب الظروف والتغيرات في البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الفلسطيني:

أ) تشويه العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع الفلسطيني بين السلطة والفرد.

ب) تميزت البنية الاجتماعية في شكلها وجوهرها بطابع تراكمي مشوه.

ج) تزايد مظاهر التخلف والانحلال الاجتماعي المتمثل في الولاءات العشائرية والعائلية والحزبية والقهر والتنمر.

د) انتشار اللاموازن وضعف الأعراف الاجتماعية لصالح قيم النفاق والإحباط بدلاً من قيم التضامن.

الاغتراب وأزمة المجتمع المدني في المجتمع الفلسطيني

ما نعنيه هنا هو الاغتراب الاجتماعي، وهو حالة عجز الإنسان في علاقاته بالمؤسسات والمجتمع والنظام العام. حالة الاغتراب هذه مرتبطة بمشكلات التفكك الاجتماعي والسياسي وانحراف القيم والتبعية والطبيعة المشوهة. تسود في هذه المرحلة حالة من زعزعة استقرار القيم والمفاهيم، وتأتي أزمة المجتمع المدني من هيمنة الدولة وحكم المجتمع، ومن تهميش الشعب وتقليص مشاركته في مسيرة التغيير. لا يمكننا تجاوز ظاهرة الأزمة التي تمزق روح المجتمع الفلسطيني إلا بالاعتماد على الحوار كلغة خطاب استراتيجية تفتح حالة تفاهم في شكلها الواسع للجميع.

أ. الأمن والسلم الاجتماعي

السلم الاجتماعي هو دولة تتوفر فيها الحماية والأمن والرفاهية والطمأنينة للفرد والجماعة معًا. من أجل تحقيق السلام المجتمعي والتوازن الاجتماعي، يجب أن نشيد بعدد من النقاط المهمة، وهي:

١. المدخل الحقيقي لخلق جو من السلام المجتمعي هو من خلال الديمقراطية ودخول الآراء في حوار حر. المشاركة السياسية الواسعة بالتعبير عن آرائها واتخاذ قرارات مصيرية واختيار طريق المستقبل هي الطريق لتحقيق الأمن المجتمعي. (١).

٢. وجود الأمن والسلم الأهلي خطر في المجتمع. إن صلابة الهيكل هي التي تسمح بتراكم الأعمال العدائية التي تزيد وتعمق وتفجر الصراع والعنف داخل المجتمع.

٣. إن وجود صراعات داخل جهاز القوة، والطائفية المجتمعية، وحالة اللاموازن يمكن أن يؤدي إلى تفتيت الوجود والتضامن ونشر روح الكراهية الاجتماعية بين الأفراد.

٤. لتحقيق الأمن المجتمعي والسلام الاجتماعي، لا بد من التصدي بحزم وشدة لجرائم الاعتداء على السلم المجتمعي.

---

(١)فلسطين قبل وبعد، د.يوسف هيكل، ص/ ١٢٤.

٥. يتطلب تحقيق الأمن والسلام المجتمعيين إيجابية الفرد تجاه مجتمعه وتمسكه بالقيم الاجتماعية.

ب – تنشيط المجتمع المدني

للخروج من المتاهة والتغلب على الظروف القائمة، يجب إعادة تنشيط المجتمع المدني، وهو دعوة للتحرر من الاستبداد والخضوع والفوضى الاجتماعية واللامستوائية التي يعيشها المجتمع الفلسطيني وتحد من هيمنة مراكز القوى في السلطة والأحزاب السياسية، ولا يمكن القيام بذلك دون إقامة أنظمة ديمقراطية تحترم حقوق الناس، بما في ذلك على وجه الخصوص حرية التعبير والنقاش والتنظيم والمشاركة في تحمل المسؤوليات الكبرى. باختصار نقول إن المجتمع المدني سلمي بقدر ما يشارك الشعب وليس الدولة والحاكم في إدارة شؤونه الحيوية، ومن أهم مؤشرات المجتمع المدني مشاركة الناس في الأحزاب والنقابات والمنظمات والجمعيات الطوعية.

جـ–الديمقراطية والعدالة الاجتماعية.

إن تجربة الديمقراطية صحية وشاملة وإنسانية بقدر ما تستطيع، كنظام عام، إقامة تناغم خلاق بين الحرية والعدالة الاجتماعية.

وهكذا أحاطت بالشعب الفلسطيني في جميع أراضي فلسطين ظروف اجتماعية واحدة وأوضاع ثقافية متشابهة، ونظام سياسي صهيوني فاشي واحد.

أحوال فلسطين الأدبية:

عرفت فلسطين التعليم العربي الإسلامي بمعاهده التقليدية،[١] كما عرفته باقي المنطقة العربية، بيد أن التعليم الحديث بما إشتملت عليه من مدارس ومناهج ونظم وأساليب، لم يأخذ طريقة إلا في منتصف القرن التاسع عشر، حين شهدت البلاد أنواع المدارس الأجنبية والأهلية والحكومية المختلفة، ولقد تهيأت للمرأة العربية الفلسطينية في هذه المرحلة فرص

(١)ملف القضية الفلسطينية، ص/ ٥٨.

ضئيلة من التعليم، حين نشطت البعثات التبشيرية الأجنبية، والمؤسسات الطائفية الأهلية، ومن ثم السلطات الحكومية العثمانية في تأسيس مدارس ابتدائية خاصة بالبنات.[١]

وتشير الاحصائيات التعليمية،[٢] إلى أن المدارس الأجنبية للبنات، بلغت في متصرفية القدس، في أواخر العهد العثماني، اثنتي عشرة مدرسة، تضم نحو من (٧٩٠) طالبة ونحوا من (٤٤) معلمة، وفي متصرفية نابلس كانت هناك مدرسة البنات للمسلمين تضمن (٤٢) طالبة ومتعلمين، وفي متصرفية عكا، أنشأت الجمعية الأدبية الخيرية، مدرسة للبنات ومدرسة للرحبات اليسوعيات فيها نحو (١٥٠) طالبة وسبع معلمات.

وبلغ مجمع المدارس الإبتدائية الحكومية في المتصرفيات الثلاث المذكورة في العام الدارسي (١٩١٤/١٩١٨م) نحوا من (٩٥) مدرسة تضم حوالي (٧٧٥٨) طالباً منهم حوالي (١٤٨٠) طالبة،[٣] كما تبين الأرقام الواردة في النشرة الوهمية العثمانية للعام الدراسي نفسه، أن مجموع المدراس الابتدائية الطائفية في المتصرفيات الثلاث كان حوالي (٥٠٠) مدرسة وأن عدد المعلمين والمعلمات حوالي (٧١٩)، أما الطلاب والطالبات فيبلفون حوالي (١٥٧٧٣)، منهم حوالي (٨٧٠٥) في المدارس الخاصة بالمسلمين، وحوالي (٣٤٤٥) في المدارس الخاصة بالمسيحيين وحوالي (٣٦٢٣) في المدارس الخاصة باليهود.[٤]

وقبيل الحرب العالمية الأولى، شهدت فلسطين كغيرها من بلاد الشام تبارات حضارية ساعد على إفرازها التنظيمات الجديدة التي أصدرتها الدولة العثمانية عام ١٩٠٨م، وانتشار النهضة الأدبية والعلمية في البلاد، واحتكاك الناس بالجاليات الأجنبية، وانفتاح بعضهم على الغرب، وقد مسَّت هذه التيارات الحضارية بعض واجهات المجتمع التقلدية، وساعدت على زيادة الوعى القومي، والحمى الوطني لدي الكثيرين، كما نجم عنها تطور في الأفكار، وتغير نسبي في النظرة إلى المرأة لدرجة، أن الفتاة المسلمة التي كان محظوراً عليها مبارحة دارها وحيدة، والتي لم تكن مسؤلة عن الاشتراك مع والديها في أداء الواجبات الاجتماعية صارت تشعر بوجودها، وبالتبعيات الملقاة على عاتقها فاذا بها تعمل لحاضرها، وتعمل لمستقبلها،

---

(١)فلسطين قبل وبعد، د.يوسف هيكل، ص/ ١٢٤.

(٢) حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة حتى النكبة، ص/ ٦٩.

(٣) حولية الثقافة العربية، ساطع الحصري، السنة الثانية، القاهرة ١٩٥٠م، ص/ ٦.

(٤) حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص/ ٦٧.

وتزور رفيقاتها، وتستقبل، وتهنئ، وتعزي، بالإضافة إلى مشاهدتها الحفلات، واشتراكها في الجمعيات".[١]

وعندما انتهت الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م، نشط الأهلون في افتتاح المدارس الوطنية، في كثير من المدن الفلسطينية كما نشطت في ذلك الأوقاف الإسلامية، والجمعيات المختلفة، ووجد عدد كبير من الأولاد والبنات طريقهم نحو التعليم، حتى عدد الطالبات في العام الدراسي ١٩٢٠م/ ١٩٢١م، (٢٧٨٦) طالبة مقابل (١٣٦٥٦) طالباً أي بنسبة (٢٠.٤%)، وهي نسبة كبيرة إذا ماقورنت بما كانت عليه من قبل.[٢]

وفي هذه الآونة ارتفعت الأصوات التي تنادى بحرية المرأة، ويحقها في التعليم وفي استكمال شخصيتها الإنسانية، وبدأت تلوع في البلاد بواكير حركة نسوية، لم يتح لها أن تأخذ مداها الطبيعي، لأسباب عديدة أهمها موقف بعض العائلات الوجيهة الخاضمة تأثير مزيج من القيم الموروثة والتكفير التشدد بالعائمة في فسيح المجال أمام المرأة للإنطلاق والمشاركة في الحياة العامة.

ونشطت الأقلام الشابة تكتب في أنجع السبل التي تساعد المرأة على ولو ميادين الحياة المختلفة، وأخذت المجلات والصحف تنشر على صفحاتها مقالات يبارك أصحابها الخطوات التي تخطوها المرأة في ميادين الاجتماع والتعليم والسياسة، في المقالة بعنوان "أين هي" للكاتب "جدع" من حيفا، يخاطب فيها ابنة بلاده، يقول فيها: "يا ابنة بلادي، مازلت أعتقد بوجودك، على الرغم من هذا السكون الذي يبدو وهذا الصمت الذي تحافظين عليه، ترغبين في المساواة بالرجل بل تريدين التفوق عليه، ولكن كيف يتم ذلك؟ واراك لاتتزحزحين من تلك الزاوية المظلة التي أقمت فيها، بينما هو يسمى، ويدأب على الدوام"،[٣] ويكتب "عبداللطيف الجيوسي" مقالة يقول فيها: إننا لا نطلب من المرأة أن تخترق نطاق البطولات، كما فعلت جان دارك الفرنسية، أو مبروكة العربية في المصور الخوالي،

---

(١) مجلة العربي، محمد جميل بيهم، العدد الثاني العشرون، أبلول، ستمبر ١٩٦٠م، ص/ ١٣١.

(٢) A.L Tibawi: Arab Eduoation in Mandatory Palestine, London, ١٩٥٦, P, ٢٧٠.

(٣) مجلة الزهرة، العدد /٦، السنة الثالثة، أبلول، ستمبر ١٩٢٣.

إنما نطلب منها تمزيق الحجاب والإقبال على العلم لتشارك زوجها في أعماله خارج بيتها، وإذا لبثنا نسير كالأعرج على ساق واحدة فلن نتقدم، ولن تتطور.[١]

ولم تمض سنوات قليلة على بداية الانتداب البريطاني عام ١٩٢٢م، حتى صادف المجتمع العربي الفلسطيني بعض التغيير في بنيته السياسية الاقتصادية أثر على علائقة الاجتماعية وحياته الفكرية والثقافية، وراح يعي خطورة الواضع التمليس في البلاد ويتلمس نقص المؤسسات التحليلية العربية المختلفة فاندفع بحماس كبير ينشئ المدارس ويزيد في أعداد الصفوف، ويشارك في النفقات التعليمية، ويبدي "رعبة عجيبة في طلب العلم ويدفع الحكومة دفعاً لفتح المدارس ويتبرع بالمال والأرض لإقامة أبنيتها"،[٢] كما اتجه لملء الفراغ الذي كان يشمر به التعليم العالي، إلى إرسال أبنائه إلى جامعات الدول العربية، والجامعات الأوروبية والأمريكية، وصار عدد الذين يؤمون الأزهر، وجامعة فؤاد الأول (القاهرة)، والجامعتين الأمريكيتين في بيروت والقاهرة والجامعة السورية في دمشق، يتكاثر مع الأيام،[٣] وكان هؤلاء جميعا يعودون إلى الديار ثقفوا به من علم جديد وبما اطلعوا عليه من معارف حديثة، وبما قرأوه باللغات الأجنبية التي تحملوها من اتجاهات فكرية وفنية معاصرة، ليشاركوا في بعث حياة فكرية ومصرفية جديدة، يبرزها ماكان من تتابع وصول الكتب والصحف والمجلات الأدبية من البلاد العربية وخاصة مصر ولبنان.

وأضحى تعليم الإمرأة ظاهرة تكاد تكون طبيعية، بل تكاد تكون قيمة جديدة تمسك بها الناس، وخاصة قاطنو المدن التي تميزت بوجود تجمعات مسيحية، كانت تشكل محاور نشاط اجتماعي واقتصادي وثقافي رئيسة. ولمعت في البلاد أساء نساء[٤] كن طلائع مسيرة كبيرة اقتحمت فيما حد ميادين الأدب والعلم والسياسة والإجتماع والفن، وكان لافتضاح نوايا الاستعمار البريطاني الصهيوني، أثر في تزايد النضال الوطني، وفي جيشان النفوس واهتزاز المشاعر، وتفتح القول، وتنبه الوعي، وحفز الجهودفي شتى الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية، فقامت الجمعيات، والنوادي، والصحافة الجرئية، وظهرت التنظيمات الطالبية

---

(١) جريدة الكرمل، الأثنين ١٩ نيسان، أبريل، ١٩٣٢.

(٢) التعليم في فلسطين، جبرائيل كاتول، القدس، ١٩٤٧م، ص/ ١٨٠.

(٣) محاضرات في الثمر الحديث في فلسطين والأردن، ص/ ٧٣.

(٤)حياة الأدب الفلسطيني الحديث، ص/ ٦٣.

ونشطت الاتحادات النسوية بصورة لم يشهدها الناس من قبل، الصحيح أن البلاد صادفت الجمعيات الطائفية، وأعمال البر الجماعية في مستهل القرن العشرين، وأن الدولة العثمانية أباحت للمؤسسات الأجنبية أنشاء مراكز خيرية تابعة للمدارس أو الأديرة في عدد من المدن الرئيسية، إلا أن هذه المؤسسات تطورت في غضون ربع قرن من الزمن، وازداد عددها وتلون نشاطها، وترسمت غاياتها وعمت حتى لا تكاد مدينة في فلسطين تخلو منها، وصار عددها عام ١٩٤٨م، ثمانين جمعية،[١] من الطبيعي أن تهتم هذه الجمعيات بحال المرأة، فدعت إلى مساواتها بالرجل، وإلى نيل حقوقها، وإلى دعم وضعها المعنوي، كما عملت هذه الجمعيات على مساعدة المصورين، وإنشاء الملاجئ للعجرة، ومراكز مكافحة الأمية، وتعليم الأطفال الفقراء، وتأسيس الشافي، والنوادي المشاغل ودور الأيتام، ودور الطفولة الأموية.

وفي أواخر الثلاثينيات صارت النهضة الأدبية في البلاد "إلى درجة تكاد تكون مساوية للدرجات التي وصلت اليها أنشطة الحركات الأدبية في الأقطار العربية الأخرى.[٢] وساعد على إشراق هذه النهضة، إنتشار الجمعيات، والنوادي الأدبية التي كانت تحمى المناسبات الوطنية، وتقيم المهرجانات الشعبية، وتهئ الأجواء المناسبة للفرس بذور حركة مسرحية في البلاد،[٣] واظلمت الصحف والمجلات،[٤] تدور مهم في دعم هذه النهضة، وأتاحت فرصاً للأقلام الناشئة كي تنشر إنتاجها الأدبي والفكري، وانتشرت على صفحتها أسماء نساء،[٥] كتبن في التربية والإجتماع والثقافة والوطنيات والنسويات والقصة والثمر وغير ذلك من الأشكال الأدبية مما ستناوله في الفصول القادمة، كما شاركت الاذاعة بدور فعال حين زودت الناس بثروة أدبية وعلمية جليلة وانطلقت من وراء المذياع أصوات نسوية،[٦] تتحدث عن تربية الطفل، ودور التربية في الأسرة، وشخصية المرأة.

---

(١) مجلة رسالة الأردن، زليحة الشهابي، شباط، فبراير، ١٩٦١م، ص/ ٩-١٣.

(٢) دفاع عن الأدب الفلسطيني، ص/ ٣٨.

(٣) مجلة النفير، العدد/ ٢٣، آذار مارس، ١٩٢٩م، ص/ ١١ .

(٤) حياة الأدب الفلسطيني، ص/ ٨٩.

(٥) المصدر السابق، ص٥١.

(٦) المصدر السابق ، ص٧١.

أما العناية بالتيارات الأدبية العربية العالمية، فقد أعانت على فتح نوافذ أطلت بالناس على الحياة خارج البلاد، وقادت إلى نمط ملحوظ في الترجمة، كان للمرأة قصب السبق فيه.[١]

ومن الطبيعي أن تمتد إلى الفلاح الفلسطيني في قريته يد من التغيير قصيرة، هي سياسي متمحص عن سنين طويلة من النضال ضد الإستعمار، وازدهار نسبي شهدته البلاد عامة خلال سنة الحرب العالمية الثانية وحسن من أوضاع الفلاح المعيشية، بالإضافة ال نشاط المتعلمين الشباب من أبناء القرى الذين كانوا يشكلون نواة للتحديث في قراهم.

ولاحت لدى الفلاح اهتمامات بتعليم البنات، ولكن الفرص التي توافرت للفتاة في القرية، لم تكن كافية كتلك التي توافرت لزمياتها في المدينة، لذلك نرى أن عدد الطالبات فى المدن، في العام الدراسي ١٩٤٤م/١٩٤٥م بلغ (١١٩١١) طالبة بالمقارنة مع (١٧٥٩٩) طالباً أي بنسبة (٦٧,٦%)، أما في القرى فقد بلغ عدد الطالبات في نفس العام (٣٣٩٢) طالبة مقابل (٣٨٧٦٠) طالباً أي بنسبة (٧.٨%) وقد ارتفع عدد القرى التي تحققت فيها مدراس من (٢٥٤) قرية عام ١٩٢٦ إلى (٣٥٤) قرية عام ١٩٥٤م، ولكن (٤٦) قرية فقط، اخترت عام ١٩٤٥م على مدارس للبنات، هكذا كان حوالي (٩٥%) من القرى بدون مدارس بنات.[٢]

وفي أواخر عهد الإنتداب، إتسع حجم التعليم نسبيا، إذ بلغ مجموع المدارس العربية في العام الدراسي ١٩٤٥م/١٩٤٦م، (٨٢٧) مدرسة منها (٥١٤) مدرسة حكومية و (١٣١) مدرسة إسلامية خاصة و(١٨٢) مدرسة مسيحية خاصة، ومع بداية العام الدراسي ١٩٤٧م/١٩٤٨م كان في البلاد اثنتا عشر مدرسة ثانوية عربية تامة، وعشرون مدرسة تضم صفوفا ثانوية غير تامة، بجانب مركز تدريب المعلمات الريفي في مدينة رام الله ودار المعلمات في مدينة القدس،[٣] وقد بلغ مجموع طلاب هذه المدارس وطالباتها (١٤٦٨٨٣) أي ما

---

(١)حولية الثقافية العربية، ساطع الحصري، ص/ ٤٤.

(٢)المصدر السابق ، ص/ ٤٩.

(٣) حولية الثقافة العربية، ص/ ١٠.

يعادل نسبة (١١.٣%) من مجموع السكان العرب وهي نسبة تفوق النسب المقابلة لها في معظم البلدان العربية.[١]

والتتبع لتعليم البنات الفلسطينيات، بشكل عام، يلاحظ انه سار بطيئا إذا ماقورن بتعليم الذكور، فشلا كان عدد الطالبات في العام الدراسي ١٩٢١م/١٩٢٠م (٢٧٨٦) طالبة، مقابل (١٣٦٥٦) طالباً أي بنسبة (٢٠.٤%) وأصبح في العام الدراسي ١٩٤٥م/١٩٤٦م (١٦٥٠٦) طالبة مقابل (٦٤٥٣٦) طالباً أي بنسبة (٢٥.٦%)،[٢] وقد يعود سبب ذلك إلى أن تعليم البنات بقي خاضعاً حتى ذلك الوقت إلى مرتكزات إجتماعية وتقليدية بطيئة التغيير.

وأدت عملية اقتلاع الإنسان العربي الفلسطيني من أرضه عام١٩٤٨م، إلى إعتزاز في قدرته على التمسك بالعلائق إجتماعية السائدة في مجتمع (ما قبل النكهة) وصارت قضايا التغيير المرتبطة بحاجاته المستخدمة أكثر تبريرا وإلحاحا بعبادات وتقاليد لا يربطها بالواقع الجديد سوى الوهم باستمرار الماضي المفقود. ومن هنا كان تقبله بعض التغييرات الإجتماعية التي استدعاها الواقع الجديد منطقها. وشهدت بضع السنوات التي ثلث عام (النكبة) تمرد الشهاب على الجيل القديم، وانقلابهم على الوظائف الاجتماعية الأسرية، وزيادة في درجة تحرر المرأة ولاسيما بعد اقتحامها ميادين العمل، ومشاركتها في تحسين وضع الأسرة العيش، كما ولدت بضع السنوات هذه، اقتضاء لدى الفلسطيني، بأن العلم والمهنة الحديثة هما الضمان الأساسي ضد مفاجآت الأيام، فاندفع نحو التعليم مواصلاً إجتماعاتها السابقة به، وساعده على ذلك عوامل عدة، فالعالم العربي الذي عاش في وسطه فتح أبواب مؤسساته التعليمية له، والتثبيت الذي فرضه الاقتلاع أدى إلى تجمع أكبر عدد من (اللاجئين) في المدن والمناطق المعمورة حيث تتوافر فرص تعليمية أفضل، وحرمانه من مؤسساته الطبيعية وفقدانه لوسائل إنتاجه، خلق أوضاعا اقتصادية جديدة أجبرته على أن ينطر للتعليم على أنه أهم سبيل تقود إلى إرتقاء إجتماعي وإقتصادي، كما أن الإختيارات الطبيعية التي تتاع عادة

---

(١) تعليم الفلسطينيين، نزية ثورة، منطقة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٣م، ص/ ٤٠.

(٢)المصدر السابق ، ص/ ٢٧.

لإفراد مجتمع مستقر لم تتوافر له، مما دفع نحو البقاء في المدارس أطول مدة للحصول على أعلى مستوى تعليمي ممكن.

وقد تولى شئوون تعليم الفلسطينيين في البلاد العربية بعد عام١٩٥٠م الجهات التالية:

- البلاد العربية
- المدارس الخاصة في كل من هذه البلاد
- وكالة هيئة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللأجئين الفلسطينيين (الاونروا)[١]
- دائرة الشؤون التربوية والثقافة التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية.[٢]
- السلطات الصهيونية في الأرض المحتلة.

ويصعب على الباحث أن يتتبع بانتظام تطور تعليم الفلسطينيين في السنوات التي تلت (النكبة)، وأن يجمع أرقاما ومعلومات دقيقة، نظراً لتعدد الجهات المشرفة على تعليمهم، وتباين إتجاهات عدا عن قلة المراجع التي غنمت بهذا الموضوع بصفة خاصة.

وتشير الاحصاءات المتوافرة،[٣] إلى أن عدد الطلاب الفلسطينيين بلغ في العام الدراسي ١٩٦٩م/١٩٧٠م حوالي (٦٠٠,٠٠٠) طالب وطالبة، منهم (٧١.٩٥%) في المرحلة الإبتدائية و (٢٧.٠٥%) في المرحلتين الإعدادية المتوسطة و الثانوية.

ولم يجد الذين تصدوا لدراسة التعليم الجامعي للفلسطينيين منتجعا سوى اللجؤ إلى تقديرات نسبية، لمد توافر المعلومات الدقيقة عن الأزمة بين أيديهم، وبسبب إنتشار الطلاب الفلسطينيين الجامعيين في شتى بقاع العالم، ويرى الدكتور إبراهيم أبو الفداء أن عدد هؤلاء الجامعيين بلغ عام ١٩٦٩م، (٣٣٠٠٠) طالباً منهم (١٠٠٠٠) طالب في الجامعات المصريةالمختلفة والخرطوم وبيروت و(٥٠٠٠) في الجامعات الأردنية، و(٢٥٠٠) طالب في جامعات سوريا، وحوالي (٥٠٠) طالب في الجامعة الأمريكية في بيروت والقاهرة، و(٢٠٠٠) طالب في الجامعات العربية الأخرى، وما تبقي منهم (١٣٠٠٠) طالب في الجامعات

---

(١)تعليم الفلسطينيين، ص/ ٤٨.

(٢)المصدر السابق ، ص/ ٤٩.

(٣) صحيفة التخطيط التربوي في البلاد العربية، د. إبراهيم أبو الفداء، السنة العاشرة، أبلول سبتمبر، كانون الأول، ديسمبر، العدد الثلاثون، ١٩٧٢م، ص/ ٦٥.

الأوروبية والأمريكية المختلفة.[١] ويرى الدكتور أبو لفد أيضاً أن واحدا من كل أربعة طلاب فلسطينيين جامعيين هو امرأة أي أن عدد الفلسطينيات فى الجامعات بلغ عام ١٩٦٩م حوالي (٨٢٥٠) إمرأة.

إن انقلاباً طراً على الوظائف الاجتماعية مغير في مستوى الأدوار داخل الأسرة الفلسطينية، وقاد إلى مزيد من العناية بالمرأة على إعتبار أنها عنصر منتج لاتقل عوائد استثماره عناصر الرجال، وساعد على تعزيز هذا الاتجاه ازدياد مطالب الحياة، وارتفاع تكاليف المعيئة، وتوافر فرص العمل أمامها، بالإضافة إلى القوانين والتشريعات التي أولت رعايتها للمرأة العربية عامة، ومنحتها حقوقا لم يسبق أن تمتعت بها منذ قرون.[٢]

ونظراً للأعداد الكبيرة من الفلسطينيات الحاصلات على شهادة الدراسة الثانوية، ومراعاة لبدأ العرض والطلب، وتلبية الدوافع ذاتية وعائلية وقومية، اتجه عدد من الفلسطينيات نحو ميادين التخصص، وتماطين المهن المتنوعة كالطب والصيدلة والهندسة والعلوم و الحقوق وغيرها.[٣]كما اتجه عدد آخر إلى التدريب المهني، وإلى مزاولة أعمال مختلفة تتلاوم مع الحاجات والأوضاع العديدة المتغيرة التي يعشبها أن نظرة سريعة إلى المجتمع العربي الفلسطيني المتناثر فوق الساح العربية، توضع أن المرأة الفلسطينية أصبحت عنصراً إيجابياً وقوة دافعة ليس فقط مستوى إنتاجية هذا المجتمع ودرجة حضارة، بل في مستوى إنتاجية المجتمعات العربية التي يعشن وسطها، ودرجة حضارتها، فعلى سبيل المثال بلغ عدد النساء الفلسطينيات العاملات في الحقول الاقتصادية والاجتماعية المختلفة عام ١٩٦١م في الضفة الغربية (١٤٠٦٠) امرأة،[٤] بينما بلغ عدد العاملات بالزراعة (٥٤٩٤٦)امرأة.[٥]

وفي سوريا بلغ عدد الفلسطينيات العاملات في مثل هذه المهن عام ١٩٧٠م (٢٦٨٤) امرأة، وبلغ عددهن في لبنان في نفس العام (١٥٧٥) امرأة، وفي السعودية (١١٢٩) امرأة، وفي الكويت (٨٦٣) امرأة معظمهن في حقل التدريس.

---

(١) صحيفة التخليط التربوي في البلاد العربية، ص/ ٦٩.

(٢)حولية الثقافة العربية، ص/ ١٠.

(٣)المصدر السابق ، ص/ ١٩.

(٤)حولية الثقافة العربية، ص/ ١٢٢.

(٥) التطور الزراعي والصناعي الفلسطيني، عنان العامري، منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث، ١٩٧٠م، ص/١٣٩.

أما في الأرض المحتلة من فلسطين عام ١٩٤٨م، أقام الصهيونيون دولة غازية بعد أن تشتت أهل البلاد، عداً أقلا ضئيلة كان من حسن حظها أن ظلت تتشبث بالأرض تشبث صخورها بها، ولاقت هذه الأقلية شتى صفوف الاضطهاد والقهر، في محاولات من السلطات الصهيونية لإذابة الشخصية الفلسطينية وإبادتها، وكان الحكم العسكري الذي فرضته السلطة بمثابة الحبل الذي قيدت به حركة هذه الشخصية، وخنقت أنفاسها ووضعها تحت عدسة الملاحظة وفي بؤرة الملاحقة، وزادت على ذلك سحب الأرض من يدها، ومن تحت أقدامها، محاولة غسل ماغها من ثقافتها القومية وشعورها الوطني.

وكان لهذا المنهاج الصهيوني المبرع، المرسم بكل دقة وخبث، أثر في خنق أية حركة، مهما كان نوعها أو جنسها، وخيم على مجتمع الأقلية العربية طوال مدة الخمسينيات مناخ خانق لم يفرخ فيه أي نشاط سياسي أو إجتماعي، ولم تترعرع فيه أية حركة ثقافية.[١]

ومن الطبيعي ألا يكون للمرأة في هذه المجتمع دور ملحوظ، وخاصة إذا عرفنا أنها في غالبيتها مزق من المجتمع القروي الفلسطيني الذي لم تتفاعل معه خمائر الحضارة قبل النكبة إلا بصورة سطحية وبطيئة، حتى في حقل التربية و التعليم، والذي يعتبر المجال الأساسي لعلمها ظلت عاجزة عن تحديد شيء، وبقي دورها معزولا عن الحياة، يدور في حلقة مفرغة.

وحين نزلت (الهزيمة) بثقلها الفاسقة على النفس العربية، وحدتها لم يعفو على الوقوف من بين الأنقاض غير الشخصية الفلسطينية، وقد تراخمت عن عنقها يد الأنظمة العربية، فهبت واقعة على قدميها تبعث الدف في ضمير الأمة، وتنير أمامها مثل الأمل، وهبت المرأة العربية الفلسطينية تأخذ مكانها بين الصفوف، واضطلعت بالعديد من المهام الاجتماعية والثقافة، فعلمت من خلال الجمعيات والاتحادات،[٢] وأجهزة الثورة المخلفة، على توفير الخدمات المحلية التعليمية للمحتاجين من (لاجئين ونازحين) في أماكن معسكراتهم المختلفة، ونظمت أعمالا دائمة للمديد من النساء المعوزات، ودريت الفتيات على أنواع من الحرف اليدوية، والأشغال النسجية ذات الطابع التراش، كما أعرفت على رعاية أسر الشهداء

---

(١) دراسات في شعر الأرض المحتلة، عبدارحمن ياغي، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ١٩٦٩م، ص/ ٦٢٤.

(٢)حولية الثقافة العربية، ص/ ١٨.

والأصري وتضوري الرب، وسعت إلى توثيق الملائق والصلات مع التنظيمات النسوية العربية والعالمية، وإلى توعية المعصوب العربية والأجنبية بالقضية الفلسطينية، مستقلة طرائق إعلامية مختلفة، من ندوات ولقائات ومعارض وأسواق خيرية ومنشورات.

أما الأديبة الفلسطينية فقد شاركت كغيرها من الأدباء في إخصاب الأدب العربي، الذي تزاوجت أشكاله وأنواعه مع التيارات السياسية والاجتماعية والفكرية التي هبت على الوطن العربي منذ أوائل الخمسينيات، ووجدت هذه الأديبة في ذكريات الوطن أغلى ماحملته هي وأهلها اللاجئون من الديار، وخير ما يبقي على الرباط المقدس الذي يحاول الأعداء نصمه، ويتآمر الزمان على نسيانه فدارت في فلك هذا الماضي وفي نسبح ذكرياته وأحلامه التي لا تنضب، ولم يكن هذا الماضي المزروع في النفس مهما بالنسبة للأديبة التي عاشته فقط، فهو بنفس المقدار من الأهمية إن لم يكن أكثر بالنسبة للأديبة الطالعة التي فتحت عينيها على الأرض المنفي، وعالم الضياع، فمن خلال ماضي الأب والجد والأهل تمرفت هذه الأديبة على الوطن الذي لم تره، ومن ثنايا الحديث وحكاياته ارتسمت في ذهنها صور ربوعه، وتجمدت معالم القرية والمدينة والبيت والبيارة والشاطئ، وأكثر من ذلك الأديبة الفلسطينية على الشخصية الوطنية لشعبها، وتلمست ملامحها بنبذ ما لحقها من إذلال وهوان بالاغتراب والإحساس بخيانة الصمت الذي فرض على قضيتها طوال سنى المنفى.

الباب الرابع

الكاتبات الفلسطينيات في القصة وأعمالها

- **الفصل الأول:** سميرة عزام و ثريا نافع وأعمالهما
- **الفصل الثاني:** ليانة بدر و نجوى قعوار وأعمالهما
- **الفصل الثالث :** حزامة حبايب و أسماء الغول وأعمالهما

الفصل الأول

سميرة عزام و ثريا نافع و أعمالهما

في هذا الفصل سأتحدث عن أديبتين فلسطينيتين سميرة عزام وثريا نافع من حيث حياتهما وأعمالهما الأدبية، وقد استفدت كثيرا في جمع معلوماتهما من كتبهما ومواقع العلمية والأدبية على الشبكة العنكبوتية.

أولهما : سميرة عزام وأعمالها

ولادتها

ولدت سميرة عزام في ١٣ أيلول / سبتمبر ١٩٢٤م في مدينة عكا الساحلية شمال فلسطين، المدينة التي ولدت الشهيد غسان كنفاني، لعائلة مسيحية أرثوذكسية. درست المدرسة الابتدائية في عكا والثانوية في حيفا في "كلية الأخوات". نشأت في مسقط رأسها وتلقت تعليمها الابتدائي والثانوي هناك. درست اللغة الإنجليزية حتى أتقنتها وواصلت دراستها بالمراسلة الورقية في عملها. في ربيعها السادس عشر، دخلت الحياة العملية، ومارست مهنة التدريس، وعملت كمعلمة في إحدى المدارس. ثم أصبحت مديرة المدرسة التي كانت تعمل فيها، لكنها اضطرت لترك موطنها في الهجرة عندما حدثت الكارثة عام ١٩٤٨م، وانتقلت إلى لبنان مع عائلتها. عاشوا في بلدة الفلوجة لعدة أشهر في المنفى، وانتقلوا بين بغداد وبيروت وقبرص، حيث عملت كمدرس في العراق لمدة عامين. ثم توجهت إلى بيروت حيث كانت تكتب لمجلة "الأديب والأدب" وغيرها. عملت معظم حياتها في الإذاعة والصحافة، وبدأت في نشر المقالات في جريدة "فستاتين" في أوائل الأربعينيات، ووقعت عليها باسم "فتاة الساحل". غادرت إلى العراق وسجلت في مدرسة للإناث في الحلة، حيث عملت كمعلمة لمدة عامين [١].

في عام ١٩٥٢م، عملت في محطة "الشرق الأدنى" للإذاعة العربية التي كان يديرها البريطانيون كمذيعة ومحررة وكاتبة في برنامج ركن المرأة، متنقلة بين بيروت وقبرص حتى عام ١٩٥٦م. تم عُينت كمراقب لبرنامج أدبي في العراق لمدة عامين. ثم عادت إلى بيروت مرة

(١) موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ص/ ٢٦٧.

أخرى عام ١٩٥٩م، حيث نشطت في الحركة الأدبية في تلك المدينة الأدبية. قامت بترجمة عدد من الأدب الأمريكي في مؤسسة فرانكلين الأمريكية للترجمة والنشر.(١)

عملت أيضًا كصحفية مستقلة، وانضمت إلى إذاعة الشرق الأدنى في قبرص عام ١٩٥٢م كمذيعة وكاتبة متمرسة في برنامج "ركن المرأة". عندما انتقلت الإذاعة إلى بيروت عام ١٩٥٤م، انتقلت سميرة منها وأصبحت مسؤولة عن البرنامج اليومي "مع الصباح". حصلت على عقد للعمل في إذاعة بغداد عام ١٩٥٧م، وأوقفتنا إذاعة الشرق الأدنى، لكنها لم تكمل عملها الجديد لمدة ثمانية أشهر فقط.(٢)

تزوجت سميرة أديب يوسف حسن في بيروت عام ١٩٥٧م قبل عيد ميلادها بيوم واحد وعادت معه إلى العراق (بغداد)، وتعاقدت مع إذاعات بغداد والكويت، حيث عملت كمراقب للبرامج الأدبية من عام ١٩٥٧م حتى عام ١٩٥٩م. بعد سقوط النظام الملكي، عملت في راديو بغداد مرة أخرى، لكن النظام الجمهوري الجديد سرعان ما رحلها وزوجها إلى بيروت بتهمة العداء للحكومة. كانت تكتب لصحيفة الشعب العراقي أثناء إقامتها في بغداد، وكان بدر شاكر السياب أحد محرريها. في عام ١٩٥٩م، تم ترحيلها مع زوجها إلى لبنان وتعاقدت مع شركة ترجمة ونشر، وقامت بترجمة مجموعة من الأعمال الأدبية من اللغة الإنجليزية.

انتقلت إلى جوار ربها في ٨ آب / أغسطس ١٩٦٧م، بنوبة قلبية، بينما كانت في السيارة متوجهة إلى عمان بين مدينتي جرش وعمان في الأردن، عندما لم يكن عمرها أكثر من أربعين سنة، لذا جسدها نقل إلى بيروت ودفنت فيها، ولم تعش الأوضاع الجديدة بعد نكسة ١٩٦٧م في العام الذي أعقب النكبة عام ١٩٤٨م.(٣)

تكشف هذه السيرة الثرية، وأقصد هنا سيرة قصص سميرة عزام الحكاية عن كاتبة عصامية مهدت طريقها الإبداعي في جو صعب ومعقد. لم تكن لديها دراسات جامعية بأي شكل من الأشكال، ناهيك عن "جزء" من المدرسة الثانوية إلا عن طريق المراسلة، وأجبرت

---

(١)سميرة عزام رائدة القصة القصيرة الفلسطينية، يوسف حطيني، منشورات دار العائدي، دمشق، ١٩٩٩م.، ص/ ٢٧.

(٢)دراسة في فنها القصصي، سميرة عزام في ذكراها الخامسة، د. نادرة السراج، مجلة شؤون فلسطينية، عدد ١٤، تشرين أول١٩٧٢م، ص/ ٨٢.

(٣) ثقافتنا في خمسين عاماً، محمود سيف الدين الإيراني، منشورات دائرة الثقافة والفنون الأردنية، عمان، ١٩٧٢م، ص/ ٢٦٧.

على العمل مبكرًا من سن السادسة عشرة، لدعم نفسها وربما بعض أقرب أفراد عائلتها أيضًا. (أتخيلها، بعد فتاة صغيرة في هذا العمر، أقرب إلى الطفولة، تقف أمام طلابها أو من هم في سنها، تدرسهم وتعلمهم، فماذا كانت تدرس وتتعلم؟) مع العمل أثناء النهار والليل يقظ في تثقيف نفسه، وفي حرص على تعلم اللغة الإنجليزية لزيادة انفتاحها على الثقافات الأخرى، وكسب لقمة العيش من خلال الترجمة، ومن ثم نقلها في سوائل الشباب المثقل بالكارثة، وبهذا التعليم الذاتي المكثف بين لبنان والعراق والأردن وقبرص، في مثابرة مستمرة، ومتابعة غير عادية، لنشر كتبها لأهم دور النشر في بيروت في ذلك الوقت. من المثير للاهتمام أن نلاحظ أنها اضطرت للنشر في البداية تحت اسم مستعار "فتاة الساحل". هل هو فعلاً إكراه قهري تحت ضغط الظروف الاجتماعية التي لا تسمح للمرأة العربية بالنشر باسمها الصريح، في تلك المرحلة كما كان الحال مع بدايات فدوى طوقان "دينانير" في فلسطين أم ما تبقى من فلسطين بعد النكبة ومع عائشة عبد الرحمن "بنت الشاطئ" في مصر مثلاً؟ أم أنه "خجل" منذ صغر سنها في بداية النشر، أم أنه ربما "خوف" من أن القراء لن يهتموا بهذه الفتاة الصغيرة التي تدخل عالم الكتابة والنشر وتدفع باسمها بين شيوخ العالم والأدب والفكر، لذا اختارت أن تختبئ خلف الاسم المستعار؟ أم كان تقليدًا سائدًا بين العديد من المبدعين لجذب الانتباه؟ هذا أمر متروك لمؤرخي الأدب، وأظن أنهم لن يهتموا به، تمامًا كما هو لامبالاتهم لما هو أكثر أهمية من هذا الأمر على الإطلاق.

أسلوبها وشخصيتها

سميرة عزام، كما يذهب بعض طلابها وطلاب القصة القصيرة في فلسطين، تعتبر رائدة القصة القصيرة الفلسطينية. وربما ذهبوا إلى أبعد من ذلك، إذ اعتبروها رائدة القصة العربية القصيرة. هذا إذا قصرنا الأمر على الكاتبات. تجربتها الأدبية مستمدة من رؤية واقعية للحياة، لكنها وجهة نظر تحكمها ضوابط أدبية، وقد برعت في تصوير العديد من جوانب التجربة الإنسانية، بما في ذلك التجارب المتنوعة للمرأة في الثقافة العربية، وتميز أسلوبها بالدقة والإيجاز والوضوح والبعد عن الانفعال المفرط والعرض والابتذال. تنبثق قصصها من الملاحظة

الدقيقة للسلوك البشري، لا سيما في الجوانب الشمولية، وأحيانًا، ولكن بمزيد من الدقة، في تلك الجوانب ذات الطابع الفلسطيني. [١].

كانت بارعة في شرح التغيير الحتمي الذي حل بأبطال الأبطال – وهو سمة مميزة للقصة القصيرة الجيدة. قطعها دموع للبيع مثلا [٢]يقدم معالجة مفصلة لقضية إنسانية عامة في إطار الشرق الأوسط. في هذه القصة، تصف رد الفعل المتناقض لامرأة تبكي على الموتى. تتطلب مهنتها أن تبكي في الجنازات وتبكي الآخرين، لكنها تفشل في كل التوقعات عندما لا تستطيع ذرف دمعة واحدة عند وفاة ابنتها الوحيدة. القصة في هذه المجموعة، خبز الفداء، هي واحدة من القصص التي كتبتها عن التجربة الفلسطينية، ومثل العديد من قصصها الأخرى، فهي تعبر عن المفارقة المتأصلة في المآزق الإنسانية المعقدة خلال الاضطرابات العنيفة.

بدأت سميرة عزام الكتابة عام ١٩٤٨م، ويتضح من أعمالها الروائية المبكرة أن وعي الكتاب الفلسطينيين خلال تلك الفترة بالأحداث الخطيرة التي كانت على وشك الاستيلاء على حياتهم وحياة كثيرين غيرهم، كان وعي محدود. إذا قارنا الأعمال المكتوبة في تلك الفترة المبكرة قبل ١٩٤٨م وبعدها مباشرة، وأعمال الكتاب الفلسطينيين بعد حرب حزيران / يونيو ١٩٦٧م، بما في ذلك جبرا نفسه (منذ وفاة سميرة عزام عام ١٩٦٧م)، يتضح لنا كيف بدأ الوعي السياسي لكسب المزيد والمزيد من السيطرة على الكتاب الفلسطينيين في كل مكان، وكيف ارتفع مستوى التوقعات السياسية لجمهورهم إلى نفس الدرجة.

الكاتبة التي توفيت عام ١٩٦٧م إثر نكبة حزيران، لأن قلبها لم يتحمل الهزيمة المذلة، نشرت لها في حياتها وبعد وفاتها خمس مجموعات قصصية: "أشياء صغيرة"(١٩٥٤م) و"الظل الكبير" (١٩٥٦م) و "قصص أخرى" (١٩٦٠م)، "الساعة والانسان"(١٩٦٣م) و "العيد يأتي من النافذة الغربية" (١٩٧١م)

---

(١) نشرت سميرة عزّام خمس مجموعات من القصص القصيرة وليس هنالك من كلّ هذه المجموعات سوى سبع قصص كتبت حول التجربة الفلسطينية بالذات.

(٢) في مجموعة المختارات التي ستظهر بعنوان Columbia) Modern Arabic Fiction: An Anthology: University Press), ١٩٩٧.

لفتت قصصها الأنظار، وأكمل أحد غير الطلاب مقالاً أو دراسة عنها، أثناء دراسته فن القصة القصيرة في فلسطين، وخصها بعض العلماء في كتاب خاص، مثل وليد أبو بكر، وأنا علمت أن هناك أطروحة دكتوراه منتهية في عملها، ولا أعلم إن كانت قد نشرت في كتاب. كرّمت دار الأسوار في عكا القصّاء، من خلال نشر مجموعتها "الساعة والرجل" نهاية السبعينيات، وإعادة إصدار مجموعاتها الخمس عام ١٩٨٧م.

تدور معظم قصص سميرة عزام حول معاناة الفقراء، وسعيهم المستمر لكسب العيش، والظلم والاستغلال الذي يواجهونه، وتصوير المشاعر والدوافع المكبوتة والحرمان العاطفي الذي تعيشه المرأة. نجحت في تحليل نفسيتها المضطربة، وليس تحليلا عميقا استخلص أعمق مكوناتها، وأدق همومها، وكانت تعابيرها الأنثوية واضحة في معظم قصصها التي قدمت للحبيبة الأم، المرأة، والمرأة المسحوقة، والمرأة المبتذلة – وهذه جرأة واضحة على وقت ومكان هذه القصص – كما قدمت للمراهقة والمرأة التي طردت من وطنها.

حافظت سميرة عزام في أعمالها الأدبية على معاناة الشعب الفلسطيني، خاصة في المخيمات والشتات، حيث تتمسك بهموم أهلها من الفقراء والمعدمين والمضطهدين. بدأ حضور النساء وحضورهن والفقر والقمع والفداء والمعاناة في الظهور بقوة في أعمالها. قال المؤرخ الفلسطيني "العكاوي" بطرس دلة: "كنت تشعر وأنت تقرأ قصصها الأولى أنها نظرت إليك من المخيم، لأنها تحملت عذابات اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية، وكانت مليئة بالحزن والألم والحنين إلى بيوت المهاجرين، لكن حكاياتها المتأخرة عادت للحياة والأمل".[١]

كان أدب سميرة عزام في مراحله الأولى مليئًا بمشاعر الألم وخيبة الأمل والمرارة. هيمنت صور البؤس تقريبًا على مجموعاتها الثلاثة الأولى تقريبًا. والقضية الفلسطينية، التي في معظمها مأساة إنسانية، وهناك قسم مشترك بينها وبين نماذج حكاية الكاتب، وهو مزيج من خيبة الأمل واليأس والألم والصراع من أجل البقاء. من ناحية أخرى، عندما نقرأ أدبها، نلاحظ أن تغييرًا في المناهج والخطاب بدأ يحدث في هذا الأدب مع بداية التغيير الذي بدأ يحدث في حياة الفلسطيني. كانت قصصها مليئة بالتفاؤل والأمل، ابتداءً من أوائل الستينيات

(١) الحوت، شفيق، سميرة عزام لمناضلة مجلة الآداب، بيروت، ١٩٦٨م، ص/ ١٥.

مع فجر المقاومة الفلسطينية. ربما يكون من المفيد قبل الشروع في البحث عن فلسطين في هذا الأدب إلقاء الضوء على رؤية رفيقها السياسي.

ويرى الكاتب أن الشعب الفلسطيني مر بثلاث مراحل سياسية قبل الستينيات: مرحلة الضياع، وهي الفترة الأولى، بداية حقبة اللجوء، بين عام ١٩٤٨م ومنتصف الخمسينيات، حيث كان همهم الأساسي إيجاد المأكل والمأوى واللباس، وإذا اعتنقوا بعض المبادئ، فهي مبادئ تعتمد على القوى الدينية والسلطة التقليدية. هاتان القوتان كان يأمل في الوقت المناسب. . . وبعد أن أصيب بخيبة أمل وعدم تمكنه من العودة إلى فلسطين، بدأ ينضم إلى أعدائها ممثلين بالأحزاب السرية والمرخصة. كان الفلسطيني مادة ثرية لهذه الأحزاب، فكان حضوره القوي بارزًا في معظمها في جميع أنحاء العالم العربي، سواء اليميني أو اليساري. ومع ذلك، سرعان ما اكتشف أن هؤلاء الأطراف يعتبرون قضيته مجرد واحدة من قضاياهم العديدة، بينما يريد أن تكون جوهر القضية، والأول والأخير.

على سبيل المثال، كانت الحركة القومية العربية، التي كانت تجتذب جزءًا على أنها حركة شاملة تجمع الأمة من الأطراف وينظر الفلسطينيون إلى قوة فاعلة يمكن أن تعود فلسطين إليها. إن القراءة المتأنية لهذه الأدبيات تكشف أن سميرةعزام كانت، عن غير قصد أو بغير علم، مسكونةً بقلق الفلسطينيين. ما هي مشاعر الألم والندم والخسارة إلا ترجمة لمعاناة الفلسطينيين في وقت كتابة هذه النصوص. ورغم أنها لم تأخذ طابعًا فلسطينيًا صريحًا في شخصياتها، إلا أن ملامحهم بدت وكأنهم خرجوا للتو من أحد المخيمات الفلسطينية.

في مجموعتها الأولى "أشياء صغيرة "، صورت لأشخاص يكافحون من أجل البقاء ويغشون بوسائل مختلفة لتأمين معيشتهم، لكنهم دائمًا ما يشعرون بخيبة أمل. وفي قصة "حكايتها "[١] تصوير دقيق لصورة الظلم الاجتماعي التي تقع على بطلة القصة، وهذا الظلم الفردي ليس سوى جزء من الظلم العام الذي أصاب الشعب الفلسطيني. كأن الكاتبة تبرر سقوط بطلة لها، فهي تبرر سقوط شعبها. فكما كانت الحياة تقاس على بطلة القصة وتركتها وشأنها، قاصرًا في خضم الحياة، فقد تُرك الشعب الفلسطيني وحده في صراع مع قوى عالمية لا يستطيع مواجهتها. ومثلما جاءتها الحموضة والألم من إدانة أخيها لها، كان

(١)أشياء صغيرة، سميرة عزام، دار العودة، ط : ٢، ١٩٨٢م، بيروت . لبنان، ص/٧-٢٥.

الفلسطينيون يتألمون ويحترقون لأن أصابع الاتهام كانت توجه إليهم بأنهم باعوا أرضهم لليهود وتخلوا عن قضيتهم، البطلة اتهمت ببيع شرفها. كما أن البطلة تتعاطف مع شقيقها، رغم أنه حكم عليها بالإعدام، وتجد له الأعذار، هكذا كان حال الفلسطينيين في بلدان اللجوء.

بالعودة إلى الوقت الذي كُتبت فيه القصة، نرى أن هذا الوضع كان يسود الشعب الفلسطيني ككل. كما أن علاقة التوتر والتنافر التي كانت قائمة بين الفتاة وشقيقها تتناقض مع ما حدث بين الفلسطيني وإخوانه في الدول المضيفة تحتمي به من المعلم والناس والمشاعر التي تضرب قلبها تشفق عليه بعد أن كبر في السن بحيث لا يستطيع بيع حياته بثمن بخس. من جهته يستشعر والدتها حتى من دون أن تخبرها، ويبكي بسبب بكائها، دون أن يدرك دوافعها لهذا البكاء. . . في وقت آخر، يشتري سلاحًا لتدميره. لا تحتاج الصورة إلى جهد كبير لاستكشاف العلاقة بينها وبين العلاقة الفلسطينية بمحيطه في أوائل الخمسينيات. ثم يصف الكاتب الفتاة بأنها حقيرة في منفاها، حيث طردها اللقيط إلى الشارع، وطعنها بكرامة، وسُلبت من والديها، وصافية، ومذهلة، وبكاء، ومكسورة... يمزقه الاستياء ويطارده الحزن في كل مكان. . . هناك، في القرية، تعلمت أن تكره وتنتقم، وتعلمت أن تذوب إنسانيتها، وتعلمت والأشياء إذا استبدلنا كلمة قرية بكلمة مخيم، ألن يكون ذلك تصويرًا للوضع الفلسطيني في ذلك الوقت؟ ! .

المرأة في قصص سميرة عزام

نادرًا ما تناولته الدراسات الأدبية عن قصد في الصحف الفلسطينية والعربية – تمامًا كما تناولت أعلام أخرى في القصة والرواية والشعر – ونادرًا ما نسمع عنها في صالونات الأدب أو قاعات المحاضرات ... جلسات عامة وخاصة، لهذه الكاتبة الفلسطينية مؤسسة القصة الفلسطينية الحديثة.[١]

سميرة عزام كاتبة في أزمة تعاني مما تعانيه المرأة الفلسطينية من مهاجرها، وتعاني في العمل والغربة وسبل العيش وتأكيد الذات، ولم يبتعد عزام في حياتها عن بطلاتها والمرأة المنكوبة التي تعاني من الألم لجوء وتهجير وهجرة وآلام ذاتية ووطن غائب حاضر خيبة الأمل

(١) أحزان في ربيع البرتقال :دراسة في فن سميرة عزام القصصي / وليد أبو بكر، دمشق، الاتحاد العام للكتاب .الفلسطينيين، ١٩٨٥م تقديم يحيى يخلف، ص٢٠

متأصلة في القصة "إلى حين"[١]، بالرغم من الطبيعة الاجتماعية لهذه القصة، ورغم تركيزها على خلل اجتماعي وتحليل دقيق لظاهرة متفشية في مجتمعنا، إلا أن أسبابها تحمل معاني فلسطينية، وتكشف عن معاناة عميقة من الألم والمرارة والحزن، وإلا لكانت الكاتبة نفذت الخطة التي دبرتها "العمتان" وجعلت العريس محاصرًا. لأن العديد من الشروط المواتية كانت كافية لنجاح الخطة فالفتاة" حلوة "وابنة" عيلة "وحكم الجيرة يجعل الاتصال ممكنا، والشاب لطيف وقد استهوته الفتاة .فلو أن الكاتبة نفسها لم تكن مشحونة بخيبة عميقة لكانت سارت بشخصيتها غير هذا المسار الدرامي .

ولعل محلِّلا أو ناقدًا يرى أن مرد هذه النهاية الفاشلة عائد إلى فلسفة تعتنقها الكاتبة، لا إلى حالة ذهنية تعيشها ولكن لو كان الأمر كذلك حقًا، لكانت القصة سارت مسارًا آخر، ولكانت الخطوبة تمت مثلا أو تم الزواج، ومن ثم يعقبها فشل كما أنه لا يخفى ماتحمله الكاتبة للشخصية المحورية (سعاد) من إدانة على سلبيتها، فهي تؤمر فتطيع، تخطط لمستقبلها (عمتان) فشلتا في إنشاء أسرة فلا تعترض ..ألا يتضمن هذا الطرح إدانة للفلسطيني الذي أسلم أمره للقيادات العربية العاجزة؟ !ويتساءل الباحث ...لماذا تغاضت الكاتبة عن رسم ما يدور في خلد الفتاة من مشاعر- اللهم إلا تلك الومضة العابرة فهي في أحلامها أجرأ منها في الحقيقة ثم لماذا اختارت عمتين عانسين للعب دور القيادة في حياة الفتاة؟ لماذا غيبت الأم مثلا ؟ أليس في تغييبها تمهيد لكسر (هارمونية) الحدث وجره الى نهايته الدراماتيكية تلك ؟ ..ولماذا جعلت العريس وهو شخصية محورية في القصة طالبًا؟ والطالب شخصية لم تتحقق استقلاليته بعد، فهو لا يزال عالة على المجتمع ولا يملك حرية القرار؟ لماذا كل هذه الشخصيات العاجزة في القصة؟ ...!العمتان، العريس، الفتاة، الأم المغيبة.

القصة بالرغم من قصرها تداعب الروح مثل الشعور الذي تفعله رواية الكاتب غسان كنفاني " رجال في الشمس"[٢] تمامًا كما قاد عملية التهريب داخل الدبابة رجل عاجز، كذلك فشلت قيادة عمتين هنا في تكوين أسرة مثل باقي البشر. العقم، رمز العجز الجنسي،

---

(١) أشياء صغيرة، سميرة عزام،، ص/٢٩.

(٢) الأعمال الكاملة / الروايات،كنفاني، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت، ١٩٦٨م، ص/١٣٧.

كان موجودًا جسديًا، هنا نفساني. ومثلما أدت قيادة (أبو خزران) إلى فشل عملية التهريب، كذلك أدت قيادة (العمتين) إلى فشل الزواج حتى نبرة المرارة في نهاية القصتين هي نفسها. في البداية، انتهى الأمر بأمر المهربين في كومة من (القمامة)، وهنا انتهى الأمر بالفتاة بالعودة إلى ما كانت عليه قبل بدء الحدث. الفارق الوحيد بين القصتين أن الأولى كانت واضحة في رمزيتها، حيث أن شخصياتها فلسطينيون ومأساتهم فلسطينية، بينما شخصيات القصة كانت "إلى حين " شخصيات في المطلق لا تنتسب إلى زمان أو مكان معينين .ولكن أعماقها الحقيقية تنتسب إلى زمن البؤس الفلسطينيي، يوم كانت النكبة لا تزال صدمة على الدماغ، تذهل وتحبط وتخلخل الكيان.

أما لماذا كان القصد في رواية كنفاني مباشرًا وهنا لا؟ فلأن الرواية كانت قد كتبت في زمن متأخر عن القصة بثماني سنوات، أي حين بدأ الفلسطيني يستفيق من صدمته، يقبل الهزيمة ويعترف بها، في حين كانت ولادة قصة سميرة عزام في زمن الغيبوبة، في زمن كان الفلسطيني خلالها لا يجرؤ على كشف نفسه، كان إحساسه بالعار قويًا، فهو لم يعِ بعد حقيقة ما حدث، وأثر الخطيئة يحمله في دمه كالزانية التي يفضحها أمر حملها[١] إنها المرأة المتمردة التي تقاوم واقعها الاجتماعي، وتثور ضد رموزه.

ولعلَّ المرأة على وجه الخصوص، هي الأقرب إلى عقل وقلب سميرة عزام في "التعاطف الإنساني" مع بطلاتها، تنير أحوالها وتشرح بؤسها، وتفصّل اضطهادها وقمعها وخوفها. سيدة عاملة منتجة تبيع خاتم زواجها لتواصل الإنفاق على زوجها الطالب في الجامعة لإكمال دراستها الهندسية. القصة: هل يذكرها؟ هل الزوج يقف بجانبها بعد التخرج أو يفكر في الزواج منها مرة أخرى؟ والمرأة التي تُجبر على الخدمة في بيوت الآخرين لإعالة نفسها وأطفالها هي قصة: حذاء، امرأة تخشى على أخيها الصغير الذي اشترى مسدسًا لإفراغ الرصاص في رأسها، يغسل لما يراه عارًا، ويحمي شرف العائلة، أكثر مما تخشى على نفسها وهي في الواقع غارقة في الوحل. هذه المرأة التي سقطت، وهي الأولى والأخيرة، أخت شخص يحاول قتلها، تقول لأخيها: "حبي لك هو الرابط الوحيد بيني وبين عالم العواطف ... بخلاف أن تكره العواصف التي تأكل قلبي...

---

(١) الانثى في الرواية النسوية الأردنية، ابو نضال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ٢٠٠٤ م، ص/٥.

وهذا المسدس الأخرق خذه وبعه يا صغيري، واشتر لنفسك قميصًا يستر أكتافك العارية، بدلا من هذا القميص الممزق الذي لم تنزعه عن جسمك طيلة الاسبوعين اللذين دأبت خلالهما على مراقبة زقاقنا، منذ أن جرتك فكرة الانتقام، إلى مراقبة (الأخت) في قصة :حكايتها، وامرأة تبيع دمها، من أجل أن تشتري بثمنه فستانًا، ينسدل على جسدها مثل غيرها من النساء" : عندما سألها موظف مكتب المعلومات: "ماذا تريدين؟" قالت إنها تريد بيع دمها .. فلما عاد سألها: هل عندك تصريح من الطبيب؟ نظرت إليه بعيون فتاة لطيفة، فدعها تدخل"..قصة بنك الدم "تبدو صورة المرأة المقموعة والمضطهدة التي يقف المجتمع ضدها[١] من أوائل الستينات مع ظهور فجر المقاومة الفلسطينية ولعلَّ من المفيد قبل الشروع في البحث عن فلسطين في هذا الأدب، إلقاء الضوء على رؤية صاحبته السياسية.

ففي قصة" حكايتها"، تصوير دقيق لصورة الظلم الاجتماعي التي تقع على بطلة القصة، وهذا الظلم الفردي ليس سوى جزء من الظلم العام الذي أصاب الشعب الفلسطيني. وكأن الكاتبة تبرر سقوط بطلة لها، تبرر سقوط شعبها. مثلما تكافح القوى العالمية بلا قوة لمواجهتها، ومثلما أتت لها الحموضة والألم من إدانة شقيقها لها، كذلك عذب الفلسطينيون وحرقوا لأنهم اتهموا ببيع أراضيهم لليهود وهجرها. قضيتهم كما اتهم البطلة ببيع شرفها. ومثلما تشفق البطلة على أخيها رغم الحكم عليه بالإعدام ويجد له الأعذار، هكذا كان حال الفلسطينيين في دول اللجوء.

بالعودة إلى وقت كتابة القصة، نرى أن هذا الوضع كان يسود الشعب الفلسطيني ككل. كذلك علاقة التوتر والتنافر التي كانت قائمة بين الفتاة وشقيقها مقارنة بما حدث بين الفلسطيني وإخوانه في الدول المضيفة. تحتمي معه من المعلم والمعلم والناس والمشاعر التي تضرب قلبها. تشفق عليه بعد أن كبر في السن بحيث لا يستطيع بيع حياته بثمن بخس. من جهته يشعر بألمها حتى دون أن يكشفها، ويبكي على بكائها دون أن يدرك دوافعها لهذا البكاء .. وفي وقت آخر يشتري سلاحا للقضاء عليها. لا تتطلب الصورة الكثير من الجهد

---

(١) "سميرة عزام في ذكراها الخاصة" ، مقالة نادرة سراج، مجلة الآداب، العدد الأول، السنة السادسة عشرة، . كانون الثاني، ١٩٦٨م، ص /٦٩ من العدد نفسه.

لاستكشاف العلاقة بينها وبين علاقة الفلسطيني بمحيطه في أوائل الخمسينيات. علاوة على ذلك، يصف الكاتب الفتاة بأنها حقيرة في منفاها، حيث طردها اللقيط إلى الشارع، مخترقًا الكرامة، ومربكًا، وتبكي، وسحقًا ... لقد دمرها الانتقام وطاردها زراعتها في أي مكان ... وهناك، في القرية، تعلمت الكراهية والانتقام، تعلمت أن تذوب إنسانيتها تعلمت الأشياء والأشياء. إذا استبدلنا كلمة قرية بكلمة مخيم، ألن يكون هذا تمثيلًا للوضع الفلسطيني في ذلك الوقت؟ [١]

آراء الأدباء في سميرة عزام

رغم أن الدراسات التي تناولت أدب الكاتبة قليلة ومتسرعة، في مجملها، سواء كانت تعليقًا في صحيفة أو دراسة أكاديمية، فقد أجمعوا جميعًا على اعتبارها كاتبة رائدة في مجال القصة القصيرة. يقول الباحث سهيل إدريس معلقة على مجموعتها "اشياء صغيرة ": "ينهض فن سميرة عزام في هذه المجموعة على قوة إيحاء في خلق الجو النفسي، وتبلغ المؤلفة في عدد من الأقاصيص درجة رفيعة من التحليل تشهد بأن موهبتها القصصية عظيمة الامكانات... يرفدها في ذلك أسلوب حي مشرق فيه اختيار وصناعة، ولا أقول تصنع وعصبية وموسيقية"[٢].

في سياق دراسته للقصة القصيرة في فلسطين والأردن، يقول هاشم ياغي: هذه المجموعة (الظل الكبير) تشير بوضوح إلى أن كاتبها هو من يصنع القصة باحتراف ويعرف أبعادها المعرفة العلمية الخصبة، وهذه المجموعة تدل على أن قدم كاتبها أكثر ثباتًا مما قدمته في مجموعتها الأولى، مع مجموعتها الأولى، "الأشياء الصغيرة"، تشير أيضًا إلى مستوى عالٍ من سرد القصص وبناء القصة [٣].أما الشاعر أبو سلمى فيقول: لا أدري إذا كانت هناك راوية عربية في أعمال سميرة عزام في قصصها الرائعة.[٤] في حين يرى رجاء النقاش أن الحقيقة

---

(١) مجلة شؤون فلسطينية، بقلم نجمة حبيب، عدد أيلول، دراسة دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجّلد٣٨ ، العدد ٢٠١١م .

(٢) سميرة عزام في ذكراها الخاصة، ص /٦٩ من العدد نفسه.

(٣) نفس المصدر ، ص/٥٦.

(٤)المصدر السابق، ص/٥٩.

الاجتماعية والإنسانية والوطنية واضحة بشكل كبير في كتاباتها. في رأيه، كانت قادرة على قراءة موديلاتها وتحسنت. . . سميرة عزام حملت في قلبها مأساة فلسطين سواء عبرت عنها بشكل مباشر أو غير مباشر[١]، ويقول في مكان آخر : "أدب سميرة عزام أدب ثوري" [٢] .

لم تكن سميرة عزام من تلك المجموعة التي كان حضورها صاحبًا، لكن عملها كان صامتًا يهدف إلى العمل وليس الرنين. وهي من مؤسسي التنظيم السري الذي كان يعمل بين لبنان والأردن لتثقيف الأجيال العربية وإعدادهم لخوض معركة التحرير. درس كثير من الشبان والشابات في الستينيات من الستينيات في مدرستها الوطنية وهي : العربية الفلسطينلة الصميمة الودودة قلبا، الصلبة موقفا . والتي لم يذكرها أحد في تاريخ نضالنا مع أنها أوّل من أسهم في تأسيس وتشكيل تنظيم فلسطيني[٣]

كان لها مدرسة وطنية متميزة عما كان سائدا في الأوساط الفلسطينية في تلك الحقبة. لقد قاومت بشدة تلك الاقليمية التي تدعي ان فلسطين لا يحررها الا ابناؤها. وآمنت أنّ الصراع مع إسرائيل هو صراع بين حضارتين. لذا فمعركة فلسطين هي معركة كل العرب، وما الفلسطينيون إلا جزء طليعي منها. كانت تدعو الى العقلانية والتكتم في العمل النضالي، وقد أدانت نشرات تنظيمها السرية انطلاقة شعلة الكفاح المسلح في حينه، إلا ان التيار العاطفي الذي واكب الانطلاقة اخمد مثل تلك الاصوات، بل ذهب ابعد من ذلك فخوّنها. . . من تعاليمها السياسية الدعوة لتأمين الجوار قبل البدء بالمعركة، وبرأيها لا يمكن أن تبدأ حركة مقاومة ناجحة إن لم يكن لها حكومات وطنية مساندة.

حاولت سميرة عزام ان تتجلد بعد نكسة حزيران وتظهر لمن تتلمذوا عليها، تفاؤلا وإيمانا بالمستقبل. هذا ما كانت تنطق به الشفاه، اما ما كان يبطنه القلب فقد أدى به الى الانفجار. كانت سميرة عزام في طريقها الى الاردن للاتصال ببعض مجموعات تنظيمها السري هناك فوافتها المنية في الطريق . . . "لم تمت سميرة من مرض أو مرض، بل ماتت نتيجة جرح ينزف من خصرها، وتوفيت لأنها كانت عربية نقية تحمل في قلبها هموم الأمة كلها، وكان

---

(١)المصدر السابق، ص/٦٦..

(٢)المصدر السابق، ص/٥٢.

(٣)المصدر السابق، ص/٥٥.

إرهاقها الشخصي كبير. تحلم برؤية أمتها منتصرة، وأن ترى الوحدة حقًا والإنسان حرًا. . . والليل أزال الصواد عن رؤوسنا وقلوبنا".[١]

إن حكايات سميرة عزام، رغم تنوعها واتساع آفاقها، تدور في الغالب حول تصوير معاناة العمال الفقراء في سعيهم المستمر لكسب رزقهم، والسيطرة والقمع والاستغلال الذي يواجهونه في مجتمعهم، والدوافع المحبطة والحرمان العاطفي تثير في روح المرأة. لا تعتمد سميرة في حكاياتها على الحوادث ولا على الحبكة السردية، بل تستغني عن ذلك بقدرتها الفنية على التصوير والتحليل، وتصوير أجواء القصة بأجزائها الرقيقة وتفاصيلها المخفية وإحاطتها بفنية واقعية الإطار الذي يثيره القارئ بصدقه وبساطته. في تعابيرها الأنثوية وطرحها لاهتمامات المرأة – نجحت سميرة في جعل شخصيات قصصها – في كثير من الأحيان – نماذج حية نابضة بالحياة يتصور القارئ أنها تجلس معه وتتحدث معه. [٢] تصف لنا المشاهد الحية وتحاول تجنب الإفراط في الرمزية – كل ما تستطيع فعله – وتعتمد أحيانًا على أسلوب السرد المباشر، خاصة في مجموعتها الأولى والثانية. نظرية عابرة في عقلها ... إذا صاحبها عدد من العلماء أفضل رواد القصة القصيرة في أدبنا العربي المعاصر ...

يقول د. نجم: "كانت قصص الأشياء الصغيرة صراعًا بين النفس المعذبة والنفس البريئة الطاهرة من جهة، والبيئة الجديدة التي لم تستطع هضمها واستيعابها في كيانها لتكسوها. لكيان آخر. إنها تنمو، وتتطور مواقفها وتتبلور، وكان اهتمامها في ذلك الوقت هو التذكر والإدراك والإحساس".[٣]

يقول الدكتور ناصر الدين الاسد حول قصص سميرة عزام الأولى :"قصص سميرة على تنوعها وسعة آفاقها تدور في معظمها على أمرين، تصوير ما يعانيه الفقراء العاملون في سعيهم المتصل لكسب قوتهم، وما يلقون في مجتمعهم من تحكم وظلم واستغلال؛ وتصوير ما يختلج في نفس المرأة من نوازع مكبوتة وحرمان عاطفي"[٤].

---

(١)الشخصية والقيمة والأسلوب في أدب سميرة عزام، يوسف اليوسف،دار كنعان، دمشق، ١٩٩٠م. ص/٧٥.

(٢)مجلة الآداب، العدد الأول، ص/١٢٥.

(٣) سميرة عزام أميرة القصة الفلسطينية، مقالة أبو عويمر، ص/٣.

(٤) المصدر السابق، ص/٦.

يقول الدكتور ناصر الدين الأسد عن أولى روايات سميرة عزام: "قصص سميرة، رغم تنوعها واتساع آفاقها، تدور في الغالب حول أمرين: تصوير ما يعانيه الفقراء العاملون في سعيهم المستمر لكسب الرزق، و السيطرة والظلم والاستغلال الذي يواجهونه في مجتمعهم ؛ نفس المرأة لديها دوافع مكبوتة وحرمان عاطفي. "

تستغني سميرة في حكاياتها بقدرتها الرائعة على التصوير والتحليل: لتصوير أجواء القصة بأجزائها الدقيقة وتفاصيلها المخفية، ومحيطها بإطار فني واقعي يتوفق إليه القارئ بصدقه وبساطته. تحليل الروح البشرية هو تحليل يستخلص أعمق محتوياتها ودقة ما فيها ولا تعتمد على الحوادث ولا على الحبكة أو عقدة القصة.

نجحت سميرة في جعل شخصيات قصصها نابضة بالحياة، ونماذج حية يتخيل المرء الجلوس معها والدردشة معها. يعتمد أسلوبها على جمل القصة القصيرة، وقد تكون الجملة مقطوعة وليست كاملة، ولكنها تفتح بذلك آفاقًا واسعة للقارئ للتصور والتخيل، بمساعدة كلمات موحية مختارة بظلال غنية، وحوار طبيعي سلس مع التي يتحرك بها القارئ بسهولة وفي متابعة لا تمنعه في سياقها اخراجه من جو القصة افتراء .[١]

من ناحية أخرى يعتقد د. عبيد الله في مقالته "القصة القصيرة في فلسطين والأردن" أن "مساهمة المرأة في القصة هي مساهمة غائبة حتى الكارثة، وظهرت بعض الأسماء القريبة منها، ربما ومن أبرزهم سميرة عزام ونجوى قعوار وثريا ملحس". أما سميرة، فقد بذلت جهدًا مبكرًا لمساهمة نسوية في قصصها، وحاولت في نشر إسهاماتها كأنها كانت تسابق عمرًا لم يسمح لها طويلًا. وفى رأي د. الأسد الذي أشرنا إليه أعلاه[٢]. إن الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدها المجتمع الفلسطيني والأردني خلال الأربعين السنة الماضية قد وجهتها وجهة خاصة ووسمتها، بمياسم محددة أو قل إنها أسبغت عليه خصوصية ما، ومن هذه الميزات هو الاهتمام الفلسطيني. أرض وشعب، البلد الأكثر حساسية تجاه هذه القضية

---

(١)الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، الأسد، .ص/١٠٣ .

(٢) القصة القصيرة في فلسطين والأردن منذ نشأتها حتى جيل الافق الجديد، عبيد الله، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠٠١م، ص/١٧١ .

وهو تتضرر من نيرانها التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وهي مهددة دائما. [١]أو الانتكاسة عام ١٩٦٧م، فلسطين في ظل نكبة احتلال ١٩٤٨م، بأوضاعها السياسية والاقتصادية والديموغرافية، ومعاناة أهلها داخل الأراضي الفلسطينية.

آثارها

• أولاً: مجموعات قصصية

- أشياء صغيرة (١٩٥٤م)
- الظل الكبير (١٩٥٦م)
- وقصص أخرى (١٩٦٠م)
- الساعة والإنسان (١٩٦٣م)
- العيد يأتي من النافذة الغربية (١٩٧١م)

• ثانياً: آثارها المترجمة

- كانديدا (مسرحية)، لجورج برناد شو، ١٩٥٥م.
- أمريكي في أوروبا، ودز ورث، المؤسسة الأهلية، بيروت، ١٩٥٦م.
- جناح النساء، بيرل باك، ١٩٥٨م.
- ريح الشرق وريح الغرب، مؤسسة فرانكلين، ١٩٥٨م.
- القصة الامريكية القصيرة، دانفورت روس، المكتبة الأهلية، وبيروت، ١٩٦٠م.
- القصة القصيرة فى أمريكا، راي وست، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
- كيف نساعد أبناءنا في المدرسة، ماري ولورنس فرانك، مكتبة المعارف، بيروت،١٩٦١ م.
- مختارات من فنه القصصي، توماس وولف، دار مجلة، بيروت،١٩٦٢م.
- أعوام الجراد، لولا كريس اردمان، مراجعة سميرة عزام، بيروت، ١٩٦١م.

---

(١) تطور المجتمع الأردني وأثر ذلك على الحركة الأدبية، دراسة قطامي، الموسم الثقافي لكلية الآداب /الجامعة الأردنية، ١٩٨٤م،، ص/١٦٧.

- حين فقدنا الرجاء، جون شتاينبك، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٢م.
- حكايات الأبطال، اليس هزلتين، المؤسسسة الاهلية، بيروت، ١٩٦٣م.
- عصر البراءة، أديث وارتون، المؤسسة الوطنية، بيروت، ١٩٦٣م.
- رائد الثقافة العامة، كورنيلوس هيرسبرغ، دار الكتاب، بيروت،١٩٦٣م.
- فن التلفزيون، وليم كوفمان، . الدار الشرقية، بيروت، ١٩٦٤م

ثانيهما: ثريا نافع وأعمالها

حياتها

ثريا نافع كاتبة مصرية–فلسطينية من مواليد القاهرة عام ١٩٥٥م بعد هجرة عائلتها من فلسطين بعد أحداث عام ١٩٤٩م، المرأة الجميلة كاتبة وصحفية وروائية، وزوجة، مصرية وفلسطينية. ربة منزل وعامله بدون زيادة أو نقصان، والتي حملت معها نورها الى السماء واختفت جسدها في مكان تحبه. انتقلت إلى الدوحة بقطر وعاشت فيها معظم حياتها وكل شبابها – حتى الموت.

يقال عن حياتها القصيرة على هذه الأرض: حملت أطفالها ووثقتهم الفلسطينية وحاولت أن ترسي لهم جذورًا في الدوحة والقاهرة في تجديد الإقامة والخوف من الترحيل لأن هويتهم تنتمي إلى مكان لم يولدوا فيه ولم يروه، لكن عليهم التناوب بين الأوراق الرسمية التي ولدوا فيها وأين تنتمي كغرباء يبحثون عن استضافة.

أصابها القصف الإسرائيلي القذر الذي سقط على سماء لبنان عام ٢٠٠٦م في قلب منزلها بالدوحة، ودخلت منه شظية نمت وتحولت إلى شظايا حولت حزنها إلى مرض خبيث، فقتلت جسدها الجميل وتدمى روحها حتى الموت. عندما صادروا جواز سفرها وهددوها بالترحيل ومنعها من العيش في قطر، حيث منزلها وزوجها وعائلتها وأحبائها وأصدقائها، وأشجار الرمل والبحر والنخيل التي أحبتها وعاشت معها قرابة ثلاثين عامًا.

لم تطأ ثريا قدمها أرض مصر بلادها. رفضت مغادرة الدوحة، ورفضت اللجوء إلى حقوق الإنسان، وجربت طريق المحبة والحوار معهم هناك. ليس لها ذنب سوى انتصار لبنان على الصهاينة مثل كل الشرفاء الذين ينتمون إلى هويتهم العربية. كانت مصرية وفلسطينية وقطرية في انتمائها وحبها حتى النخاع، وفازت وحققت ما أرادت، فلا أحد يجبرها على مغادرة البلد الذي اختارته وانتمى إليه مهما كان الثمن.[١]

وعدت أن تزورها، ألا تقيم في بلادها مصر، إلا أن غضبها وألمها الذي عاشت فيه لمدة عامين غزا جسدها، ومن ذلك الحزن الذي حطم الروح انكسرت مناعة الجسد

---

(١) موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث الجزء الرابع، محمد حسين عبدالله، ص/ ٢٧.

والسرطان، تدفقت فيه لتتأرجح في آلامها التي طال أمدها حتى بلغت ذروتها فاستسلمت الروح لبريائها وابتعدت عن عالمنا اليوم. ودُفن جسدها في الأرض ولم تسمح لأحد باقتلاعها. دفنت في الدوحة التي تحبها. كل يوم يضيق العالم برحيل من نحبهم فيه، وخاصة الحالمين الذين كان الحزن والظلم بالنسبة لهم فاتورة أحلامهم النبيلة، كزهرة حب ثريا.

الحياة العملية

كتبت ثريا نافع مقالات عديدة في الصحف القطرية، منها جريدة "الراية" حيث كتبت عموداً أسبوعيًا لهذه المجلة، وتميز هذا العمود بأسلوبه الساخر. منيرة آل ثاني كاتبة عملت في مجلة الراية القطرية وهي نفس الصحيفة التي كانت ثريا نافع تكتب فيها. وأوضحت منيرة آل ثاني أن الكاتبة ثريا نافع كانت وراء نشر مقالاتها في جريدة "الراية"، ساعدها هذا كثيرًا في ترويج المزيد من الثقة لكشف جوهرها.(١)

كانت حياتها تكتب عن الضعفاء والمضطهدين والمعاناة والنساء الضائعين والحزن. ابتكرت ثريا جميع القصص والروايات والمقالات التي تطلب من القارئ البشري أن يدرك ويفهم ويتعاطف. ومقالاتها التي كانت مخبأة فيها بسخرية عن السياسة والخلافات لتجاوز مقص الرقيب الحادة لم تنفذ. لقد اخترق ذلك الرقيب أحشاها وقلبها وحملها بما لا تستطيع تحمله.

شاركت في عديد من منظمات الأعمال المدنية كعضو متطوع مثل المجموعة الدولية لحقوق الإنسانية بنيويورك، ولجنة الدراسات والبحوث التابعة لجمعيات القطرية و المصرية المتعددة، وكانت أيضًا عضوًا مشاركًا في القصير. نادي ستوري في مصر. بالإضافة إلى ذلك، عملت كمدير عام لشركة "Nutri System" الأمريكية من ٢٠٠٠م إلى ٢٠٠٢م. عملت مديرة علاقات عامة في المستشفى الأمريكي في قطر من ٢٠٠٢م إلى ٢٠٠٤م. شغلت ثريا منصب نائب الأمين العام والإعلام مدير الجمعية العربية للترجمة وحوار الثقافات في سويسرا.

كانت ثريا في الوفد النسائي الذي زار ايران، وهناك حضرت مقابلة الرئيس الإيراني خاتمي لتأليف الكتاب. تمت دعوتها وقالت ثريا في حديث صحفي، واصفة الرئيس الإيراني

---

(١) الوسط، يومية سياسية مستقلة، العدد ٧٥٧، الأربعاء، ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م.

خاتمي، عندما سُئلت عن رأيها كما يصعب عليه أن يمثل في مكان ما في "لعبة قذرة" ويواجه نفسه قذارة السياسة المتسامحة، وأفضل ما فعله، على ما أعتقد، هو عدم الترشح للانتخابات الرئاسية الجديدة.[١]

أسلوبها وشخصيتها

يتميز أسلوب ثريا نافع بمحاكاة الواقع، حيث صرحت في مقابلة صحفية أنها تربطها علاقة وثيقة بالآخرين، حيث تشعر أحيانًا أنه "جدار بكاء ينشر عليه الناس حزنهم ومآسيهم في قصص تمس الروح قبلها". الجسم." لهذا السبب حرصت ثريا على أن تحاكي كتاباتها الواقع.

العرب يقولون لنا ميراث من أسمائنا، وكان ذلك. من الثريات لك نورها وروعتها وجمالها و وسامتها. كانت تشفق على كل إنسان بائس استطاعت أن تصل إليه أو من خلال طريقها وحياتها، وقد أفادت الجميع وعائلتها وأبنائها وبناتها وأصدقائها، وكانت الحضن الدافئ للمتعذبين والحائرين المعاناة، وباعتبارها قديسة، أخفت آلامها، وغفرت، وتغفرت، وتنازلت عن قلبها ومالها وصحتها وحبها للجميع.

• نظرة شاملة في روايات ثريا نافع

ثريا نافع تحتل مكانة عالية في أدب المرأة الفلسطينية والعربية. "فضاء الجسد"[٢] رواية للكاتبة والصحفية ثريا نافع، نُشرت في بيروت. أعطتها الكاتبة عنوانًا آخر، وهو شرح للإشارة إلى هذه الرواية تصوير لمحنة شخص.

أوصلنا الروائي فكرة الرواية عن الجنس الثالث (خنثى) من خلالها إلى عالم مليء بالتناقضات والاضطراب البشري الوجودي، من خلال شخصية البطل (نداء) ... التي لا تقدم بعد ذلك محنة هذا الشخص على بساط الرواية ليدل على المشاكل والاضطرابات التي تحيط بحياة هذه الشخصية ليس فقط، بل ليبرهن على غير أحد قضايا هذا المجتمع الأبوي

---

(١) الوسط، يومية سياسية مستقلة، العدد ٧٥٧، الأربعاء، ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م.

(٢)فضاء الجسد، ثريا نافع، دار الرحاب للنشر، بيروت،٢٠٠٦م.

والقفز إلى قضايا أكبر وأكثر عمومية، أولها وهي جراح الأمة العربية بأمراضها مسألة بغض النظر عن جنسيته.[١]

لا يتعرض القارئ لأزمة الجسد في نداء من خلال أحداث الرواية فحسب، بل يتعرض أيضًا لأزمات هيئات قانونياً، وربما الجسم الذي انتهكه الاحتلال ... عندما يشير لأول مرة إلى وقت ولادة (نداء)، فإنه يؤطر الحدث بوقت أسود هو وقت مجزري صابرة وشاتيلة. جفت حياة الفلسطينيين ورسمت الاعتداء على المدنيين.. وكان سكان المخيم من قبل شارون – وبالتعاون مع حزب الكتائب – واقتحموا المخيم بلا خجل. نفذوا إبادة بين سكانه! – دبابات إسرائيلية اقتحمت الكتائب. قاد وحرق وذبح وقطّع سكان المخيم من نساء وأطفال وشيوخ بل لبنان والمكانان هما المحتلة التي خدشت أجسادهم.

تدخل الكاتبة عوالم الشخصيات الشاذة في هذه الرواية لتلمس المحرمات بذكاء وقدرة فنية إبداعية ولغة شعرية استطاعت من خلالها أن تكشف دواخل هذه الشخصيات من خلال علاقاتهم المحظورة اجتماعيا أو مثلية، وليس إلقاء اللوم عليهم أو لإثارة غرائز المتلقي، ولكن إلقاء اللوم على المجتمع ونظرته الضيقة للأنثى وليس انفتاحه على الآخر سواء كان هذا الآخر هو الجنس أو الهوية أو الدين. دخلت ثريا نافع واعية تاما، تلامس من هذا السرد عدد من المحرمات واحتراف وقدرة وخداع وحساسية وذكاء للأنثى نجحت في مجرى كلامها، حتى لا يتم القبض عليها بارتكاب جريمة فاضحة.

تعاملت مع العلاقات غير الطبيعية بين الذكور وبين الإناث. فكرت في التعامل وجلدت العقلية أثارت وراقبت هموم البرزخ الضائعة ونار الإنكار ومعضلة النظرة والخداع. ثريا نافع لمست كل هذا دون أن تكشف أو تصيب أو تجرح أو تطيل، وكأن النار هي التي شفيت ولم تحترق.

وفى موضوع الخنثى (نداء)، الذي تناولته المؤلفة ثريا نافع في روايتها، تسلط الضوء على المجتمع العربي.[٢] والتحرش الجنسي، خاصة في المؤسسة التعليمية سواء فى المدير أو فى

---

(١) المصدر السابق، ص/١٦.

(٢)فضاء الجسد، ثريا نافع، ص/١٢٣.

الزملاء، لكن الكاتبة منحازة تجاه الأنثى ليس لأنها أنثى، بل للظلم الذي تتعرض له، ورقة المشاعر التي تتلقاها على أكتاف (نداء) للدلالة على أن صوت الأنثى بداخله أقوى من صوت الذكر، وهذه علامة نفسية ذات مغزى كبير، أوضحه المكالمة: "من قال أنني أريد هزيمة الأنثى بداخلي، بريء" ويجعلني أشعر بألم وأحزان الآخرين؟ هذا ما أردت أن تصرخ عنها، ولكن أنا تسيطر نفسي، وقمع أكثر من مرة ... ومن الغريب أن لا أشعر في قلبي أنه كان عملا خاطئا، عن قصد وبإحساس.

لا يوقف القارئ موقف النفور من هذه الشخصية في التصوير الدقيق لأحداث الرواية وسيرة الشخصية فيها، بل يتعاطف معها، لأن لديها إحساسًا خفيًا عميقًا بما لا يمتلكه الآخرون، و إنها أقرب إلى الأنثى منها إلى الذكر من حيث السمات والشكل والمشاعر، خاصة فيما يتعلق بمشاعرها ولهذا السبب تمتلك هذه الشخصية عدة من المشاعر، وفي نفس الوقت نجد أنها تمهد لنفسها الاجتهاد والمثابرة والتعليم الذاتي والعمل، بحيث تظهر النجاحات على مستوى مختلف، لكنه لا يفلت من عيوب تجعله نتيجة للآخرين، لكن عفة تغلف هذه الشخصية في جميع مراحل حياتها، لذا فهي ليست مندفعة إلى الانحراف أو الخطيئة، بل تسعى للعثور على جنس معين لها من خلال العلاج بالهرمونات الذكورية، وهو أمر لا مفر منه لأنه رغبة الأب القاسي في أن يكون له ابن يحمل اسمه، ورغبة الأم التي لم تجدها تهرب من التخلي عن هذه الرغبة حتى بعد وفاة الأب، ورغبة المجتمع الذي ينظر إلى الذكر بخلاف نظرته للرجل. الأنثى ... التي شكلت ضغطا نفسيا أكبر على شخصية النداء والمزيد من المعاناة والألم والخسارة، لكن وجود الأخت (سحر) هو ما يشكل دعما قويا لهذه الشخصية في جميع مراحل حياتها سواء كان ذلك عندما كان شابا، في مرحلة الدراسة، أو أثناء مرحلة العمل ... إلا أن النهاية المأساوية لهذه الشخصية، التي هو الانتحار، ويرجع ذلك إلى البحث عن أسباب الخلاص من حياة الجحيم والألم القسوة والنفاق والصراع النفسي من أجل حياة أخرى حيث (عالم بلا ذكور وبلا إناث).[1]

(١)فضاء الجسد، ثريا نافع، ص/١٥٤.

توجد أماكن كثيرة للرواية، فالبداية في بيت لحم، حيث الطفولة المظلومة من قبل الأب الغامر وفشله في قبول حالة ابنه المريض، وحيث المدرسة والشارع والمنزل، مروراً بعمان في الأردن للعمل في محل لبيع العطور والمستلزمات النسائية، ثم دول الخليج للعمل في تصميم المواقع ... وفي كل هذه الأماكن لا تخلو من أحداث رواية التشويق التي تؤدي إلى العديد من المواقف التي تدل على استغلال هذا الشخصية سواء من قبل الرجل أو الأنثى.

وأهم ما تقترحه الرواية هو فكرة قبول الآخر، حيث نجد التعايش بين الأديان المختلفة مكان الرواية الأولى (بيت لحم). دعوتها لقبوله شكلاً وجنسًا ... كما تقول في مقدمة الرواية: لكل من عانى من عدم فهم الآخرين له وعدم احترام اختلافه عنهم. إلى قلوب تغسلها يد السماء لتتأثّر برائحة حلوة من جميع الاختلافات لكل من يحمل أو يحمل بين جنبيه شعلة الإنسانية التي لا فرق أبدًا بين الشكل أو اللون أو العرق أو الدين.

أقدم لكم قصة "نداء". ربما يكون درسًا لكل من هو قاسٍ على الآخر ولكل من لا يدرك أن هناك من يلفه الألم والخوف دون معرفة الآخرين.[١] وقد برعت الكاتبة في التصوير الفوتوغرافي وفي الكشف عن جوانب مهمة من هذه الشخصية، في الغوص في مشاعر الأنثى، وفي رصد العديد من العلاقات التي تدخل في دائرة المحرمات، لا سيما تلك الممثلة في نماذج ساقطة اجتماعيا مثل نهال، هيدا وأمل في تصوير حياتهما على حدة، والأسباب التي دفعت كل منهما إلى اتباع طريق الرذيلة والخطأ، وفي هذا تلوم المجتمع والرجل والسلطة الذكورية في المجتمعات العربية. لكن ما يؤخذ في هذا السرد هو أنه يقع في فخ التناقض في بعض الأمور، وهي: أنها أشارت إلى أم نداء في البداية على أنها شركسية، ثم نراها تشير في سياق الرواية إلى أنها أرمنية.، وقد يكون هذا الأمر قد جاء من إشراف المؤلف وربما جهله بأصول كل من الشركس والأرمن. كانت اللهجة التي يتحدث بها الجهاد، زميلة نداء في المدرسة، مصرية تارة وأحيانًا فلسطينية، علمًا أن المكان مدرسة في بيت لحم، وهنا كان على الروائي نطق هذه الشخصية في مفردات اللهجة الفلسطينية فقط. .

---

(١)فضاء الجسد، ثريا نافع، ص/١٧٣.

إلا أن الرواية ناجحة فنياً ولها لغة شعرية، وتحتوي على معلومات علمية دقيقة عن مرض شخصي، نداء شرحه المؤلف دون تفصيل أو إضافة ... وتنوعت أساليب السرد فيها، بدءاً من لسان الأخت (سحر) تمر إلى لغة الراوي البطل، بين رواية الحدث ومونولوج داخلي يشكل أغنى وأنماط النفس البشرية والروح فيه، والتقاليد البالية وأنظمة المجتمع الفاسدة مأساة الجرح الفلسطيني، وكل رواية تسلط الضوء عليه .. وهو ما يعبر عنه المونولوج الأخير في الرواية:[١]

تذكرت بيت لحم وجراح طفولتي وبؤرها الساخنة.

تذكرت خيباتنا العربية ... انتكاساتنا العديدة ... وأنظمتنا الفاسدة ...

تذكرت تقاليد شعبي التي لم تنصفني أبدًا ..

تذكرت أولئك الذين كانوا في وضعي ... وشعرت بالأسف تجاههم ... في ظل عالم كفّر عن دينونة الله وخلقه.

تذكرت كيف دفعهم المجتمع إلى السير في طريق الانحراف بدلاً من التمييز وإثبات الذات.

مؤلفاتها

- "تأملات في الحياة و الناس فلسفي".
- "كلمات إلي مجهول" وجدانيات.
- "باقى زهور على قبر الحب " مجموعة قصصية.
- "أبواب مغلقة " مجموعة قصصية.
- "خاتمي الإنسان رؤية مختلفة".
- "فضاء الجسد" رواية.
- "دليلك إلي الطب الرياضي " مترجم عن الإنجليزية.
- "المساج خطوة خطوة " مترجم عن الإنجليزية.

---

(١)فضاء الجسد، ثريا نافع، ص/١٤٨.

الفصل الثاني

ليانة بدر و نجوى قعوار و أعمالهما

في هذا الفصل سأتحدث عن أديبتين فلسطينيتين ليانة بدر ونجوى قعوار من حيث حياتهما وأعمالهما الأدبية، وقد استفدت كثيرا خلال جمع معلوماتهما من كتبهما والمواقع العلمية والأدبية على الشبكة العنكبوتية.

أولهما : ليانة بدر وأعمالها

حياتها

ولدت القصصية والشاعرة والروائية الفلسطينية ليانا بدر في القدس سنة ١٩٥١م في عائلة تعرف بالقومية وتعيش في مدينة أريحا حيث كان والده طبيباً. انتقلت مع أسرتها إلى الأردن، درست في الجامعة الأردنية، لكنها لم تكمل دراستها هناك، ثم إلى بيروت في أيلول ١٩٧٠م. حصلت على درجة البكالوريوس في علم النفس العام وشهادة في الفلسفة من جامعة بيروت العربية ومن الجامعة اللبنانية. ما أكملت الماجستير بسبب الحرب الأهلية اللبنانية،ثم عملت كمحررة ثقافية لمجلة "الحرية" الصادرة لتحرير فلسطين في بيروت(١).

تزوجت ياسر عبد ربه، وانتقلت إلى دمشق عام ١٩٨٢م، وهو العام الذي شهد خروج منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت. انتقلت إلى تونس للإقامة مع زوجها، قبل أن تعود معه إلى رام الله بعد عودتها تم تعيينها مديرة عامة للسينما في وزارة الثقافة والإعلام التي كان زوجها يدير حقيقتها في السلطة الفلسطينية و نسق عددا من المهرجانات السينمائية وأنشأ ناد سينمائي في مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني، وشاركت مع زوجها في التوقيع على وثيقة جنيف، وهي وثيقة غير رسمية تقترح حلاً سياسياً للصراع العربي الإسرائيلي، ويتجاهل حق عودة اللاجئين الفلسطينيين وقضايا أخرى أدت إلى رفضها الفلسطيني الواسع. بعد أن تقلدت منصبها في وزارة الثقافة والإعلام، درست الفنون السينمائية، ودرست الإخراج الوثائقي وكتابة السيناريو. قامت وزارة الثقافة والإعلام بتمويلها لإنتاج عدد من الأفلام الوثائقية عن أوضاع الفلسطينيين ومعاناتهم تحت الاحتلال.

---

(١)حوار مع ليانة عن مجموعتها القصصية "سماء واحدة" صدرت في بيروت، منال نحاس، شبكة الحياة، (٢٧-٠٤-٢٠٠٧م)، بيروت، من (Arabwomen writers.com)

في عام ١٩٩٩م، أخرجت فيلمها الأول المومس الفلسطينية فدوى طوقان بعنوان فدوى الشاعرة من فلسطين. كتبت ليانا بدر سيناريو الفيلم، وأشرف ابنها الأكبر بشار عبد ربه على إنتاج موسيقى الفيلم. أما التحرير فقد أشرف عليه قيس الزبيدي وتصويرها عبد السلام شحادة وتحرير قيس الزبيدي، فيما وضعت الموسيقار ابنها بشار عبد ربه. (١)

في عام ٢٠٠٢م، كتبت وأخرجت فيلم "الطائر الأصغر"، الذي صوره مونس زحالقة، وتحرير فيليب هازو، بينما رافقت مشاهد الفيلم موسيقي بشار عبد ربه، وفي عام ٢٠٠٢م وزارة الثقافة والإعلام الفلسطينية، بدعم من الإمارات العربية المتحدة ومؤسسات أجنبية، مولت تحويل إحدى قصصها إلى فيلم بعنوانين هما "القدس في يوم آخر"، و "زفاف رنا"، واكتفت ليانا بدر بكتابة سيناريو الفيلم، فيما ابنها بشار. وضع عبد ربه الموسيقى، وأخرج الفيلم هاني أبو أسعد. قال مسؤولو الوزارة إن الاسم الثاني استخدم للنسخ غير العربية لجعله في متناول المشاهدين الغربيين. وفى ٢٠٠٢م أخرجت وكتبت سيناريو فيلم بعنوان Siege، وفي هذا الفيلم لم تكتفِ بكتابة السيناريو والإخراج، بل قامت أيضًا بتصوير الفيلم بينما وضع ابنها بشار الموسيقار، وفي عام ٢٠٠٦م شهد العم إنتاج فيلم آخر لها بعنوان فتح .. مغلق الذي يظهر من عنوانه يتحدث عن الحواجز الإسرائيلية. (٢)

كتبت أيضًا قصصًا للأطفال، بما في ذلك قصة بعنوان A Cat Doesn't Say Niao، لكن النقاد يعتقدون أن القصة لم تنجح في نقل ما تريده للأطفال. الناقد جمال سهلوت يقول "بما أن القصة مكتوبة للأطفال فبعد قرأتي لها ثلاث مرات، أعطيتها لطفل وطفلة في الرابعة عشرة من عمرها، وبعد قراءتهما لها، وجدت أنهما لم يفهما شيئا منها، ثم أعطيتها لآخرين في الثامنة عشرة من عمرهما، ولم يفهما أيضا، علما أن اربعتهم من الأوائل في التحصيل الدرسي، ومن الذين يطالعون بعض ما يكتب للأطفال وحتى للكبار، وهذا بدوره يطرح سؤالا جدّيا على الكتاب الذي يكتبون للأطفال.

بدأت تعمل في الصحافة خلال الدراسة في الجامعة في لبنان وأصبحت أعمالها الأدبية مركزاً أولاً للمرأة الفلسطينية، ثم تزوجت وبدأت تعمل في صفحات ثقافية، وتغطي

---

(١) المصدرالسابق، ص/١٢.

(٢) موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث الجزء الرابع، محمد حسين عبدالله، ص/ ٢٦٧.

أحداث ساخنة، وهكذا كانت شاهداً على أهوال الحرب اللبنانية، وحُزنت بالآلام الكبيرة التي لحقت بالمدنيين، بعد ذلك أرادت أن تظاهر حياة الشعب الفلسطيني الإنسانية البعيدة عن صورة إرهابية، والمبالغة والمرتقبة على كفاحه. تركت بيروت في عام ١٩٨٢م[١] و عاشت في دمشق ثم رحلت إلى تونس، وبعد مرورها ببيروت وتونس وعمان والقاهرة ومختلف المدن و العواصم العربية، تعيش في رام الله هذه الأيام [٢].

عينت مديرة عامة للسينما في وزارة الثقافة والإعلام فى رام الله،، وكان زوجها يشغل في السلطة الفلسطينية.بدأت عدة المهرجانات السينمائية وأنشأت ناد سينمائي في مناطق الفلسطيني المختلفة. ثم بعد تولية المنصب في وزارة الثقافة والإعلام، درست العلوم السينمائية ودرست فن إخراج الوثائق وإعداد السيناريو. قامت وزارة الثقافة والإعلام بتمويل إنتاج عدة أفلام وثائقية عن أحوال الفلسطينيين ومعاناتهم تحت الاحتلال[٣].

والدها الدكتور عبد الرحيم بدر اشتهر بتاريخه الوطني ونضاله السياسي الذي عرّضه للسجن في فترات عديدة. وهو صاحب أول عيادة طبية في مدينة أريحا كانت محاطة بثلاثة مخيمات كبيرة هي عقبة جبر وعين السلطان و نويمة. اشتهر والدها أيضًا بدراساته في علم الفلك، وكتب كتابًا اشتهر به في العالم العربي عن نظرية النسبية لأينشتاين بعنوان "الكون الأحدب". وقام بعمل مرصد على سطح المبنى، حيث كان يجمع الناس لمشاهدة التلسكوب والنظر إلى النجوم، ورغم الكثير من المؤلفات العلمية القيمة لوالدها، والتي لم تتم طباعتها كلها، خاصة فيما يتعلق علم الفلك، عن العرب القدماء، عانى الكثير من الآلام والفقر والشتات وضغوطات مختلفة، وهذا لم يمنعه من مواصلة بحثه، وبعضها ما زال في أدراجها دون نشر حتى الآن. في بداية حرب الخليج مرض والدها، حيث أصيب بالشلل عن طريق الكلام

---

(١)الأدبية والمخرجة الفلسطينية ليانة بدر التي أخرجت فيلما تحت القصف الإسرائيلي: أنحاز في رواياتي لأناس الشارع المغمورين الذين يبذلون كل التضحيات، أحمد خضر، مكتب دبي الرياض، من مقالات جريدة الرياض اليومية، السبت ١٦ رجب ١٤٢٤هـ، العدد (١٢٧)

(٢)مقال بعنوان "أفلام أدبية ومخرجة فلسطينية ليانة بدر"، تحسين يقين، مجلة رؤية، ص/ ٢

(٣) مقال بعنوان "الكاتبة ليانة بدر"، من منتديات موقع القصة السورية، تاريخ النشر، (٢١-١٠-٢٠٠٩م)

والحركة، الأمر الذي صدم الكاتبة وجعلها تكتشف صعوبة هذا العالم الذي نعيش فيه، فاختارت الكتابة والتأليف كوسيلة لذلك تظهر ومشاعرها[١].

أعمالها الأدبية:

في شخصية ليانا بدر، يلتقي بالأدب والفن والسينما والمعاصرة والوطن، وبهذا المعنى فهي شخصية فكرية خصبة وروح ثابتة في التعليم ومواكبة العصر كتاب أدبي شامل، فقد أثبت نفسها خاصة في مجال الرواية والقصة القصيرة و جربت أنواعًا أدبية مختلفة[٢].

بدأت كتابة القصة في عامها الجامعي الأول، ونشرت قصتها الأولى عام ١٩٦٧م في جريدة الجهاد بعنوان "غجر في الأعماق". واصلت كتابة القصة حيث جمعت ما كتبته في مجموعة أسمتها "قصص الحب والسعي"، ولم يُسمح لها بنشرها إلا بعد عشر سنوات من كتابته، إذ نشرته دار الحمزاني في عدن عام ١٩٨٢م.[٣]

ثم قامت مجموعة أخرى بكتابة "بلكونة علي الفخاني" صدر الطبعة الأولى منها عام ١٩٨٣م عن دار العلم بدمشق، وأعيد إصدارها في عدة طبعات كان آخرها صدر مؤخراً عن دار العلم. – الشروق في رام الله، وتضم ثلاث روايات قصيرة: "أرض الحجر والزعتر" و "شرفة على الفاكهاني" و "الكناري والبحر"، وكلها تتحدث عن الوجود الفلسطيني في لبنان ودوره في مواجهة الاجتياح الإسرائيلي للبنان.[٤].

ثم أصدرت مجموعتها الثالثة بعنوان "أريد النهار" عام ١٩٨٥م لدار الحوار في سوريا وعبرت فيه عن امرأة فلسطينية متحررة مرتبطة بالثورة الفلسطينية، مستندة في موقفها من الرجل الثوري تحديدًا من سلوكه السلبي في موقعه مع النساء. أما مجموعتها الرابعة والأخيرة "الجحيم الذهبي"، فقد نشرتها دار الآداب في بيروت عام ١٩٩١م[٥].

---

(١) الأديبة والمخرجة الفلسطينية ليانة بدر التي أخرجت فيلما تحت القصف الإسرائيلي: أنحاز في رواياتي لأناس الشارع المغمورين الذين يبذلون كل التضحيات، أحمد خضر.

(٢) أفلام أدبية ومخرجة فلسطينية ليانة بدر، تحسين يقين، مجلة رؤية، ص/٢

(٣) دراسة في قصص الكاتبة الفلسطينية ليانة بدر، حفيظة محمد أحمد، مجلة فلسطينية نقدية، العدد (١٥٥)، ٢٠٠١م ص/١

(٤) (سماء واحدة) جديد الروائية الفسلطينية ليانة بدر، مريم احمد، تاريخ النشر، ٢٤ مارس ٢٠٠٨م منتديات ابن امسيك الثقافية.

(٥) دراسة في قصص الكاتبة الفلسطينية ليانة بدر، ص/١.

ثم كتبت مجموعتها الحكاية الجديدة بعنوان "سماء واحدة" وتم إطلاقها من دار الساقي في بيروت، بعد أن كتبت روايتها "شرفة على الفاكهاني"، تتحدث فيها عن وجود الفلسطينيين في لبنان. تضم هذه الرواية خمس عشرة قصة، إحداها تحمل اسم الرواية، وقد ورد معظمها عن الاجتياح الإسرائيلي لمدن الضفة الغربية ووضع حاجز بينها بعد الانتفاضة الثانية التي اندلعت عام ٢٠٠٠م[١].

وفي مجال الرواية كتبت ثلاث روايات هي: "بوصلة من أجل عباد الشمس" ١٩٧٩م، وهي أول رواية للمؤلفة نشرتها دار ابن رشد بيروت عام ١٩٧٩م، أي بعد تسع سنوات من مأساة أحداث الأردن عام ١٩٧٠م. الرواية الثانية للمؤلف رواية "عين المرآة" والتي نشرت عام ١٩٩١م. ثم نشرت روايتها الثالثة بعنوان "نجوم أريحا" في سنة ١٩٩٣م. أهديت هذه الرواية لوالدها وترجمت إلى الفرنسية والإنجليزية. وفي مجال الشعر نشرت مجموعة بعنوان "زنابق الضوء"، كما نشر لها كتاب "حوار مع الشاعرة فدوى طوقان"[٢].

كتبت مجموعات عديدة من القصص للأطفال، من أهمها مجموعة "رحلة في الألوان" التي نشرت سنة ١٩٨١م على دار الرواد ببيروت. ثم ظهرت لها بعض القصص مثل "فرانس يصنع بحرا" و "في المدرسة"، نشرت القصة الأولى عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ١٩٨١م، والثانية نشرتها دار الفتى العربي عام ١٩٨٣م من بيروت. في عام ٢٠٠٥م نشر مركز أوغاريت الثقافي قصة المؤلفة تحت عنوان "قطة لا تقول نياو" في رام الله[٣].

تمت ترجمة بعض قصصها إلى لغات أجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية وغيرها. عملت في تونس كرئيسة لقسم ثقافة الطفل في دائرة الثقافة الفلسطينية. أصدرت هناك ثمانية كتب تعنى بالفولكلور وحفظ الفطور حتى يتعرف الأطفال الفلسطينيون في الخارج على التفاصيل الصغيرة والجميلة لفولكلورهم كما أصدرت كتابًا كرتونيًا من تلك السلسلة، لأنه يرى أن الطفل الفلسطيني لا يستطيع التعايش مع أسرته دون إضافة خياله إلى المغامرة مع واقع

---

(١) سماء واحدة) جديد الروائية الفسلطينية ليانة بدر"، مريم احمد، تاريخ النشر، ٢٤ مارس ٢٠٠٨م.

(٢) أفلام أدبية ومخرجة فلسطينية ليانة بدر"، تحسين يقين، مجلة رؤية، ص: (٢)

(٣) مناقشة حول قصة ليانة بدر، "قطة لا تقول نياو"، جميل سلحوت، ندوة اليوم السابع في المسرح الوطني الفلسطيني، القدس. من منتديات رابطة أدباء الشام

الانتفاضة التي يمر بها. تشجع هذه السلسلة من الرسوم الكرتونية الأطفال على تكوين خيالهم بطريقة موجزة وأن يكونوا أبطالًا يدافعون عن بلادهم(١).

تُرجمت بعض أعمالها إلى اللغة الإنجليزية، وتم اختيار بعض قصصها لتكون ضمن مختارات القصة القصيرة الفلسطينية. الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي ليانا بدر قصة قصيرة تنشر في موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر والتي ظهرت باللغتين الإنجليزية عام ١٩٩١م وبالعربية عام ١٩٩٧م، وكانت ليانا واحدة من ثلاثة أدباء مثلوا صوت أنثوي في قسم القصة القصيرة، وتعتبر من أبرز الأصوات الروائية، ورد اسمها إلى جانب اسم الكاتبة الشهيرة سميرة عزام في موسوعة "مختارات القصة الفلسطينية القصيرة" الصادرة عن الثقافة قسم بالتعاون مع منظمة اليونسكو عام ١٩٩٠م. لذلك تعتبر ليانا بدر صوتًا أدبيًا في فلسطين لا يقتصر على نوع أدبي واحد، بل ينتقل بين الأنواع الأدبية المختلفة(٢).

إلى السينما والأفلام:

بعد إرث أدبي وتجربة حياتية، التفتت الكاتبة والروائية إلى عالم الأفلام، وحاولت تسجيل الألم والمعاناة التي يعيشها الناس في فلسطين في أفلام وثائقية، والتي تحولت بدورها إلى التصوير السينمائي، وشجعتها على ذلك. كانت لغة الإعلام والأفلام المرئية هي لغة العصر، واعتماد الجمهور على الفنون المرئية، وموقعها كمسؤولة عن الفنون في فلسطين من خلال وزارة الثقافة، الأمر الذي أتاح لها الفرصة لتطلع عليها، لذا ظهرت وفتحت قلبها للفن السينمائي، فبادرت بدعوة نادي السينما فى منتصف التسعينيات، ونسقت عددًا من المهرجانات السينمائية في فلسطين، وازداد حبها للسينما. بعد عودتها إلى الوطن، بادرت ليانا إلى تعلم كتابة السيناريو وفن الإخراج الوثائقي، لاكتساب مهارات التواصل مع الجمهور من خلال الأفلام. تكتسب الأفلام العمق لأنها مشتقة من التراث الثقافي الفكري، وهناك علاقة

---

(١) الأديبة والمخرجة الفلسطينية ليانة بدر التي أخرجت فيلما تحت القصف الإسرائيلي: أنحاز في رواياتي لأناس الشارع المغمورين الذين يبذلون كل التضحيات، أحمد خضر.

(٢) مقال بعنوان: "السرد ولغة السرد والنهاية في قصة (أرض من حجر وزعتر) لليانة بدر"، دز عادل الأسطة،

مباشرة بين النص والتوجيه والرواية والقصة سواء على مستوى السرد أو تقنيات العرض والتأخير والوصف والأحداث ورسم الشخصيات والحبكة والتشويق والفكرة والرسالة[١].

أفلام ليانة بدر:

بدأت مسيرة المخرجة ليانا بدر بفيلم "فدوى .. شاعرة من فلسطين" عام ١٩٩٠، وهو فيلم وثائقي طويل (٥٧ دقيقة). كتبت ليانا بدر سيناريو الفيلم، وأشرف نجلها الأكبر بشار عبد ربه على تطوير موسيقى الفيلم، وأشرف على المونتاج، وبحسب قيس الزبيدي، كان الفيلم عبارة عن رواية بصرية تحكي عن تجربة فدوى طوقان، وهي نادرة نادرة. امتدت لسبعة عقود، والتي تعتبر تجربة فدوى طوقان في اتصال وثيق ومميز بالتجربة الإبداعية العربية والفلسطينية، طوال هذه الفترة التي تمتد على مدى معظم القرن العشرين. في عام ٢٠٠١، أخرجت وكتبت سيناريو فيلم "زيتونات" الذي صوره عبد السلام شحادة، وتحريره أيضًا قيس الزبيدي، بينما قام بإعداد الموسيقى نجلها بشار عبد ربه.[٢].

ثم أخرجت فيلم "الطائر الأخضر" عام ٢٠٠٢، تصويره مؤنس زحالقة، وتحرير فيليب هازو، فيما رافقت مشاهد الفيلم موسيقى بشار عبد ربه.[٣].

ولاقى الفيلم ترحيبا وتحذيرا كبيرا من قبل العرب حيث تم تصويره في ظروف صعبة تحت القصف الإسرائيلي[٤]. وفي العام نفسه، مولت وزارة الثقافة والإعلام الفلسطينية وبدعم من الإمارات العربية المتحدة ومؤسسات أجنبية، تحويل إحدى قصصها إلى فيلم بعنوانين: "القدس في يوم آخر" و "زفاف رنا". . " اكتفت ليانا بدر بكتابة سيناريو الفيلم، في حين قال ابنها بشار عبد ربه إن الفيلم أخرجه هاني أبو أسعد، وفي عام ٢٠٠٣ أخرجت وكتبت سيناريو فيلم بعنوان "حصار"، وفي هذا هي لم تكتف بكتابة السيناريو وإخراج الفيلم، بل

---

(١) أفلام أدبية ومخرجة فلسطينية ليانة بدر"، تحسين يقين، مجلة رؤية، العدد (٢٩)

(٢) في تجربة الروائية ليانة بدر، بشار ابراهيم، آخر تحديث، الأحد ١٤ نوفمبر ٢٠١٠م، مكة المكرمة.

(٣) أفلام أدبية ومخرجة فلسطينية ليانة بدر، تحسين يقين، مجلة رؤية، العدد (٢٩)

(٤) الأدبية والمخرجة الفلسطينية ليانة بدر التي أخرجت فيلما تحت القصف الإسرائيلي: أنحاز في رواياتي لأناس الشارع المغمورين الذين يبذلون كل التضحيات، أحمد خضر.

قامت أيضًا بتصوير الفيلم، بينما وضع ابنها بشار الموسيقى. "فتح .. مغلق" كما يظهر من عنوانه يتحدث عن الحواجز الإسرائيلية[١].

حازت أفلام الكاتبة على العديد من الجوائز في عدد من المهرجانات الدولية، لكنها اشتهرت عند النقاد بأنها روائية وكاتبة أكثر من التصوير السينمائي لذلك لا تزال ليانا مرتبطة بالأدب وهي في عالم الأفلام، وتعطي الكلمة دورها والسرد دورها، وتضفي على المشاعر الرقيقة دورها، وتتأمل دورها، لذا فإن مشاهدة فيلم ليانا يشبه أيضًا قراءة كتاب وتثقيف القارئ وتنويره يجعله يسمع ويستمع إلى التجارب البشرية[٢].

صدر لها الروايات التالية

- "بوصلة من أجل عباد الشمس" عام ١٩٧٩م
- "عين المرآة" عام ١٩٩١م
- "نجوم أريحا" عام ١٩٩٣م

كما صدر لها عدة مجموعات قصصية هي

- "قصص الحب والمطاردة" عام ١٩٨٣م
- "شرفة على الفاكهاني" عام ١٩٨٣م
- "أنا أريد النهار" عام ١٩٨٥م
- "جحيم ذهني" عام ١٩٩٢م
- كما صدر لها ديوان شعر وحيد اسمه "زنابق الضوء"

رحلة في الألوان التي صدرت عن دار الرواد في بيروت عام ١٩٨١م، فراس يصنع بحرا عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر مع الورشة التجريبية العربية لكتب الأطفال في بيروت ١٩٨١م.

تحتل الأديبة ليانة بدر مكانة بارزة على ساحة الأدب النسائي فلسطينياً وعربياً، والتجارب التي أدخلها دائرة الضوء، نضجت وأبصرت النور في المنافي بين عمّان وبيروت

---

(١) الكاتبة ليانة بدر، من منتديات موقعة القصة السورية، تاريخ النشر، (٢١-١٠-٢٠٠٩)

(٢) أفلام أدبية ومخرجة فلسطينية ليانة بدر، تحسين يقين.

وتونس... قبل أن تعود أخيراً إلى مناطق الحكم الذاتي ساعية إلى المشاركة في تحقيق الحلم وفي وضع أساسات دولة فلسطينية، تنتمي ليانة بدر إلى أسرة مقدسة، أمضت طفولتها في أريحا قبل أن تنزح إلى عمّان في أعقاب هزيمة حزيران يوينو ١٩٦٧م، حيث حصلت دراستها الجامعية في مجالات الفلسفة وعلم النفس.(١)

عاشت في المنفى، صدرت له ثلاث روايات، وأربع مجموعات قصصية، وها أنتِ في كنف الوطن المشتهي.

نظرة شاملة في روايات ليانة بدر

كل كتابتي السابقة كانت عن الوطن أصلا، كما يتيهاً لنا، كان حالة سالبة ومفرغة من المعاني، لكن لو نظرنا إلى الأمور نظرة أكثر عمقاً، لوجدنا أن النفى هو جسر إلى الوطن الضائع ذي الرائحة النفاذة التي تشد البيت والدور والأهل".(٢)

الآن، بعدما عدت إلى وطني، أستطيع القول أنني لو كنت هنا لما استطعت أن أكتب "نجوم أريحا"، بدأت في كتابة هذه الرواية إثر حالة حادة من الحنين والخيبات والإحباط، عشقها في أثناء حرب الخليج، في تلك الأيام كنت أكتب رواية عن وجود الفلسطينيين في لبنان، منذ زيارة السادات وحتّى حرب بيروت، كتتمة لرواية "عين المرآة" التي تحدثت عن الحرب الأهلية من ١٩٧٣م إلى ١٩٧٦م. كان لدي طموح لكتابة التاريخ الفلسطيني أدبياً، وهو ما بدأته ب"بوصلة من أجل عبّاد الشمس" التي تفتتح المرحلة الرومانسية من خلال بوادر المقاومة الأولى، والحماسة المشتغلة، والكفاح المسلح، وأتوقّف في الرواية عند .... لبنان، جيث الدرما والإبادة والكفاح من أجل البقاء، وصولاً إلى حرب بيروت التي كنت أعتقد أنها آخر الحروب العربية.

لكن حرب الخليج جعلتني أشعر بأزمة شديدة، ربما تكون أزمة وجودية، لأن الوجود الإنساني صار منبثقاً من دوامة الحروب، لم يعد من مفر سوى المواجهة والحروب المستمرة. فمنذ بداية الانتفاضة، حيث قويت العزة الوطنية، وتجذرت العلاقة بالأرض، لم اصب يصدمة في مفاهيمي الفكرية وقناعاتي، كما حدث في حرب الخليج. إذ تحولت أحلام

---

(١) المصدر السابق، ص/٦٧.

(٢) الوسط، يومية سياسية مستقلة، العدد ٧٥٧، الأربعاء، ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م.

الوحدة العربية، وتطلعات المصير المشترك هباء، وصار لزاماً عليّ الخروج من حائط المبكى باتجاه الأرض الأولى، والسماء الأولى، والجذور الأولى، لذلك عملت على مشروع كنت أحلم به دائماً، هو الكتابة عن مدينة أريحا روائياً، كنت قطعت شوطاً لا بأس به في الرواية التي سبقتها، إلا أنني تركتها، لأن العمل لا يفرض نفسه إلا إذا امتلك مقومات وجوده، كما تقول الناقدة خالد سعيد، وهكذا تشجعت وعملت على "نجوم أريحا".(١)

أردت أن أبدا في خلق المكان الذي كنت تركته لفترة تزيد على خمس وعشرين سنة، ولذلك عدت إلى الأساطير القديمة بحثاً عن قصص الخلق الأولى، وفتشت في الكتب العربية القديمة والتراثية عن طبيعة النظرة إلى المكان، وفيما بعد بحثت عن معنى الزمن، لكي استطيع أن أكتب عن مكان غادرته كل تلك الأعوام، في "نجوم أريحا" ليس من زمن، بل عناصر للخلق. هناك العناصر الأولى: البلور، والاحجار، والنجوم، وجعلت من أهل البلدة فريقاً كاملاً يدخل في هذه الرواية، وأدخلت نفسي وعائلتي معهم، لقد كان عملاً أدبياً من أجل استعادة الثقة بالنفس والعالم، ولذلك أحسست بها كنسمة منعشة في ذلك الهجيرة العام الذي عشته في أعقاب حرب الخليج.(٢)

وعندما رجعت إلى أريحا الصيف الماضي، بعد اتفاق اوسلو، وجدتها مخربة ومهملة ووجدت أن البيوت القديمة الصنوعة من اللبن والطين، وبأسلوب خاص بذلك المكان عبر التاريخ، كانت مهدمة حتى إن ركامها لا يزال في مكان، ووجدت أن مساحة الاخضرار تقلّصت فيها إلى رقعة صغيرة بسبب ظروف الاحتلال وتهجير السكان ومنع التجول خلال الانتفاضة حتى إن عشرات البساتين التي كانت معبأة بالورد الجوري والياسمين البلدي اختفت نهائياً، تضاءلت أريحا إلى شكل قزمي، قياسا إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال.

وعلى رغم أن السماوات ونجوم الليل فيها لا تزال كما هي، إلا أنني أعرف تماماً أنني لو كنت أعيش هنا لما استطعت أن أكتب عنها بتلك التفاصيل والجزئيات الدقيقة المنتزعة من صميم الحياة الأولى، ربما كان المنفى هو الذاكرة، ولكنني أعتقد انني على مستوى حياتي الشخصية شبعت منه، وصرت أكثر حاجة للانتماء إلى مكان كان مفقوداً على

---

(١) المصدر السابق، ص/٤٦.

(٢) المصدر السابق ، ص/٦٣.

الدوام بالنسبة إليّ، ولن أنسي تلك الفرصة الأدبية المذهلة التي أتيحت لى، ككاتبة، من خلال العودة إلى داخل الوطن، كنت دائماً أعود إلى تلك الأرض عبر الاحلام، وهنا أنا أعود إليها الآن في الحقيقة.

أعاني كل شرور الاحتلال، مثل غيري من المواطنين، تظل أبصاري معلقة على منازلهم المتنقلة التي يسطون بها على الأرض ويستوطنونها رغماً عنا يصولون ويجولون في شوارعنا، ويتعاملون معنا كأننا عبيد نعمل في أسواقهم، لا أكثر، ومع ذلك أشعر أنني أكثر حرة هنا.(١)

تتجه أشواقي الآن نحو ما هو أرسخ وأعظم، فأنا لم أعد بحاجة إلى مشاهدة الأرض وحدها، يتركز طموحي على بناء الإنسان الفلسطيني المتكامل، سنوات الاحتلال الطويلة شوّهت حياتنا الاجتماعية وألفت باعبائها الثقيلة على احساسنا بالحياة وإنتماء إلى هذا العصر، وإلى تعدد الرؤيا والحضارات.

أول شيء لاحظته عندما جئت إلى هنا، هو أن الناس فقدوا عادة التجمع لمشاهدة فيلم أو سماع محاضرة أو حضور أمسية شعرية أو مناقشة كتاب، لم يعد الجمهور هناك يهتم إلا بعناصر الحياة الأساسية كالمأكل والمشرب، ذلك بسبب حالة الغلاء الرهيبة، والناس فقدوا انتماءهم المباشر إلى غنى الثقافة العربية الحديثة، لأن الكتب ممنوعة من الدخول منذ أعوام طويلة، وكذلك الدوريات والمجلات التي تصدر متنوعة وخاصة في العالم العربي، كما أنهم لا يتمتعون بأية فرصة للتعبير عن آرائهم واحساسهم بالأشياء.(٢)

أقامت إسرائيل سجوناً نفسية، وشوّهت نمط حياة الفلسطيني، وبذلك انحصرت حياة المواطنين في أساسيات البقاء الأولى فقط، وفيما نجد أن إسرائيل حافلة بتنوعات الثقافة الغربية، وبمئات المتاحف المسروقة من أرضنا، وبعشرات المتنزهات الطبيعية، لا نجد المواطن الفلسطيني يحصل على شيء سوى البحث عن السلامة الأساسية ولقمة العيش. إن أحلامي الآن هي فتح هذه الفسحة الضيقة، وفتح آفاق ثقافية جديدة لكي يتنفس الجيل الجديد الذي لم ير في حياته شيئاً سوى جحيم المتحلين في مرحلة الانتفاضة.

---

(١) الوسط، يومية سياسية مستقلة، العدد ٧٥٧، الأربعاء ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م.

(٢) المصدر السابق، ص/٧٨.

اخترت أن أعمل كمديرة لقسم الإنتاج السمعي والبصري في وزارة الثقافة الفلسطينية، لكي أحاول المساهمة في ترسيخ الممارسة الثقافية وتقاليدها لدى مواطنين مصابين بحالة من التضييق ويعانون من الحصار المضروب على المخيّلة، أحلامي صارت أكثر تجذراً في الواقع العام، لأنني أعرف ان هذا الواقع سوف يعطيني مادة خاصة جداً للكتابة، فإذا كنت استطعت ان اكتب عن الحياة في المنافي، وعن الحصار خارج الوطن، فكيف لا أكتب بشكل أنضج وأعمق وأكثر تماسكاً الآن وقد أصبحت في المواقع الأمامية؟ الوطن يتمتع بغنى اجتماعي يفيد الكاتب أكثر من كل ما تقدّمه المنافي.(١)

منذ يوم الدخول الأول في ١٩ تموز يوليو ١٩٩٤، بدأت أكتب ملاحظاتي وانطباعاتي عن الوطن، وربما تمخّضت الملاحظات عن كتاب يكون بمثابة شقيق ل "نجوم أريحا"، حيث الكاتب يذهب إلى موقع الغياب، لكي يتأمل ما بنته الذاكرة، ولكي يرى ما أنتجته يداه من وراء الستار، ولكي يقف على المسرح بنفسه، مشيراً إلى أشياء العالم أن تتمهل وتقف كي يقارنها مع النص.

أردت في مجموعة "جحيم ذهبي" أن أجد القاسم المشترك الأعظم بين منافٍ متعددة، ووجدت ان التقديم الحثيث والمباشر صوب هذا الهدف سيجعلني أطرح ما أريده، دونما تردد، لذلك لم الجأ إلى تعدد الشخصيات في تلك القصص، وإنما لجأت إلى شخصية واحدة مع تعدد المنافي، فهذا وحده يسهل اكتشاف مفارقات المكان وسخرية هذه المفارقات، كما أنني اردت ان اجعل المجموعة دليلاً إلى سخرية من نوع جديد، ولا تنبثق هذه السخرية إلا عن شخصية واحدة يمكن لها أن تحمل عبئها.

عاش الفلسطينيون حياة مريرة ومليئة بالمآسي والمجازر، بحيث صار من الصعب أن يسمح المحيط المكاني بتعدد الشخصيات، أضف إلى ذلك أن الناس، في المنفى، مشبعون بالحزن والرصانة، وليس ذلك إلا جزءاً من شخصية الكاتب أو الكاتبة الذي يستطيع أن يحدق في الأمور ليراها في قوالب أخرى قد تجلب الهم والقلق والزعزعة للمواطن العادي.(٢)

---

(١) الوسط، يومية سياسية مستقلة، العدد ٧٥٧، الأربعاء ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م.

(٢) مختارات من القصة القصيرة الفلسطينية، محمود شقير، أمانة عمان الكبرى، عمان ٢٠٠٢.

في تلك المجموعة اخترت عناوين مفردة للقصص من دون أل التعريف: مطار، بحر، حرب، لقاء، وهي أسماء غاضمة لأماكن بلا هوية، يجوبها مسافر منفي لا ينتمي إلى مكانه الأصلي، ربما لهذا كتب الياس خوري على غلاف المجموعة: "ان الأماكن المذكورة تحيل إلى أمكنة أخرى في الذاكرة".

ليس هناك أدب إسرائيلي أصلا، لأن إسرائيل رفعة سياسية وكيان عسكري، وهي تخلو من التاريخ والحضارة التي يعيشها العالم العربي منذ آلاف السنين، إن إسرائيل دولة حديثة ذات كيان تكنولوجي، وتتجسد أساطيرها الأدبية في شتات اليهود خلال الزمن التوراتي، وفي معاناة " الهولوكست" خلال زمن هتلر، بل ان العبرية لم تكن لغة حية، ولم تستخدم إلا لهدف سياسي، لذلك لا اظن ان هناك مشكلة تنافس بيننا على الصعيدين الادبي والثقافي.(١)

إنها مشكلة ذات بعد سياسي بالدرجة الأولى، واعتقد ان الحوار مع المثقفين الإسرائيليين ممكن إذا اخلصوا لانسانيتهم، وعملوا ضد حكوماتهم التي تستوطن أراضينا وتسرقها يومياً، في الوقت نفسه لا أجد معنى للجلوس مع كاتب إسرائيلي يؤيد حكومته، ويتمتع بكل الرفاه الاجتماعي والحياتي على حساب سرقة شعبي وعلى حساب بؤس أهلي، فإذا ارادوا أن ينتبهوا إلى انفسهم وإلى غربتهم عن المنطقة، وأرادوا الحوار مع السكان الاصليين دون ان يقوموا بدور الغزاة والمستعمرين، فهذا شيء مختلف... شرط ألا ينظروا إلينا بعد ذلك كما ينظر "راعي البقر" إلى الهنود الحمر.

أنا في غاية الشوق إلى اكتشاف الامكانات الحقيقية للشعر الفلسطيني على أرضه بعيداً عن الشعارات والمزايدات، من أوهام المنفي إلى "نجوم أريحا" الأدبية ليانة بدر ل "الوسط": ارتحنا من أدب الشعارات الذي يتمطى وراء المخيم.(٢)

المرأة الجديدة في روايات ليانة بدر

في الصور المتعددة نجد ملامح وشكل المرأة الجديدة، التي ولدت في العصر الحالي بتناقضاتها وتنوع مشاكلها، أنها ليست من جدات شكلت حياتهن القدرية، لذلك عدد

---

(١) المقالات والتعليمات، محمود شقير، المنشورة في موقع الحبهة، ٢٠١٢/٩/٨.

(٢) الوسط، يومية سياسية مستقلة، العدد ٧٥٧، الأربعاء ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م.

الأبناء تحدده الطبيعة، وإمكانية العمل متاحة فقط داخل المنزل، والوصول إلى المال والقدرة على القراءة أو التعلم لا يصلح إلا للأثرياء فيهم. المرأة الجديدة التي ينتمي إليها الجيل الحالي من النساء هي امرأة تعاملت مع تكنولوجيا القرن العشرين، حتى تتمكن من التحكم في ظروف حياتها إلى حد ما، هي امرأة تقرأ الصحف وتتابع أخبار الإذاعة والتلفزيون، هي عاملة خارج المنزل ومساهمة فعالة في التنشئة الروحية والثقافية لأطفالها. هذه المرأة الجديدة التي قاتلت في النضال الوطني في العالم بشكل عام، وعلى المستوى الفلسطيني بشكل خاص، تعرف ما لديها من قدرات، وتعي حقها في إدراك أهمية وجودها وحضورها على الصعيد الاجتماعي والنضالي والعراقي والمستوى السياسي، لكنها في نفس الوقت تعيش التخلف، والتحيز السابق الذي تفرضه العادات والتقاليد على المرأة، فنجد المرأة ممزقة بين العمل والكسل، بين العطاء والحجم، بين المثابرة والتعلق بالماضي، لأنه يجسد الجسر بين جيلين مختلفين من النساء، فهي امرأة المستقبل والرجل يشاركه تطلعاته الإنسانية وتطلعاته للتحرر الوطني والشخصي، لكنها في الوقت نفسه لا تتمتع بحرية أكبر بكثير من نساء السابق. توليد لديها فقط إمكانية العطاء الدائم، فهي مقاتلة، عاملة، ربة منزل وموظفة، لكن كلماتها ضائعة وغائبة، ولن يهتم أحد بسماعها كما يحدث في المجتمعات التي لا تعطي الحق من التعبير إلا للرجل في المقام الأول، فنجد أن المرأة تمشي من العكس إلى الحداد، فهي رفض وتحدي، وهي قوية وواثقة لا تدوم رجولتها طويلاً لأن معظم ما تواجهه يكسر قوتها. . أنا أتحدث عن المرأة الفلسطينية التي ألهمت النضال ثم عادت بجرة قلم إلى بيوتها. يوجد الكثير في مجتمعنا الفلسطيني، لكني لا أتطرق إلى مثال في دولة مستقرة، بل أنا ألاحظ وأتابع هذا الصراع المرير الدائر بين الماضي والمستقل، بين الحي الذي أعيش فيه قديمًا ونساء المستقبل وصانعي أوطانهم المستقبلية، وككاتبة لست راضيةً عن المراقبة بمفردي، بل أعبر عن تعاطفي بأمثلة لهؤلاء النساء، عائشة في "عيون المرآة"، هناء، وخزنة في الرواية نفسها، و لن يجد المرء اليقين أو الهدوء بينهم على الإطلاق، ولا حتى في بطلات بقية القصص أو الروايات التي كتبتها، وآخرها نجوم أريحا.(١)

(١) الوسط، يومية سياسية مستقلة، العدد ٧٥٧، الأربعاء ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م.

ظلت الحديقة وبذرة البرتقال الرمز الفلسطيني للوطن المسروق في معظم الأعمال الإبداعية الفلسطينية. لكن البعض رفض هذا الرمز لأن البيارات كانت ملكاً للأغنياء الذين باعوا وهجروا، في حين أن الفقراء الذين دافعوا وقاتلوا وشردوا وقاتلوا لهم الحق في التحدث عنها و هي الذاكرة.

لا تكمن المشكلة في المواضيع التي نتعامل معها أو الرموز التي نعمل عليها، فقد يحدث أن يرسم كل الفنانين منذ بداية الفن الطبيعي، لكننا نتذكر فقط بعد فان جوخ أو سيزان، على سبيل المثال، المفردات الأدبية مفتوحة أمام الجميع، ولكن المهم هو طريقة العمل عليه، أي جودة أدوات الصناعة وصدقها في نفس الوقت.

عندما أتحدث عن حديقة أو بذرة برتقال حقيقية احتفظت بها لأكثر من شهر في الثلاجة لأني أعلم أنها من يافا أو أشدود حيث يوجد بستان جدي، فلا يمكنني تقشيرها أو أكلها لأنني أعلم أن الكلمة الكاذبة المكتوبة عليها من تصدير بلد لم يتم تأسيسه إلا قبل عقود قليلة، وقد تم تأسيسه على حسابنا بقوة الاستبداد وإبادة أهل المكان، هل يمكنني تذوق ذلك الحقيقي؟ الفاكهة التي تحمل الاسم المستعار؟ أعتقد أن خصوصية رمز التحقق من المشاعر هو ما يجعله مادة أدبية حقيقية بعيدًا عن التكرار والإسهال.

كتابة القصة القصيرة لى، أو القصة الطويلة كما في "شرفة على الفاكهاني" أو الرواية تخضع لنوع الموضوع، أي إذا كانت تلك القصة تستند إلى تقديم لمحة أو شريحة من الحياة، أو إذا اللمحة لا تكفي وبعدها أكتب الرواية وهذا موضوع بسبب ظروف حياتي فبعد نشر "بوصلة عباد الشمس" في بيروت عام ١٩٧٩م بدأت بكتابة رواية تتحدث عن الحياة في المنطقة الغربية بيروت، وعندما أنجزت جانبًا جيدًا، شنت إسرائيل غارة انتقامية واسعة النطاق على منطقة جاخاني وقتل عشرات المدنيين، هدمت عشرات المباني بالكامل و تحولت المنطقة إلى مشهد دمار يذكرنا بهيروشيما، ولم أستطع إكمال الرواية، وكتبت "بلكونة على الأخاني". وبعد ذلك عندما انتقلت إلى بلد عربي آخر ثم إلى دولة أخرى، لم تكن هناك فرصة كافية لما يمكن أن أنجزه، لذلك واصلت كتابة القصص، ولم أتخل عن مشروع تلك الرواية الذي توقف يوم إبادة حي الفخاني، ورغم أنني أصدرت بعد ذلك روايتين وعدة مجموعات قصصية، إلا أنني ما زلت أتطلع إلى تحقيق تلك الرواية، وقد يكون من السخرية من القدر أن أواصل

العمل عليها بعد نشر "عين المرآة". لكن صعود الخليج أدخلني في أزمة هوية والبحث عن موقعي كمواطن على الخريطة الجديدة، لذلك توقف عملي عليها مرة أخرى من أجل الكتابة "نجوم أريحا".(١)

الذي يندفع إلى بطولة وهمية ذات ثمن غال كخطف الطائرات، وقد احترمته كإنسان، إلا أنني أدنت وجهة نظره وممارساته، رغم تعاطفي مع آلام تكونية المقتلع من أرضه، فرأيي أننا كفلسطينيين بشر عاديون لنا أحقيتنا في حياة كريمة وحرة ومتميزة، ولكن اقتلاعنا من أرضنا يصيبنا بتشوهات حياتية تحرمنا من صواب الاختيار أحياناً، لكن هذه العمليات وليدة مرحلة من المواجهة بين العملاقين في العالم وكل ضحاياها من قاموا بها.

القصص للأطفال

لها العديد من القصص للأطفال وقد ترجم البعض منها إلى اللغات الأجنبية كالإنجليزية والفرنسية، ولم تنقطع عن الكتابة للأطفال يوماً حتى كانت تعمل في تونس كرئيسة لقسم ثقافة الطفل في دائرة الثقافة الفلسطينية، ونشرت هناك ثمانية كتب تتناول التراث الشعبي والحفاظ على الفولكلور، ومن بين هذه الكتب أشياء سرية ورسومات لباس أمي، من خلال الرسم والتلوين حتى يتعرف الأطفال الفلسطينيون في الخارج على التفاصيل الصغيرة. الجمالي هو فولكلورهم، كما أنها أصدرت كتاب رسوم متحركة من تلك السلسلة لأنني وجدت أن الطفل الفلسطيني لا يستطيع التعايش مع أسرته دون أن يضيف له خياله نوعية المغامرة على واقع الانتفاضة التي مر بها هذه السلسلة من الرسوم الكرتونية تجعل الأطفال أبطالًا في الرسم وتشكل مخيلاتهم بأسلوب إيجابي.(٢)

من الصعوبة أن أبقي أسجل الحكايات القديمة عبر الروايات الأدبية، نيلة القاسم ذلك أن هذا اللون من الكتابة يحتاج إلى شيء من الاسترخاء وهدوء الأعصاب وهو ما لا يوفره إيقاع الحياة اليومية المتسارع داخل فلسطين اليوم، لا بد من التعميق في دراسة الأدب الشعبي والترث الفلكلوري والتاريخي، وهذا لا توفره الأجواء الصاخبة، وجنازير الدبابات التي تعيد احتلال المدن لذا لا بد من تسجيل وقائع الحياة اليومية عبر أفلام تسجيلية، وبدأت في

---

(١) الوسط، يومية سياسية مستقلة، العدد ٧٥٧، الأربعاء ١٦ سبتمبر ٢٠٠١م.

(٢) موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، الجيوسي، ص/ ١٥.

عمل الأفلام التي تحمل صورة الفلسطينين للعالم مثل فيلم عن الشاعرة الفلسطينية الكبيرة فدوى طوقان، أو علاقة النسوة الفلسطينيات مع أشجار الزيتون في فيلم زيتونيات، حيث كانت معجبةً به وخائفةً عليه في الوقت نفسه، لقد صورت حياة الأطفال في فلسطين بصورة يومية صادقة واقعية بعيداً عن المبالغة والخيال.

حيث يمكن كم خلالها الاطلاع على نمط حياتهم وآرائهم وتفاصيل أفكارهم ومجتمعهم، وفي المقابل لا أحد في إسرائيل يعرف شيئاً عن الأدب العربي، لأن تكوين الدولة الصغرى لديهم لا يسمح بوصف واستجلاء صورة الآخر الذي هو نحن، كل ما يقال عن التطبع في نظرهم له مغزى، وهو استخدام صورتهم التأثير علينا، وإطالة استعبادنا داخل هذا الاحتلال، لكن هذا لا يعني عدم وجود كتاب أفراد عندهم لديهم نزعة إنسانية وليبرالية عالية، ويعلمون بكل قواهم إزالة هذا الاحتلال البغيض الذي يوصم دولتهم بالفاشية، هناك مثلاً ديفيد غروسمان الذي ألف كتاب (الزمن الأصغر) والأمثلة كثيرة أخرى من منطلق إنساني حيث الإيمان بحق الفلسطيني في دولته وفي كرامته الوطنية.

نظرة على قصص ليانا بدر ورواياتها تكشف لنا قدرًا لا بأس به من تفاصيل هذا الشريط الطويل من الحياة غير المستقرة التي أحبتها الكاتبة، حتى بقي همها العام همها الرئيسي، دون أن تترك همها الخاص، لكنها كانت قادرة على ذلك. خلط الشاغلين معًا بطريقة مقنعة في كثير من الحالات، واللغة الشعرية التي تهتم بها بدر بعناية كبيرة هي اللغة التي لم تكن لدينا منذ روايتها الأولى "بوصلة عباد الشمس" التي تأخذ قصصها و حكايات مناخات جديدة، غائب عنها الشعار المباشر، حاضرة بالحبس الإنساني الدقيق، والرؤية الفكرية الصحيحة. (١)

لعل وقفة في "نجوم أريحا" تسلط الضوء على ما نقوله، حيث تتحدث الرواية عن الوطن من مكان المنفى، ولا تتحدث عن المنفى إلا بقدر ما يسهم في إثارة الشوق الوشيك للوطن، وحيث تأخذ من مدينة أريحا بكل معانيها من حيث الجغرافيا والناس وأنماط السلوك والحياة، ومن الطبيعة والطقس والغطاء النباتي الذي تدور حوله رؤى الكتاب وتطلعاتهم،

---

(١) موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، الجيوسي،. ص/ ١١.

تتمحور التطلعات والحاجة للوطن من خلال رصدها المتقاطع للتفاصيل الحميمة، وتصويرها للأماكن والأشخاص بأسلوب مميز وحسن الصنع.

بالإضافة إلى تقديم صورة أريحا بأشجارها وسكانها، وكذلك القدس، بأزقتها وأسواقها ومقدساتها وشوارعها ومنازلها، كانت الرواية مليئة بالمناظر الجميلة، ولمحات ذكية زادت من أناقتها، و الثقافة التي تم بثها بشكل مناسب في الرواية وبدون زيادة أو ذكاء، مما جعل الرواية بالإضافة إلى مستواها التقني المتقدم، تتضمن بعدًا معرفيًا يتطلب من يقرؤها بذل جهد ملموس لمعرفة تفاصيلها، من أجل تحقيق متعة القراءة بالتأكيد.

الاحتفاء بالمكان

لعل الاحتفال بالمكان ركيزة بارزة في قصص ليانا بدر ورواياتها، وعندما تكتب للأطفال لا تنسى المكان، يكون حضوره ملموسًا في غير إحدى قصصها. ولعل أبرز مثال على ذلك كتابها "رحلة الطائر الجميل" الذي خصص للاحتفال بمدينة أريحا بتداعياتها إنجازات معمارية وثقافية حديثة واهتمام بالطبيعة بالأشجار والطيور بمختلف أشكالها وألوانها، وهي مكتوبة بلغة جميلة سهلة مليئة بالمشاعر والاقتراحات.

من أجل وضع مكانتها الفلسطينية في إطار أكثر شمولاً، فهي تسمح لبطلة قصتها بالنظر إلى القمر لإضفاء أوصاف حسية عليه، واللجوء إلى استخدام الفعل المضارع لإعطاء المشهد طابعًا حاضرًا، كما لو القمر أمام أعيننا الآن، ثم تنتقل عبر المضارع أيضًا للتعبير عن حرصها الشديد على زيارة أريحا، وهذه الزيارة تعني أن يذهب إلى قصر هشام ليرى "الأرضية الملونة للفسيفساء، حيث تظهر شجرة برتقالية محملة بالفاكهة، ومن حولها تطارد الغزلان من قبل الحيوانات المفترسة "، وحيث" النجمة منتصبة في فناء القصر "، وهناك يعيدنا الكاتب إلى الإطار الأشمل عندما فاجأنا بقوله إن ليلى" تحب " النجوم الساطعة في سماء أريحا ليلا "أكثر مما تحب نجمة القصر.

في قصص أخرى كتبت ليانا بدر للأطفال نلاحظ اهتماماً بالحيوانات والقيم التربوية الحديثة في نفس الوقت. في قصة "Niao Doesn't Say"، يقدم الكتاب درسًا تعليميًا يتم فيه تشجيع الأطفال على أن يكونوا لطفاء مع الحيوانات وأن يقولوا "لا" إذا لم يعجبهم ما يُفرض عليهم، والاستفادة من هذا جزء من المصير الذي تعرضت له القطة في قصتها لأنها

لا تستطيع الاحتجاج. اختفت القطة التي اقتناها عمار وهند رغم حرصهما عليها، وتوقعوا تعرضها للأذى لأنها صوتتها ولا تستطيع التعبير عن نفسها، أما عمار وهند فلديهما القدرة على قول: "لا"، لمواجهة الخوف، وتكون القدرة على التعبير عن الذات والقدرة على رفض الأخطاء.

مثلما تعتبر رعاية الحيوان ذات أهمية مؤكدة في تنشئة الأطفال، كذلك فإن العلاقة الإيجابية مع الطبيعة لها تأثيرها الفعال أيضًا، والاستمتاع بجمال الطبيعة والحفاظ على البيئة وتوفير جميع الظروف التي تمنحنا وضعًا نظيفًا يساهم في خلق جيل من الأطفال قادرين على حب الحياة والتسامح، وبعيدين عن ميول العنف والكراهية داخل المجتمع نفسه، وفي هذا السياق نتأمل قصة "زهرة الثلج الحمراء" بقلم ليانا بدر حيث تهب رياح صحراوية تدمر الحقول والأشجار، وهناك من هاجر من القرية ومن بقي فيها، مشيرة إلى أن الصحراء مكان غامض وواسع وفضولي، ولم تظهر إلا بشكل متناثر في قصصنا مكتوب للأطفال.[١]

ينصح المزارع غسان أهالي القرية بإحضار زهرة الثلج الحمراء في واحة في قلب الصحراء، لإنقاذ الأرض من زحف الرمال. اختاروا أربعة شباب: القوي، الشجاع، الأذكياء، والعامل، كل واحد منهم يسير في طريقه. الثلاثة يفشلون في عبور الصحراء والتوقف عن إكمال الرحلة. يوسف، العامل الفقير، ينجح في مهمة ويجلب زهرة الثلج الحمراء التي تعيد الخضرة والحياة إلى القرية.

أما سبب تمكن يوسف من إنجاز المهمة الصعبة بينما فشل زملائه الآخرين في إنجازها فذلك يرجع إلى حقيقة أن يوسف كان على علاقة دائمة بالأرض والعمل والزراعة، ولم تكن قيامه الرحلة تهدف في تحقيق المجد الشخصي كما كان الحال مع زملائه بل لخدمة الناس وإنقاذهم، وكان هذا الهدف الأخير هو أكبر حافز له لتحمل الصعوبات.

ليانا بدر لها قصة أخرى وهي "القطة الصغيرة"، وفيها احتفال بالطبيعة وبعض مظاهرها، حيث يتمسك القطة بالشمس وتحاول أن تمسك بالنار مثل الشمس ولا يمكن الإمساك بها.[٢]

---

(١) أنطولوجيا القصة الفلسطينية، اليونسكو، عمان دار الكرمل، ١٩٩٠.

(٢) القصة القصيرة الفلسطينية ميلادها وتطورها، الفاعور، ص/١٢٤.

صوت أدبي فلسطيني

ليانا، إذن، صوت أدبي فلسطيني له حضوره، صوت ظل حاضرًا منذ نهاية السبعينيات، عندما بدأت في كتابة الروايات وقصص الأطفال، صوت لم يقتصر على نوع أدبي واحد، بل انتقل بين أكثر من جنس واحد، وإذا لم تفشل الذاكرة، فقد أنتجت أيضًا مجموعة شعرية. تكتب ليانا عن تجربتها المكتوبة:

"أكتب لأقهر فقدان الطمأنينة الذي أحسّه خارج الوطن في حين أن معظم عائلتي وأهلي مازالوا يعيشون في الضفة الغربية من الأرض المحتلة. وأكتب لكي أدُبَّ البصر والبصيرة على كل ما يمر بي وما شاهدته، ما يهمني بشكل خاص هو وضع المرأة الفلسطينية في النفي، وعلاقتها بالعالم الجديد خارجاً، تدور رواتي "بوصلة من أجل" و "عباد الشمس" و مجموعات قصصي حول معاناة النساء والمنفيين ومحاولتهم للحفاظ على ذاكراتهم المرتبطة بالوطن والانتماء."(١)

يمكن القول أن قصتها المذكورة في الموسوعتين تكشف عما ذهبت إليه، فكلاهما ترويها امرأة فلسطينية تروي قصة "أريد النهار"، امرأة متحررة مرتبطة بالثورة الفلسطينية. لتوضيح موقفها من الرجل والرجل الثوري على وجه الخصوص، وفضح سلوك معظمهم في موقفهم تجاه المرأة. حكاية "أرض من الحجر والزعتر" زوجة مقاتل جمعة استشهدت عام ١٩٨١ نتيجة القصف الجوي الإسرائيلي على القواعد الفدائية في لبنان، وكان أحمد الشهيد مقاتلاً بسيطاً تزوج من رجل بسيط. يسرى التي تحكي القصة بالنظر إلى الاختلاف بين يسرى وبطلة القصة الأولى، نلاحظ أن هناك فرقًا أظهر نظرة كل واحدة للرجل، ورغم ظهور النموذج النسوي في قصة سميرة عزام التي اختارتها سلمى الخضراء الجيوسي، وهي قصة "خبز الفداء"، ورغم أنها ظهرت أيضًا في نجوى. قصة قعوار فرح "وسام الحزين"، لكن تمثيل ليانا بدر في الموسوعين أفضل، فقد اخترت سميرة في الموسوعة الثانية قصة "فلسطيني"، وبالتالي فإن القصتين اللتين اختيرت لها تعبران عن وطنية إنسانية قلقون أكثر مما يعبرون عن قلق المرأة ومكانتها كما عبر عنها المشروع، ونعلم أن سميرة عزام لم تشر في كتاباتها في الموضوع الوطني.

---

(١) مختارات من القصة القصيرة الفلسطينية، ص/٢٥.

ولوم المرأة وقصصها لها حضور بارز في قصصها، ويمكنني أن أذكر هنا قصة "السعر" من المجموعة "وقصص أخرى".

وإذا كانت هناك أصوات أدبية نسوية بدأت بالظهور في الثمانينيات، في الفصل الخاص بالقصة القصيرة، مثل ليلى الأطرش، وإلهام أبو غزالة، وإيمان بصير، وغيرهن، فإنهم لم يقدموا حتى الآن منتجًا أدبيًا يتجاوز ما قدمت سميرة وليانا ونجوى، رغم أن ليلى الأطرش تقترب في إخراجها من موقع منهم.

سأتناول في هذا المقال قصة ليانا التي اختارتها سلمى الخضراء الجيوسي، وهي قصة "أرض من الحجر والزعتر"، وسأركز على جانبين منها وهما اللغة والزعتر. السرد، وإذا جئت لفترة وجيزة، في جوانب أخرى. (١)

"أرض من حجر وزعتر" ليست قصة شخصية أو حدث أو قصة فكرة بقدر ما هي قصة شعب فلسطين في لبنان. وبالفعل نتعرف على يسرا وعائلتها وأحمد وتاريخه وأحداث حصار مخيم تل الزعتر عام ١٩٧٦ إلا أن ما تقوله القصة وفي النهاية وأكثر مما تقول عنه الشخصيات والأحداث، تقول عن هذا في مكان محدد، في لبنان في السبعينيات، وربما لهذا اختارت ليانا بدر لقب "أرض من حجر وزعتر" عنوانًا لقصتيهما ولم تختر آخر العنوان "مأساة المرأة الفلسطينية" أو "مأساة يسرى"، القصة تقول أكثر من مأساة إنسان، فهي تأتي بعد مأساة شعب في مكان، مأساة فلسطينيي لبنان، وتشرح ليانا ذلك في روايتها الثانية" عين المرأة ". "العنوان يناقض عنوان قصيدة محمود درويش" أحمد الزعتر"، حتى يتساءل المرء إذا كان تأثير القصيدة على الكاتبة الكبيرة لدرجة أنها وصلت إلى قوتها لدرجة جعلتها تختار عنوانا شعريا. من مأساة ومحتوى رواه امرأة بلغة غير شعرية، ولم تكتف الكاتبة بهذا التناص، وقصتها المكونة من القصيدة المذكورة سطرين.(٢)

لا شك أن القصة أكثر من قصة قصيرة. إذا كان هذا يدور حول شخصية مركزية وفترة زمنية قصيرة ومحددة، فإن "أرض الحجر والزعتر" تركز على شخصيتين مركزيتين وتستغرق فترة زمنية طويلة تقترب من خمس سنوات. لكن القصة نجحت في تحقيق مبدأ مهم من

---

(١) مختارات من القصة القصيرة الفلسطينية، ص/١١.

(٢) القصة القصيرة في الأردن وفلسطين، هاشم ياغي، ص/١٣٤.

مبادئها وهو "وحدة الانطباع"، والانطباع الذي يحصل عليه المرء بعد الانتهاء من قراءة القصة هو "ما حدث لأهالي مخيم تل الزعتر في لبنان. : قتل ودمار وتشريد ".

السرد واللغة

عرف فن القصص تعدد الرواة، وأطلق النقاد على هذا النوع من السرد أسلوب وجهات النظر، حيث يترك الراوي أو الروائي شخصية تروي وجهة نظرها في موضوع أو شخصية أو فكرة، و ظهر هذا بوضوح في الرواية التي وجدت مجالًا للكتابة بأساليب متعددة أحدها هو هذه الطريقة، لأنها تستوعب العديد من الشخصيات التي تجدها في الرواية، أي في الرواية انفتاح واسع ومكان واسع لكل شخصية أن تقول كل ما تريد قوله، ورغم أن القصة القصيرة لا تحتوي على ما تمتلكه الرواية، إلا أننا لا نملك قصصًا قصيرة كتبها أصحابها وموظفوها وأسلوبها ووجهاتها. إن البحث والسرد لهما مصادر متعددة، وهو أكثر ما جربه الراوي الفلسطيني مصطفى مرار.[١]

تختلف قصة ليانا المدروسة في أنها لا تستخدم هذه الطريقة بوعي تام، أو هكذا أرى الكاتبة تترك بطلتها يسرى لتروي قصتها في معظم أقسام القصة، في الأول والثاني والثالث والرابع والخامس والثامن راوية أخرى تقول، ربما الكاتبة نفسها، يظهر السرد هنا، في هذين المقطعين، بضمير آخر وهو الوعي الذاتي، وإذا قرأنا الكلمات بضمير الأنا، وأنا هنا أحمد الشهيد الذي كان يكتب مذكراته التي تراها زوجته يسرى، والفرق لا فرق في الضمائر فقط، وهو الاختلاف الذي يختلف عنه الراوي، ولكنه أيضًا الاختلاف في بنية الفعل. بشكل تقريبي، يروي ما تفعله يسرى في نفس اللحظة، على عكس قصة يسرى، والتي تراوحت بين مرتين: الماضي القريب والماضي البعيد.

(١) موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، الجيوسي، ص/٣٤.

في القسم الثاني يعود بنا إلى أحداث عام ١٩٦٢: "بعد خروجنا من الزعتر، عشنا في الدامور لمدة عام تقريبًا". أما الراوي فيستخدم الراوي الآخر الزمن المضارع في الآية السابعة:

"زوجة الشهيد ترقد على الفراش".

نحن نقص ليانا أمام أكثر من مستوى لغوي، رغم أن معظم القصة عبارة عن رواية بلغة قريبة جدًا من اللغة المحلية، والتي لم تقف ليانا هنا، يجب على الشاعر أن يفعلها، بحسب (باختين) الأول. يعني أنها لم تغرق لغة شخصياتها في مياه نهر ليتي. تم تدوينها على الورق وهي تخرج من أفواهها مع تعديلات طفيفة أحيانًا هنا وهناك، لأنها أدخلت بعض العبارات فقط في مياه النهر، ولم تدخل معظمها ومن بين هذه التعبيرات عن طريق التمثيل، ليس حصرًا، معظم الأرقام، لذلك نادرًا ما تخطئ الراوية، يسرى، وهي تستخدم الرقم في التذكير والتأنيث. عند قراءة القصة، تلاحظ المرء أن لغتها هي في الغالب لغة السرد، ويسرى التي تروي امرأة غير متعلمة ذات ثقافة أدبية واسعة، وهي امرأة بسيطة، ولم تكن حين كانت تحكي، في حالة نفسية جيدة تجعلها تراعي صحة العبارة وصحة الأسلوب إن استطاعت وإذا كنا نحن المتخصصين في الأدب العربي خارج إطار المحاضرات نتحدث العامية ناهيك عن المرأة التي لم تحصل على الدكتوراه في اللغة العربية. (١)

إذا قارنا لغة يسرى هنا مع لغة الشخصية الرئيسية في " أنا أريد النهار"، فإننا لا نلاحظ الفجوة الواسعة في لغة السرد. في الثانية نقرأ لغة بليغة فيها درجة من الشعرية. ولعل السبب في ذلك أن الراوية امرأة يسارية ليبرالية في سلوكها، وأعتقد أن هذا ما حققته امرأة عربية، في فلسطين والأردن، في السبعينيات، ماعدا من كانت متعلمة ومتمردة. في الوقت نفسه، مثل ليانا نفسها، وإذا كانت كاتبة، فسنقرأ بالتأكيد لغة سردية مثقفة، وليست لغة امرأة لم تحصل على الكثير من المعرفة. .

وتختلف ليانا بدر في قصتها حول لغة عن سميرة عزام ونحوى قعوار فرح، وتحديداً في قصة كل من هاتين الواحتين، وإذا نظرنا إلى كتاب سميرة عزام الذي ظهر في قصتها التي ورد

(١) مختارات من القصة القصيرة الفلسطينية، محمود شقير،، ص/١٢.

ذكرها في د. الجيوسي وهي قصة "الخبز الفداء". لا يحالفنا الحظ، لأن لغة الرواية والحوار فيها هي اللغة العربية الفصحى.[١]

إن سميرة عزام أدخلت شخصياتها في مياه نهر الليتي أي في مياه نهر حتى تظهر لغة الحوار مثل لغة السرد، أي مثل لفافة سميرة عزام نفسها. نجوى قعوار فرح، وسام الخيارين.[٢] والدراسة أثناء مناقشة اللغة يجب ألا تنسى أن هناك مدارس أدبية كثيرة لكل منها. من موقع اللغة هناك الكلاسيكية التي تحترم قواعد اللغة وتدعو للالتزام بها، فهناك الرومانسية التي لا تلتفت إلى اللغة، والاهتمام الكلاسيكي بها، وهناك الواقعية التي يميل أصحابها إلى الكتابة في الواقع الحي، كما أن الطالب لا ينسى ما ذهب إليه (باختين) في حديثه عن لغة النثر الروائي، لا تنسوا ذلك قبل إصدار حكم قاسٍ على لغة السرد فيها. قصة "أرض من حجر الزعتر".

ثانيهما : نجوى قعوار و أعمالها

ولادتها

نجوى قعوار فرح كاتبة فلسطينية، راوية، ومربية، ولدت في مدينة الناصرة في ٣٠ نيسان ١٩٢٣[٣] (ذكرت بعض المصادر أنها ولدت عام ١٩٢٠)[٤] ، بدأت نشاطها الإبداعي وهي طالبة على مقاعد الدرس فى معهد دار المعلمات فى الناصرة وتلقت تعليمها الابتدائي والثانوي، ثم في دار المعلمين في القدس. كتبت "القصة القصيرة" و "المسرحية" و "الرواية" و "الأفكار" و "السيرة الذاتية"، لكن "القصة القصيرة" طغت على إنتاجها الأدبي، وتعتبر من أوائل الكتاب من الجيل العربي في القصة القصيرة العربية في فلسطين. توفيت نجوى قعوار في آب ٢٠١٥م في كندا .

---

(١) موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر، الجيوسي، سلمى خضراء، ، ص/١٣.

(٢) المصدر السابق، ، ص/٨٨.

(٣) موسوعة الأدب الفلسطيني، سلمى الخضراء الجيوسي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٩٧م.

(٤) تطور الرواية والقصة القصيرة فى الأدب العربي فى إسرائيل (١٩٤٨م-١٩٧٦م)، ، ص/٨٨.

حياتها العملية

ألقت نجوى قعوار محاضرات في نوادي ثقافية في فلسطين، ونشرت قصصًا ومقالات في مجلات "الأديب" و "صوت المرأة" و "المنتدى" و "القافلة" و "الغد". بثت قصصها ومحادثاتها في القدس في محطات إذاعية في القدس والشرق الأدنى ولندن وهولندا. نقلت الكاتبة معاناة شعبنا في أي مكان وزمان حدث ذلك، وشرحت الكارثة الفلسطينية للعديد ممن التقت بهم في أسفارها، وألقت الضوء على ما يربك العقل العالمي مما تضخه إعلام الاحتلال من الفلسطينيين، الأرض وحقيقة الشعب الفلسطيني يحارب ظلمة الاحتلال بصلابة المقاومة وقوة القول ورفض انتهاك الهوية الفلسطينية وتاريخها. [١]

نجوى قعوار عملت في مجال التدريس قبل الزواج من "القس رفيق فرح" عام ١٩٥٠م، عندما كانت تعيش في حيفا ووكان زوجها راعيًا للكنيسة الإنجيلية حتى عام ١٩٦٥، ثم هاجرت إلى القدس مع زوجها ثم رام الله. انتقلت إلى بيروت سنة ١٩٧٧م ثم لندن عام ١٩٨٦م قبل أن تستقر في مدينة سكاربورو الكندية بأونتاريو أخيرًا. نشرت نجوى قعوار مجلة "الرائد" عام ١٩٥٧م التي لم تدم طويلاً، وأيضاً مجلة "الأرض سفينتنا" التي خضعت للرقابة.

ألقت نجوى قعوار دعوة للتحدث في منتصف الأربعينيات في ''النادي الأرثوذكسي'' في مدينة حيفا والعلم وعلاقة المرأتين بالاثنين، وأشارت إلى إهمال اللغة العربية وتاريخها وثقافتها في مواجهة الصهيونية: "في جهادكم لفلسطين عليكم تثقيف أنفسكم. إن كنتم جهلاء ستفقدون فلسطين. وخروجكم سيكون أكثر تراجيدية من طردكم من الأندلس[٢] ."

مؤلفاتها:

أولاً: مجموعات قصصية

- عابرو السبيل (قصص قصيرة) بيروت، ١٩٥٤م.

---

(١) نجوى قعوار فرح.. رائدة من رواد القصة العربية القصيرة – صحيفة الرأي، http://alrai.com/article/٧٣٥٣٠٥.html، ، ص/١٢٣.

(٢) المصدر السابق، ص/٩٩.

- دروب ومصابيح (قصص قصيرة) الناصرة، ١٩٥٦م.
- لمن الربيع؟ (قصص قصيرة) الناصرة، ١٩٦٣م.
- انتفاضة العصافير (قصص قصيرة) ١٩٩١م.

ثانياً: الروايات

- سكان الطابق العلوي (وهي روايتها الوحيدة) ١٩٩٦م.

ثالثاً: ديوان الشعر

- كان صباح وكان مساء: أمالي الذّكريات (بيت الشّعر الفلسطيني) وزارة الثقافة الفلسطينية، (٢٠١٣م): وهو آخر ما نشرت.

رابعاً: المسرحيات

- سر شهرزاد (مسرحية) الناصرة، ١٩٥٨م.
- ملك المجد (مسرحية عن السيد المسيح)، ١٩٦١م.

خامساً: متفرقات

- مذكرات رحلة (سيرة ذاتية) الناصرة، ١٩٥٧م.
- عبير وأصداء (صور قلمية) الناصرة، ١٩٥٩م.
- سلسلة قصص للأشبال ٣ أجزاء، (أدب طفل) الناصرة، ١٩٦٥م.
- علمه من القدس، بيروت، ١٩٧٩م.
- رحلة الحزن والعطاء (قصص فلسطينية) بيروت، ١٩٨١م.
- لقاء بيروت، بيروت، ١٩٨٢م.
- الليل والزهر، بيروت، ١٩٨٢م.

نظرة شاملة في مؤلفات نجوى قعوار فرح

إن كتاب "كان صباح وكان مساء- أمالي الذّكريات"[١]، للروائية والقاصة والمسرحية الفلسطينية نجوى قعوار فرح، الصادر عن بيت الشّعر الفلسطيني، و دار البيروني للنشر والتوزيع ووزارة الثقافة الفلسطينية- رام الله ٢٠١٣.

---

(١) موسوعة الأدب الفلسطيني، سلمى الخضراء الجيوسي.

يشتمل الكتاب علي ٤٦٤ صفحة، وهو يوثق سيرة جماعية للقاصة قعوار المقيمة في كندا. كتاب يوثق سيرة جماعية للكاتبة والروائية الفلسطينية نجوى قعوار. تمتزج سيرة المؤلفة مع السيرة الجماعية للشعب الفلسطيني. الكتاب ليس سيرة ذاتية للمبدع العظيم، لكنه يتضمن سيرة ذاتية للوطن كذلك، إنها سيرة لجزء كبير من الواقع الفلسطيني قبل وأثناء وبعد النكبة. عندما تتحدث الكاتبة عن سنوات الصبا في مدينة الناصرة، حيث نشأت وترعرعت، ثم فيما بعد عن حياتها في حيفا، كانت في الحقيقة تروي لآذاننا حقائق القضية الفلسطينية في تفتيتها، وقيامته من رماده.

ودعت قعوار إلى "استذكار الشهداء الأبرار، والأسرى في السجون الإسرائيلية"، كما حيت "المرأة الفلسطينية التي حافظت على البيت الفلسطيني، وخاصة في مخيمات اللجوء الفلسطيني". ورأت في كلمتها، أن القضية الفلسطينية هي ليست قضية الشعب الفلسطيني وحده، وقضية القومية العربية، إنها قضية الإنسان في كل مكان، فكل إنسان على وجه البسيطة له وطن وهوية، فإذا أجيز الاستيلاء على فلسطين على النحو الذي اغتيلت فيه – من اعتداء على شعب بأكمله عن طريق التطهير العرقي حينا، وطرد السكان الآمنين من بيوتهم ليمسوا هائمين على وجههم في الكهوف والملاجئ، وذلك لعقود وعقود حتى كاد أن يصبح واقعا، فإن جاز هذا فما يمنع تكراره في أي جزء من العالم.

إن قعوار التي ولدت في مدينة الناصرة– فلسطين، صدر لها في مجال القصة القصيرة: "عابرو السبيل"، "دروب ومصابيح"، وفي المجال المسرحي صدر له: "سر شهرزاد"، "ملك المجد"، وصدر له "مذكرات رحلة"، "عبير وأصداء"، "علمه من القدس"، "رحلة الحزن والعطاء"، "الليل والزهر".

شاركت في الحفل الذي أقيم برعاية د.أسعد عبدالرحمن، الشاعر يوسف عبدالعزيز[١]، ووقعت ابنتها الدكتورة رندا فرح على نسخ من الكتاب للحضور، وأدار الحفل المدير التنفيذي للمنتدى الشاعر عبدالله رضوان؛ حيث حيا عبدالرحمن تجربة المبدعة وزوجها، مقدما مقاربة بين محطات مشتركة في حياتهما، فقد ولد زوجها في المسكوبية، وهي عاشت

(١) هو يوسف عبد العزيز، شاعر فلسطيني و أردني(١٩٥٦م) حاصل على الجائزة الدولة الأردنية التقديرية فى الأدب والعديد من الجوائز العربية.

فترة من حياتها فيها، مبينا أن المسكوبية تحولت الآن من مكان للحياة لمكان تعذيب فهي "سجن".

الشاعر يوسف عبدالعزيز، رأى أن قعوار في كتاباتها تمزج بين السيرة الذاتية والسيرة الجماعية للشعب الفلسطيني، فهي تتحدث عن سنوات الصبا في مدينة الناصرة حيث نشأت وترعرعت، ثم فيما بعد عن حياتها في حيفا، وانتقالها. بعد ذلك إلى القدس ورام الله وبيروت ولندن، وأخيراً عن إقامتها في تورنتو بكندا، كان في الواقع يروي لآذاننا حقائق القيامة الفلسطينية في تفتيتها ورد فعلها وقيامتها من رمادها. (١)

وصف عبدالعزيز قعوار بأنها: "سنديانة فلسطين"، وما تزال تعمل من أجل قضيّتها المركزيّة، ولم تثنِها سنواتها الخمس والثّمانون، كما لم يُقْعِدها المرض عن الاستمرار في هذا العمل، ولأنّ قلبها الكبير ينبض بحبّ فلسطين، فقد تكسّرت محاولات المرض المتكرّرة على النّيل من قلبها. صحيح أنّها تقيم الآن بعيدةً آلاف الأميال عن وطنها، ولكنّ الصحيح أيضاً أنّ روحها ما تزال طليقةً تتجوّل في شوارع الناصرة وحيفا والقدس ورام الله، بل في كلّ شبر من أرض فلسطين.

يستذكر قعوار في هذا الكتاب "أجواء الجنة" التي سادت فلسطين قبل الكارثة الكبرى التي حدثت في عام ١٩٤٨، حيث جمال الطبيعة والأماكن والمنازل، وحيث غطى الهدوء قلوب الناس، ثم سرعان ما ينتقل الكاتبة لنتحدث عن الكارثة التي حلت بالأرض الفلسطينية والشعب الفلسطيني حيث دمر الصهاينة كل شيء. في أحد تلك المشاهد المؤثرة، تأخذنا قعوار إلى مدينة القدس التي عشتها في شبابي، وتحديداً إلى (المسكوبية)، ذلك المجمع الساحر الذي أنشأته الجمعية الأرثوذكسية الفلسطينية عام ١٨٦٤، من أجل خدمة الحجاج الروس الذين يأتون لزيارة الأراضي المقدسة.

في رحلتها إلى موسكوبيا، بحسب عبد العزيز، تتذكر الكاتبة تلك الأمسية الموسيقية التي حضرتها مع أبناء عمومتها قبل النكبة. تقول: "لن أنسى أبدًا الأوركسترا التي سمعت فيها مقطوعة" بوليرو" لأول مرة تعرف في ظلال الأشجار (موسكوبيا).

---

(١) نجوى قعوار فرح.. رائدة من رواد القصة العربية القصيرة – صحيفة الرأي، http://alrai.com/article/٧٣٥٣٠٥.html ، ، ص/١٦.

مشيرا إلى أن قعوار عملت إلى جانب زوجها، وهو رجل دين مسيحي معروف في فلسطين، على محاورة الجمهور الغربي، من أجل شرح أبعاد القضيّة الفلسطينية، ومحاولة توضيح جوانبها الملتبسة في العقلية المسيحيّة الغربية، حيث عمل الصّهاينة خلال الفترة الماضية على تشويه الحقائق التاريخية بما يتّصل بالصّراع العربي الصّهيوني.[١]

إن قعوار تُحاكي في كتابها، شهرزاد في "ألف ليلة وليلة"، فإذا كانت شهرزاد من خلال حكاياتها تحاول أن تستدرج شهريار، لتروّض الوحش الذي فيه، من أجل أن تنجو هي وبنات جنسها من فتكه، فإنّ قعوار تحاول أن تبثّ مزيداً من الإصرار والشّجاعة في قلوب أبناء شعبها، من أجل أن يتماسكوا ويصمدوا، أمام هذا الوحش الدّموي الصهيوني، الذي احتلّ وطنهم، وقتلهم وشرّدهم. ثمّة عشرات الحكايات، تسردها الكاتبة، وهي ما إن تنتهي من حكاية حتى تبدأ في سرد حكاية أخرى.

(١) المصدر السابق، ص/١٢.

الفصل الثالث

حزامة حبايب و أسماء الغول و أعمالهما

في هذا الفصل سأتحدث عن أديبتين فلسطينيتين حزامة حبايب وأسماء الغول من حيث حياتهما وأعمالهما الأدبية، وقد استفدت كثيرا في جمع معلوماتهما من كتبهما ومواقع العلمية والأدبية على الشبكة العنكبوتية.

أولهما: حزامة حبايب وأعمالها

حياتها

حزامة حبايب قاصة وكاتبة مقالات وشاعرة وروائية ومترجمة فلسطينية ولدت في ٤ يونيو ١٩٦٥م في الكويت. نشأت ودرست فى الكويت وحصلت على بكالوريوس في اللغة الإنجليزية وآدابها من جامعة الكويت سنة ١٩٨٧م. اضطرت حبايب للانتقال إلى الأردن مع عائلتها بعد حرب الخليج عام ١٩٩٠م، وعاشت هناك لسنوات قبل ترحيلها إلى الإمارات العربية المتحدة، حيث تعيش حاليًا.(١)

حصلت على جوائز عديدة منها "جائزة محمود سيف الدين الإيراني" و"جائزة مهرجان القدس" لإبداع الشباب في القصة القصيرة، و"جائزة نجيب محفوظ للأدب" فى روايتها "مخمل". بعد تخرجها من الجامعة الكويتية سنة ١٩٨٧م وعملت في مهنة التدريس والترجمة قبل أن تصبح مؤلفة في الكتابة، ونشرت عدة أعمال في الرواية والقصة والشعر وهي عضو "نقابة الكتاب الأردنيين" و"الاتحاد العام للكتاب". حزامة حبايب عملت في مجالات مختلفة، أولاً كصحفية في الكويت ثم كمعلمة ومترجمة بعد انتقالها إلى الأردن.

أعمالها الأدبية

إلى جانب الكتابة الأدبية، تشمل خبرتها الأدبية الخيال والقصة القصيرة والشعر. كما تكتب حبايب مقالاً يتناول مختلف الاهتمامات والمجالات الثقافية والأدبية والفنية. بعد حصولها على التقدير ككاتبة متميزة، اختارت أن تظل نشطة في مجالات الصحافة والترجمة، حيث قامت بترجمة العديد من الكتب والمقالات من اللغة الإنجليزية، وكتبت مقالات ودراسات باللغتين العربية والإنجليزية.(٢)

---

(١) تاريخ الأدب العربى، شوقى ضيف، ص/٦٦.

(٢) مجلة شؤون أدبية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

على الرغم من شهرة حزامة حبايب كروائية وراوية، إلا أن بداياتها في عالم الكتابة كانت الشعر – خاصة الشعر الحر. في أيار ١٩٩٠م نشر هبائب مجموعة نصوص شعرية بعنوان "صور" و "النشد" و اختيرت "حزامة حبايب" من بين ٨٠ شاعراً عربياً وضعوا مشهداً شعرياً في ذلك الوقت في موضوع "الناقد" المخصص للشعر.

ولعل من أبرز الأعمال الشعرية لحزامة حبايب، النصوص الشعرية بعنوان "التسول" الصادرة عام ٢٠٠٩م عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، وهي دار النشر التي أصدرت معظم أعمال المؤلفة تم استقبال المجموعة بشكل جيد من قبل النقاد. أشاد مقال في جريدة الغد، نشر في الرابع عشر من أكتوبر ٢٠٠٩م، بهذا العدد لحبايب، وفي نهاية المقال قال: "حزامة حبايب لا تريد من نصه أن يعلن جانبًا آخر من إبداعه الشعر، بل لإخراج تمنيات المرأة بقوة، والرغبة في إنتاجها ليس فقط الاهتمام بالجمال، ولكن بكل ما هو صادم ومختلف.

أولاً: القصص القصيرة

القصة القصيرة هي أكثر الأنواع الأدبية التي ساهمت في شهرة حبايب في الأردن و فلسطين، ثم في العالم العربي، صادرت عن "المؤسسة العربية للدراسات والنشر"، بعد أن نشرت مجموعتها الثانية من القصص "التفاحات البعيدة"[١] في عام ١٩٩٤م من خلال "دار الكرمل للنشر والتوزيع" في الأردن، وفي عام ١٩٩٧م أيضًا "المؤسسة العربية للدراسات والنشر"، قدمت حبايب مجموعتها الثالثة من القصص "شَكْلٌ للغِياب"[٢]، وهو ما شكل "نقطة تحول" و " أخذت خطاً مختلفاً تماماً " في أسلوب كتابتها كما قالت شخصيًا، كما ذكرت في برنامج وثائقي عرض على قناة الجزيرة في ٤ مايو ٢٠٠٤. وأوضحت حبايب أن جميع الشخصيات النسائية في تكون القصص المختلفة هي نفس الشخص، كل هذه الشخصيات بدت وكأنها " وجه لامرأة واحدة "، ولهذا السبب "تعامل العديد من النقاد مع هذا الكتاب باعتباره نواة أو بذرة رواية."

---

(١) التُفَّاحَات البَعِيدَة (مجموعة قصصية)، حزامة حبائب، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمّان، ١٩٩٤م.

(٢) شَكْلٌ للغِيَاب(مجموعة قصصية)، حزامة حبائب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.

المجموعة القصصية "شكل للغياب"

تتميز مجموعة (شكل للغياب) بأنها تراقب النساء في مواقفهن المختلفة، بحيث تظهر قصصهن وكأنهن نص واحد يأخذ عناق بعضهن البعض، ويتضح للقارئ أن (المرأة). . . رأت هنا، بكل إمكانياتها، امرأة عادية بشكل أو بآخر. أهمية المرأة هنا تنبع من حياتها الطبيعية: من تمسكها بالحياة الموضوعية وافتقارها إلى التعالي عن الواقع من جهة، ومن براءتها – من جهة أخرى – وإخلاصها في حساسيتها الذاتية (الطبيعية). وقدرتها على استقراء غياباتها وانفعالاتها العميقة. من خلال السرد الخطي المباشر الذي كُتبت فيه معظم قصص المجموعة، يشعر القارئ أن كل شيء طبيعي في حياة المرأة العادية، لكن هذا العادي ينكسر دائمًا فجأة مثل وميض مفاجئ. وسيطر المضارع على لغة القصص بشكل كبير، وكأن حياة المرأة العادية مرتبطة فقط بلحظة وقوعها وحاضرها. كل شيء يحدث (الآن) ولا وجود لما حدث في الماضي كما لا وجود لما قد يحدث في المستقبل. إنها حياة انتقالية تكشف عن بعد مدى الإهمال الذي تتعرض له المرأة، وتكشف عن طاقاتها الفريدة وحيلها الدفاعية التي تمكنها من خلق تلك الومضات المبهرة المليئة بالمعاني. تعتبر حزامة حبايب واحدة من كتاب القصص المهمين في الأردن، ولا شك أن هذه المجموعة منها تعد إضافة نوعية لتراثها الشخصي بعد مجموعتيها "الرجل الذي يتكرر"[١] و "التفاحات البعيدة"[٢].

في عام ٢٠٠٢م، تم نشر المجموعة القصصية الرابعة لحزما حبايب "لَيْلٌ أحْلَى" [٣]. إنها المجموعة الأخيرة قبل الانتقال إلى الرواية. تلقت المجموعة ردود فعل أكثر إيجابية من النقاد. أشاد مقال في صحيفة الحياة اللندنية في ١ فبراير ٢٠٠٢م بمجموعة القصص، قائلاً إنها "تواصل الحفر في نفس المناطق التي كرستها الكاتبة سابقًا لمجموعاتها القصصية السابقة، لكن الحفريات هنا تتعمق أكثر، أبعد، وأكثر ثراءً وجرأة مما كانت عليه هناك، وكذلك هذه القصص، على المستوى الفني – السردي واللغوي – أكثر إثمارًا ولديها رؤية وأدوات."[٤]

---

(١) الرَّجُلُ الذي يَتكَرَّر(مجموعة قصصية)، حزامة حبائب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٢م.

(٢) التُفَّاحَات البَعِيدَة(مجموعة قصصية)، حزامة حبائب.

(٣) لَيْلٌ أحْلَى (مجموعة قصصية)، حزامة حبائب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،٢٠٠٢م.

(٤) المصدر السابق، ص/٧٦.

المجموعة القصصية "ليل أحلى"

في مجموعتها القصصية "ليل أحلى"، تواصل حزامة حبائب البحث عن مجالات حقيقية وأحلام نفسية أعمق في حياتنا وتفكيرنا. لكن الحفر هنا مختلف، حيث يذهب، من ناحية، إلى البحث عن المحرمات والمحظورات، أعمق وأوسع وأكثر جرأة مما كان عليه في السابق، ومن ناحية أخرى – وهذا هو الأهم – يصبح أكثر انشغالًا به. هاجس فني مثمر أكثر وامتلاك رؤية وأدوات في نفس الوقت تمسك الكاتبة أبطالها، ذكوراً وإناثاً على حد سواء، في لحظة من اللحظات الأشد التصاقاً بالحياة، بحثاً عن ذرة من لذة أو هرباً من جحيم مقيم. قصص "ليل أحلى" سرد كأنه الحياة ذاتها، يضج بالهواجس والأحلام، والشهوات السرية والمقموعة غالباً والمتحققة نادراً، لنسوة ورجال وأطفال نعرفهم جيداً لأنهم...نحن! نحن في لحظات شديدة العري والانغلاق على الذات، وأمام (الآخر) في صوره المتعددة والمختلفة: الفقير أمام الغني، الذكر أمام الأنثى، الابن تحت مظلة الأم أو الأب الموظف تحت سقف المسؤول الخ.

نحن في أدنى بيئة قاعدية لدينا، في سلوكياتنا المثيرة للاشمئزاز، وفي تناقضاتنا المأساوية والوقحة مرة واحدة. لقد نحت في مرايانا الفاضحة، لذا فهي لحظات درجة من التميز والاختزال والحدة، وهذه إضافة نوعية، ليس فقط للسرد النسوي، بل للسرد العربي بشكل عام.

ثانياً: الروايات

كتبت حبايب روايتها الأولى "أصل الهوى" بعد أربع مجموعات قصصية ناجحة، التي نشرتها عام ٢٠٠٧ "المؤسسة العربية للدراسات والنشر". وهو ما يعرض في الرواية بشكل واضح وموحي كلاهما. وفي برنامج بثته قناة NRK النرويجية، تطرقت حبايب إلى اللغة الإيروتيكية التي تستخدمها أحيانًا في كتاباتها، مؤكدة أن "على المرء تسمية الأشياء بأسمائها".

عندما سُئلت حبايب عن رأيها في الحظر خلال مقابلة مع صحيفة الغد في ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٨، ردت أن "الخطاب الإعلامي يتفاخر بدعم الحريات العامة وعلى رأسها حرية الرأي والكتابة، بينما الواقع يشير إلى غياب أي قدر من التسامح الفكري والمثابرة حول

حصار الفكر، وتقنين الحريات، ومصادرة القلم، واختلاق المحرمات بذرائع واهية، انطلاقا من واقع مشكوك فيه يقوم على فرض ثقافة الخوف والاستسلام للنظام والمؤسسة الثقافية الرسمية". كما أشارت إلى استخدام "المواد الإباحية "كإتهام هو غطاء ضعيف للسبب الحقيقي وراء الحظر، وأنه لم يتلق" سببًا صريحًا ومباشرًا للرقابة ".

كانت ردود الفعل النقدية على رواية "أصل الهوى" إيجابية للغاية في أغسطس ٢٠٠٧م، كتب وليد أبو بكر، الناقد الأدبي،، مقالًا نقديًا يصفها بـ "الرواية الجادة والمهمة من حيث تقنيات السرد أو أهمية القضايا والمواضيع الحساسة التي تتناولها". وأشار إلى أن "كل المشاهد الجنسية، التي تمت صياغتها بشكل جيد ووفرة العدد داخل الرواية، لم تكن تهدف إلى مجرد الإثارة، (التي يمكن أن يشعر بها القارئ دون ارتباك، بسبب الغياب التام للإثارة، في صورته المبتذلة من هذه المشاهد) بل لتأكيد هذه المشاهد المساواة بين الجنسين ".

وبحسب مقال "إنعام كاججة" الروائية والصحفية العراقية نشرت في جريدة "الشرق الأوسط" في ١٤ شباط / فبراير ٢٠٠٧م، فإن "حزامة حبايب كتبت رواية سياسية دون أن يكتب خطاباً في السياسة. يصف الكاتب ملامحهم الخارجية لنا. وأشاد المقال بأسلوب حبايب اللغوي: "وأخيراً، لا بد من الإشارة إلى اللغة المهذبة، والاستعارات والمفردات الذكية التي تكشف عن قاموس ثري تنبثق فيه المفردات الشعبية الفلسطينية، ويكتسب توقيعاً بليغاً مستمداً من بلاغة في إيصال المعنى بالنسبة للقارئ، بنكهته المحلية الكاملة .[١]

بالإضافة إلى الإشادة للرواية ووصفها بأنها "نقلة نوعية" في كتابات المؤلفة، فقد لاقت نجاحًا شعبيًا، وفقًا لـ Godreds. وقالت حبايب في برنامج تلفزيوني عرضته قناة الشارقة في الخامس من أكتوبر ٢٠١٣،وقيل أن "هذه الرواية – في الإطار السردي أو الإطار السردي العام، خارج أي تصنيف، قراءة تفسيرية أو نقدية – هي قصة امرأة تروي قصتها لابنتها قبل سفرها للدراسة بالخارج".

وفى رأى الكاتب والناقد المصري المعروف صبري حافظ، رواية "قبل أن تنام الملكة" " رواية مهمة حقًا، لعلها أهم رواية فلسطينية أصدرها الجيل الثاني من كتاب فلسطين بعد الروايات الفلسطينية الكبرى لغسان كنفاني وإميل حبيبي وجبرا ابراهيم جبرا. إنه يغوص في

---

(١) قبل أن تنام الملكة (الرواية)، حزامة حبائب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،٢٠١١م.

العمق الإنساني الفلسطيني ويعرض سردا لما يرتكبه الواقع العربي الزائف بحق الفلسطيني يوميا من تافهات طفيفة تحط من إنسانيته وترفع من جلده وصمود ونبل مواقفه "الضمير" رواية تكتب للمرأة الفلسطينية كما لم تكتب من قبل، بكفاءة وعمق وبُعد عن أي عاطفة.

هذه الرواية التي تعالج الهم الفلسطيني هي "أجرأ رواية فلسطينية كتبتها امرأة تصف التحدي والعناد والصراحة دون قلب البؤس الذي تعاني منه النساء المهجرات"، بحسب صحيفة السفير الفلسطينية كما تم اختيار الرواية في قائمة "أفضل كتب ٢٠١٢" لصحيفة الجارديان البريطانية بعد أن رشحتها الكاتبة البريطانية المولودة في مصر. وأشاد الناقد محمد بردى في مقال نشرته فى صحيفة "الحياة" اللندنية "بالشكل الفني الجذاب لغويًا، واللغة المتعددة المستويات، والقدرة المتدفقة على الوصف، ووجود النكتة الساخرة التي تتخلل المشاهد". ووصفها وليد أبو بكر بأنها رواية "فائض الأمومة". وختم بقوله: "حبايب تطارده فكرة الضياع هذا يكمن في سماء هذه الرواية ويدفع التوقعات فيها.

وقالت جريدة الغد في رأيها النقدي للرواية: في "قبل أن تنام الملكة"، يرسم حزامة حبايب صفحات شائكة وإثارة مليئة بالألم المترنح من الضياع، لامرأة تسعى للتشكيك في الحب والاقتراب، الحياة في حدها، وتوضيح المعنى لاستعارة الوجود، والتسول للوطن، كفكرة مضللة، من بين رواية قصتها لابنتها، والملكة في الرواية هي الأم وكذلك الابنة.

مُقتطَف من رواية "قَبْلَ أَنْ تَنَامَ المَلِكَة":

"حتى لو أدركنا الليل وأتت الأحزان إلى كبريائها، أتيت إلي حافي القدمين، وقد سقط نصف شعرك على وجهك، تشم رائحة العرق المنعشة، من أحلام اليقظة المتهورة، وبقايا الشوكولاتة في فمك بدون الشعور بالذنب لأنك خانت نظامك الغذائي الهش والخبز المحمص والحد من الحرق، حتى تتمكن من رش بلوزة البيجامة. أنت تنزلق في السرير بجواري. شممت رائحة ذراعي العاريتين. أنت تقول إنك تحب رائحة لحمي. أنت تقول أنك تبحث عنه، أو شيء من هذا القبيل، في مدينتك البعيدة، لكن لا يمكنك العثور عليه. تدخل أنفك في رقبتي وتقول: أخبر قصتك!"

في يناير ٢٠١٦م أصدرت الرواية الثالثة لحزامة حبايب "مخمل"[١] التي حازت "جائزة نجيب محفوظ للآداب" لسنة ٢٠١٧م ويعرّفنا فيهاحزامة عالماً جديداً في "الرواية الفلسطينية" بشكل خاص، و"الرواية العربية" بشكل عام. إنه عالم المخيم الفلسطيني، الذي قدمه حبايب عارياً تماماً، بطريقة لم تخضها الرواية من قبل بهذا العمق. ما يسمح بالقول إنها حقبة جديدة في "الرواية الفلسطينية".

فى القصة "حوّا"[٢] ، تلخص حزامة حبايب حياة المخيمات الفلسطينية بطريقة غنية للغاية، وترصد التفاصيل، وتروي المشاعر والعواطف، وتكتب بلغة شديدة الحساسية، وتكشف ما يحدث في "عتمة" البيوت بشكل شبه مرعب.

رواية "مخمل" هي رواية المرأة التي تسعى جاهدة للعيش والحب، هي المرأة المحطمة التي تتقن استحضار الانتصارات الصغيرة، والاستيلاء على الرغبات المتاحة ومقاومة العقم في حياتها، ومع ذلك يستمر مجتمعها في الانكماش والقسوة. في "مخمل"، يلتقي الحب، والقمع، والعناق، والإيذاء، وغيرها من تفاصيل الحياة لرسم مشهد واقعي للغاية، لكنه يحارب الخيال في كثير من لحظاته المتوترة.

مُقتطَف من رواية "مُخْمَل":"

"كانت تلك أول مرة رأت حواء رجلاً يبكي، ففكرت أن أجمل الرجال هم المعزين. كانت أيضًا المرة الأولى التي شعرت فيها ربما بأكثر من مجرد امرأة. إمراة محبوبة؛ أمرأة طيبه؛ يتم استدعاء امرأة، ترغب امرأة ؛ امرأة شغوفة بما هي عليه؛ المرأة مطلوبة فقط للحياة التي تلتقطها ؛ امرأة تشتاق إلى الدفء الذي يحترق في نفسها رغم الأيام الباردة والجفاف وأيام الفراغ ؛ المرأة تشفق على قلة الحب في ماضيها ؛ امرأة محبطة بسبب صبرها على ماضيها، امرأة يغفر لقولها القليل من الحب والشوق والجنون. كانت تلك أول مرة شعرت حواء أنها قد تحبها، من يدري ؛ ولعل هذا الحب مشابه لما يرد في قصص الحب، أو ما يتحدث عنه الناس.!

---

(١) مخمل (الرواية)، حزامة حبائب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،٢٠١٦م.

(٢) المصدر السابق، ص/١٢٣.

أشكال كتابية أخرى

قدمت حزامة حبايب النصوص والمقالات العديدة إلى أكثر الصحف والمجلات طوال مراحل حياتها مثل صحيفة الرأي الأردنية، والدستور الأردني، والمجلات القطرية و دبي الثقافية وكارافان، ركن خاص يسمى "العتبة" وتتناول فيها مواضيع واهتمامات عديدة مثل "السياسة والأدب والقضايا الاجتماعية والفن والأنثروبولوجيا والتجارب الشخصية".

تأثر سياسي

نجد ارتباط بهويتها الفلسطينية لحزمة حبايب في أعمالها الأدبية [١]، وهذا واضح في روايتها الأولى والثانية، وفي العدد الكبير للقصص القصيرة في مجموعاتها القصصية الأربع. كما أنها تعبر عنها من خلال ترجماتها كما تميل إلى اختيار الكتب مثل "من ضاع؟" بقلم جلعاد أتسمون، ترجمه حبايب إلى العربية ونشر في حزيران ٢٠١٣.

لكن الحدث الأبرز في رزمة حبايب بخصوص تحدي الصهيونية كان من خلال الحملة التي شنتها ضد نشر مختارات من القصص القصيرة لكاتبات في المختارات[٢]. قد وافقت حبايب في البداية على المشاركة في المشروع، لكنها تركت مشاركتها على الفور. ثم اتصلت بمعظم الكتاب العرب ودعتهم للانسحاب من الأنطولوجيا. كانت الحملة ناجحة. سحبت معظم الكاتبات كتبهن، مما أجبر جامعة تكساس في أوستن – راعية المشروع – على إلغاء كتاب الأنطولوجيا. وبررت حبايب موقفها من خلال مقال نشرته صحيفة "جلف نيوز" في ٢٥ مايو ٢٠١٢ قائلة: "لا يمكنني مشاركة صوتي مع كاتبتين تعبران عن صوت المحتل البغيض".

وقد حاز موقف حبايب وجهوده الدؤوبة وصموده على تقدير وثناء الكثيرين في الوطن العربي. كما حظيت بتأييد وثناء العديد من وسائل الإعلام العربية.

المؤلفات

القائمة أدناه هي أعمال حزامة حبايب؛ كلها باللغة العربية:

---

(١) مقال بعنوان: "السرد ولغة السرد والنهاية في قصة (أرض من حجر وزعتر) لليانة بدر"، د. عادل الأسطة،

(٢) مجلة شؤون أدبية، جامعة الدول العربية، القاهرة، ٢٠٠٠م.

- الرَّجُلُ الذي يَتكَرَّر، (مجموعة قصصية) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (١٩٩٢م).
- التُفَّاحَات البَعِيدَة، (مجموعة قصصية) دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمّان، (١٩٩٤م).
- شَكْلٌ للغِيَاب، (مجموعة قصصية) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (١٩٩٧م).
- لَيْلٌ أحْلَى، (مجموعة قصصية) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (٢٠٠٢م).
- أصْلُ الهَوَى، (رواية) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (طبعة أولى – ٢٠٠٧م)، (طبعة ثانية – ٢٠٠٩م).
- اسْتِجْدَاء، (نصوص شعرية) المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (٢٠٠٩م).
- مِنْ وَرَاءِ النَّوافِذ، (مختارات قصصية)، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله (٢٠١٠م).
- قَبْلَ أن تَنامَ المِلِكَة، (رواية) المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، (٢٠١١م).
- مُخْمَل، (رواية) المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، (٢٠١٦م).

ثانيهما : أسماء الغول وأعمالها

حياتها

أسماء عوض جمعة الغول ناشطة فلسطينية صحفية وكاتبة وسياسية في مجال المرأة وحقوق الإنسان، ولدت في ١٧ يناير ١٩٨٢ فى مدينة رفح[١]. صدرت مجموعتها القصصية الأولى عن "دار الآداب" عام٢٠٠٦ بعنوان" هجران على لوح أسود "بعد حصولها على جائزة "القطان للقصة القصيرة" في العام ذاته. تم إصدار كتابها الأخير بعنوان "L'insoumise de Gaza"في باريس عام ٢٠١٦ بالتعاون مع الروائي اللبناني الفرنسي سليم نصيب، فيما يشبه الرواية الذاتية لتاريخ مدينة غزة الحديث. حاصلة على عدة جوائز منها جائزة آنا ليندا لدول البحر المتوسط في موناكو عام ٢٠١١، وجائزة الصحافية الشجاعة من مؤسسة IWMF في نيويورك عام ٢٠١٢، وجائزة عمر أورتيلان لحرية الصحافة في الجزائر عام ٢٠١٣.

تعتبر الكاتبة الفلسطينية أسماء الغول الفائزة بجائزة 'ديموقراطية ومواطنة' الخاصة بجائزة المتوسط للصحافة والمقيمة في غزة.من أكثر فتيات غزة اللواتي يتحدين الواقع، وتعرضت من خلال نشاطاتها الناقدة لقمع الحريات في وطنها إلى التهديد بالقتل من قبل حماس وحسب تقرير الوكالة الالمانية دويتشه فيله المرفق، لكن هذا زادها جرأة، كما تقول في حديث مع دويتشه فيله.

تمرد منذ الطفولة بابتسامة رقيقة بدأت أسماء حديثها مع دويتشه فيلله: "عندما كنت أيام طفولتي ألعب بعروستي الصغيرة كان عمي ينهرني، معتبراً ذلك أنه حرام. عبارات التنبيه كانت تنهال علي: لا تضحكي هكذا، والبنت عيب تقعد هكذا..الخ". استجابت أسماء لهذه التنبيهات لكسب الود والطاعة. ثم تحكي عن افتقادها لوالدها خلال سفره إلى الخارج بسبب سفر والدي للخارج عانيت من سيطرة أعمامي علي. ثم تعود بالذكرى إلى أول قصيدة كَتبتها وتقول: "عندما كتبت أول قصيدة حب كنت في المرحلة الثانوية فزجرني عمي بعنف." وقد أرادت أسماء من خلال نظم الشعر وكتابة القصص والمقالات الدفاع عن حرية

---

(١) مقالات متعلقة "اسماء الغول"، جريدة "بن بوست اليومية" إصدار ٤ أغسطس،٢٠١٤م.

النساء، وشكل هذا كما تقول بداية لتحرر روحها وكسر القيود". بدأتُ الكتابة لتفريغ المجتمع لا يهتم إلا بالمظاهر.

كبرت في حب الكتب بكل أنواعها، وكتبت في سن مبكرة حوالي السابعة من عمرها أول قصيدة شعرية لا تزال معي بسبب حفظ والدي لها. قد تكون قصيدة ساذجة لطفلة مغرمة بالأدب، لكن كانت بداية لقدر آخر هو الكتابة، وكانت في ذلك العمر قد انتقلت إلى دولة الإمارات حيث كان والدها يعمل مهندسًا معماريًا في شركة هناك، وقد كانت هديته الدائمة لها الكتب، وقرأت أصعبها في سنوات مبكرة من مراهقتها، وتكونت لديها الكثير من الأسئلة حين تقرأ لابن خلدون أو إحسان عبد القدوس، وكانت أشعر براحة إذا قرأت للمنفلوطي فهي أفكار أكثر سهولة عليها.(١)

بقيت ذكريات المخيم والحياة فيه لا ترتبط عندها فقط بصوت بسطار جنود الاحتلال والرعب من اقتحام المنزل، بل بالكتب أيضًا؛ وليست أية كتب بل التي تتحدث عن الفكر، خاصة الماركسي، لا أدري لماذا هذه اللازمة بين كتب اليسار والمخيم في ذاكرتها، على الرغم من أن منزل جدها الكبير الذي كانت تعيش فيه، وكذلك عماتها وأعمامها، معروف بأن ساكنيه ينتمون إلى حركة حماس التي كانت في بداياتها ذلك الوقت من ثمانينات القرن الماضي؛ ربما لأن والدها كان يميل إلى الفلسفة وقراءة الفكر من جميع التوجهات.

ولم يمنعها حبها لهذه الكتب التي كانت تتكوم بغرفتها أن تقرأ أيضًا" روايات عبير"، وأدهم صبرها ومعظم مؤلفات د. نبيل فاروق التي كانت متعة في جيلنا ذلك تشبه متعة "السوشيال ميديا" حاليًا. أنقذتها الكتب في فترات كثيرة من القهر والعزلة، وتشعر بالألم حين تفكر كم من الكتب فقدت خلال السنوات الماضية، وأغلبها لا تعرف كيف وأين، كما أنها تشعر بالذنب حين تتذكر الكتب التي استعرتها من آخرين وأخريات، ولم تقم بإعادتها. تذكر أنها كانت تتصفح تلك الكُتب، وهي غير قادرة سوى على تهجئة العناوين وأسماء المؤلفين التي تذكر بعضها "فتحي يكن، نجيب محفوظ، كولن ويلسون"، لكن هذا كان

(١) الكاتبة أسماء الغول، مكتبة أسماء الغول، مجلة "الترا صوت" الإصدار ٢٦مارس ٢٠١٨م.

كافيًا كي تقع في حبها، كانت بالنسبة لها عالمٍ سريًا يخشاه الجنود وفي ذات الوقت يحبه والدها، وهكذا كبرت والكتب تدور داخلي في فلك من الشغف والممنوعات.[١]

ومن مجاورتها للكتب اكتشفت شيئًا أن حب الكتب والقراءة لا يخص ناسًا بعينها، أي أنه ليس موهبة على الإطلاق يتمتع بها آخر دون غيره، بل الجميع يستطيع أن يقرأ وقتما يحب، أو يريد، وهي مرحلة يمر بها الإنسان؛ قد تكون مبكرة أو متأخرة وقد تصاحبه طوال عمره، على سبيل المثال هي الآن تقرأ أقل مع أن الإنتاج أكثر غزارة، لكن شغفها قل كثيرًا، أو ربما هي الكتب قلّ فيها الشغف!؟

ولكن الآن أصبحت تشتهي قراءة كتاب من "الجلدة إلى الجلدة" كما يقولون، لا تدري ماذا حدث، هل السبب ميلها إلى السينما حاليًا؟ أم أن كل كتاب يبدأ جيدًا سرعان ما تنتهي ذروته قبل الوصول إلى منتصفه؟ ومع ذلك هي تقرأ كل حين لأن القراءة عندها مثل نصائح أمها، تسمع صوتها يلاحقها في كل مكان وتقول الغول: (لي صديق كاتب كان يقول لي في الماضي)، "القراءة تصبح احترافية فيما بعد، أي أنك تستطيعين أن تعرفي الكتاب من أوله، ومن الممكن أن تقرأي منه فصولًا بعينها دون أخرى ولا تظلميه بذلك"، نظرت إليه لحظتها باستخفاف، ورددت "هذه إهانة للقراءة وللكتاب ولنفسك". اليوم أجزم أن كلامه صحيح، وأن تجربة القراءة المكثفة والممتدة على مر الأعوام تقلل لديك براءة فعل القراءة دون إهانة للكتاب.[٢]

الحياة المهنية

في فترة أخرى من حياتها عشقت السير الذاتية للأدباء وأدمنتها، وكانت وقتها حاملًا بابنها الأول، لقد كانت في حاجة أن تقرأ عن الوقت الضائع في الحياة بالانتظار كي لا تشعر أنها وحيدة أو أنها فقدت القدرة على الكتابة، وهذا وجدته بكثافة في سيرة هؤلاء؛ الكثير من العزاء. ومن ثم أغرمت بميلان كونديرا وبورخيس وماركيز وألبير كامو وكويلو،

(١) المصدر السابق، ص/٥٦.

(٢)المصدر السابق، ص/٧١.

وكانت حريصة على قراءة جميع مؤلفاتهم، فقد كانت تشتري معظم الكتب التي تقع تحت يدها أو تستعيرها، إلا أنها ظلت الابن المنسي الذي تتركه خلفي في كل شتات جديد.

اشترت مرة مكتبة شاعر من غزة، فقد كان يريد التخلص منها، شعرت أنها أسطو على شيء ليس لها على الرغم من ترحيبه بذلك، وكان إحساسها بمحله فسرعان ما غادر الحياة بعد بيع مكتبته ببضعة أشهر، وبقيت الكتب في منزلها بغزة، ولم تجرؤ أن تمسكها بعد ذلك، لكنها بقيت مفيدة لأفراد عائلتها، فجميعهم يقرأون.

كتبت في المجال الثقافي في صحيفة الحياة اللندنية، الأيام الفلسطينية، مراسلة لمركز "السماء" التابع لمؤسسة سمير قصير اللبنانية وموقع المونيتور، وكذلك السكرتير مجلس إدارة المؤسسة الفلسطينية للاتصالات والتنمية، بالإضافة إلى كتابة قصة قصيرة نشرت مجموعتين من القصص القصيرة من المؤتمرات والأنشطة المحلية والإقليمية والدولية في مجال حقوق الإنسان والثقافية [١].

ترى" أسماء" أن مجرد ارتداء الفتاة للنقاب أو الحجاب، أو وضع نغمه إسلامية على الهاتف المحمول، أو إطلاق الشاب في غزة لحيته، شكليات تبقي الشخص بمنأى عن وصفه بمرتكب الرذيلة والمخالفات الاجتماعية "أساتذة الجامعات و الحكومة وأمن حماس لا يهمهم سوى المظاهر الشكلية التي أعتبرها أحياناً خداعة، وتخفي وراءها وجها قبيحاً". ثم تحكي قصة اعتقالها في أحد مراكز الحجز لحماس، وكانت مع زميلة لها دون حجاب برفقة محجبات، عندئذ قال السّجّان للمحجبات: " كيف بتمشوا مع هذه الأشكال اللي مش محجبات؟".

وتعبر أسماء عن الأسف لوجود هذه الظاهرة، لأن الإنسان في نظرها أعمق من ذلك، وتقول: "إن المجتمع يتقن ثقافة الكره والحقد بكل معانيها وأشكالها." وتضرب على ذلك مثال الحب النقي بين الرجل والمرأة، وأنهما إذا تواجدا في مكان ما، ربما يتعرضان لمساءلة شرطة حماس عن عقد الزواج أو الهوية، ولا يتم التفريق على حد قولها "بين العشاق والداعرين". ثم تضيف:" إننا مجتمع نعمل على إرضاء الجميع، لم نتعود على الاستقلالية الذاتية في خياراتنا".

---

(١) تقارير، سكائيبي برس للإعلام الأليكتروني، إصدار ٢٦ اكتوبر ٢٠١٢م.

تنتقد أسماء الغول نظرة المجتمع الغزي للمرأة التي تجد أنها من ''منظور جسدي وجنسي'' وتطالب بالمساواة في المعاملة بين المرأة والرجل، متسائلة '' لماذاُ تمنع المرأة فقط من شُرب ''النرجيلة'' في الأماكن العامة[١]؟ فإذا كانت تضر بالصحة يجب أن يُمنع الرجل أيضا'' وتذكر أسماء الغول حادثة اعتقالها من قبل شرطة الفضيلة النسائية في حماس عندما كانت مع زميلاتها في مقهى على البحر لتتساءل '' كيف يحدث مثل هذا بادعاء فتوى دون محرم؟

ومن التقاليد الاجتماعية التي تثير قلق المدافعة عن حرية المرأة أسماء غول، قتل الفتيات على خلفية الشرف دون تعرض القاتل سوى إلى عقاب خفيف لا يتعدى السجن لمدة سنة أو ثلاثة أشهر ''وفقا لفتاوى ونصوص تُفسر بإرادتهم؟'' ثم تشجع أسماء المرأة على تحدي الممنوع، و تحدي القيود التي تفرضها التقاليد. ومن المبادرات التي قامت هي بها شخصيا على هذا الصعيد، ركوب دراجتها الهوائية والتجول بها مسافة ٣٠كم في غزة '' أرسل معاني إلى المرأة بأن تتحرك وتخرج من صمتها''، ثم تتهم الرجال بالتسلط في اتخاذ القرارات، ومنها على سبيل المثال، اختيار زوج الفتاة، واختيار عملها، ونهرها وزجرها وعرقلتها إذا اختارت مهنا مثل الصحافة، ثم تقول بنبرة غاضبة:'' يعاملون المرأة كجسد، وكأن جهنم خلقت للنساء، والجنة للرجال[٢].

هذه التحديات لتقاليد المجتمع وأعرافه لم تمر دون أثر قوي على حياة أسماء الغول، لاسيما على الصعيد الشخصي ''لا يوجد لدي حياة شخصية، فحياتي الشخصية مختلطة مع عملي''، ثم تقول إنها ربما تندم مستقبلا، لكنها تشعر بالسعادة عندما تفكر بأن كتاباتها قد تحدث تغيرا لدى قرائها. وهي تشعر بأن عملها ظَلم بيتها وابنها الوحيد ناصر(٦ سنوات)، الذي عرضته، كما تضيف، إلى مواقف صعبة، عندما تلقت رسالةً عبر مدونتها بالتهديد بالقتل، وأن ابنها سينتحر حين يرى بشاعة ما سيحدث لها. إلا أنها أصّرت على المضي بما تؤمن به وتقول:"إنك لا تقرر أن تكون شجاعاً، لكنك تصطدم بمواقف تصنع الشجاعة من الخوف والعجز".

---

(١) المصدر السابق، ص/٣٤.

(٢)المصدر السابق، ص/٦٥.

كل ما تحسه أسماء وتراه تعبر عنه في كتاباتها بصدق. وتدفع أحيانا مقابل ذلك استبعادها من الكتابة في صحف محلية، وهي تقول، إن أفكارها ملكٌ للناس، وأنها تتقبل النقد. فكما تقول "إننا في عصر تنوع فكرى وحضاري، يقوم على الاختلاف وتقبل النقد".وقد ترجم العديد من كتابات أسماء الغول الأدبية إلى عدة لغات أجنبية وحصلت على عدة جوائز، من أبرزها جائزة هيلمان هامت عام ٢٠١٠ التي تمنحها مؤسسة هيومان رايتس وتش للكتاب الذين يتعرضون إلى ضغوط سياسية.

للكاتبة ‘‘أسماء" سجلٌ حافل بالنشاطات السياسية[١]، لاسيما منها تلك الداعية إلى مواجهه الانقسام الفلسطيني. والدعوة لشباب ١٥ آذار مؤخرا على مدونتها بعنوان:" أيها الفيسبوكيون في ١٥ آذار آمنوا بالوطن واكفروا بالأحزاب". وقالت لدويتشه فيلله إن حماس اعتدت عليها واعتقلتها حين خرجت ومجموعة من أصدقائها للتضامن مع ثورة مصر، واعتقلت مرة أخرى لخروجها بمسيرات تنادى بإنهاء الانقسام الفلسطيني. وأشارت إلى أنها غيرت كثيرا أماكن إقامتها بسبب المطاردات الأمنية لها. واليوم وضعت أسماء تحت الإقامة الجبرية مجددا، وهددت بالقتل إن هي غادرت منزلها.

و نشرت صحيفة جيروزليم بوست من أيام مقالا بعنوان "صحفية تصر أن تبقى شوكة في حلق حماس" لوكالة الأخبار[٢] الإسرائيلية . تقول فيه إن الناشطة (العلمانية) أسماء الغول تعرضت للضرب والإساءة من قبل حماس في غزة بسبب انتقادها لسياسات حماس (الإسلامية) في غزة. وعلى الرغم من المشاكل التي تتعرض لها أسماء في غزة إلا أنها تصر دوما على العودة اليها، وقد توجهت لنيويورك لنيل جائزة (الصحفية الشجاعة) ثم ستعود مجددا إلى قطاع غزة. وكانت الغول تعمل مراسلة لدى صحيفة الأيام لكن مع انتهاكات حقوق الإنسان لم تستطع السكوت على ما تراه، واعتقلت الغول لقيامها بالمشي مع رجل على الشاطئ وعدم التزامها بالتعاليم الدينية كما بررت حماس. ولا يزال الصحفيون يتعرضون للاعتقال والاعتداءات من قبل حماس في غزة.

---

(١)المصدر السابق، ص/١٢.

(٢)المصدر السابق، ص/١٣.

الكاتبة الأديبة

إن الكتابة الالكترونية غيرت تاريخ الأفكار وإنتاج المعلومات وسط كمية "داتا" ضخمة في الفضاء السيبيري على الانترنت من مدونات ومواقع الكترونية ومكتبات. لقد احتل التدوين الالكتروني مكانًا كبيرًا من حياتنا كقراءة أو كتابة، وأصبحت الكتابة بفضله أكثر صدقا وواقعية وجرأة، وجعلنا التدوين نتخطى كثيرا من الكتب والأدباء كان لوجودهم تعويضا عن الصمت والخوف والمسكوت عنه. إلا أن التدوين بمقدار ما اختصر علينا إلا أنه حرمنا الكثير؛ حرمنا لذة الاكتشاف والسعي وراءه، كما حرمنا أن نجرب بدورنا الكتابة حين لا نجد ما نتمنى قراءته.[١]

لقد تغيرت الكاتبة بعد الكتابة الالكترونية بعلاقتها مع الكتب، لقد كانت الكتب الإلكترونية قدرا لإكتشاف الكثير في حياتها الشخصية وليس فقط الأدبية والفكرية، كان لها فضل جميل وقاسي أحيانًا، ربما هذه عبارات غامضة تحتاج هي بذاتها كتابا لشرحها، لكن تراهن على ذكاء من يقرأها. إن الكتابة الإلكترونية جعلتنا نقرأ ونسمع عن كتب ضعيفة الفكر والطرح واللغة قد تنال الشهرة، أو نشر روايات باللغة العامية والتي قد يكون طرحها إبداعيًا، لكن ليس من حقي الاعتراض فكل عصر له أدواته، كما أن الإبداع والتجارب الأدبية لها سمات تختلف كثيرًا من وقت لآخر.

"رسالة إلى الإله وهجران على لوح أسود"[٢] : هي مجموعة قصص مشتركة للكاتبين الفلسطينيين الدكتورة سناء شعلان وأسماء الغول، المجموعتان اللتان فازتا بجائزة الكاتب الشاب لعام ٢٠٠٦م، وصدرت المجموعة بالشراكة بين مؤسسة عبد المحسن قطان في فلسطين ودار الآداب للنشر والتوزيع في لبنان، وتتكون المجموعة من جزأين، وتتألف من ١٩٩ صفحة. الجزء الخاص من المجموعة، سناء الشعلان، بعنوان "رسالة إلى الله". في بعض قصصها، تلعب المجموعة على تقنية القصة الأم، التي تولد القصص من نفسها، تجمعها وحدة عددية، رغم أنها تقوم على فوضى التشرذم، والاسترجاع، والتبصر، والتداخل الداخلي والخارجي. حوارات للتعبير عن الحالة العاطفية التي عاشها أبطال القصة.

---

(١) الكاتبة أسماء الغول، مجلة "الترا صوت".

(٢) المصدر السابق، ص/٩٢.

الكاتبة الصحفية

وأسماء الغول صحفية وكاتبة حرة تبلغ من العمر ٣٠ عاما. تكتب لصحيفة "الأيام" الفلسطينية لكنها في الغالب تمارس التدوين بلا هوادة ودون أي "تابوهات" على الإطلاق. وتكتب أسماء عن الأسلمة القسرية، و"جرائم الشرف"، والفساد، وانتهاكات حقوق الإنسان، وحقوق المرأة. وتضيف:"إذا كنت تريد أن تكون قادراً على الكتابة حول هذه الموضوعات بصراحة، عليك أن تكون في الشارع أيضاً[١]".

تأتيها أنباء الاعتقالات والعقوبات باستمرار. وتزداد رسائل التهديد بالقتل التي تتلقاها عبر الهاتف والبريد والمدونة. ومن نوعيات رسائل التهديد التي تصل إليها: "سنقتلك، سنكسر عظامك، سنحرق لك ابنك." وكما تأتيها التهديدات تأتيها الجوائز باستمرار أيضاً. ففي أكتوبر(تشرين الأول) الماضي، مُنحت جائزة "الشجاعة الصحفية" من قِبَل المؤسسة الدولية لإعلام المرأة. وقبلها تلقت جائزة مماثلة قدمتها لها مؤسسة دبي وأخرى من مؤسسة آنا ليند عن "التزامها بحرية التعبير وشجاعتها في مواجهة القمع".

تستلهم أسماء الغول الثبات من هذا الاعتراف الدولي، فهذا يمنحها القوة في معاركها الجديدة. وآخر هذه المعارك هو مقاومتها للأسلمة المستشرية في غزة. في يناير(كانون الثاني) ٢٠١٣م، قرر مجلس إدارة جامعة الأقصى في قطاع غزة أن الضغوط الاجتماعية والأسرية لضمان ارتداء جميع النساء لباسهن "بشكل ملائم" لم تكن كافية. وصوَّت المجلس لفرض زي موحد على الطالبات – قائلاً إنه بدءاً من الفصل الدراسي المقبل سيكون إلزامياً بالنسبة لهن ارتداء "ملابس تحترم عادات وتقاليد المجتمع الفلسطيني". وتشتمل الملابس المذكورة على الإيشارب (الحجاب) وفستان طويل يغطي الكاحل (جلباب). لا تشعر أسماء بتهديد شخصي من هذا الإجراء، فقد تخلصت من حجابها في عام ٢٠٠٦م. ومع ذلك، فإنها تشعر بمسؤولية عن فتيات غزة التي ترفض ارتداء هذا الزيت الإسلامي.

توقفت أسماء عن التدوين لبعض الوقت حالياً، حيث تلقت الكثير جداً من التهديدات. تقول أسماء:"في حال بدءوا، بعد تهديدي ووعيدي بابني، في توجيه التهديدات

---

(١)تقارير، سكائيبي برس للإعلام الأليكتروني، إصدار ٢٦ اكتوبر ٢٠١٢م.

نحو ابنتي التي تبلغ من العمر ستة أشهر، فسأصاب بالجنون." كما تحاول أسماء حالياً ن تكون أقل استفزازاً، لذا توقفت عن التدخين على الشاطئ أو في الشارع. "أحيانا أشعر أنني وحيدة في عين العاصفة." وتعكف أسماء حالياً على كتابة كتاب عن غزة وما زالت تكتب مقالات، معظمها لمؤسسة "المونيتور"، تتناول فيها موضوعات عن الحرية، التي تبدو وكأنها مريضة بها، على حد قولها. "مرض سأحيا به طيلة حياتي، لكنه مرض حبيب إلى قلبي[١]."

آراء الصحفيين في أسماء الغول

سلطت صحيفة "لوموند"[٢] الفرنسية الضوء على أسماء الغول، إحدى صحفيات المقاومة الفلسطينية التي تحاول الإمساك بآخر بقايا الأمل والنور في قطاع غزة. ووصفت الصحفية أسماء بأنها آخر امرأة حرة في غزة بعدما رحل أصدقاؤها إلى أنحاء متفرقة من دول العالم، بينما بقيت أسماء صامدةً متحديةً.

وقالت الصحيفة: "لقد رحل جميع الأصدقاء تقريباً، رحل بشار إلى السويد، ومي إلى إسبانيا، وعماد إلى تونس، ومحمد إلى قطر، وأسد إلى مصر، وأدهم إلى بلجيكا. كما رحل مصطفى، أخو أسماء، إلى بلجيكا أيضاً، بينما رحل محمد مطر إلى بلجيكا؛ ويُنادى مطر أيضاً بأبو يزن، وهو زعيم حركة ١٥ مارس التي لم تعش طويلاً، والتي حاولت جلب الربيع العربي إلى غزة."[٣]

وتضيف: "هناك الكثير من القمع من جانب حماس، والكثير من خيبة الأمل انتظاراً للوصول إلى مصالحة بين الفلسطينيين لم تأت أبداً. وهناك الكثير من المعاناة، والكثير من الحروب والمصاعب، لكن الأهم من ذلك كله: الحصار الإسرائيلي."

الأمل يحتضر والمستقبل مسدود، وخاصة بالنسبة للشباب الخريجين. لذلك رحل كثير من الشباب، ولكن بقيت أسماء – عازمة، شجاعة، متأهبة للقتال في أي وقت كالعادة.

---

(١) المصدر السابق، ص/٧٥.

(٢)لوموند صحيفة فرنسية يومية مسائية، تصدر بالتنسيق المعروف بشكل برلينر، وهى الإصدار الرئيسي لمجموعة لافى لوموند رئيس مجلس الإدراة ومخرج الإصدار الحالي.

(٣) المصدر السابق، ص/٨٦.

ورأت الصحيفة أنه إذا كان سيظل هناك شخص واحد فقط في غزة، فستكون هي هذا الشخص. وتنقل الصحيفة عن أسماء قولها: "كان من الممكن أن أذهب أيضاً، ولكني أحب غزة، وأوروبا مملة بالنسبة لي. أنا لا أمثل شيئا هناك، وليس هناك ما يمكن تغييره. أحتاج إلى تحديات، معارك نحاربها، وقضايا ندافع عنها[١]."

يقول معد التقرير لورينت زيتشيني: "تركت أسماء اجتماعنا مثلما وصلت، سيْراً على الأقدام، شعرها مكشوف، وترتدي الجينز غير مبالية تماماً بما يظنه الآخرون. وبينما كانت تروي لي قصتها، كانت تدخن بشراهة وكانت تشير إلى الشاطئ."

هذا هو المكان الذي حدث فيه كل شيء، خلال صيف عام ٢٠٠٩م. كانت تسير على الشاطئ مع مجموعة من الشباب والشابات. وصلت شرطة الآداب، واصطحبوا الشباب إلى السجن. أطلقوا سراح أسماء، ولكن تمت مصادرة جواز سفرها.

في عام ٢٠٠٧م، بعد وقت قصير من الحرب الأهلية الفلسطينية، كانت أسماء، وهي صحفية منذ عام ٢٠٠١م، في كوريا الجنوبية للحصول على دورة صحافية. وخلال فترة إقامتها، كتبت مقالاً بصيغة رسالة مفتوحة إلى عمها وهو زعيم عسكري كبير في حماس. كان المقال بعنوان "عمي العزيز، هل هذا هو الوطن الذي نريده؟" وانتقدت فيه الآراء المتطرفة للحركة الإسلامية. كان رد عمها على الرسالة هو تهديدها بالقتل.

في أكتوبر(تشرين الأول) ٢٠٠٩م "قبل الربيع العربي"، كما تقول أسماء، أسست حركة "إصحى" مع نحو ٢٠ صديق. تقول: "كان هدفنا مكافحة أسلمة حماس لقطاع غزة. وفي العام التالي، مشى مجموعة من الناشطين الشباب في شوارع غزة حاملين صندوق اقتراع ضخم يطالب بانتخابات فلسطينية – والتي ما يزال ينتظرونها بفارغ الصبر.

زاد عدد الاعتقالات، وزادت المضايقات أيضاً. ففي يناير(كانون الثاني) ٢٠١٠م، أُلقي القبض على أسماء مع آخرين. تقول أسماء:"كان ذنبنا هو إظهار دعمنا للثورة ضد مبارك! "أمضت أسماء ثماني ساعات في السجن وتعرضت للإهانة والضرب من قِبَل الشرطة النسائية الذين اتهموها "بأنها غير مسلمة".[٢]

---

(١)تقارير، سكائيبي برس للإعلام الأليكتروني، إصدار ٢٦ اكتوبر ٢٠١٢م.

(٢)المصدر السابق، ص/١٦٣.

وفي نوفمبر(تشرين الثاني) ٢٠١٠م، أغلقت الشرطة مكاتب "منتدى شَارِكْ الشبابي" في غزة، وهي منظمة غير حكومية تموّلها الأمم المتحدة لتنظيم مخيمات وبرامج بعد المدرسة للأطفال والشباب الفلسطينيين. تم إلقاء القبض على ثمانية عشر من النشطاء وتعرضوا للضرب المبرّح. ومنذ ذلك الحين، أصبحت الاحتجاجات والاعتقالات شيئاً عاديّاً. في مارس ٢٠١١م، تم الزج بأسماء في السجن وتعرضت للضرب بعنف من قبل ضباط الشرطة.

مؤلفاتها:

أولاً : مجموعات قصصية

- هجران على لوح أسود (٢٠٠٦م)
- أصوات فى زمن كورونا (٢٠١٩م)

ثانيًا: الأفلام (السنيما)

- غزة عراف.
- دراما رمضان.
- نيلسن مانديلا- البطل الأخير.
- نائلة و الإنتقاضة.
- الجاسوس- الرواية الإسرائيلية.
- الدرامة العربية ٢٠١٩م.
- السجادة الحمراء.
- حياة الفهد.
- البرج- نكبة فلسطيين.

الجوائز التي حصلت عليها

- "القطان للقصة القصيرة" ٢٠٠٦م.
- جائزة آنا ليندا لدول البحر المتوسط في موناكو عام ٢٠١١م.
- جائزة الصحافية الشجاعة من مؤسسة IWMF في نيويورك عام ٢٠١٢م.
- جائزة عمر أورتيلان لحرية الصحافة في الجزائر عام ٢٠١٣م.

الباب الخامس

دراسة فنية

- **الفصل الأول:** الإتجاهات الرائدة فى القصة القصيرة
- **الفصل الثاني:** الخصائص اللفظية
- **الفصل الثالث :** الخصائص المعنوية

الفصل الأول

الإتجاهات الرائدة فى القصة القصيرة

الإتجاهات الرائدة

تعد القصة القصيرة من الفنون السردية ذات الصلة الوثيقة بحياة الناس الواقعية بأحداثها و شخوصها، فهي تفسر تجربة قد وقع فى حياة البشر وتصف كلّ ما تثير من انفعالات وما تفرضه من سلوك.

وقد ظهرت القصة القصيرة جداً لتنبثق من متن النص الحكائي بسرديته لكن بإيجاز و تكثيف وإضمار وحذف واختزال للفكرة تناسب طبيعة العصر وميله للسرعة بما يتيح للمتلقي قراءة القصة في دقيقة واحدة أو بضع دقائق ليصل النص فى عملية التلقي للإكتمال. إن الرغبة الملحّة فى التغيير لابد أن تقف خلفهادوافع مهمة نابغة من متغيرات الحياة نفسها.(١)

و مصطلح "القصة القصيرة" ليس حديثا بدرجة كبيرة كما يذهب بعضهم ببعض، بل له جذور فى التراث العربي القديم يمكن العثور عليها فى أخبار الحمقي وتلك النصوص التي تجمع بين السخرية و المفارقة. كذلك عرف الموروث السردي العربي أنواعاً قصصية المتندرة، وقصة المثل. وهكذا استخدم النقاد والعلماء تسميات مثل: قصة مفاجئة، سريعة، خاطفة، ضامرة. هذه هي التسميات التي تشير في المقام الأول إلى بناء الشكل وتشير ضمنًا إلى أنه هيكل "محدود" لا يلبي متطلبات القصة الكاملة: وتسميات مثل: القصة البسيطة، الأصغر دقيقة، الأصغر، الرجوع لطول أكثر من المبنى ودعوا للمقارنة مع أطوال الأشكال الأخرى. (٢).

حاولت مراجعة ووضع أهم المصطلحات التي تعبر عن هذا الشكل الأدبي بعد تحديد ستة عشر مصطلحًا، وهي:

- المصطلحات الزمنية: مثل القصة الجديدة، والقصة الحديثة، والحالة القصصية، والمغامرة القصصية، وكلها تنبع من حكم وصفي يمر بقانون التقادم.

---

(١) القصة الفلسطينية القصيرة في الأراضي المحتلة، صالح، د . فخري، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص/١٦ .

(٢) المصدر السابق، ص/١٨.

- مصطلحات الأنواع الفنية: مثل القصص المصورة، الصور القصصية، النكات القصصية، القصص القصصية، الشعر الخيالي، والأفكار القصصية، والتي تشترك جميعها مع الفنون الأخرى.
- المصطلحات الدلالية: مثل القصة القصيرة جدًا، وقصة الفلاش، وقصة اللقطة، والقصة القصيرة جدًا، والقصة المكثفة، وقصة الكبسولة، وقصة البرقية، وكلها تشترك في دلالات السرعة والحجم الصغير.

أذهب لاستعراض أبرز التقنيات والعناصر التي تحمل هذا النوع الأدبي على الخصوصية، حيث ألخصها في المحاور التالية: القصصية، الجرأة، الحماقة في التفكير والموضوع، التكثيف، خصوصية اللغة و الإقتصاد، الانزياح، المفارقة، الترميز، الأنسنة، السخرية، البداية، القفلة و التناص.

لقد أثارت القصة القصيرة قضايا نقدية مهمة منها قضية التجنيس و التاريخ وما يرتبط بالجوانب الدلالية وما يخص الجوانب الفنية والجمالية والأسلوبية. يثير نهج القصة القصيرة العديد من الصعوبات النظرية والمنهجية والتطبيقية. لا يزال هذا الفن المبتكر في الساحة الثقافية العربية في حاجة ماسة إلى الأدوات الفنية والتصورات النظرية والمفاهيم الإجرائية لتقييم نصوص القصة القصيرة ودراستها في دراسة موضوعية وفنية. [١].

العناصر الفنية في القصة القصيرة:

أولاً: الحدث:

تستند القصة على الراوي الذي يروي الأحداث

ثانيًا: الشخصيات:

أ- الشخصيات الرئيسية: وهي التي تتناول أحداث القصة وتتأثر بها.

ب- الشخصيات الثانوية: وهي التى تساعد في بلورة الحدث وتطوره إلى حد ما.

ثالثًا: الصراع:

---

(١) القصة والرواية، مريدن، د . عزيزة، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٠م، ص/ ٥٣-٥٤.

الصراع هو سمة فنية موضوعية مهمة للخيال. وله نوعان من الصراع:

أ- الصراع الخارجي: الصراع والاصطدام بين شخصيات.

ب- الصراع الداخلي: وهو يكشف أعماق الروح (الصراع النفسي).

رابعاً: الحوار:

استخدم المؤلفون أسلوب الحوار مع الأسباب لكشف ظروف الشخصيات، واقعها، تفكيرها ومصيرها المأساوي. استخدم الكتاب الفلسطينيون الحوار بطريقة فنية، مستخدمين عبارات موجزة وغير مثيرة للاهتمام للتعبير عن اللحظات التي شكلت بؤرة مركزية تكتمل فيها الأحداث على مرحلتين.

خامساً: الزمان والمكان:

إنها مجموع الأحداث والمواقف التي تتشكل من خلالها العلاقات الإنسانية.

الزمن: القصة تعتمد على مرتين: أول زمن تاريخي: زمن الأحداث.

الثاني : الزمن السرد: وهو يعتمد على استرجاع الزمن كما بدأ الكتاب في الوقت الحاضر

المكان: ربط الكتاب المكان بظروف الشخصيات وتأثير ذلك على القصة. وكان للمكان تأثيرات واضحة على سلوك الشخصيات في تحديد أبعادها وردود أفعالها، لذلك عبر الكتاب من خلال المكان عن ارتباط الفلسطيني بأرضه والدفاع عنها.

سابعاً: اللغة:

تقوم القصة على الوصف والسرد و ارتباطه بالمحتوى ليكشف عن جمال الوطن وعبق البرتقال.

ثامناً: الحل الذي اقترحته الكاتبات هو حل موضوعي يتعلق بتطور أحداث القصة.

الخصائص الفنية لأسلوب الكاتبات:

١- سهولة التعبير ووضوحه

٢- استخدام التعابير الموحية

٣- التحرر من البراعة اللفظية

٤- تسلسل الأحداث وعلاقاتها المتبادلة

٥- التعبير البشري عن الموضوع.

٦- تدور معظم قصص المؤلفين حول معاناة الفلسطينيين في المنفى

٧- التناوب بين السرد والحوار.

أ- تستخدم الكاتبات أسلوب الحوار لكشف أحوال الشخصية والواقع والتفكير والمصير المأساوي.

ب- تلجأ الكاتبات إلى عنصر المفاجأة في أكثر من موقف لإثارة القارئ والتعبير عن الأحداث التي تدور حولها.

إذا حاولنا الاستفادة من جميع الخصائص الهيكلية للقصة القصيرة ؛ يمكننا صياغة تعريف مؤقت، وهو توليفة مركزة لأهم الميزات المذكورة من نماذج القصة الحالية، بشرط أن تكون قد حظيت باهتمام واسع. لا يمكن اعتبار هذا التعريف، لكنه الحالة الحالية للقصة القصيرة، مع ملاحظة أن أي تعريف يقدمه مناظر الفنون بالضرورة وتطورات، ونحن صياغة التعريف كالآتي:

القصة القصيرة جداً، هي فن قصصي حديث النّشأة والذّيوع، له أصول قديمة عربية وغربية، يتميز بخاصية رئيسية هي القصر الشّديد: من سطرين إلى حوالي خمسة عشر سطراً في الغالب، كما أنّه فن يعتمد كثيراً على تقنية المفارقة، وخاصيات: التّكثيف والتّوتر والاقتصاد في اللغة، والسّخرية والمباغتة والإدهاش، وتتحول فيه الكلمة إلى ركيزة أساسية، وغالباً ما ترسِم القصة القصيرة حالة محددة، أو موقفاً إنسانياً مأساوياً عميق الدّلالة، أو نقداً لاذعاً للواقع في إطار مختزل من الفضاء والحدث مع استخدام الرّمز والميل إلى الطّابع الغنائي أحياناً؛ وهي لذلك تعتمد في الغالب على صوت الذّات المتكلمة صاحبة الموقف، كما أنّها بمجموع تلك الخصائص تقترب من قصيدة النّثر واللوحة التّشكيلية والمشهد المسرحي أو السينمائي الخاطفين[1].

(١) القصة القصيرة جداً في أفق التّعريف وتحليل نماذج، حميد الحمداني، مجلة قوافل، العدد٢٩، ديسمبر ٢٠١٢. ص/ ٣٢.

أبرز الخصائص التي تميز هذا النوع من السرد القصصي مثل "قصر شديد، تكثيف، اقتصاديات لغوية، مفارقة، ترميز، إزاحة، شخصية إنسانية، سخرية، تناص "[١]. تشترك القصة القصيرة في معظم هذه الخصائص مع أنماط السرد الأخرى ؛ إنها النزوح، والإنسانية، وتبقى القضية محصورة نسبيًا في الخصائص المتبقية، وهي: القصور الشديد، واقتصاديات اللغة، والمفارقة. خصائصها الدلالية الشكلية، وتكمن الأهمية في إدراك هذه العلاقة بين الأدباء المختلفة؛ وبالتالي يجب أن يكونوا منفتحين على فنون أخرى مختلفة، والقيم الجمالية والدلالية الجديدة التي يجلبها المستقبل.

إذا قبلنا أن القصة القصيرة هي نوع أدبي لأنه ابن عصر السرعة والتشكيك في الأيديولوجي واليقين والمعرفة المخالفة لطبيعة الإنسان، ثم التساؤل عنها وزرع القلق والشك فيها لتخبر حقيقتها الخيالية من ناحية أخرى، وهي ابنة عصر التفتت وانهيار الأنماط والاكتمال والوضوح من طرف ثالث. كيف عمل الراوي على كتابة عناصر القصة القصيرة وفنها من حيث علاقتها بالحداثة ومكوناتها من حيث السرد والكثافة.

علاقة القصة بالخبر

علاقة القصة القصيرة بالأخبار علنية في الغالب ؛ لأن القصة مرتبطة بمعظم أنواع السرد القصصي. إنه يشير إلى الحقيقة، أو أحيانًا إلى ما وراءها، أي ما يمكن فهمه من وراء حقيقة أن المخبر نفسه قد يقترحه. يشكل هذا الجانب الخفي من القصة إحدى السمات الرئيسية للقصة القصيرة في الوقت الحاضر. لأن المخبر فيه لا يريد فقط تقديم الأخبار، ولكن أيضًا تعليق أو اقتراح أو أبعاد إنسانية ودلالية محتملة وتنبع أهمية الأخبار من محتواها:

الخبر الذي يتم نقله لا يثير فضول المتلقي، فبالإضافة إلى طبيعة الموضوعات، وعندما يرتفع الخبر على مستوى فن مثير للاهتمام ؛ تم تحويله إلى عمل سردي له قيمة إضافية تتجاوز محتواه ؛ لذلك، فإن الحدود بين الأخبار والإبداع ليست نهائية، ويمكن إنشاء نص سردي، ولكنها تعتمد على تحليل نقدي عميق ؛ اتضح أنه لم يترك مجال الأخبار [٢].

---

(١) القصة القصيرة جداً، أحمد جاسم الحسين، مجلة قوافل، العدد٣٩، ديسمبر ٢٠١٦. ص/ ٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص/٣٨.

إن مفهوم الأدب في ذلك الوقت كان مرتبة وبالتالي "وجدنا بعض من له تخصص بدراسة الخبر في الثّقافة العربية من يُنزّله في مرتبة الكتابة الإبداعية"[١]. أما مظاهر التطور للصورة الفنية في "القصة القصيرة" فهي:

مظاهر التطور

سهولة الألفاظ اتسعت اللغة العربية لثقافات الأمم المجاورة لحضارة عربية كالحضارة اليونانية والرومانية، فكثر استعمال الألفاظ الأجنبية و "اختار الناس أن يتكلموا ألطف وأسهل، وتعمدوا التحدث بكل ما له أسماء كثيرة، اختاروا أفضل ما سمعوه منهم وأجملهم من القلب ولم يكن سبب استخدام هذه اللغة هو الافتقار إلى البراعة في الأساليب العربية الخاصة، فقد كانت أكبر من أن تُتهم بذلك، نعم لا ينكر ريادة القدماء في تنقية الكلمات وتقييد الآثار".[٢].

البديعة اللفظية: تزيين الكلمات بألوان رائعة من المزايا اللفظية والمعنوية في القصة القصيرة، وخاصة عند الكاتبات الفلسطينيات. وأول من صنفها هو "ابن المعتز" الشاعر الشهير، فقام بها بضع عشرات من الأجزاء، ثم أخذ الرسوم البيانية أتقنها الباديون حتى وصلت إلى أكثر من مائة وخمسين، والجناس والغرائب هما الركيزتان الرئيسيتان له، يليهما الترصيع والتورية.

المصطلحات اللفظية والصياغة الفلسفية: تسربت بلا شك العديد من التعبيرات الأجنبية إلى "لغة الشعر وأسلوبه". لأن العرب أخذوا عن الأمم الأعجمية التي انتشرت في المجتمع الجديد، وتعلمواالضمائرو الأسماء من الحروف وصاغوا ظاهرة الإطناب عن الفرس مثل الكمية والكيفية والماهية والهوية، وكما قبل ياء المتحدث مثل نفساني وروحاني قدم النون والألف، وهذه خصائص اللغة الآرية[٣].

انتقاء الألفاظ: تتشبه اللغة بالحديث عن طبيع الألفاظ والمعاني وعن مدى ملاءمة الألفاظ المستعملة التي استخدمها الكاتبات الفلسطينيات، في موضوعاتهم وأغراضهم

---

(١) الخبر في الأدب العربي: دراسة في السّردية العربية، محمد القاضي، منشوراتكلية الآداب، منوبة ١٩٨٩، ص/٦٢.

(٢)المصدر السابق، ص/٩٠.

(٣)المصدر السابق، ص/٩٣.

القصصية. اللغة أداة للتعبير، وعند تعريف اللغة نرى أنها أداة لنقل مشاعره وأفكاره وعواطفه إلى المتلقي والمرسل إليه، ويستخدمها الكتّاب من خلال ثلاثة أطر تتمثل في الحدث والزمان والمكان و منذلك ينظر الدكتور عزالدين إسماعيل: "أنه عندما يستخدم الكتاب اللغة كأداة للتعبير، فإنه يقوم بالتشكيل المزدوج في وقت واحد مع المكان والزمان يشكلان بنية ذات مغزى"[١].

البناء المجازي: الخطاب المجازي هو أساس القصة العربية الذي يضفي عليه الحيوية، وهي من أبرز المحفزات إلى الخطاب السردي، وتوقف مشاعره وعقله. المعاني التي توفرها البنية المجازية التي توفر دلالات لم تكن لتتحقق لولا براعة الراوي في خلق علاقات جديدة. بين الكلمات بوساطة المجاز.

تكشف العلاقة بين جانبي الاستعارة عن تباين في البناء الفني، لذلك عندما ينوي الكاتب تكوين الاستعارة، فإنه يستمد من العناصر الحسية وغير الحسية مادة يعيد صياغتها حسب قدرته التخيلية ومستواه. من النفوذ والجهل والتوتر. في هذا البناء الاستعاري الحسي، يرتفع المستوى المجازي السطحي، والمستوى الفني عندما يرتفع الجانب المادي غير العقلاني إلى طرف حي في سلوكه، حيث يؤنس الشاعر الجانب المادي. عندما يكون الطرف الأول مجردًا والطرف الثاني ماديًا وملموسًا، يكون المستوى التقني أقل من البناء المجازي ملموسًا [٢] يمكن توزيع على النحو التالي:

الصورة الاستعارية

إنها "استعارة يكون فيها الطرفان حسيًا، أو أنها تُظهر تحولًا بين طرفيها من علم الإدراك الحسي إلى علم حسي آخر، بحيث تبدو الترابطات التي يثرها كل طرف متناغمة مع ترابطات الطرف الآخر ومحافظة على مبدأ التشابه والتماثل في الوقت نفسه". تم توضيح

---

(١)المصدر السابق، ص/١١٠.

(٢)المصدر السابق، ص/١٢٥.

التناسق الحسي بين طرفي الاستعارة. الأسلوب المجازي هو أحد التشكيلات الأدبية التي يطلبها المعزين وقت حزنه [١].

استعارة مجسمة:

إنها استعارة: "حيث يتجول (الفكر) المجرد في شكل مادي وملموس. أو من أظهر تغييراً من العالم المجرد إلى العالم الحسي الذي لا يشير إلى علم الأحياء".

لا تقتصر وظيفة التحول من المجرد إلى المادي على تصوير عواطف الكاتب وكشف البنية النفسية العميقة. على الرغم من أن هذه الوظيفة تمتد إلى المتلقي من حيث تأثره وإثارة إعجابه بالبناء المجازي المجسم، فمن المفيد مناقشته في هذا السياق.

استعارة تشخيصية

هو الجانب الذي يتجول فيه الجانب المادي لطرف تظهر بعلم لا تتميز.

استعارة مجردة

إنه الجانب الذي ينتقل فيه الجانب المجرد إلى الجانب الحسي في سلوكه وصفاته، أو هو ما " إنه يظهر تحولًا بين جزء مجرد معقول يتضمن معنى لطرف يمثله علم حسي حي، بحيث تبدو عملية التحويل فيها منطلقة من المشبه إلى المشبه به لخلق الترابطات التي تكسب الصفات الحسية الحية من حيث الحركة والسكون والحيوية"[٢].

استعارة الكتلة:

"إنها الصورة المركبة لصورة مجازية متتالية. كل صورة مرتبطة فنيا بمحتوى آخر. وانتقل الجرجاني إلى هذا المستوى من البناء الاستعاري في قوله: وما أصل شرف الاستعارة هو أنك ترى الشاعر يجمع بين عدة استعارات قصجاحتى يتم إرفاق الشكل بالشكل، ويكتمل المعنى والشبه كما يريد"[٣].

من سيمات البنية الاستعارية العنقودية أنها تشمل عددًا من الحوس " كآية شعرية تتطلب المعنى فيها، أو بمعنى معين، لظهور حاسة ثانية وثالثة ورابعة من أجل تحقيق المعنى،

---

(١)الخبر في الأدب العربي، محمد القاضي، ص/٦٩.

(٢)المصدر السابق، ص/١٢٨.

(٣)المصدر السابق، ص/١٣٥.

وإكمال الصورة الحسية، وقد لا تكون الصورة النهائية. تشكلت بدون مزيج من عدد من الحواس"[١].

إن الاستعارات تعددت في الصور العنقودية، لأن الشعور بالجمال لا يكتفي بقوة طبيعة واحدة فقط، وهناك اختلاف الحواس التي يمكن أن يتوسطها الشعور بالشكل الجيد. البناء الاستعاري العنقودي هو عبارة عن شبكة من الخيال المتكامل الذي يثير مشاعر الشاعر ومعانيه ويوفر للمتلقي أفقًا خياليًا واسعًا قادرًا على تجربة الصور المتتالية. يتأمل المتلقي هذا البناء العنقودي من عدة زوايا، كل زاوية تشع بلون أو خاصية الحركة، حيث أن تأثير الاستعارة على العواطف والأرواح يعتمد مثل الرسم والشكل على الوهم وعلى أقدام الصور والسمات والأفعال هو جسدي، عرض ثلاثي الأبعاد بحيث يمكن للقارئ أن يرى بكلمات أو فكر في صورتها [٢].

لذلك، يعتمد الراوي على إحساس الكتاب بنفسه، فإن لغة القصة هي لغة العاطفية. الكون هو استجابة لهذا الشعور وبكلمة هي صوت. إن عواطف ومشاعر الراوي التي تهتز في قلبه لا تقدر على وصف مشاعره وتصويرها بالكلمات في أوقات مختلفة، تعتمد لغة القصة المستخدمة في القصص العربية اعتمادًا تامًا. إذا ترك الراوي انفعالاته بين أنظمة القصيدة وإتقان لغتها، المحرك الذي يحرك اللغة، فهو الانفعال، بلغة جامدة وصعبة، ويتحكم فيها من السهولة أو الإزالة أو صعوبة التعقيد. والتكلفة، الاستقبال لا يقبلها، لأنه سيخرج بقصيدة ميتة إن شئت، ولا يريد دراستها أو حتى قراءتها، فيعرضها وتحليلها.

أبرز ما يمنعنا من دراسته، وعند الحديث عن اللغة والتعابير والمعاني نجح الراوي في التوفيق بينها ومواءمتها وإلى أي مدى. لذلك سنتحدث عن خصوصية الكلمات التي استخدمتها القصائد في رميها، ومدى ارتباطها بالمعاني وهدفها نقلها وإخراجها [٣].

إذا سمح باستخدام أفضل الكلمات في القصص، وفي سياق الحديث عن التعبيرات، فإن ما كان سهلًا عليه بدون قبح هو بريق الفصاحة. أي أن التعبيرات السهلة والبليغة بعيدة

---

(١)المصدر السابق، ص/١٧٥.

(٢) القصة الفلسطينية القصيرة في الأراضي المحتلة، صالح، د . فخري، ص/٧٩ .

(٣) المصدر السابق، ص/١٣٨.

كل البعد من النظام، فهي أكثر أنواع الكلمات شيوعًا وأفضلها وانتشارًا على مر العصور، وفي هذا يقول جاحظ:

"معاني مقترح في السبيل التي عرفها العربي والعجمي والبدوي والقروي، لكن الأمر في صلابة الوزن وتميز الكلمة وسهولة المخرج هذا يعني دائمًا أن المعاني موجودة في كيفية التعبير عنها، ولكن الفن والإبداع والشكل الذي ستظهر به، وذلك من خلال الكلمات التي تحتوي على المعاني التي يريد الشاعر نقلها"(١).

يفكر الجاحظ في نفس الفكرة العقلية ويقول: "لأن وحشية الكلمات مفهومة من قبل وحشية الناس، تمامًا كما لا ينبغي أن تكون الكلمة غريبة ووحشية، ولا ينبغي أن تكون عامية وساقطاة وسوقية إلا أن يكون المتكلم يدوياً أعرابياً، كما يفهم السوقي رطانة السوقي"(٢).

يسعى الراوي إلى استخدام الكلمات التي تؤدي إلى المعنى ولدى عودته نجد أن كلماته إلى السجن شعرت متذبذبة في هذا الوقت بين الوضوح والغموض تارة، والصعوبة والسهولة تارة أخرى، وكانت نفسية الراوي مشوشة في استعمال المفردات، لكنها اتجهت نحو السهولة وأكثر. الوضوح، واختيار الكلمات وأحيانًا ينحدر نحو السهولة والبساطة، وأحيانًا يتصاعد نحو صعوبة التأثر،. وهذا يدل على شيء اختبره الكتاب الفلسطينيون. والعديد من الكلمات التي ترسم صورة الألم والمصائب، ومن هذه المفردات: السلاسل، الأغلال الحديدية، الحبس، الليل، الأسير، الحبس، الأغلال، السلاسل، الأعداء، الخلود، العفو، الأرق، الموت، وغيرها. نفس الشاعر يمثل محنته القاسية والمحزنة، وهي ممثلة في قاموس خاص بالعائلات تحت الإحتلال.

مظاهر الزمان والمكان:

لبس الزمان والمكان بثوب عصري ومعنى مختلف. يعيشون حيث لم يتعدوا هذا العصر البطيء والبطيء، في زمان ومكان مختلفين وغريبين، ومعظمهم عاش خارج وطنهم، ولم يعتادوا على ذلك المكان برية لا أنساها وهي مثقلة بالغربة والوحدة والظلم لانها ثقيلة

(١) في الإيقاع الروائي، الزعبي، د. أحمد، دار الأمل، عمّان، ١٩٨٦، ص/ ٨.

(٢) فن القصة، محمد يوسف، ص/٣٤.

عليهم. وعاشوا الأرض المحتلة مع اللؤلؤة التي تعيش في المنطقة والجانب لحماية أنفسهم من مصائب الأبدية، أي إذا كان نزولًا يفي بعيوني، عاشت اللؤلؤة في صدف عديم القيمة مماثل لنفسها والدفاع عن الخير والروعة [١].

جوانب الصور والطبيعة:

لا يختلف عن أن الخالق مستوحى من التركيب الشعري المختلفة مادية أو مجردة. يتميز الكاتبون على إعادة إنشاء العلاقات بين المادي والمجرّد. قد يكون نسيجة خيالها. أياً كان التمييز والإثارة اللذين تتسم بهما اللغة المجازية، فهي مرتبطة بالطبيعة. إذا كانت لطف اللغة يتوافق مع ما تمنحه الأرض لبلاغتها، فإن طبيعة المناخ والمكان والسماء والنباتات والحيوانات كلها كارثية لأعمال الفكر والشكل الذي يؤمن بتراث لغة واحدة بدون آخر.

إذا شارك الكتاب جوانب من الصور الرمزية التي تم جمعها بواسطة الطبيعة والبيئة. هل تتميز الكاتبات الفلسطينيات في اختيار جوانب خاصة تتماشى مع فظائع الأرض المحتلة؟ يؤدي استيعاب جوانب الصور العارية للكاتبات الفلسطينيات إلى وجود علاقة نفسية بين جوانب الصورة والأرض التي يقيم فيها الأدباء. يمكن تصنيف جوانب الصورة المجازية للكاتبات الفلسطينيات على النحو التالي:[٢]

الموت: تراوحت صورة الموت بين دلالة ضعفها والخوف من القدر الذي نزل إليه. تحولت صورة الموت من مياه عذبة إلى حيوان مفترس بزرع أظافره. لماذا تحولت صورة الموت الى هذه الحالة؟

الزمان: من المعتاد أن الإحساس بالوقت عند الكاتبات الفلسطينيات يختلف عن شعور الإنسان الحر والحر، حيث يعاني الاحتلال من ركود ثلاث مرات. إنه مرتبط بالماضي، حيث كان محيرًا وحياته التي اعتاد عليها وأراد العودة إليها، والماضي فضاء زمني ممتع يمتد أحداثه في مخيلته، وقد يتذكر أحداثًا أو أشياء كانت غائب عن عقله. يكتشف مظاهر ودلالات ما كان يدور في خلدها. والحاضر فترة الشعور بوقت ثقيل ومظلم. لا يجد الكاتب مكانًا

(١) موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث الجزء الرابع، محمد حسين عبدالله، ص/ ٢٦٧.

(٢)المصدر السابق، ص/٧٥.

للتغلب على معاناة الحاضر سوى الفرار إلى الماضي، ويتداخل الزمنان (الماضي والحاضر)، ويشكلان صراعًا منسيًا يكاد يقتل الشاعر الحزين. المستقبل هو فضاء زمني ضبابي.

الماء : من أقوى العناصر التي يسهبها يستدعى الكتاب للبناء المجازي في مختلف العصور وفي الأدب الفلسطيني؟ لقد ارتبطت صورة الماء، لكنها اختلطت بشكلي الزمن والموت، فهل يشير هذا الاقتران إلى ظهور مماثل للكاتب للماء من جهة، ونظرته للزمن والموت من جهة أخرى؟ لنفترض، بعبارة أخرى، هل الخوف من الموت والوقت شبيه بالخوف من الماء؟ يؤدي التأمل في الصورة المائية إلى استجداء الكاتب بالماء لتصوير شجاعته في مواجهة أحداث الزمن الحلوة والمرة. وبالمثل يصور الموت في المياه العميقة أو البحر الذي يرى امتلاء عينيه، ويخوضها دون تردد أو خوف، وتتكرر نفس الصورة لديها صور سيوف ورماح تروي دماء الأعداء. والثاني: استجداء الماء ليدل على فروسته وتميزه.

كانت المعاني والتعبيرات واضحة وبسيطة، دون أن تكون طنانة ولا يغمره الخيال، سواء عندما يتحدث الكاتب عن مشاعره أو عندما يصور ما هو تحت الاحتلال، لا يعرف المبالغة ولا المبالغة التي يأخذها. له خارج الحدود المعتدلة. ولم يكن معنيًا بقدراته الفنية على الشعور وفهم الأشياء، بل كان يسعى إلى نقلها بشكل واقعي في التصوير التعبيري، مما يجعل بيانات السجن صورًا معبرة قادرة على إيحاء الجو الغامض للاحتلال والعالم الغريب.

التكرار:

التكرار هو أحد خصائص القصة الفلسطينية المحتلة، فكانت الكلمات تزداد في قصة واحدة. وكأن للكتاب تكرار كلامهم مرتين فأكثر، والإصرار فيهم رأيهم وإحساسهم بالألم. وظهر التكرار بحبه من أوله إلى آخره في قصائدهم، وهو تكرار واضح للعديد من العاجزين، حيث أنه يتم إعداده بأربعة عشر أسلوبًا للتكرار.

الحبكة الفنية

حكمنا أن القصة القصيرة غالبا ما تتميز بمستوى فني ضعيف، نتيجة التركيز على المحتوى والمحتوى الفكري، لا يعني إطلاقا أن هذه القصص تخلو من نصوص جميلة غنية بلغة أنيقة وبيان واضح. بل نعني أن القصة القصيرة تخلو من صورة تتحول فيها من خلال إلهام قوي إلى رؤية. حيث أن الصورة لم تكن القصة القصيرة في نفس الكاتب من خلال المخيلة

المتمردة التي تفجر العاطفة والعقل وتدمج بينهما، فتصبح المشاعر وكأن لها أشكالًا حسية يمكنك رؤيتها، بل كانت تشبيهًا لأن الكاتب العظيم هو المكلف بخلق نماذج التعبير، وهياكل التكوين التي يطلبونها هذه المشاعر والمشاعر"(١).

ظاهرة الاستفهام

معظم الكاتبات الفلسطينيات استخدمن في قصصهن أسلوب البناء والصيغ التركيبية التي انحرفت عن معانيها الأصلية لتؤدي إلى معاني أخرى أفادت الكاتبات الفلسطينيات في تحقيق الهدف الذي كن يسعين إليه، وجاء السؤال في مقدمتها. الصيغ. وهذه المعاني هي التي خرجت للسؤال ووجدت بكثرة في القصص القصيرة.

البساطة والسهولة في المعاني:

كانت اللغة في القصص القصيرة، بشكل عام، لغة طبيعية سهلة لا ترقى إلى مستوى المعجم اللغوي الذي ميز كلمات كثير من الشعر الشرقي. كانت القصص القصيرة على وجه الخصوص أكثر سهولة من غيرها. وذلك لأن الكتاب كانوا يسعون للحصول على تعاطف من يخاطبه وكسب قلبه بكلمات يفهمها دون أن تجعل صعوبة كلامه عقبة أمام تحقيق هدفه. لذلك استطاعت مؤلفاتها أن تؤدي معانيها بطريقة سهلة وطبيعية. وأصروا على من يخاطبهم لكي يتعاطف معهم ويغفر لهم، ونراهم يتعاملون بنفس المعنى أكثر من مرة. وهم يعرضونها بأشكال مختلفة اختلفت مصطلحاتها وتماثلت معانيها أو تشابهت، ولجأوا إلى تحقيق ذلك بالتعابير المتأملة، وهي الكلمات التي تواجهك بمصطلح مقام، كلمة لمعان، نهج له معنى واحد (٢).

---

(١)فن القصة، نجم ، محمد يوسف ، د . دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٥٩م.، ص/٩٨.

(٢) المصدر السابق، ص/٩٢.

الفصل الثاني

الخصائص اللفظية

يدرب الحدث بشكل أساسي في ترويج وحدة الانطباع التي تسعى كاتب "القصة القصيرة" إلى تحقيقها، وتتواسل المؤلفة من بين تخصيص أحداثه لشخصياته الروائية لتحقيق وحدة الانطباع هذه، كهدف قصة قصيرة تحدد ما إذا كان نجاحها يحدد نجاحها أم لا.

لا يمكن التغاضي عن الأحداث في دراسة قصصية، لأنه يسحب و يكون الأحداث حاضرًا بشكل سترة شفافة، مخفية وراء عناصر أخرى من القصة، حيث يصبح تطوراً ضروريًا. تطور الأحداث الواقعي والخيالي يبنيان في السرد القصصي [١].

كانت المؤلفة الراحلة "سميرة عزام" ما ترجمت فقط الأدب التقليدي و مجموعات القصص الأجنبية، فهذا يوحي إلى حد كبير أن اختفاء المتخيلة في أدبها يرجع إلى قلة معرفتها، بينما نفكر في كتب النقد والحديث، نزيد إلى أنواع الحوافز التي دفعت المؤلفة إلى الكتابة، ووالدتها فى قصص[٢]، يسعى الكاتب فى قديم تصوير قصص الشعوب على الأرض الواقع، وليس التنويم المغناطيسي في مكان مطلق.

"سميرة عزام" تنتمي لمدرسة "فتات الحياة"[٣] المهتمة بالواقعية من تفاصيل بشرية صغيرة. يرجع حظ كبير من نجاحها إلى حقيقة الأحداث في القصص، عندما بدت الحقيقة مصدر إلهام غني لها بعشرات القصص ليس فقط من خلال التجربة الشخصية، ولكن من خلال التجربة الشخصية، العيش والاستماع. إذ " ليس من الضروري أن تكون التجربة المباشرة المصدر لمعرفة الحياة والخبرة بها ففي الكتب أنواع مختلفة من الخبرة التي يحتاج إليها الكاتب مهما اتسع أفقه، كما أن في الاتصال بالناس والتحدث إليهم ألواناً من الخبرة التي قد تعجز عن الحصول عليها بالتجربة المباشرة"[٤].

لا ينفي هذا البيان دور المؤلفة في تخليق إلهامنا من بين تجربة شخصية أو مسموعة أو متخيلة في كتابها القصصي، ونقل بعض الأدلة الواقعية إليه، مثل ذكر الأماكن المعروفة و

---

(١) فن القصة، نجم، محمد يوسف، د . دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٩، ص /٢٣.

(٢)الظل الكبير، سميرة عزام : ص/٥ حيث تقدم الكاتبة الإهداء.

(٣) في القصة القصيرة، دوارة، فؤاد، نشر مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٦٦، ص/٩ – ١٠.

(٤) فن القصة، ص/ ٦٩ .

الأحداث التي يمكن أن تحدث في ظل الظروف. سائدة سياسية واجتماعية واقتصادية والتي تعاني من شخصيات القصة والعديد من القراء في نفس الوقت.

يحدث هذا الوهم من خلال الحدث نفسه، في القصة "في الطريق إلى برك سليمان"[١] تذكر المؤلفة الواقعة السياسية المأساوية عانى منه الشعوب الفلسطيني. تروي القصة قصة التهجير. إن معاناة المؤلفة بالاقتلاع من خلال الترحيل هو ما دفعها لكتابة هذه القصة، حيث أن وحدة الانطباع الذي عانى منه الكاتب نتيجة ذلك يكاد يتزامن مع وحدة الانطباع بأنها تريد أن تغرس في قلوب قارئ هذه القصة.

تستفيد المؤلفة من الظروف الاقتصادية العامة، وقدمت العديد من القصص خلال الحوادث حيث يشعر القارئ بأنه أبطال خلال الحوادث المماثلة وقعت معه أو تتعلق به. تفاصيل القصة " أطفال الآخرين"[٢] كلها "عميقة الصلة بالمحيط العربي المحلي . . تجري في حياتنا كل يوم، وإن كان مثل ذلك لا يكفي لخلق قصة ناجحة فإنه ولا ريب أحد عناصر النجاح. وذلك أن الموضوعات المحلية موضوعات تعاش وتمتلك حيوية الحياة"[٣].

ومع ذلك، فإن الوهم الفني للواقع بالنسبة للكاتب لا يقتصر على وهم واقع الأحداث، ولكن أيضًا من خلال واقع المكان والزمان، ومن القصة " الفيضان"[٤] الواقعية تضلّل بالواقع من خلال أسماء الأماكن: طرابلس، وميدان البرج، والجسر، مما يزيد من واقعية الحدث. تتذكر الشخصية الرئيسية التفاصيل البشرية الصغيرة.

أما وهم الوقت الواقعي، فيتم بالإشارة إلى وقت محدد، وذلك بذكر آثاره كما في القصة "في الطريق إلى برك سليمان"[٥] التي تعبر خروح الفلسطينيين،و من بين ذكره المباشر في القصة " في المفكرة "[٦] تبين المؤلفة:

---

(١) وقصص أخرى، سميرة عزام، ص/٢٣ – ٣٢.

(٢) المصدر السابق، ص/١١٥-١٢٦

(٣)أطفال آخرين لسميرة عزام / مجلة الآداب، الملائكة،نازك، بيروت، العدد ١٢(كانون الأول)، ١٩٥٩، ص ٤ .

(٤)وقصص أخرى، سميرة عزام، ص/٦٣-٦٥.

(٥)المصدر السابق، ص/٢٣-٣٢.

(٦)أشياء صغيرة، سميرة عزام، ص/٦٧-٧٢.

"تمد يدها غدًا إلى التقويم، وتخلعه وتعلق الجديد مكانه. يجب عليها أن ترقِّم غدًا في رسائلها السنة الثانية والخمسين بعد الألف والتسعة" [١]. لا يعفي الكاتبة كل ما تقدم من فشلها في صياغة الرواية الحديثة والزمانية والمكانية، حيث إن عبارة "لا تنساق سميرة مع الخيال"[٢] لا يبدو الأمر مقنعًا، إذا علمنا الامتدادات للخيال توفيرها على مستوى الأسطوري والغريب، لأن مثل هذا الخيال يسمح بعرض عدة مستويات دلالية[٣].

طرق تقديم الحدث:

تقدم "سميرة عزام" أحداثها الواقعية مستفيدة من كل طرق العرض. والأحداث التي لا تُروى إلا بأسلوب السرد المباشر أو من خلال المونولوجات والآثار والرسائل نوع واحد من عرض الحدث يتضح في الغالب إلى أسلوب القصة المباشر في ترويج الأحداث حيثما تظهر كراوي خارجي في وقت واحد، والراوية القوية الحميمية لما يحدث في وقت آخر. . في الوضع الأول، يختبئ الراوي خلف الشخصيات، "بحيث تتقدم الأحداث كمشهد يحدث أمام أعيننا، وحتى تنطق الشخصيات بألسنتها" [٤]،

في الوضع الثاني يقدم الكاتب الراوي للقصة كجزء من الأشياء اللعبية الفنية، حيث يستغل المتحدث، ولا يعلم شيئًا عن الأحداث المؤهلة لتمثيله و الوضع الراهن وروايته، حيث تصبح المعرفة الكلية نصيب الكاتب الخاص بها.

تنتظر البطلة "على الدرب"[٥] خطيبتها، حتي انتهت عمله في مصنع الجعة، ينتظر جهلًا جهلًا بالعواقب، ولو كانت البطلة مليئة بالمعرفة لما تضيع وقتها في انتظار حل مجمع العمل السردي:

"أنت لم تفت؟ هل تراه يغادر المصنع مبكرًا، لكني لم أشعر به وسط دوامة الآلات والبشر؟ بدأت أخاف. . ."[١] .

---

(١)المصدر السابق، ص/٦٩-٧٠.

(٢)المصدر السابق، ص/٦٥.

(٣)الواقعية الرمزية في القصة المغربية، مجموعة من الكتاب، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت،ط١٩٨٦،١، ص/٢٢٩.

(٤) دراسات في القصة العربية، مجموعة من الكتاب، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت،١٩٨٦، ص/٣٠.

(٥)أشياء صغيرة، سميرة عزام، ص/٥٩-٦٥.

تلين المؤلفة إلى استعمال ضمير المتحدث في القصة، عندما تعرف أنها قريبة جدًا من الشخصية، وخاصة بالشخصيات الأنثوية. يبدو أن طريق الحروف، وهي طرق معروفة من الأساليب التي تستعملها "سميرة عزام" إلى حد الكمال.

هذه الطريقة، بالطبع، تقترب من نمط القصة الثانية للسرد المباشر، لكنها لا تتفق عنها حيث كتابتها لا تعبر مفاجآت غير متوقعة. يستخدم المؤلف هذا الأسلوب بالتوفيق الكامل في القصة "حكايتها"[٢] حين تذكر الكاتبة القصة الكاملة للمومس برسالة ترسلها إلى شقيقها الذي جرته فكرة الانتقام.

إذا كان السرد كل التفاصيل الصغيرة للأخ في الرسالة مبررًا لصغر سنه عندما وقعت الأخت في الفسق وجهله بأسباب ذلك، فهذا لا يبرر تذكرة تمام التفصيل الواردة في القصة "ماما" حين يحكي الزوج لإمرأته السابقة قصته، كل تفاصيل الحادث رغم أن الزوجة هذه القصة معروفة، ولا داعي لها، وهذا ما يجعل القارئ يشعر بأنه مصطنع في تكوين القصة.[٣]

يعطي المؤلف أيضًا دورًا للتداعيات الشخصية في عرض الأحداث، حتى لو لم تكن هذه التداعيات أكثر من حدث سابق أو محفز لحدث لاحق. غالبًا ما تخبرنا التداعيات عن وقت ماضي تتذكره أو تحلم بالعودة.

إن هذه التداعية، باعتبارها أحد طريق تقديم الأحداث، غالبًا ما تتمثل وقفة في مستوى التطور الحديث. أما حقيقة أن القصة كلها مبنية على دلالات أو أحلام فهذا شيء لم نلاحظه عند الكاتبة في مجموعاتها الخمس.

تأتي التداعيات بالنسبة للكاتب من بين نمط القصة المباشر أو الرسالة في القصة "في المفكرة"[٤] حينما تأتي القاصة بطولة القصة في مضامينها:

"وهكذا خلت الفكرة من إثارة تخلّف معها الذكرى، أو عبارة يقف عندها الفكر لحظات . . وماذا كانت حين خطت هذه الإشارات ؟ إنها نفسها لا تدري ! . . فما

---

(١) المصدر السابق، ص/٦٤.

(٢)المصدر السابق، ص/١٧-٢٦.

(٣)المصدر السابق، ص/٣٤.

(٤)المصدر السابق، ص/٦٧-٧٢.

عاشت يوماً إلا كما تعيش اليوم، وستعيش إلى الأبد .. إلى الأبد ... وأفزعتها هذه الكلمة . . فهي ذات مطاطية لا تحتمل . . إلى الأبد .. هذه تعني بالنسبة إليها مكتباً عتيقاً .. ومحبرة ملوثة وطابعة تبدو حروفها وكأنها أسنان عالقة في جمجمة"[١].

قدمت المؤلفة أيضًا الارتباط من بين الأسلوب السردي لضمير الأنا، وهو النمط الأقرب إلى وهم الواقع، ويمكن أن يشير التمثيل في القصة " نافخ الدواليب"[٢]. "هنا وضح الأمر لدي، إذ لم تكن هذه المرة الأولى التي تعبث فيها بدراجتي، وتذكرت ما كنت أسمعه من بعض أصدقائي كيف كانوا يقبلون على دراجاتهم التي يتركونها بقرب النادي أو السينما أو منازلهم فيجدون العجلات وقد أفرغ هواؤها"[٣].

الحبكـــة :

حبكة "القصة" تعني "سلسلة الأحداث التي تقع فيها"، إن تصرفات الأشخاص في حوادث عند الحبكة مبررة أن تكون كذلك، حيث تبدأ الشخصيات بالحوادث من بدايتها إلى عقيدتها ونهايتها. أما العقدة فهي محكومة أيضًا بعلاقة سببية، وتشمل صراعًا "إما صراعًا ضد الأقدار أو الظروف الاجتماعية، أو صراعًا بين الشخصيات أو صراعًا نفسيًا داخل الشخصية نفسها"[٤].

يمكننا تمثيل النوعين الأولين من النضال (ضد الأقدار والظروف الاجتماعية) من قبل بطلات قصص شخصية أنثوية تنظمهن، حيث تحاول هذه الشخصيات تحقيق أنوثتها، وذلك فقط من خلال تحدي الظلم الاجتماعي الذي يمارس ضدهن. لهم، كمصيرهم. وبالنسبة للصراع بين الشخصيات، يمكننا الوصول إلى قصة " الأعداء "[٥] مثال على ما يبدو عليه القصة "الأشياء الصغيرة"[٦] وعادة ما يسعى المؤلف إلى التأثير الأكبر على القارئ.

---

(١)المصدر السابق، ص/٧٠.

(٢)المصدر السابق، ص/٩٩-١٠٦.

(٣)المصدر السابق، ص/١٠٢.

(٤) القصة الصغيرة نظرياً وتطبيقياً، الشاروني، يوسف،كتاب الهلال، العدد ٣١٦، نيسان، ١٩٧٧، ص /٦٣.

(٥)وقصص أخرى، سميرة عزام، ص/٤٥-٥٤.

(٦)أشياء صغيرة، سميرة عزام، ص/٥-١٥.

استطاعت "سميرة عزام" التنويع في تقديم العناصر لحبكة أرضها، رغم أن الشكل السائد في هذا العرض هو الشكل التقليدي الذي يبدو أن له تأثير واضح على بناء القصة فيها، لكن يمكننا أن نجد كل طرق البناء. المؤامرة التي استخدمتها بين القصص المختلفة.

سطوة البناء التقليدي :

أثرت القصص المشرقية العربية في الفترة التي كتبت فيها "سميرة عزام"، فترة الخمسينيات والستينات، فيما يتعلق بتأويل بناء قطعة الأرض، وقد تم تقديم معظمها، مع استثناءات قليلة للغاية. والأحداث بطريقة خالية من التفرد والإبداع، ولم تكن هناك رغبة للتغلب عليها، بالإضافة إلى جرأة إلى عدد من الانتقادات لم يكن كثير من الرواة الذين كانوا راضين عن موهبتهم. و"سميرة عزام"، لم تستطع سوى تجاوز بشكل طفيف، والتغلب عليها بيد واحدة.

تبدأ العديد من قصص المؤلفات قابلاً للتنبؤ به، ويخففه أحيانًا من الأعمال الفنية، عندما يبدو أن جميع الحدوث متوقعة في الواقع، يتطلب رفع مثل هذا التوقع لدى نفس الجمهور الكثير من الإقناع القائم على المعرفة الجيدة بلعبة السرد الفني.

في قصة " المسافر"[١]، بنيت الحبكة فيها وهي واحدة من عشرات قصصها بشكل تقليدي، وهذا تصل العاطفة إلى ذروتها عندما تتحد إنسانيًا مع عائلة المسافر، وتنسى أنها قادمة لتتلقى، وليس لتقول وداعًا. لا تحتوي القصة على أي مفاجأة نهائية، أي أنها لا تحتوي على حدث لاحق، تستعيد تبريره لاحقًا، بل تلجأ إلى مقدمة أحداثها بكل مهارة، بحيث يكون بناؤها التقليدي نبيلًا ولا ينقصه. الأصالة، حتى لو كانت تفتقر إلى التطوير. لكن طغيانها يأتي بالنزعة.

كانت "سميرة عزام" قليل النجاح في هذا المجال الممكن تمثيله فى تقديم القصة "خبز الفداء"[٢] المبتدئ من الحداد على وفاة سعاد، ثم تنتقل عبر ذكريات "رامز"، إلى اللقاء الأولى عند التعرف عليهم في المستشفى، إلى حبهم حتى وقت وفاتها.

---

(١)المصدر السابق، ص/٩٥-١٠٢.

(٢)"وقصص أخرى"، سميرة عزام، ص/٧٣-٩٣.

بنـاء الحبكـة :

إن سميرة عزام لم تكن تعني الخيال والمؤامرة تمكنة من التغلب. ولس الغريب أن الدكتور ناصر قرر أن: "لا تعتمد سميرة في رواياتها على الحوادث ولا على الحبكة أو الحكايات، بل تستغني عن ذلك بقدرتها الرائعة على التصوير والتحليل" [١] والتحليل من التركيب السببي لحبكة، وفى الحقيقة الفوتوغرافي فهو غياب واضح في أدبها، وأشار الأستاذ يوسف اليوسف إلى هذا الغياب. [٢]

لذا فإن الكاتبة تهتم كثيرًا بتقديم الأحداث من خلال الحبكة، وتهتم بتزويد عناصر حبكتها باهتمام كبير، وإذا بيننا في الصفحات السابقة اهتمامها ببناء العقدة، فنحن نريد الرجوع هنا إلى العنصرين الآخرين من الحبكة، وهما البداية والنهاية. يقول إدغار ألن بو عن أهمية الجمع بين جميع عناصر القصة من أجل إحداث تأثير واحد على القارئ، وايضاً قال في بداية القصة: "إذا لم يستطع الاستعداد لهذا التأثير من الجملة الأولى، فعندئذ قد فشل في بداية خطواته"[٣].

كيف تعاملت سميرة عزام مع مقدمات قصصها؟ هل كانت هذه المقدمات مهمة في سياق العمل الروائي أم أنها كانت وهمية وتأطير البدايات؟ في الحقيقة، كان الكاتب يدرك أن الفشل في بداية القصة هو فشل للقصة في لحظتها الأولى، بحيث يستخدم الكاتب عناوين القصص كجزء من البدايات الموحية، ويمكن الرجوع إليها. هنا في عدد من القصص، حيث يكون الاختيار الدقيق للعناوين جزءًا لا يتجزأ من الهيكل، يمنحها القطع أهمية أكبر.

وهناك قصة أخرى بعنوان " الأعداء"[٤] تحمل عنوانها دلالة تمتد إلى أكثر العنوان دلالة على الأولياء الذين تجمعوا، والجدال اللفظي عليهم يتحول إلى الأعداء، ولكن يرجعون إلى الأصدقاء في حرمانهم منه.

---

(١) الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، الأسد، ناصر الدين، جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٥٧، ص ١٠٢ .

(٢) دراسة في أدب سميرة عزام، اليوسف، يوسف سامي، ص /٣١ .

(٣) القصة القصيرة في مصر، عياد، د . شكري محمد، ص /٣٢ .

(٤)"وقصص أخرى"، سميرة عزام، ص/٤٥-٥٤.

إلا أن الدكتور هاشم ياغي يقول: "ولكن الذي خان القصة وكاتبتها هذا العنوان الغريب العجيب الذي ينافي ما جاء في نهاية القصة نفسها"[١]. من البديهيات الأولى في مقدمة عزام أنها يجب أن تكون تمهيدية وليست تأطيرًا.

في القصة "ستائر وردية"[٢] القراءة في أول السطور المقدمة التالية: " أبو خليل – تاجر العطارة الذي تفوح من دكانه في زاوية الحي روائح القرفة والقرنفل والحبهان والحنة – ذواقة نساء ولكن في الحلال . .. . فما جمع في ذمته أكثر من اثنتين أو ثلاثاً . أما عدد النسوة اللاتي كان لهن في يوم من الأيام حظ الانتساب إلى حريمه فقد يتجاوز عشراً . . والوحيدة التي لم يسرحها أبو خليل بطلاق هي أولى زوجاته"[٣].

في المقدمة التي تذكرها الأديبة مكاناً ومقدمة الشخصية المركزية ومجمعها النفسي جعلها دافع الأمور إلى نهايتها بدون عناء. وهي القصة "التباس"[٤] حيثما قدمت الكاتبة عقدة البطولة النفسية بين السطور الأولى قائلاً:

"لم يكن بحاجة إلى من يؤكد له أنه محتاج لزوجته، وقد نفض عن مفرقيه غبار الثامنة والثلاثين وبات يضيق بقمصانه، يحملها للمصبغة ويعيدها مرة كل أسبوع، ولكنه كان بحاجة إلى من يختصر في نفسه التردد ويدل بإصبعه على واحدة بالذات، ليشعر أنه لا يقف تماماً على أرض رخوة . كان يتكئ على مجرفته قريباً من شريط الحديقة في أمسية صيفية، وهو يجاذب جاره الكهل حديثاً من الأحاديث التي يقذف بها عبر أسيجة الحدائق، حين فاتت وعمتها في الشارع"[٥].

بعد التأكد من نجاح البداية، تشرع الكاتبة في القصة "زواج العمة"[٦] وتجمع الشخصيات المختلفة مثل "أم يوسف ناجية ومسعود وأبو شوقي وأم شوقي وغيرها"، ثم جمع الزمان والمكان ولا يفاجئ الهيكل من السرد، ويصبح كل حدث، بناءً على الأحداث

---

(١)القصة القصيرة في فلسطين والأردن(١٨٥٠ – ١٩٦٥)، ياغي، د . هاشم، ص/ ١٩٣.

(٢)الظل الكبير، سميرة عزام، ص/١٠٧-١١٦.

(٣)المصدر السابق، ص/١٠٩.

(٤)العيد من النافذة الغربية، سميرة عزام، ص/٣١-٣٦.

(٥)المصدر السابق، ص/٣٣.

(٦)أشياء صغيرة، سميرة عزام، ص/٧٣-٨١.

السابقة وآراء الشخصيات، مما يجعلها مبررة بالرغم من النجاحات العديدة، إلا أنها فشلت أحيانًا في إقناعنا بالقصص والتطورات، ففي القصة "أشياء صغيرة"[١] تأتى الأديبة بمصادفات، بدلاً بالمواجهات بين البطولة وعشيقها: "ما كانوا ليقولوا لو علموا أن عنادها قد تلاشى منذ أن رأت الوجه البني في السيارة العامة لأول مرة" [٢]. " وكانت الثانية في إحدى محال بيع المرطبات . . ظمئت مرة فدخلت بكتبها تطلب شيئاً والمرة الثالثة كانت في دار الكتب،قصدتها لتقرأ فصولاً مقررة من (العقد الفريد) فوجدته مكباً على كتاب"[٣].

"وقفت مرة إلى كوة التذاكر في إحدى دور العرض، ابتاعت تذكرة، ولما استدارت رأته خلفها ينتظر دوره"[٤] كل المتون اللفظي السابق لا تبرر تطور القصة مع حرية الأحداث التي عالجها الشخصيات أثناء هذا الحدث، بل تعتبر على الصدف بدون دليل. يكرر عزام هذه الطريقة في القصائص الأخرى. لكن رغم كل هذه الصدف تقول الدكتورة نادرة السراج: "وتمضي الكاتبة في قص الأحداث وترتيب اللقاءات بين البطل والبطلة بصورة عفوية وطبيعية لا مبالغة فيها ولا تهويل"[٥].

وقد تبدو الكاتبة مدللة تمامًا في استعمالها لطريقة الحبكة المبهمة والمعقدة التي تتّكل على إدخال القصص الصغيرة في القصة الرئيسية، وهذا واضح في القصة "لأنه يحبهم."[٦] أما في نهاية القصص، فيبدو أن الكاتبة تعتمد على عدة طرق في عرض نهايات قصصها. فقصة "من بعيد"[٧] تجعل الكاتبة نهايتها حدثًا، عندما تقف الطالبة لتحريك (الشرابة) إلى الجانب الأيمن لتكريس خريج جامعي حتى النهاية:

وحين وقف ليعدلها طفرت نظرة بلا إرادة منه نحوها نحو البغي التي أنفقت عليه فلمحها وقد قامت وانسلت من بين الصفوف، وحيدة تشيعها النظرات، ولا تبالي أن تنتظر

---

(١)المصدر السابق، ص/٥-١٥.

(٢)المصدر السابق، ص/٩.

(٣)المصدر السابق، ص/١٠.

(٤)المصدر السابق، ص/١١.

(٥) سميرة عزام في ذكراها الخامسة، دراسة في فنها القصصي، السراج، د . نادرة ، ص/ ٧٢ .

(٦)الساعة و الإنسان، سميرة عزام، ص/٥-٢٥.

(٧)وقصص أخري، سميرة عزام، ص/١٣٧-١٤٧.

لتهنئ، أو حتى للتأكد أنه أحس بحضورها، ولا تأبه أن تداري الرف فتصبر حتى ينفض الحفل والمحتفلون[١].

هناك نهايات ناجحة يمكن أن يشير تمثيل هذا النسيج اللغوي من النهايات إلى قصة "لى حين"[٢] تستند في بداية الحكاية إلى النسيج اللغوي التالي الذي يوضح كيف تعاملت أكبر العماتين: "وإذا ما حدث ونامت دقائق أكثر من المعتاد، فهناك صوت العمة الكبيرة يلعلع : ألم تستيقظ بنت الباشا ؟ ما شاء الله تراها ستظل نائمة إلى الظهيرة ؟ ومن يكنس الشرفة ويسقي الزرع ؟ أنا"[٣].

لكن العلاج يختلف معها عندما ترى العماتان فيه المشروع الزواجية ناجح بابن الجار الغني، عندما يمارسون بالإضافة إلى برهانها انواعًا من الدعارة الاجتماعية، وعندما تتمنى الاثنتان. ينتهي سفر ابن الجيران مع العمات للدراسة إلى أمريكا، وتأتي الإنتهاء بالشكل الآتي : " استيقظت (سعاد) على صوت شفيقة القديم يصيح : ألم تستيقظ بنت الباشا ؟ تراها ستظل نائمة إلى الظهيرة ؟ ومن يكنس الشرفة ويسقي أصص الزرع .. أنا ؟"[٤].

لجأت سميرة في كثير من الحالات إلى نهايتين، الأولى هي نهاية الأحداث، والأخرى زخرفة تجميلية تزيد من تأثير القصص. وفي القصة "موزع الصحف" [٥] نهاية أولى عندما مات عبود، بائع الجرائد، بينما نهاية ثانية، التي تضاف من الإحساس، عندما يتغير عبود من بائع جريدة يستعرض أخباره إلى مجرد أخبار في جريدة. تأتي نهاية ثانية في سياق لفظي الآتي: "ولم أسمع صوتاً لبائع صحيفة إلا واحداً رقيعاً يسعى في المساء منادياً على جرائده بصوت ناشز . وكان أكثر ما غاظني منه أن سمعته يدلل عيها بتفاصيل حادث عبود الذي مات تحت عجلات الحافلة"[٦].

---

(١)المصدر السابق، ص/٤٧.

(٢)أشياء صغيرة، سميرة عزام، ص/٢٧-٣٩.

(٣)المصدر السابق، ص/٢٩-٣٠.

(٤)المصدر السابق، ص/٣٩.

(٥)المصدر السابق، ص/٩١-٩٧.

(٦)المصدر السابق، ص/٩٧.

ومع ذلك، يجب ألا تكون النهاية الثانية تفسيراً لا لزوم له لأن نهاية القصة بإحكام دون ترك مجال لثغرات جديدة، أو أي تفسيرات لاحقة لها[١]، سقطت سميرة في هذا المنحدر في مناسبات قليلة، حيث أعطت شرحًا زائدًا عن النهايات التي يمكن الاستغناء عنها، مثل ذلك قصة " مجنون الجرس"[٢] تنهي الكاتبة بالعبارة الآتية: "يومها تكرست في القرية شخصية جديدة باسم جديد، حتى لكأنها عاشت قبلاً بلا اسم فمن يعرف لأبي مسعود اسماً غير مجنون الجرس"[٣].

كان بإمكان الكاتب الاستغناء وخاصة البل الذي أعطته لأبي مسعود، أي لم يضيف شيئًا إلى نهاية القصة. وأن العبارات النهاية المذكورة أعلاه لا تعمل على توفير مؤشر إضافي.، ويمكن حذفه دون التأثير على تنسيق النص.

في القصة "الثمن"[٤] يعبر الكاتب عن "رؤية زوج البطلة للحياة على أساس أن زوجته لا تساوي أكثر من جسد واحد يمكن الحصول عليه" حينما شاء، وعندما ترفض زوجته القيام بذلك ليلة واحدة، بسبب كثرة إقامته مع أصحاب الأعمال.، الشقراوات والسمراوات، يقول بطريقة توحي بأن ما يفعله هو (الدعارة الزوجية)):

"نعمت، ما هو ثمن المعطف الذي قلت إنه أعجبك . كم ... ألا تحبين .. مائتان .. ثلاثة أربعة .. تريدين المزيد .. خذي، خذي"[٥] لكن الكاتب، رغم كل هذا الوضوح، لا يكتفي بهذه الغاية، بل يقدم تفسيراً لها، يبدو أنه يستخف بعقل القارئ أو يتعود عليه الكسالى:

وشدت نعمت جفنيها أكثر فأكثر .. وغالبت انفعالها حين طوقها بذراعين قويتين كسر بهما أضلاعها، كان الاشمئزاز يزحف على روحها فيمسح المرارة والضيق والانفعال

---

(١)القصة القصيرة دراسة ومختارات، مكي، د . الطاهر، ص/ ٦٥ .

(٢)الساعة و الإنسان، سميرة عزام، ص/١٠٥-١١٠.

(٣)المصدر السابق، ص/١١٠.

(٤)وقصص أخري، سميرة عزام، ص/١٤٩-١٥٧.

(٥)المصدر السابق، ص/١٥٧.

والحياة وكل شيء . ولم تعد مع هذه الأوراق التي تغطي سريرها فتخنق إنسانيتها أكثر من جثة،كأية جثة يدفع لها ثمن[١].

الأحداث والعناصر الأخرى

ومع ذلك، فإن الحدوث لا يعتمد بالضرورة على التمثيل من حالة إلى أخرى، بل يمكن بناء الحدث من خلال عناصر أخرى من القصة أو بالتوازي معها.

إذا كان الرابط الرئيسي للحدث مع الشخصية، باعتباره الفاعل الرئيسي فيه، يتم تقديمه في قصص عزام، وضمن حدود ضيقة، عبر الزمان والمكان. بمرور الوقت، يمكن للكاتب تقديم الحدث التالي:

"وجلس في العراء على حجر خشن، لذعته الشمس فلم يشعر، وعضه الجوع فلم يبال"[٢]. مؤشرين للوقت، لكن المؤلف يستخدمهما لتقديم الحدث. يمكن أن يلعب المكان دورًا مهمًا. ففي القصة "خبز الفداء"[٣] يبدو أنه جزء مكاني من منطقة الحدث: "دعتهم السفن على ساحل عكا ... جماهير بشرية، بعضها يئن من الجروح، والبعض من الجوع والبعض من ذعر." [٤].

لذا كانت سميرة عزام وفية لواقعها، ولم يمنعها ترددها في تخيل والمبرر للعقدة الاهتمام والإثارة لقصصها من خلال اهتمامها بالبداية والعقدة والنهاية. على الرغم من وجود بعض الإخفاقات التي تعرضت لها، هنا وهناك، في تقديم الحدث المقنع، إلا أن هذا كان شذوذًا في قصصها لا يمكن قياسه.

---

(١) المصدر نفسه. ص/١٥٢.

(٢)" أشياء صغيرة"، سميرة عزام، ص/١١٩-١٢٠.

(٣)"وقصص أخري"، سميرة عزام، ص/٧٣-٩٣.

(٤)المصدر السابق، ص/٨٤.

الفصل الثالث

الخصائص المعنوية

تبدو القصة عملاً شمولياً يقوم به الإنسان اقتضته حال المسامرة التي تأتي بعد جهد مبذول، فكثيراً ما احتفظت ذاكرتنا بلذة قصص جداتنا،وليس هنالك تعريف خاص بالقصة القصيرة غير إن معاجم اللغة تشير الى إن كلمة القص تعني تتبع الأثر[١]،وأراد من ذلك التعريف الوقت الذي تستغرقه القصة في القراءة أي إنها يجب أن تقرأها في جلسة واحدة ويمكننا أن نقول عنها إن القصة القصيرة هي القصة التي تروي حدثا واحدا في مكان واحد ويقتصر الحدث فيها على وجود شخصيتين رئيسيتين أو أكثر بقليل وربما حدثت تلك القصة في زمن واحد، وقد عرف العرب قديما القصة فتراثنا العربي زاخر بها ولساننا لازم جملاً وما هي إلا فواتح لفظية يمهد بها القاص العربي لقصه في مختلف العصور التي عاشها وما يزال.

والعرب امة قصة وما ألف ليلة وليلة وحكايا الجان ورحلات السندباد البحري وعلاء الدين ومصباحه السحري والشاطر حسن وكليلة ودمنة إلا علامات نيرة على وجود ذلك النوع الأدبي عند العرب، وجودته. يبدو إن العربي قد يتفوق على غيره من الناس في طريقة سرد الحدث شفاهاً ولهذا ربما وجدت الأسواق الأدبية قديما،وانتعشت مدة طويلة من الزمن.

أما موضوع القصة فكثيرا ما اختاره القاص موضوعاً لقصته من تجاربه المعيشه أو من تجارب الآخر الملاحظة أو المسموعة أو من ثقافته المقروءة وقد تسهم الحوادث التاريخية والوثائق في صياغة قصة قصيرة مهمة، وأما فكرة القصة فهي تمثل وجهة نظر القاص في الحياة ومشكلاتها التي يضع القاص تلخيصا لها في نهاية القصة، أما الحدث فيمكننا أن نقول عنه هو ما تصنعه شخصيات القصة لتؤكد حضورها في القص، والتي بغيابه لا يمكن للقصة أن تكون والعكس صحيح أيضاً، فالقصة لا تقوم على وجود شخصيات غير فاعلة في القص فقط. ويمكننا أن نختار تعريفاً للحوار فنقول هو الأداة التي يتم بها تواصل الشخصيات مع بعضها البعض.

أما طرق عرض الحدث فمتعددة: منها الطريقة الكلاسيكية والعرض الواقعي وطريقة التداعي الحر وغيرها، وأما الحبكة فهي فن ترتيب الحوادث وتطويرها وسردها[٢] وهي على نوعين الحبكة المحكمة والحبكة المفككة. وما المكان إلا الطبيعة الجغرافية التي يقع فيها

---

(١) القصة الفلسطينية القصيرة في الأراضي المحتلة، صالح، د . فخري، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٨٢، ص/١٦ .

(٢) المصدر السابق، ص/١٨.

الحدث،أما الزمان فهي المرحلة التيُ ينقلها الحدث، سواء نقل لنا الماضي أو الحاضر أو استشرف المستقبل كما في قصص الخيال العلمي، وقد تم تقسيم الشخصيات بحسب دورها الى شخصيات رئيسة و شخصيات الثانوية أو بحسب ثباتها وحضورها الى شخصيات نامية وأخرى ثابتة غير متطورة، وقد تعرض الشخصيات بطرق مختلفة كالطريقة التحليلية، والطريقة التمثيلية وغيرها، أما القاص فأما أن مؤرخا يقتصر دوره على نقل الحدث بصورة مباشرة أو يكون راوياً عليماً يسرد الحوادث بضمير المتكلم، أو قد يلجأ القاص إلى طريقة الوثائق والتي يتم فيها سرد الحوادث باستخدام الرسائل والمذكرات.

فإذا ما تحولنا إلى الصراع لأمكننا تعريفه بالتصادم بين إرادتين، وقد يكون صراعا خارجيا يقع بين شخصيات القصة، أو يأتي الصراع داخلياً في مكنونات الشخصية ذاتها. أما العقدة والحل فتقع في نهاية القصة وحين تتأزم الأحداث، وربما جاءت نهاية القصة مفتوحة يسهم القارئ في وضعها من خياله. ويتبين إن هنالك طريقتان لتعريف القصة الأول يعتمد المعيار الكمي في حسابه الوقت الذي تستغرقه القصة عند القراءة،والثاني كيفي أي لايشترط فيها تعدد الأمكنة والأحداث والشخوص.

نعني بدراسة اللغة الروائية التعامل مع الجوانب اللغوية للنص الروائي مثل السرد والحوار والإيقاع. تكمن أهمية هذه الدراسة في حقيقة أنها تظهر مدى نجاح الراوي في تحقيق التأثير المطلوب على نفسية المتلقي، واصفة اللغة بأنها وسيلة الاتصال بين الراوي والقارئ.

إذا نظرنا إلى سميرة عزام في قصصها، فالقاصة تتجاوز قواعد الكتابة التقليدية للقصة القصيرة الى الكتابة بطريقة التداعي الحر فتخرج فيه القصة عن منطقيتها السردية في ترتيب الأحداث وتسلسلها الى المخالفة في حركية السرد في القصة الكلاسيكية واستخدامها لأسلوب تيار الوعي الذي هو اتجاه جديد مهد لظهوره كثير من الأسباب أهمها نظريات فرويد عن الوعي واللاوعي والعقل الباطن[١]، وبما إن موضوع تيار الوعي هو العالم الداخلي للشخصيات فهذا يفرض على القاص إن يستخدم شكلاً معينا يوائم فيه مع هذا المنهج الكتابي الجديد ويحتم على القاص المجيء بأدوات لها خصوصيتها التي تفرضها هذه التجربة

(١) المصدر السابق، ص/١٨.

بحيث يتمكن القاص من الولوج الى الشخصية المرسومة والتعامل مع ذاتها بتقنية ناجحة تمكن المتلقي من التعرف على هذه الشخصية دونما وسيط.

أولاً – السـرد :

تستخدم كاتبة القصة سميرة عزام لغة السرد بشكل كبير في مجال السرد القصصي، إذ غالبًا ما تعرض"تطور القصة من خلال السرد الذي لا يتخذ شكلاً من أشكال التفوق الأدبي، إلا ما هو نادر". أسير التركيب العقلي الخالي من الاندفاع العاطفي، وهو أمر لم يفلت منه كتاب الأراضي المحتلة بعد النكبة.

"إلى طابع السرد والتصوير الفوتوغرافي للتخلص من أزمة الشكل القصصي الذي واجه القصة الواقعية الفلسطينية"[١].

في القصة "التركة"[٢]، تبدأ المؤلفة بقسم السرد التالي: "يجب أن نعترف أن أهل أبي ناصيف كانوا مستعجلين موته ولعل الرجل المنكود، إمعاناً في النكاية بهم، قد آثر أن يطيل دور النزاع حتى تعبنا نحن جيرانه الذين لم نكن نستعجل موته أو نرجو من حياته أو مماته شيئا"[٣] غالبًا ما كان إصرار المؤلف على استخدام العقلية السردية خاضعًا لثقل الأيديولوجيا، حتى كاد أن يترك إطار تدفق اللغة السردية العاطفية، إلى لغة العقل، حيث يهيمن الميل العقلي على البنية اللغوية.

وفي القصة "الفيضان"[٤] يجيب النسج السردي الآتي: "لماذا لا يتركونها في حياتها الانفصامية؟" [٥] إذا كان مثالاً يسبق نهضة سرد القصص، فإن تأليفاً لغويًا آخر يظهر أكثر تكلفة، إذا يبدأ المؤلف بشيء مثل عرض ثقافي خالٍ من روح الجمال.

في قصتها "ماما "[٦] التي المتخذة صورة الرسالة المرسلة إلى مطلقة له، لم يذكر سياق السرد أي إشارة إلى ثقافة الرجل، أو إلى أي علاقة بالقراءة، إلا أنه يقول في رسالته

---

(١)المصدر السابق، ص/٢٢.

(٢)"الساعة و الإنسان"، سميرة عزام، ص/ ١١٩-١٢٤.

(٣)المصدر السابق، ص/١٢١.

(٤) "وقصص أخرى"، سميرة عزام، ص/ ٥٥-٦٣.

(٥) المصدر السابق، ص/ ٦٠.

(٦) "أشياء صغيرة"، سميرة عزام، ص/ ١٠٧-١١٦.

عبارات مرهقة للفكر وظللت أعاني بعزم وأتصارع معي. لا تعرف الضعيف. لقد وجدتها في نيتشه، لذلك قمت بإسكات جوانب".[١]

قد تسعمل الأديبة اللغة العلمية أو الناصحية أو الخطبية في روايتها، كما في القصة "الحب والمكان"[٢] المنتهة بحادث عندما رفض الكلب ترك المنزل، ثم نشرها خارجا بالدموع. القصة ليست سوى التعليم الكرازي الذي يمجد بحركتها الحرة: "وحين كفت خطوات الرجل عن أن تكون مسموعة، وتراوحت ابتساماتنا بين أن تكون دهشة أو مشاركة أو انتصاراً، وانفلتت رؤوسنا تبحث عن تعليل، رفع هذا (الكلب) إلينا عينين حزينتين معبرتين فامّحت في لحظة كل الظلال المتراوحة بين الشماتة والانتصار، الحائرة بين أن تفرح أو أن تأسى. لقد قر أنا في حزن عينيه أن معنى الأشياء مرتبط في نفسه بطبيعة المكان، وأن هذا هو كل شيء، كل شيء."[٣]

وفي القصة "إلى حين"[٤] تأتي المؤلفة أيضًا بسرد ذهنيً في الويب الآتي: "حسناً، لسبب أو أكثر اعتقدت العمتان أن _ فهمي _ الابن الأكبر لعائلة الطبيب الكبير التي قطنت مؤخراً بجوارهم – له خاطر– في سعاد"[٥].

ولكن عندما يتحول هذا السرد إلى لغة بلاغية، يمكن للكاتب، من خلال حرها، أن يحولها إلى القصة "لأنه يحبهم"[٦] إلى اللغة النبوية يستر جمالها في تحريضها، ولمسها بضمير القارئ العربي، فالشاب الذي يحرق مستودعه ووكالته الغوث يطالب بوقف الناس عن رجم السارق والوغاد والظالم، ويبحثون عن عدوهم الحقيقي، وسبب انحرافهم وقالوا: "وفروا حجارتكم هذه وتلمسوا في ناري حياتكم الجديدة، انظروا ها أنذا أدوس دقيقكم بحذائي،

---

(١) المصدر السابق، ص/ ١١٤.

(٢)"الساعة و الإنسان"، سميرة عزام، ص/٩٥-١٠٣.

(٣) المصدر السابق، ص/ ١٠٣.

(٤) "أشياء صغيرة"، سميرة عزام، ص/ ٢٧-٢٩.

(٥) المصدر السابق، ص/ ٣٠.

(٦) "الساعة و الإنسان"، سميرة عزام، ص/٥-٢٥.

أعفّر قدمي بتراب فولكم .. أعلمكم أنْ جوعوا ليتمرد فيكم اليأس...لتكبروا، تكبروا على الرغيف الذليل"[١]

ومع ذلك، هذا لا يدل أن الأديبة حافظت ابداً اللغة السردية على لغة التقارير. بدلا من ذلك، كرست، لندرة ذلك، لغة سرد تصويرية تحقق الغرض من كتابة التقارير، ولكنها أيضًا متطورة.

في القصة "في الطريق إلى برك سليمان"[٢] تستعمل المؤلفة اللغة البلاغية كثيرة، لعلها بوجوه موضوع متناولة فى القصة، كما تلعب اللغة دورًا إضافيًا في تكوينها بالاتصال بالنص: "وعاد يهز الصغير ليعيد إليه أعجوبة الحياة، فما اختلج الجفن المنطبق نصف إطباقة على العين التي كانت حياة، غرس لأجلها اللوزة، وحمل البندقية"[٣].

تلجأ لغة السرد هنا إلى التصوير الفوتوغرافي، ليس فقط لأنها تصويرية، ولكن لأنها توفر إرشادات كثيرة للنص القصصي. . . في نفس السرد، عندما يطلب حسن دفن ابنه الذي قُتل برصاصة سيئة، يقدم المؤلف نجومًا بيضاء قائلاً :

"وتطلع حواليه ثم انعطف صوب بساتين اللوز، وظل طويلاً يحيل عينيه ليختار شجرة سخية، قصدها وأراح الطفل تحتها، ثم عالج أحد الغصون فكسره، وراح ينبش به الأرض بحركة دائرية،ما لبثت أن اتسعت للجدث الصغير . ولما غطاه بالتراب حفنة إثر حفنة، يحملها بيديه، وقف وهز الشجرة، ففرشت له القبر بنجيماتها البيضاء"[٤]

وفي القصة " الأعداء "[٥] يمكننا أن نلقي نظرة على بعض سيمات القصة المصور، والتي تعتبر الإستهزائية واحدة منها، حيث تستخدم هذه الإستهزاء لانتقاد بعض الجوانب الشكلية الاجتماعية في القصة، ويقدم الكاتب المقطع القصصي الآتي: "وفتح باب المدير،

---

(١) المصدر السابق، ص/ ٣٤.

(٢) وقصص أخرى، سميرة عزام، ص/ ٢٣-٣٣.

(٣)المصدر السابق، ص/ ٣١.

(٤) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٥) المصدر السابق، ص/ ٤٥-٥٤.

وأطلت التنورة التي تنحشر فيها فتاة، واستدارت إليها العيون وبإشارة من طرف إصبعها المصبوغ قام هذا الرفيع يتبختر"[١].

وفي القصة "المسافر"[٢] كما يصير الشكل الفوتوغرافي عمل بلاغي، إذ يدرّب تدريبه في مراقبة مشاعر الوالدة التي يسافر ولدها إلى الدول الأجنبية، بلغة دافئة لا تحلها "الدقة والبلاغة".تقول الكاتبة: "ولما ركب الطائرة، ووقف على سلمها، فرشت القرية عواطفها على المدرج،وألقت أم بقلبها إلى الطائرة"[٣].

ثانياً : الحوار :

لا يعتبر المكالمة جزءاً ضروريًا من أركان "القصة القصيرة"، ولكن عند استخدامه يمكن أن يوفر وظائف جمالية وبلاغية في نفس الوقت، ويمكن أن يظهر عن أوصاف الإنسان الشخصية، ولهذا وجهات نظره حول كما يمكنها "الكشف عن النزاع داخل الشخصيات وتطويره [٤]. لذلك، إن استعمال المكالمة في "القصة القصيرة"، عندما تظهر العيب أقدر في الكشف عنها، وتبدو متناقضة، يجب أن تكون موجودة فيها حتى تكون جيدة كالسهولة "في التعبير، والتركيز الشديد، بشكل يعبر فيه عن المعنى بجملة موجزة، حيث يقتضي المعنى الاقتضاب والإيجاز وبجملة مفصلة حيث يوجب المعنى الشرح والإطناب"[٥].

وفي القصة "نافخ الدواليب"[٦] على نفس المثال، يتم اختصار المكالمة، إذ يفاجئ الصبي عنده الدراجة وهو يركب على عجلة دراجته ويسرّ بهواءه، وهو لا يوجد شيئاً لإطالة ذلك، حيث أن كل شخصية مهتمة بحل الصراع. بسرعة، يريد صاحب الدراجة أن يُفهم الصبي أنه لم تفد من إنكاره، و أمسكه بالجرم، ويحاول الصبي أن يدافع عن نفسه بسرعة، من خلال الإيحاء بأن لديه وجهة نظر في يبرر عمله.

---

(١) المصدر السابق، ص/ ٥١.

(٢) المصدر السابق، ص/ ٩٥-١٠٣.

(٣) المصدر السابق، ص/ ١٠٣.

(٤) القصة والرواية، مريدن، د . عزيزة، دار الفكر،دمشق،١٩٨٠، ص/ ٥٣-٥٤.

(٥) المصدر السابق، ص/ ٥٣.

(٦) "أشياء صغيرة"، سميرة عزام، ص/ ٩٩-١٠٦.

وفي القصة "عقب سيجارة"[١] يدور المكالمة خلال الوالد والطفل الذي سيقوده إلى مركز البوليس، حيث يهين الأب الأوغاد من أهل الحي الذين أفسدوا ابنه بعد أن كان عاقلاً ومهذبًا وقالت:

"للحوار هنا ما يبرر قصره. يريد الأب أن يجد ابنه بسرعة، وعليه أن يعود سريعًا إلى زوجته التي في المخاض، ويهدد الولد بترك الأب، وكل هذا يحتاج إلى إيجاز، لأن الحوار هنا يهدف بالدرجة الأولى إلى الإعلام، عدم شرح وتقديم وجهات نظر محددة تجاه الآخرين والعالم. إذا كان للحوار مثل هذه الوظيفة التفسيرية، فإنه يميل نحو الطول".

والقاصة "سميرة عزام" هي الشخصية الرئيسية فى "عام آخر"[٢] جعلت السيدة العجوزة أم عبودة تطول المكالمة من جانبها إلى حد كبير، مقارنة بالسائق الملل، وذلك فقط لأن طوال المكالمة فى هذه القصة تعطي الناس تفكير واضح عن خيال المرأة العجوزة لماضيها التي هربت من لدنها عندما توقفت السيارة عند الحاجز الأردني، وتطلب من السائق عدم السماح لهم بتفتيش سلتها: إنها مكالمة بذاتها، حيثما الآخر لا تكاد تمتلك، كمحرك للمكالمة، جودة وجودها.

الحوار الأيديولوجي :

تقع الكاتبة أحيانًا في غلاف حوار فكري جاف في حوارها، حيث تعرض آراء الشخصيات بطريقة تفتقر إلى العفوية، على عكس ما وجدناه في مكالمة أم عبود مع سائق السيارة. نجد أكثر وضوحا في القصة "القارة البكر"[٣] المعتمدة بشكل كبير على ال مكالمة الرئيسية، حيث المكالمة هي الصورة الوحيدة للنصوص الخيالية، وهي ما تكاد تستثنيه فى فنون "القصة القصيرة". في هذه القصة، تدور المكالمة بين الشاب وخطيبته المتحاولة نزع قناعه عندما تواجهه بعلاقات السابقة مع شاب.

---

(١) المصدر السابق، ص/ ٤٩-٥٨.

(٢) الظل الكبير، سميرة عزام، ص/ ٧٦-٧٧.

(٣) المصدر السابق، ص/ ١١٧-١٢٨.

الفصحى والعامية :

لا شك أن النقاد أشبعوا الصراع بين البحث والدراسة الكلاسيكية والعامية، حيث تنقلوا جميعًا بين ثلاثة اتجاهات. في الواقع الفني، بينما شهد اتجاهاً ثالثاً كحلٍ وسطٍ، وهو أن الراوي يجده لغة سهلة وطلاقة تلائم الناس وتضلل الواقع وتضمن إمكانية نشر القصة في نفس الوقت.[١]

يتضح من قصص سميرة عزام أنها لم تعير اهتمامًا كبيرًا لهذا الخلاف، حيث قدمت اللغة الرسمية واللهجة العامية، دون أن تكون هناك أسباب واضحة لهذا الاختيار.

شخصية البطل "المؤهلات"[٢]، ليست شخصًا متعلمًا، لكنها انتخبت لغة رسمية في مكالماتها، ومع ذلك، عندما تستخدم الكاتبة اللغة العامية، يُحرم قرائها للذين يمكثون عى بُعد المحيط الجغرافيائى للقصة من مفهوم القصص في بعض الأوقات. وفي القصة "سعد والديك"[٣] تستخدم الكاتب فيها العامي العراقي، ويجد القارئ صعوبة لفهم هذه المكالمة التي تدور بين سعد الصغير وأسرته.

وإذا وجد العديد من قراءة هذه المشكلة في بلاد الشام المجاورة، ولكن الأمر سيصبح قرب غزا بالنسبة قراءة العربي المغرب، وبهذه اللغة العامية تفقد الأديبة الكثير من قصصها. وتمكنت من التخلص من هذه العقبة، واستخدام لغة سهلة وبليغة للحوار، على غرار اللغة المستخدمة في الأحاديث الأخرى.

ثالثاً : الإيقاع القصصي :

لم تهتم الكاتبة دراسة نقدية قصصية كثيرةً بالإيقاع السردي. بل إنها دراسات قليلة درستها هذه الظاهرة "وقد ركزت على إيقاع العنصر السائد دون محاولة الكشف عن ظواهر إيقاعية ذات طبيعة لغوية وفكرية"[٤] يعني الإيقاع " التكرار بالدرجة الأولى ولكنه تكرار مقصود موظف لغايات نفسية وفكرية في العمل الفني، فالإيقاع يضبط حركة المكان والزمان

---

(١)القصة والرواية، ص/ ٥٥-٦٠.

(٢)"وقصص أخرى"، سميرة عزام، ص/ ١٠٥-١١٣.

(٣) المصدر السابق، ص/٣٣-٤٣.

(٤) دراسة في أبنية الإيقاع الروائي، عودة، ثائر : الفلسطيني، مجلة النافذة، بيروت، ١٩٩١م، ص/ ٣٢.

وينظمها ويكسبها معنى جديداً أفقاً آخر عند كل تكرار. هذا التكرار إذا وظّف بدقة وإحكام يشكِّل إيقاعاً منتظماً يحمل إيحاءاً جديداً ومختلفاً بحسب الأثر الذي يتركه التكرار في كل مرة."[١]

وبسبب التكرار بعنصر معين من القصة نوع من سيادة عليها، وغلبة العنصر في القصة، "تظهر للقارئ في شكل من الأشكال التالية : وهي سيادة الحوادث، وسيادة الشخصية، وسيادة البنية أو الجو، وسيادة الفكرة، ولا بد أن يخرج القارئ، من القصة الناجحة، وقد غلب على نفسه عنصر من هذه العناصر"[٢].

بالإضافة إلى التصور الناتج عن هذين التعريفين للإيقاع والعناصر السائدة، وأيضاً توجد العناصر الأخرى تستطيع أن تتكرر وتسود، وكان الدكتور الزعبي يتعلّم هذا الإيقاع من الموضوعات، الحدوث والشخصيات وغيرها، بحيث يمكن للمرء إضافة إيقاعين آخرين.

أولاً: إيقاع الموضوع:

يشكل تكرار الموضوع نوعًا من الإيقاع الذي لا يمكن تجاهله، وهنا يمكننا دراسة الإيقاع بالموضوع الذي يسود العديد من القصص المؤلفة مثل "أسباب جديدة"[٣] و "هواجس"[٤] و"الساعة والإنسان"[٥] و "بائع الصحف"[٦] و "في الطريق إلى برك سليمان"[٧] ومن الدلائل للكاتب وتصمم إيقاع حياتها بالقلق. ربما كان هذا بسبب المرض الذي عانت منه الكاتبة، وفي النهاية إلى وفاتها المبكرة. ومن هنا يحسّ المرء بأن الموضوعات المفضلة لدى الكاتبة، خلال تواتر إيقاعه.

---

(١) في الإيقاع الروائي، الزعبي، د. أحمد، دار الأمل، عمّان، ١٩٨٦م، ص/ ٨.

(٢) فن القصة، محمد يوسف، ص/٨.

(٣) "الساعة و الإنسان"، سميرة عزام، ص/ ٤١-٥٤.

(٤) "وقصص أخرى"، سميرة عزام، ص/ ٥-١١.

(٥) "الساعة و الإنسان"، سميرة عزام، ص/ ٣٢.

(٦) "أشياء صغيرة"، سميرة عزام، ص/٩١-٩٧.

(٧) "وقصص أخرى"، سميرة عزام، ص/٢٣-٣٢.

في القصة "هواجس"[١]، يظهر طغيان نزعة الموت من بين مفرداته. تلزم الطفلة التي أتت إلى الدار بالذهاب عدة مرات أسبوعياً مع رفاقها، وهكذا يحصل المأوى على مصروفاته. الموت بالنسبة لهذه الطفلة هو الظلام، والوجه الشمعي، والصراخ، والبخور، والتابوت، بعد أن كان يعني لها أن تتذكر والدتها الميتة النور والجمال والوجه الضاحك. يتأرجح بين هذين القطبين، المؤلف لا يقدم له حلاً سوى العلاقة الحميمة، لصديقة الفتاة التي أتت إلى الملجأ قبل أن تأكل وتنام، ولا تستطيع الطفلة أن تعيش حياتها الطبيعية . ومع ذلك، فإن الطفلة ما دامت تختفي التردد والتأرجح متقابلين وافدين جدد إلى الملجأ.

ثانياً: إيقاع الحدث:

تتشكل الإيقاع الحدثي من بين الحركة البطيئة للأحداث أو سريعتها في قصة واحدة، ومن الواضح ما ذا سيكون إيقاع الحدث عندما يقدّم عناصر الحدث في القصة، أي القصة "لأنه يحبهم"[٢]، التي تحتل الحدوث مركز الصادارت.

وفي "القصة القصيرة" كثير من الأحداث ومن أبرزها اعتقالات وصفية، واستجواب ذميله، ورواية قصصه، والظا لم والوغاد، وتسلل مركز التوزيع وحرقه. .

ومع ذلك، فإن هذه الأحداث الكبرى ليست منتظمة في أداء إيقاعاتها، فهناك ثلاثة أغراض لقدم الحدوث:

١. عرض الأحداث من خلال ما نعرفه من الراوي نفسه عن حدث يمر به الراوي نفسه، ويحقق إيقاعًا منخفضًا للحدث، لأنه يتحدث عن حدث ماضي، ولكنه يدخل ضمن وقت القصة، كما في أوقف وصفي واستجواب صديقه.
٢. إيقاف الحدث لتقديم إيقاع منتظم، من خلال ثلاث قصص تحدث قبل وقت القصة، وهي قصص المجرم والظا لم والوغاد التي يرويها البطل من أجل تبرير احتراقه للمركز.

---

(١) المصدر السابق، ص/ ٣٢.

(٢) "الساعة و الإنسان"، سميرة عزام، ص/ ٥-٢٥.

٣. صعود الإيقاع الحديث في التسلل إلى المركز وحرقه، حيث يتحرك نبض القارئ بخطوات البطل الذي أتى مشتعلًا ذروة الذل، وهنا يصبح إيقاع الحدث من أغنى الإيقاعات الحديثة في كل قصص عزام.

ثالثاً: إيقاع الشخصيات:

يمكن حركات للأشخاص أن تخلق إيقاعات مختلفة، من بين ارتباطها بالحدث والزمان، خاصة في الشخصية الرئيسية باعتبارها مجالاً للتوتر. فمن خلال القصة "أشياء صغيرة"[١]، يقدم المؤلف شيئاً واضحًا على هذا الإيقاع حيث تعبر الشخصية مكانها ووقتها، حيثما يختلفان عما كانوا عليه من قبل. على مستوى المكان، اضطرت الفتاة بحب، من المكتبة، ومحل الطربيات، حيثما ليس تكون امرأة ولا أصوات سوى أصوات قدميها على العشب، وعلى مستوى الوقت. دمرت الشابة وقت خالتها ووالدتها، ورغبت إلى زمانها الموجودة، وهذه الاختلافات يتوافقان مع الحركات.

رابعاً: إيقاع الزمن:

من بين تفوق الوقت فى القصة القصيرة، يمكن تشكيلاً واضحًا يمكننا لمسه بسهولة، ويتضح الإيقاع مثلها، بالإضافة إلى الإيقاع المكانية، من بين تمزيق "القصة الفلسطينية" والحضور الفلسطينين، بين وقت الذكريات ووقت اللجوء، ويمكننا اتباع الإيقاع مثلها في القصة "في الطريق إلى برك سليمان"[٢] حيثما يتدرج الماضي في ذلك البطل، ويظهر ناقصًا غير ناضج مستقبل عناصره، والوقت الذي لا يضيع منه شيء.

خامساً: إيقاع المكان:

هي إيقاعات متكررة في قصص سميرة عزام، وفي قصص فلسطينية أخرى بشكل عام، حيث تبقى حيثية الوطن أكبر من حيثية المنفى، ففي القصة "زغاريد"[٣] النضال الحقيقي هو حرب الأماكن، أنضال المحتلة في الداخل، والظاهر المهدرة و تسعى الأم جاهدة لنقل زفاف ولدها، في مخيلتها، إلى يافا، لأنها لا تريد الوصول إليه بالقيود الموضوعة وتلتقي الأماكن المتناقضة.

---

(١) "أشياء صغيرة"، سميرة عزام، ص/ ٥-١٥.

(٢) "وقصص أخرى"، سميرة عزام، ص/ ٢٣-٣٢.

(٣) "الظل الكبير"، سميرة عزام، ص/ ٤٧-٥٤.

سادساً: إيقاع اللغة:

أ. **إيقاع المفردات:** إنه لا يتطلب الكثير من جهد، حيث إن تكراره في منطقة النص السردي يضيف معنى جديدًا للمفردات عند كل تكرار. كلمة "نافذة"، على سبيل المثال، التي استخدمها الكاتب في القصة "أطفال الآخرين"[١] تعطي إلى كل كلمة بمجرد تكرار المعنى الآخر، ظهرت هذه في النصوص الآتية:

- " ويقف بجوار زوجته على النافذة المطلة على روضة الأطفال"[٢].
- " في الساعات التي يغيب فيها عن البيت تكون هي على النافذة"[٣].
- " وكم من مرة احترقت الطبخة وهي لاهية عنها على النافذة"[٤].
- "سيختنق بالغصة كلما رآها تطل من النافذة"[٥].
- "هذه النافذة ستعذبه كثيراً"[٦].
- "وكلما أسرفت في إلحاحها فكر في أن يقوم لا ليتفرج بل ليغلق النافذة"[٧].
- "ومد يديه إلى مصراع النافذة يهم بإغلاقه"[٨].
- " لم يرتدَّ عن النافذة"[٩].
- "وابتعد عن النافذة وخلاها مفتوحة للصغار والأمل"[١٠].

---

(١) "وقصص أخرى"، سميرة عزام، ص/١١٥-١٢٦.

(٢) المصدر السابق، ص/ ١١٨.

(٣)المصدر السابق، ص/ ١١٩.

(٤)المصدر السابق، ص/ ١٢٣.

(٥)المصدر السابق، ص/ ١٢٤.

(٦)المصدر السابق، ص/ ١٢٥.

(٧)المصدر السابق، ص/ ١٣٥.

(٨)المصدر السابق، ص/ ١٢٦.

(٩)المصدر السابق، ص/ ١٢٧.

(١٠)المصدر السابق، ص/ ١٠٥-١١٣.

ب. **إيقاع المؤلفات:** يستخدم المؤلف إيقاعات المؤلفات كلعبة تتيح النص أن تكون الجملة المتكررة لا تتوقف أعمالها عند خلق أنواع من التكرار الموسيقية الناتجة، ليكون وظيفة بلاغية.

في القصة "مؤهلات"[١] حيث يترك والدا الطفل المعاق أن يكون ابنهما مجانيًا طبيًا، يتم تقديم الأسباق الأتية:

- يعرض عاهته على الناس بصوت يتفنن في تلوينه بمسحة حزن وهو يقول: خمسة قروش ياسيدي أفطر بها، خمسة قروش لغذائي، ألا ترى يدي العاجزة ؟[٢].
- ماذا تريد مني يا سيدي ؟ إنني لم أطلب منك أن تحملني في السيارة، لقد رجوتك أن تمنحني خمسة قروش لأفطر إنني وطمأنت جزعه بليرة كاملة[٣]. لا فائدة يا سيدي، دعني وشأني، أو أعطني إذا شئت أتعشى أتعشى بها[٤].

الخمس قروش في الاقتباس الأول هي حاجة الصبي العاجز للسؤال، والاقتباس الثاني شيء غير معتاد بالنسبة له، بشرط أن يعطيه الطبيب بنسًا ثانيًا قبل إيداعه يجعله يعتقد أن هذا الجنيه احتمال مستمر، لذلك يختلف الصبي في اللغة التي اعتاد عليها.

سادساً: إيقاع التناص :

يعتبر التناص بشكل العلاقة المقترحة الخالقة خلال نصه والاقتباسات السابقة، أو التراث، أو الأدبي، أو الثقافي، أو الأسطوري، ومن الممكن العلاقة أن تخلق بشكلٍ نعرفه القليل من الاهتمام، حيث أن هؤلاء الناس يقصرون انتباههم على التناص كعلاقة مع الرؤى الدلالية.

ويمكن الرجوع ما يلي:

---

(١) المصدر السابق، ص/ ١٠٦.

(٢) المصدر السابق، ص/ ١٠٩.

(٣) المصدر السابق، ص/ ١١٠.

(٤) المصدر السابق، ص/ ١١٣.

أ. **تناص تراثي:** هذا التناص مرئي بوضوح للكاتبة لأنها تؤسس بشكل دائم إيقاعاته، وعلاقة بين الضمير الجماعي والسياق السردي ببعد تراثي.

"بمجرد أن رأى (والده) الطرد كما هو، قام بلكمه وركله وصرخ عليه. ألا تصرخ بخيبة أمل؟ أم أن الناس يسمعون الصامت؟ الجريدة مثل الخبز الناس يريدون فقط أنها طازجة"[١].

ب.**التناص بين الثقافات:** يعتمد التناص في تكميل إيقاعاته على استحضار التشابه بين أدب الكاتب والتوازن الثقافي المستحضرة في المنتدى. ولقد أشرنا في وقت سابق في كيفية التوازن الثقافي لا تتم من خلال اللغة.

لم يقتصر إلهامها من التراث الديني على الديانة المسيحية فقط، فهي مسيحية، ولكن إيقاعات تستند إلى الكشف في القصة "الساعة والإنسان"[٢] عندما يأذن المؤذن "الصلاة خير من النوم"[٣] عندما تتولد الرهبة، ويرفع جلالة الآذان في مساجد المسلمين في ذاكرته، ومثل هذا التذكر هو في الواقع يؤسس التكرار الذهني بين الحفظ والمنطق، وهذا فقط نوع من الأنواع. الإيقاع السردي الذي سعى الكاتب إلى تحقيقه حيث حاول المؤلف إتقان عناصر أخرى من لغة السرد الأخرى، مثل السرد والحوار.

---

(١) "أشياء صغيرة"، سميرة عزام، ص/ ٩٥.

(٢) "الساعة و الإنسان"، سميرة عزام، ص/ ٣٧-٤٠.

(٣) المصدر السابق، ص/ ٣٢.

خاتمة البحث

خاتمة البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين وبعد:

هو الله الذى وفقنى إلى إكمال وإتمام هذا البحث وأرجو أن يجعله عملاً خالصاً لوجه الله الكريم. إن لكل بداية نهاية ولكل عمل خاتمة فإذا ابتغينا إلى خاتمة هذاالبحث وجدتُ هذاالموضوع بسيط جداً لا يمكن الإحاطة الكاملة. وحان الوقت أن أعرض نتائج البحث كما يلي:

١. القصة عمل أدبي يصور حادثة من حوادث الحياة أو عدة حوادث مترابطة تتشكل عندما تصور حدثًا متكاملًا له بداية ووسط ونهاية. وتعد من الأجناس الأدبية الأكثر رواجا في أدبنا المعاصر.
٢. القصة هي فن من فنون التعبير الأدبي تعالج قضية معينة من قضايا العالم الاجتماعي، أو السياسي، أو الديني، أو الفلسفي، بأسلوب جمالي أنيق عن طريق السرد والوصف والحوار.
٣. القصة القصيرة تمثل حدثًا واحدًا في وقت واحد ومرة واحدة أي أقل من الساعة. وهي شكل قصصي و جنس أدبي نثري ارتبط ظهورها بالعالم الغربي عن طريق الخلاقات والأساطير والقصص والحكايات.
٤. تعتبر فلسطين موقعًا استراتيجيًا مهمًا ، فهي حلقة الوصل بين قارتي آسيا وأفريقيا ، و نقطة التقاء جناحي العالم الإسلامي.
٥. الأدب الفلسطيني جزء لا يتجزأ من الأدب العربي الحديث وإن الأدب الفلسطيني المعاصر يواجهه بأدبين: أحدهما يتجه كتّاب يعيشون على أرض فلسطين التاريخية

والثاني يعيشون في الشتات. و يعبر الأدب الفلسطيني في الشتات عن إحساس عميق بالمكان والارتباط به ، وغالبًا ما يتم تصويره في مواجهة مشاهد من المنفى.

٦. بعد عام ١٩٤٨ ، تمزق الثقافة الفلسطينية وكانت الحياة مختلفة في ظل الاحتلال الأجنبي (إسرائيل). وقد نضج الأدب الفلسطيني نتيجة مسيرة تتقيفية طويلة وشاقة تفاعلت مع واقع السجن الاجتماعي والتربوي والفكري

٧. يعتبر خليل بيدس (١٨٧٤- ١٩٤٩)، على المستوى التاريخي، مؤسس القصة القصيرة الفلسطينية.

٨. ظهر فن الخيال النسائي في فلسطين خلال الخمسينيات والستينيات، وتعتبر القصة من أهم التراث الأدبي فاستطاعت الكاتبات الفلسطينيات ترك بصمة واضحة في الأدب الفلسطيني ، وكتبن العديد من الروايات والقصص الاجتماعية.

٩. تعد القضية الفلسطينية من أهم القضايا الأساسية التي أولتها الكاتبات اهتمامًا كبيرًا ، وهي من الموضوعات التي شغلت عليها كثيرًا.

١٠. برزت نخبة من الأدباء والأديبات وخاصة الأديبات الفلسطينيات في كتابة القصة القصيرة حتي اعتبروا روادها، ومنها سميرة عزام، نجوى قعوار، ندي جريس، إسراء عبوشي، أسماء الغول، سناء الشعلان وغيرها.

وأخيراً أقدم بعض الاقتراحات حول الأدب الفلسطيني النسائي

.

١. أرجو من مسئولي إعداد المناهج فى الجامعات أو أقسام اللغة العربية أن تؤخذ المقتطفات من هذه القصص القصيرة و جهود الكاتبات الفلسطينيات تحت السيطرة الإسرائيلية، فبعضها تحمل قيماً فكرية، وخصائص فنية، وأسلوباً قصصياً و روائياً ويستحق هذا الأدب أن نأخذها كمادة أدبية لطلاب الماجستير والدكتوراه.

٢. أقترح الباحثين الذين يريدون أن يبحثوا فى آداب اللغة العربية و فنونها لابد أن يكملوا مثل هذه الدراسات الفنية وأن يهتموا ببحث فى هذا الموضوع فى البلاد العربية الأخري كما وجدتُ أثناء كتابة هذا البحث مواضع كثيرة التي تستحق البحث والتحقيق والمجال مفتوح لكل دارس وباحث أن يبذل جهوده في الموضوعات المختلفة مثل:

أ- إسهامات الفلسطينيات الأدبية فى الهجو و الرثاء.

ب- دراسة نقدية عن الأدب النسائي الفلسطيني.

ت- دراسة أدبية عن القصة القصيرة العربية فى البلاد العجمية (غير العربية).

ث- دراسة أدبية عن الأدب القصصي الفلسطيني.

٣. الحاجة إلى انعقاد المؤتمرات حول الأدب القصصيي العربي.

وفى الأخير أدعو من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى معظم جوانب هذا الموضوع والكمال لله وحده. وأرجو من الله أن يثيب كل من ساهم ومد إليّ يد العون والمساعدة فى إكمال هذا البحث وخاصة الدكتور حافظ محمد بادشاه المشرف على هذه الرسالة أطال الله عمره. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الباحثة

سنبل جـمال

الفهارس الفنية